الحلقة المفقودة

في تاريخ النحو العربي

تأليف
الدكتور عبد العال سالم مكرم
أستاذ النحو العربي
بكلية الآداب - جامعة الكويت

مؤسسة الرسالة

الطبعة الثانية

مصححة - مزيدة - منقحة

١٤١٣هـ - ١٩٩٣م

مؤسسة الرسالة بيروت - شارع سوريا - بناية صمدي وصالحة
هاتف ٣١٩٠٣٩ - ٨١٥١١٢ ص.ب: ٧٤٦٠ برقياً: بيوشران

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة

إذا كان لي أن أتحدّث بنعمة الله عليّ انطلاقاً من قوله تعالى:

﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾، فإنّ توفيقي لتأليف هذا الكتاب يُعتبر من النِّعم العُظمى التي أنعم الله بها عليّ، فهو دراسة مبتكرة لم أُسبق إليها.

وشاء الْقَدَرُ أن يطبع الكتاب في طبعته الأولى بعيداً عنيّ، فلم أراجع له تَجْربة، ولم أُصَوِّبْ له خطأً، لأنني لم أعط الناشر أمر طبعه. وكل ما فعلته هو كتابة قوائم لتصويب الأخطاء في آخر الكتاب مع تنبيه القارىء في بطاقة مرفقة بغلافه الداخلي ألاّ يقرأ هذا الكتاب إلاّ بعد الرجوع إلى التصويبات في آخره وكان حزني شديداً لولادة هذا الكتاب مشوّهاً في طبعته الأولى مع أنه حلقةٌ مفقودة لم يحاول أحد من الباحثين قبلي أن يعثر عليها، ويستوعب مسائلها، ويجمع أطرافها ولذلك عملت جاهداً على أن يعاد طبعه من جديد في طبعة ثانية، تزيل عواره، وتجهز على أخطائه، وتعيده من جديد في ثوب قشيب.

مع إضافة جديدة تتمثل في النحو الكوفيّ قبل سيبويه، ليلتقي الفرعان في مجرى واحد، وهو المجْرى المتمثل في كتاب سيبويه الذي انطلقت منه الدراسة النحوية حتى عصرنا الحاضر، والعصور التي تليه إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها: وكل ما أروه أن يجعله الله تعالى خالصاً لوجهه لينتفع به طلاب لغة القرآن الكريم.

المؤلف : عبد العال سالم مكرم

** . . **

تقديم

نعم، إنها حلقة مفقودة في تاريخ النحو العربي، وقف المؤرخون، المحدثون إزاءها موقف الحائر العاجز، فالنحو العربي عندهم ميلاده بمعناه الدقيق في كتاب سيبويه.

أما ما قبل الخليل وسيبويه، فليس للنحو العربي وجود اللهم إلا نتف محدودة لا تكوّن اتجاهاً، ولا تحدّد قاعدة، ولا ترسم اصطلاحاً

وحجة هؤلاء أنه ليس لديهم من المراجع والنصوص ما يلقي ضوءاً كاشفاً على هذه المرحلة من تاريخ النحو العربي.

يدل على ذلك ما ذكره الشيخ المرحوم محمد الطنطاوي حول هذه المرحلة بعد أن قسم أطوار النحو العربي إلى أربعة أطوار، وحدد الطور الأول من عصر الخليل، يقول الطنطاوي عن هذه المرحلة: «ويغلب على الظن أنَّ ما تكوّن من نحو هذه الطبقة فضلاً عن قلته كان شبه الرواية للمسموع، فلم تنبت بينهم فكرة القياس، ولم ينهض ما حدث في عهدهم من أخطاء إلى إحداث ثغرة خلاف بينهم، لقرب عهد القوم بسلامة السليقة.

كذلك لم تقو حركة التصنيف بينهم، فلم يؤثر عنهم إلا بعض نتف في مواطن متفرقة من الفن لم تبلغ حد الكتب المنظمة، إذْ كان جل اعتمادهم

على حفظهم في صدورهم وروایاتهم بلسانهم» (١) .

والقارىء لرجال هذه الحلقة في هذا البحث يرى خطأ هذا الرأي الذي ذهب إليه الأستاذ الفاضل، فما أكثر الخلافات النحوية في هذه المرحلة، كما أن القياس النحوي أعلن عن نفسه، وتدخل في الفكر النحوي قبل عصر الخليل.

أما التأليف النحوي فقد بدأ مبكراً وسار بخطوات مرحلية حتى تسلم قيادته سيبويه إذْ ظهرت الثمرة، وآتت أكلها في كتابه الخالد.

ومع أن المستشرقين جُبلوا على التعمق في البحوث العربية، وأنهم يحاولون أن يستنبطوا من النصوص العربية حقائق جديدة، وأفكاراً متطورة، ومادةً حيّةً فإنهم وقفوا في حيرة وتعجب إزاء هذه المرحلة، وقد كان منشأ هذه الحيرة وهذا التعجب هو كتاب سيبويه، إذْ كيف يلد كتاب سيبويه عملاقاً من دون أن يسبق بمراحل نمو وتطور تؤدي إلى ولادته ولادة طبيعية. ويشير إلى هذه الحيرة ما ذكره الأستاذ (ت - دي - بور) حيث يقول: «ويحيط الغموض بأول نشوء دراسته، فلو نظرنا إلى كتاب سيبويه لوجدناه عملاً ناضجاً، ومجهوداً عظيماً حتى أن المتأخرين قالوا: إنه لا بد أن يكون ثمرة جهود متضافرة لكثير من العلماء مثل قانون ابن سينا في الطب» (٢) .

ولكن أين هذه الجهود المتضافرة ؟ إنها تحتاج إلى من يكشف عنها الغطاء، ويبعث فيها الحياة.

وقد شعرت منذ أن اشتغلت بالنحو العربي بأن هناك مرحلة مفقودة في

---

(١) نشأة النحو ٢٨

(٢) تاريخ الفلسفة في الاسلام نقله الى العربية الدكتور محمد عبد الهادي ابو ريدة الطبعة الرابعة ـ لجنة التأليف والترجمة والنشر. ص ٥٤، ٥٥.

تاريخ النحو العربي تمتد من عصر أبي الأسود إلى عصر الخليل وسيبويه، لأنه ليس من الطبيعي أن يكون كتاب سيبويه على هذه الصورة من النضج والاكتمال ثم لا تكون له جذور سابقة أمدته بالحياة والنمو حتى وصل إلى ما وصل إليه، لأن ولادة الكتاب من دون هذه الجذور مخالفة لسنن الأشياء، وانحراف عن التطور الطبيعي لميلاد الأفكار.

وكنت انتظر من طلاب الدراسات العليا أن يقدموا لنا دراسات نحوية في هذه الفترة ليعثروا على الحلقة المفقودة في تاريخ النحو العربي لتكون في مكانها الصحيح في سلسلة التطور النحوي قبل الخليل وسيبويه، وبذلك يكونون قد أضافو جديداً، وقدموا عملاً فريداً يُظهر في جلاء أن كتاب سيبويه ثمرة لجهود سابقة ونتيجة لمقدمات قبله، ولكن مع الأسف لم تظهر حتى هذه اللحظة أية بحوث في هذا الميدان.

وحبي لاستكشاف المجهول دفعني إلى أن أتسلح بالإيمان والصبر لمعايشة كل ما أعثر عليه من نصوص عربية في هذه الفترة. إن النص قد يحمل في طياته معنى تاريخياً عظيماً قد ينير الطريق، ويكشف الظلمة، ويهدي الضال، لذلك كان شعاري النظر الطويل في هذه النصوص لاستجلاء كثير من هذه الحقائق.

وقد استطعت بحمد الله أن أعثر على هذه الحلقة المفقودة، ففي هذا القسم صحبت رجال هذه الحلقة الذين أسسوا بنيان النحو العربي بما قدموا من دراسات وبما أقاموا من بحوث، وبما شيدوا من أسس.

أجل كانت صحبتي لهؤلاء الرجال عسيرة شاقة فما كتب عنهم في كتب التراجم والطبقات لايشفي غليلاً، ولا يبل صدى، ولكن طول المصاحبة للنصوص المتناثرة في المراجع العربية قدّم لي مادة حية نسجت منها الخطوط العريضة لرجال هذه الحلقة، وكانت سعادتي غامرة، لأني وقفت على ما لم يقف عليه غيري، ولعلي بهذا العمل المتواضع أكون قد بدّدت

الحيرة وأزلت العجب من نفوس هؤلاء المؤرخين للنحو العربي من عرب ومستشرقين، إذ أن القارىء لآثار رجال هذه الحلقة يشعر بطمأنينة لا تعرف الشك، وبثقة لا تعرف التردد أن كتاب سيبويه ولادة طبيعية، وأن هؤلاء الرجال قدموا لهذا الكتاب المادة، والفكر، والدراسة والبحث، وهؤلاء الرجال بما قدموا من أعمال أفاد منها سيبويه في كتابه هم الحلقة المفقودة في تاريخ النحو العربي.

أما مظاهر هذه الحركة، والأسس التي انطلقت منها، والعومل التي ساعدت على تكوينها فسوف نخصها بمزيد من البحث في مؤلف آخر إن شاء الله.

والله أسأل أن يسدد خطانا، ويلهمنا الرشد.

عبد العال سالم مكرم

القســـم الأول: النحو البصـريّ

رجال أسّسوا بُنْيان النحو العربي

قبـــــــل
الخليل وسيبويه

بسم الله الرحمن الرحيم

تمهيـد:

رأي في نشأة النحو :

قضية نشأة النحو العربي احتدم حولها النقاش منذ عهد مبكر، فالناظر إلى كتب الطبقات تروعه كثرة الاختلافات حول هذه النشأة.

فمن قائل : إن النحو العربي نشأ على يد عليّ كرم الله وجهه: « سمع أعرابياً يقرأ: ﴿ لايأكله إلا الخاطئون﴾ [1] فوضع النحو» [2].

ومن قائل: إن هذه النشأة تمت على يد أبي الأسود الدؤلي فهو الذي ألح على زياد أمير البصرة بأن يأذن له «أن يضع للعرب ما يعرفون به كلامهم» [3].

ولعل أبا الأسود راعه ما سمعه من ابنته، فقد قالت له ابنته: « ما أحسن السماء : برفع كلمة (أحسن) فقال لها : نجومها، فقالت: إني لم أرد هذا، وإنما تعجّبت من حسنها. فقال لها إذن فقولي : ما أحسنَ السماءَ[4] بفتح الكلمتين، أقول: لعل هذا الاضطراب في الفهم والجهل

---

(١) الحاقة: ٣٧

(٢) نزهة الألباء: ٧.

(٣) نزهة الألباء: ١٢.

(٤) نزهة الألباء: ١٢.

بمواقع الكلام هو السبب في أن يلح أبو الأسود على زياد بأن يأذن له بوضع ما يعرف به الكلام.

وهناك بعض الروايات تبين أن أول من وضع النحو عبد الرحمن بن هرمز الأعرج (١) ،كما أن هناك روايات أخرى تبين أن أول من وضع النحو نصر ابن عاصم (٢).

وتتضارب الروايات مرة أخرى، إذ نرى أن بعض الروايات تنسب نشأة هذا العلم إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فقد « قدم أعرابي في خلافة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال: من يقرئني شيئاً مما أنزل الله تعالى على محمد ﷺ فأقرأه رجل سورة (براءة) فقال: ﴿أن الله بريء من المشركين ورسولِهِ﴾ (٣) بالجر: فقال الأعرابي: أو قد برىء الله من رسوله ؟ إن يكن الله تعالى بريء من رسوله، فأنا أبرأ منه، فبلغ عمر عليه السلام مقالة الأعرابي فدعاه، فقال: يا أعرابي: أتبرأ من رسول الله ﷺ ؟ فقال يا أمير المؤمنين: إني قدمت المدينة ولا علم لي بالقرآن، فسألت من يقرئني ؟ فأقرأ في هذا سورة (براءة) فقال: أن الله بريء من المشركين ورسولِهِ، فقلت: أوقد برىء الله تعالى من رسوله ؟ إن يكن الله بريء من رسوله فأنا أبرأ منه، فقال عمر رضي الله عنه: ليس هكذا يا أعرابي. فقال: كيف هي يا أمير المؤمنين ؟ فقال « أن الله بريء من المشركين ورسولُهُ » (بالرفع) فقال الأعرابي: وأنا والله أبرأ ممن برىء الله ورسوله منهم، فأمر رضي الله عنه ألاّ يقرىء القرآن إلا عالم باللغة، وأمر أبا الأسود الدؤلي أن يضع النحو ». (٤).

---

(١) نزهة الألباء ـ ١٣.
(٢) المصدر نفسه ـ ١٤.
(٣) التوبة ـ ٣.
(٤) نزهة الألباء ٨ ـ ٩.

ويرجّح ابن النديم في (الفهرست) أن أبا الأسود هو الذي وضع بعض مصطلحاته الأولى، ويستدل لهذا بما رواه محمد بن إسحاق « أنه كان بمدينة (الحديثة) رجل يقال له : محمد بن الحسين. . . جمّاعة للكتب. . . له خزانة لم أر لأحد مثلها كثرة تحتوي على قطعة كبيرة من الكتب العربية في النحو، واللغة والأدب، والكتب القديمة.

قال محمد بن إسحاق : فلقيت هذا الرجل دفعات فأنس بي، وكان نفوراً ضنيناً بما عنده، خائفاً من بني حمدان، فأخرج لي قمطراً كبيراً. . . ورأيت فيه ما يدل على أن النحو عن أبي الأسود ما هذه حكايته، وهي أربعة أوراق أحسبها من ورق الصين ترجمتها : هذه فيها كلام في الفاعل والمفعول من أبي الأسود رحمة الله عليه بخط يحيى بن يعمر، وتحت هذا الخط بخط عتيق. هذا خط علان النحوي وتحته هذا خط النضر بن شميل. ثم لما مات هذا الرجل فقدنا القمطر وما كان فيه، فما سمعنا له خبراً » (١).

رأي بعض المستشرقين وبعض العلماء المحدثين :

هذا التضارب في الروايات دفع بعض المستشرقين وبعض العلماء المحدثين إلى التشكك في نشأة النحو، وتناقضها من أكبر الأسباب في عدم الأخذ بها، والاعتماد عليها.

ومن هؤلاء المستشرقين الذين أنكروا نسبة النحو إلى أبي الأسود المستشرق (فون كريمر) إذ يقول : « إن تسرب الفساد إلى اللغة العربية كان هو السبب في ضرورة وضع قواعد النحو لإنقاذ اللغة العربية » رواية لا يعوّل عليها إطلاقاً ولا أساس لها فالنحو العربي من وضع الأجانب من

---

(١) الفهرست ـ ٦١ المطبعة الرحمانية، بتصرف

الآراميين والفرس، وقد أوجدته الحاجة التي أحسّ بها هؤلاء الأجانب لتعلّم الكتابة العربية، وقراءة اللغة العربية على وجه صحيح، وعلى الأخص غير العرب الذين أرادوا أن يقفوا حياتهم للدراسات العلمية » [1] .

ومن هؤلاء العلماء المحدثين الدكتور مصطفى نظيف إذ يقرر بأن « يعقوب الرهاوي كان من معاصري أبي الأسود وهو من يعاقبة السريان تتلمذ على (سويرس سيبوخت) وبرع في الفلسفة واللاهوت والنحو والتاريخ، ألّف في النحو السرياني كتاباً اقتبس فيه الحركات والنقط. ومحاولة أبي الأسود واقتباس الحركات والنقط في العربية كلاهما بدأ في البصرة وكانت البصرة في ذلك الحين موضع التقاء العرب بالفرس، والسريان، وأهل الهند، وكانت لغة العلم والمعرفة في ذلك العصر اللغة السريانية » [2] .

على أن هناك فريقاً من العلماء المحدثين المعتدلين لم يذهب إلى ما ذهب إليه « فون كريمر » أو « الدكتور مصطفى نظيف » من إنكار نسبة النحو إلى العرب، وعلى رأس هذا الفريق الأستاذان المرحومان أحمد أمين، وإبراهيم مصطفى.

أما أحمد أمين فإنه لاينكر هذه النسبة فقد يكون لها أصل صحيح « لأن الرواة اتفقوا على أن أبا الأسود قام بعمل من هذا النمط، وهو ابتكار شكل المصحف، وهذه خطوة أولية في سبيل النُّحْو، تتمشى مع قانون النشوء ويمكن أن تأتي من أبي الأسود » [3] .

---

(١) الحضارة الاسلامية ، ومدى تأثرها بالمؤثرات الأجنبية لفون كريمر ـ تعريب مصطفى بدر ـ ٩٠. دار الفكر العربي.

(٢) مجلة المجمع اللغوي ٧ ـ ٢٤٨.

(٣) ضحى الاسلام ٢ : ٢٨٦ ط ثانية بتصرف

وأما إبراهيم مصطفى فإنه يرى أن عمل أبي الأسود في مجال النحو هو وضع نُقَط الإعراب، وضبط المصحف على نهج العربية[1] .

وهذان الرأيان مقاربان، وإن اتفقا على أن المصطلحات النحوية التي نسبها الرواة إلى أبي الأسود لا تتفق مع طبيعة العصر الذي عاش فيه أبو الأسود.

رأي :

وفي رأيي الخاص أن قضية نشأة النحو مرتبطة بمعارف العرب السابقة في الجاهلية وفي العصر الإسلامي وبخاصة في مجالي القراءة والكتابة.

فإذا كان العرب في جاهليتهم وفي العصر الإسلامي يجيدون القراءة ويحسنون الكتابة فإن من البديهي ارتباط هذه القراءة أو هذه الكتابة بالضوابط الإعرابية من رفع ونصب وجر وجزم، لأنه لايمكن أن نسلم أن تعليم القراءة أو الكتابة يجري بعيداً عن منطق اللغة، وسلامة تراكيبها.

ولعل إنكار نسبة النحو إلى العرب منشؤه هذه الفكرة الضالة التي تسربت إلى عقول المفكرين، والتي تقرر أن العرب أمّة أميّة لاعلم لها بالقراءة والكتابة، وإذا كانوا كذلك فكيف يتأتى لهم في هذا العصر المبكر أن ينشئوا علم النحو، وأن يضعوا له مثل هذه المصطلحات أو هذه التقاسيم التي سجلها الرواة ؟.

والحق أن ادعاء الأمية في العرب، وجهلهم بالقراءة والكتابة اعتماداً على بعض الآيات التي أخذوا جانباً منها وتركوا جانباً آخر افتراء

---

(١) مجلة كلية الآداب ـ المجلد العاشر ٢ : ٧١ بتصرف

على الحق، وجهل بالتاريخ. أما الآيات التي اتخذوها دليلاً فهي ﴿ وقل للذين أوتوا الكتاب والأميين أأسلمتم ﴾ [1]وقوله تعالى :﴿ ذلك بأنهم قالوا ليس علينا في الأميين سبيل ﴾ [2] وقوله تعالى ﴿ هو الذي بعث في الأميين رسولاً﴾ [3] فليس المقصود « الأمّيّة الكتابية ولا العلميّة»،وإنما يعني الأمية الدينية أي أنهم لم يكن لهم قبل القرآن كتاب ديني ، والدليل على ذلك ﴿ ومنهم أميّون لايعلمون الكتاب إلا أمانِيَّ ﴾ [4] [5] ، وأما الآيات التي تركوها جانباً مع أنها تنادي في وضوح بأن العرب كانوا على دراية كاملة بالقراءة والكتابة فهي : ﴿ وقالوا أساطير الأولين اكتتبها ﴾ [6] وهذه إشارة إلى معرفة الكتابة، وقوله تعالى : ﴿ وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجّر لنا من الأرض ينبوعاً ﴾ إلى قوله تعالى : ﴿ أو ترقى في السماء ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتاباً نقرؤه ﴾ [7] وهذه إشارة إلى معرفة القراءة.

وإلى جانب هذه الأدلة القرآنية فهناك أدلة تاريخية ليس فيها مجال للشك تثبت الكتابة للعرب في جاهليتهم، وبخاصة في مدينة مكة،ومن ينكر هذا الفداء الفكري المتمثل في القراءة والكتابة حينما أطلق عليه السلام أسرى بدر من قيود الأسر إذا علم كل فرد منهم عشرة من صبيان المسلمين القراءة والكتابة ؟ بل من ينكر كتاب الوحي وأخبارهم مستفيضة مسجلة في كتب التاريخ والرواية ؟ .

---

(١) آل عمران: ٢٠ .

(٢) آل عمران:٧٥.

(٣) الجمعة : ٢ .

(٤) البقرة : ٧٨.

(٥) انظر مصادر الشعر الجاهلي من ص ٤٤ الى ص ٤٦ .

(٦) الفرقان : ٥.

(٧) الإسراء: ٩١، ٩٢، ٩٣.

فعن أبي سعيد الخدري أن النبي ﷺ قال : « لا تكتبوا عني شيئاً سوى القرآن، فمن كتب عني شيئاً سوى القرآن فليمحه » [1] .

وفي مجال كتابة الحديث فإن أبا هريرة يحدثنا عن عبدالله بن عمرو في هذا المجال فيقول : « ما أحد من أصحاب رسول الله ﷺ أكثر حديثاً مني إلا ما كان من عبدالله بن عمرو فإنه كان يكتب » [2] ولعل هذه ميزة انفرد بها عبدالله بن عمرو دون الصحابة .

وما لي أذهب بعيداً وقد تواترت الأخبار التي تؤكد أن زيد بن ثابت كان من كتّاب الوحي على عهد رسول الله ﷺ، وقد أرسل إليه أبو بكر بعد أن قتل معظم قراء القرآن يوم اليمامة ليكتب القرآن ويجمعه في مصحف.

قال زيد يحدثنا عن نفسه :« قال أبو بكر: إنك شاب عاقل لا نتهمك، وقد كنت تكتب الوحي لرسول الله ﷺ، فتتبع القرآن ، اجمعه، فوالله لو كلفوني نقلْ جبل من الجبال ما كان أثقل عليّ مما أمرني به من جمع القرآن » [3] .

وفي عهد عثمان رضي الله عنه بعد فتنة الاختلاف في القراءة، وجمع الناس على مصحف واحد كان من رواد كتابة هذا المصحف الموحد، زيد بن ثابت وعبدالله بن الزبير، وسعيد بن العاص، وعبدالرحمن بن الحارث بن هشام .

يضاف إلى هذه الأدلة المعلقات الشعرية التي كتبها العرب، وعلّقوها على الكعبة لأنها ذات قيمة، ولأنها صورة صادقة لتقاليد العرب وقيمهم وأخلاقهم، والمعلقات عمل فكري شعوري لايمكن أن ترتجل ارتجالاً لأنها تحتاج إلى معاناة فكرية وشعورية وإلى مزيد من الوقت والأناة، وإذا كانت

---

(١) تقييد العلم للخطيب البغدادي ص ٢٩ .
(٢) الإصابة في تمييز الصحابة ٤ : ١٢ .
(٣) الإتقان ١ : ٥٧ .

كذلك فمن غير المعقول ألاّ يكون لدى الشاعر صحيفة يكتب فيها شعره، ليعاوده مرة بعد مرة، ولهذا قال جويدي : أن قصائد القرن السادس الميلادي لجديرة بالإعجاب، تنبىء بأنها ثمرة صناعة طويلة، فإن ما فيها من كثرة القواعد والأصول في لغتها ونحوها، وتركيبها وأوزانها يجعل الباحث يؤمن بأنه لم تستو لها تلك الصورة الجاهلية إلا بعد جهود عنيفة بذلها الشعراء في صناعتها » (١) .

وقديماً آمن الجاحظ بهذه الفكرة فقال في كتابه البيان والتبيين: « ومن شعراء العرب من كان يدع القصيدة تمكث عنده حولاً كريتاً وزمناً طويلاً يردد فيها نظره، ويجيل فيها عقله، ويقلب فيها رأيه اتهاماً لعقله، وتتبعاً على نفسه، فيجعل عقله زماماً على رأيه، ورأيه عياراً على شعره، اشفاقاً على أدبه، وإحرازاً لما خوله الله من نعمته، وكانوا يسمّون تلك القصائد الحوليات، والمقلدات، والمحكمات، ليصير قائلها فحلاً خنذيذاً، وشاعراً مفلقاً » (٢) .

من هذه الأدلة التي قدمتها أستطيع أن أقول : بأن من العرب من يجيد القراءة والكتابة، ومن خلال هذه الإجادة نضع أيدينا على جذور القواعد النحوية واللغوية التي تعين على حسن القراءة، وضبط الكتابة، والتزام النهج السليم الذي تدعو إليه ضوابط اللغة وتراكيبها.

ولا أدل على ذلك من هذا النفور الشديد من اللحن، لأنه انحراف عن الصواب، وهروب من ضوابط اللغة، ويكفي أن يوصف اللحن بالضلال، لأنه غاب عنه دليل الهدى، ونور الإرشاد، فعن أبي الدرداء قال : « سمع النبي

---

(١) الفن ومذاهبه في الشعر العربي للدكتور شوقي ضيف ١٤.
(٢) البيان والتبيين ٢ : ٩.

ﷺ رجلاً قرأ فلحن قال : أرشدوا أخاكم » [1] وفي رواية سجلها ابن جني في الخصائص : « أرشدوا أخاكم فقد ضل » [2] على أن العلم باللغة كانت جذوره ممتدة قبل أبي الأسود، ففي الرواية التي تنسب إلى عمر بن الخطاب، وأنه أمر أبا الأسود أن يضع النحو، وردت هذه الجملة « لا يقرىء القرآن إلا عالم باللغة » [3] .

ولماذا اتجهت الروايات إلى أبي الأسود لتنسب النحو إليه إن لم يكن ذا دراية واسعة بعلم العربية ؟ ولماذا لم تتجه هذه الروايات إلى رجل آخر في طبقته ـ على كثرة الرجال ـ لتنسب إليه ما نسبته إلى أبي الأسود ؟ .

الحق الذي يقال: إن أبا الأسود حلقة في سلسلة المعرفة اللغوية، ولا يمكن لأبي الأسود أن يحصل على هذه المعرفة اللغوية التي سنذكر طرفاً منها فيما بعد بدون أن يتعلمها من غيره، ولكنه برز في مجالها، وزاد نشاطه في حقلها، فنسبت إليه نشأة أضخم علم شغل الناس قروناً طويلةً، وما زال يشغلهم إلى وقتنا الحاضر.

أما الأسباب التي جعلت مولد النحو على يده فترجع إلى ما يأتي :

١ ـ اتصاله بعلي كرم الله وجهه، وقد تميز عليّ بأنه تربى في بيت النبوة، وشرب من معينها، وارتوى من موردها ما جعله مضرب المثل في العلم والمعرفة وأخباره في هذا الباب متعدّدة، وحينما يذكر الرواة أن أبا الأسود دخل على عليّ وفي يده رقعة فيسأله عنها فيجيبه كرم الله وجهه بقوله : إني تأملت كلام العرب فوجدته قد فسد بمخالطة هذه الحمراء

---

(١) كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال ١ . ١٥١
(٢) الخصائص ٢ . ٨.
(٣) نزهة الألباء ٨، ٩

ـ يعني الأعـاجم ـ فأردت أن أضـع شيئاً يرجعـون إليه ويعتمـدون عليـه، ثم يلقي الـرقعـة إلى أبي الأسـود وفيهـا مكتـوب : الكـلام كله : اسم، وفعـل، وحـرف، فالاسم : مـا أنبأ عن المسمى، والفعـل ما أنبىء بـه، والحـرف مـا أفاد معنىً.

يقـول أبو الأسـود :وقال لي: أُنْحُ هذا النحـو، وأضفْ إليه مـا وقـع إليك [1] أقول : حينما يذكر الرواة ذلـك فإنمـا يشيرون إلى حقيقـة مؤداها أنـه ليس من الغـرابة أن يكـون عليّ على هذا المستـوى من التفكير، لأن مكـانتـه الفكرية لاينكرها التاريخ، فقد روي عن النبي عليه السلام قولـه : « أنا مـدينة العلم وعليّ بابها فمن أراد العلم فليـأته من بـابه » [2] وقـال عنه النبي : اللهم اهد قلبه وسدد لسانه » [3].

وايمـان عليّ بعقلية أبي الأسـود هـو الـذي أوحى إليـه بهـذه العبـارة «وأضف عليه ما وقع إليك» .

أمـا صلة أبي الأسـود بعليّ كـرم الله وجهـه فهي صلة ولاء وحب، وقـد دفعتـه هذه الصلة إلى أن يـطلب من عليّ كرم الله وجهـه أن يبعـد أبـا مـوسى عن التحكيم قائلاً لـه : « يا أميـر المؤمنين، لا تـرْضَ بـأبي موسى، فـإني قد عجمت الرجل وبلوتـه، فحلبت أشطره فـوجدتـه قريب القعْـر. . وما أدري مـا يبلغ نـصحـه، فـابعثني فـإنـه لا يـحـل عقـدة إلا عـقـدت لـه أشـد منهـا [4] .

ولا أدل على هـذا الحب من هجـائـه لبني قشيـر إذ كـانـوا يكـرهـونـه

---

(١) نزهة الألبّاء ٤ ، ٥ .
(٢) الإستيعاب في معرفة الأصحاب ٢ : ١١ .
(٣) المرجع نفسه ١١٠٠ .
(٤) أمالي المرتضى ١ : ٢٩٢ .

لحبه عليّاً قال لهم يوماً: يا بني قشير ما في العرب أحد أحب إلي طُولَ بقاء منكم، قالوا : ولم ذلك ؟ قال لأنكم إذا ركبتم أمراً علمت أنه غيّ فأجتنبه، وإذا اجتنبتم أمراً علمت أنه رشد فاتبعته، فنازعوه الكلام فأنشأ يقول :

يقول الأرذلون بنو قشير طوال الدهر لاتنس عليّا
أحب محمداً حبًّا شديداً وعباساً وحمزة والوصيّا
فإن يك حبهم رشداً أصبه ولست بمخطىء إن كان غيًّا

٢ ـ علمه باللغة وبغريبها،ومعرفة الغريب لايستوي في مجالها كل من يعرف اللغة لأن معرفة الغريب انفرد بها قلة من العلماء الذين أحاطوا باللغة، وقد عبَّد أبو الأسود طريق هذه المعرفة أمام العلماء الذين أتوا من بعده، ولم نعلم أن أحداً من أقرانه وصل إليه في هذا المجال.

يدل على ذلك ما رواه صاحب العقد الفريد حيث يقول : فقال أبو الأسود لأبي علقمة، ما حال ابنك ؟ قال أخذته الحُمّى فطبخته طبخاً، ورضختـه رضخاً (الرضخ: الكسر) فتركته فرخاً (الفرخ الضعيف المنهوك) قال : فما فعلت زوجته التي كانت تشارّه (تشاره : تخاصمه) وتهارّه (تهر في وجهه) وتمارّه:(تجادله) قال : طلقها فتزوجت بعده فحظيت وبظيت، فقال له : قد عرفنا حظيت فما بظيت ؟ قال : حرف من الغريب لم يبلغك، فقال يا بن أخي : كل حرف لا يعرفه عمك فاستره كما يستر السنّور خرأه »[1] .

ويسوق الزمخشري بعض الكلمات الغريبة على لسان أبي الأسود فيقول: «عليكم فلاناً فإنه أهْيَس، ألدّ مِلْحَس، إن سئل أرَز، وإن

---

(١) العقد الفريد ٢ : ٤٩٠، ٤٩١.

دعي انتهز »[1] .

٣ ــ نضوج عقله وقوة تفكيره، وسرعة بديهته صفات أهلته لحمل لواء العربية في هذا العصر المبكر، وكان أبو الأسود يحسّ بهذه المميزات التي وهبت له، فقد روى المبرد أن زياداً قال لأبي الأسود : لولا أنك قد كبرت لاستعنا بك في بعض أمورنا، فقال : إن كنت تريدني للصراع فليس عندي، وإن كنت تريد عقلي ورأيي فهما أوفر ما كانا »[2] .

وفي القصة التي دارت بينه وبين بني قشير حينما هجاهم وأعلن حبه لعليّ وآل البيت أرادوا أن يفحموه ويسكتوه حينما قال :

فإن يكُ حُبُّهم رُشْداً أُصِبْهُ
ولست بمخطئٍ إن كان غيّا

قالوا له: أشككت يا أبا الأسود؟

فقال ألم تسمعوا قول الله تعالى : ﴿ وإنا أو إياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين﴾[3] «أفترون الله شك »[4]؟ وبهذا القياس استطاع أبو الأسود أن يفحمهم ويسكتهم، ألا يدل ذلك على رجاحة عقله، وقوة تفكيره، وحضور بديهته.

وقد عرف لأبي الأسود تميزه في هذا المجال الجاحظ حينما قال عنه : « أبو الأسود الديلي معدود في طبقات من الناس، وهو فيها كلها مقدم، ومأثور عنه الفضل في جميعها، كان معدوداً في التابعين والفقهاء، والمحدثين والشعراء، والأشراف والفرسان والأمراء والدهاة والنحويين والحاضرين الجواب، والشيعة، والبخلاء، والصلع، والبخلاء الأشراف »[5].

---

(١) الفائق في غريب الحديث ٤ / ١٢٤ والأهيس: الذي يدور، الأليس الذي لا يبرح، الملحس: الحريص، أرز: انقبض، انتهز: افترص.

(٢) أمالي المرتضى ١ : ٢٩٢.

(٣) سبأ: ٢٤.

(٤) الأمالي للمرتضى ١: ٢٩٣.

(٥) خزانة الأدب ١: ٢٨١، ٢٨٢ هارون.

٤ ـ كثرة رحلاته وتنقلاته :

لقد عرك أبو الأسود الناس والحياة، وأفاد من خبراته بهم وبها، وتجاربه معهم ومعها ما جعله ذا بصر بما يدور حوله، يحب الحياة، ويحب الناس، ويجالس الأخيار، ويسمع الأخبار، ويعايش الناس بكل ما يملك من مشاعر وعواطف، وهذه أمور تجعله أقدر من غيره في أن يزن الأمور بموازينها، وتجعله أيضاً خبيراً بالمعرفة الإنسانية يتلقاها من مصادرها، ورجل هذا شأنه من السهل عليه أن يقدم رأيه لمن يحتاج إليه، ويسهم في مشكلات عصره بما تسلح به من خبرة، وتجربة، وعلم، ودراية حتى وهو كبير السن لم يحاول أن ينطوي على نفسه في ركن من أركان بيته بعيداً عن الناس وعن الحياة بل سار في دربه، والتزم منهجه شاباً وشيخاً، ولم يتخل عن فلسفته في صلاته بالناس.

يحدثنا الأغاني فيقول: كان أبو الأسود الدؤلي قد أسَنّ وكبر وكان مع ذلك يركب إلى المسجد والسوق، ويزور أصدقاءه، فقال له رجل يا أبا الأسود: أراك تكثر الركوب وقد ضعفت عن الحركة وكبرت ولو لزمت منزلك كان أودع لك، فقال أبو الأسود: صدقت، ولكن الركوب يشد أعضائي، وأسمع من أخبار الناس ما لا أسمعه في بيتي، واستنشي الريح، وألقى إخواني، ولو جلست في بيتي لاغتَمّ بي أهلي، وأنس بي الصبيُ واجترأ عليّ الخادم، وكلمني من أهلي من يهاب كلامي لإلفهم إياي، وجلوسهم عندي حتى لعلّ العنز أن تبول عليّ، فلا يقول لها أحد هس »[1] .

وروى أبو الفرج في الأغاني أيضاً[2] أنه لما أراد الخروج إلى فارس

---

(١) الأغاني ١٢: ٣٠١، ٣٠٢.
(٢) ١٢: ٣١٣

قالت له ابنته: يا أبت إنك قدكبرت، وهذا صميم الشتاء فانتظر حتى ينصرم وتسلك الطريق آمناً فإني أخشى عليك، فقال أبو الأسود أبياتاً بدأها بقوله:

إذا كنت معنيًّا بأمر تريده ... فما للمضاء والتوكل من مثل

٥ ـ شبهات المنكرين لقيام أبي الأسود بميلاد الحركة النحوية ترجع إلى أنه وجد في عصر مبكر لا يقبل هذه التعريفات أو هذه التقاسيم، لأن العقل العربيّ إذ ذاك لم يكن متفتحاً للمعرفة التي تسلك في دروب المنطق، وتتعمق هذا التعمق في خواص التعريفات.

وقد فات هؤلاء القوم أن للعرب معارف عامة، وأن لهم نظرات في الحياة، وأن لهم علوماً سجلها التاريخ تقوم على التجربة والاستقواء، والفهم والاستنباط، وقد لمس هذا المعنى ابن فارس فقال: «فإن قال قائل: فقد تواترت الروايات بأن أبا الأسود أول من وضع العربية وأن الخليل أول من تكلم في العروض، قيل له: نحن لا ننكر ذلك بل نقول: إن هذين العلمين قد كانا قديماً وأتت عليهما الأيام، وقلّا في أيدي الناس، ثم جددهما هذان الإمامان. وأمّا العروض فمن الدليل على أنه كان متعارفاً معلوماً اتفاق أهل العلم على أن المشركين لما سمعوا القرآن قالوا ـ ومن قال منهم ـ إنه شعر: فقال الوليد بن المغيرة منكراً عليهم لقد عرضت ما يقرؤه محمد على أقراء الشعر: هزجه ورجزه، وكذا وكذا فلم أره يشبه شيئاً من ذلك أفيقول الوليد هذا وهو لا يعرف بحور الشعر؟»[١].

ويقول أيضاً: «ومن الدليل على عرفان القدماء من الصحابة وغيرهم بالعربية كتابتهم المصحف على الذي يفعله النّحويون في ذوات الواو والياء، والهمز والمد، والقصر، فكتبوا ذوات الياء بالياء، وذوات الواو بالواو، ولم

---

(١) مصادر الشعر الجاهلي ٤٧ ـ ٤٨.

يصوروا الهمزة إذا كان ما قبلها ساكناً في مثل الخبء، والدفء، والملء فصار ذلك كله حجة، وحتى كره من العلماء ترك اتّباع المصحف مَنْ كره » (١) .

ويؤيد ما ذكره الصاحبي أن النابغة الذبياني كانت تضرب له في سوق عكاظ قُبَّةٌ من أدم ليحكم بين الشعراء ويفضل بعضهم على بعض بمقاييس تقوم على إجادة الشعر في إطار من سلامة التراكيب، وحسن الصياغة، ومراعاة الفروق اللغوية فقد نقد حسان بن ثابت في بيته المشهور :

لنا الجفنات الغر يلمعن في الضحى وأسيافنا يقطرن من نجدة دما

قائلاً له : « أقللت جفانك وأسيافك » بمعنى أن أسياف جمع لأقل العدد وكذلك جفنات، وكان الأقوى في مجال الفخر أن يقول : سيوف وجفان (٢) .

٦ ــ وما لي أذهب بعيداً وقد اتفق معظم الرواة على أن أبا الأسود نقّط المصحف تنقيط إعراب، وتنقيط المصحف على هذا الوضع الذي ذكره الرواة يدل على وضوح ظواهر الإعراب في ذهن أبي الأسود حينما قال للكاتب : « خذ المصحف، وصبّغاً يخالف المداد،فإذا فتحت شفتي فانقط واحدة فوق الحرف، وإذا ضممتهما فاجعل النقطة إلى جانب الحرف، وإذا كسرتهما فاجعل النقطة في أسفله، فإن اتبعت شيئاً من هذه الحركات غُنَّة فانقط نقطتين، فابتدأ بالمصحف حتى أتى على آخره » (٣) .

إن نظرة واحدة إلى هذا النص تشير في وضوح إلى أن أول من تكلم عن حركات الإعراب والتنوين هو أبو الأسود، وما النحو في مظاهره العديدة، وقضاياه المتشعبة إلا هذه الحركات التي تتناول معظم أبواب النحو: المرفوعات، والمنصوبات، والمجرورات.

---

(١) نقلاً عن مصادر الشعر الجاهلي ٤٧، ٤٨ .

(٢) انظر هذه القصة في الموشح للمرزاني ص ٦٠.

(٣) نـزهة الألباء ١٢ .

ولعلنا لا نبالغ إذا قلنا : إن نهج أبي الأسود في تنقيط المصحف، وبيان الحركة كان مصدراً لتعليل النحاة المتأخرين وعلى رأسهم أبو القاسم الزجاجي المتوفى ٣٧٧ هـ .فقد عقد باباً في كتابه « الإيضاح » يعلل فيه معنى الرفع والنصب والجر تعليلاً لايبتعد كثيراً عن تعليل أبي الأسود. قال :«قد قلنا إن الاعراب حركة، ودللنا على معناه، والحركة لا تقوم بنفسها ولا توجد إلا في حرف فما كان الرفع والنصب والجر قد يكون في الكلام بأشياء سوى الحركة كما بينا ذلك فيما تقدم، وكان الأصل الحركة، وهو الأعم الأكثر نسبوا ذلك كله إلى الحركة، فنسبوا الرفع كله إلى حركة الرفع، لأن المتكلم بالكلمة المضمومة يرفع حنكه الأسفل إلى الأعلى، ويجمع بين شفتيه. . والمتكلم بالكلمة المنصوبة يفتح فاه، فيبين حنكه الأسفل من الأعلى فيبين للناظر إليه كأنه قد نصبه لإبانة أحدهما عن صاحبه.

وأما الجر فإنما سمي بذلك لأن معنى الجر الإضافة، وذلك أن الحروف الجارة تجرّ ما قبلها فتوصله إلى ما بعدها كقولك : مررت بزيد، فالباء أوصلت مرورك إلى زيد، وكذلك المال لعبدالله، وهذا غلام زيد» [1].

٧ ــ إن كثيراً من النصوص العربية تواجهنا قبل قصة نشأة النحو بكلمة : إعراب، وإن كانت لدى بعض الباحثين المحدثين تعني كلمة الإبانة والتوضيح، فهي في نظرنا أيضاً تعني مراعاة الحركات الإعرابية والأصول اللغوية وإذا لم تكن هذه المراعاة إبانة فما الإفادة ؟ .

من هذه النصوص ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه أن النبي عليه السلام قال : « أعربوا القرآن والتمسوا غرائبه » [2] .

---

(١) الإيضاح: ٩٣.

(٢) الوقف والابتداء لابن الأنباري ١ : ١٥ .

ومن هـذه النصوص مـا نسب إلى عبد الله بن مسعـود إذا يقـول : جـرِّدوا القــرآن وزينـوه بـأحسن الأصـوات وأعــربـوه فــإنــه عــربي والله يحب أن يعرب » [1] .

وقـد نسب لأبي بكر وعمر رضي الله عنهما هـذا القـول «لبعض إعـراب القرآن أَحَبّ إلينا من حفظ بعض حروفه » [2] .

كمـا نسب إلى أبيّ بن كعب قـولــه : « تعلمـوا اللحن في القــرآن كمـا تتعلمونه[3]؛ وكتب عمـر بن الخـطاب رضي الله عنــه أن تعلمـوا الفــرائض والسنـة واللحن كما تَعلّمون القـرآن» [4] .

ونقف أمـام كلمـة «اللحن» متـأملين فمـا اللحن الـذي أمـر أبيّ بن كعب بتعليمه، كما أمر به عمر بن الخطاب الذي جعله علماً مستقلاً كعلمي الفرائض والسنة.

الحقيقة أنّ حيرتنا أمام هذا اللحن الذي أمر به الصحـابيان عمـر وأبيّ لم تقـلّ عن حيرة أسـلافنا القـدماء، ولكنهم سـرعان مـا كشفـوا اللثـام عن هـذه الكلمـة الغامضـة فقد حـدث يزيـد بن هارون بهـذا الحـديث فقيـل لـه : مـا اللحن، فقال : النحو » [5] .

إذن كان مدلول النحـو واضحاً في أذهان الصحابة بما قدمت من نصــوص لا تقبـل الجـدل أو النقـاش.

على أن ابن الأنبـاري يفسر اللحن بـأنه : الصـواب وهو مـأخوذ من قـوله

(١) نفس المصدر ص ١٦ .
(٢) المصدر نفسه ص ٢٠ .
(٣) المصدر نفسه ص ١٧ .
(٤) نفس المصدر ص ١٥ .
(٥) الوقف والابتداء ١٦ .

تعالى : ﴿ ولتعرفهم في لحن القول ﴾ [1] أي في مذهبه ووجهه، وأنشد أبو عبيدة معمر بن المثنى التميميّ في هذا :

وقد لَحَنْتُ لكم لكَيْما تفقهوا وَوَحَيْتُ وحياً ليس بالمُرْتاب [2]

وإذا كان اللحن هو مذهب القول ووجهه فما أصدق تفسير يزيد بن هارون له بأن المقصود به النحو، لأن النحو هو ميزان الصواب في القول، ومقياس السلامة في الكلام.

وبعد فإن نسبة النحو إلى أبي الأسود بخاصة وإلى العرب بعامة بعد هذه الأدلة التي بسطتها حقيقة من وجهة نظري واضحة كالشمس في رائعة النهار.

---

(١) محمد : ٣٠.

(٢) الوقف والابتداء ص ١٨ .

أثر أبي الأسود في النحو العربي

١ ــ الجذور الأولى للنحو العربي :

قلت فيما سبق : إن النحو العربي وضع أصوله الأولى عليّ بن أبي طالب كرم الله وجهه ودفع بالصحيفة التي جمعت هذه الأصول إلى أبي الأسود، وقد سجلت طرفاً مما جاء في هذه الصحيفة يدور حول تقسيم الكلمة إلى اسم وفعل وحرف .

ويبدو أن هذا التقسيم للكلمة خطوة أولى في طريق النحو الطويل لم يقتصر عليها عليّ ويقف عندها بل تجاوزها إلى ظواهر أخرى نحوية حددها لأبي الأسود لتكون نقطة انطلاق في ميدان هذا العلم .

قال الزجاجي في أماليه : « واعلم يا أبا الأسود أن الأسماء ثلاثة : ظاهر، ومضمر، وشيء ليس بظاهر ولا مضمر » .

قال أبو الأسود : فجمعت منها أشياء، وعرضتها عليه، فكان من ذلك حروف النصب، فذكرت منها : إنَّ وأنَّ، وليت ولعل، وكأنَّ، ولم أذكر (لكن) فقال لي : لِمَ تركتها ؟ فقلت : لم أحسبها منها، فقال : بل هي منها فزدها فيها » (١) .

---

(١) الأمالي للزجاجي ٢٣٨ ، ٢٣٩ .

من هـذا النص نتبين أن المُعلِّم أعـطى التلميـذ مفتـاح البحث، وتـركـه يبحث واستقـرأ التلميذ مـا استقرأ، وعـرض على معلمه مـا جمعـه، وردّه إلى الصـواب في حـرف(لكن).

والسؤال الذي يقال هنا، هل جاءت هذه المعرفة لعلي فجأة ومصادفة؟.

الواقع : أن تحديد صفـات الأشياء، وبيـان كنهها لا يمكن أن يقـوم على الرأي الفطير،لأن معرفة الأشياء تحتاج إلى معانـاة فكر، وقـوة إدراك، ومقارنـة واستنباط.

ولعـلّ علياً كـرم الله وجهـه شغلتـه قضيـة اللحن ففكـر فيهـا، وأطـال التفكير وحاول أن يضـع لهذه المشكلة الـوافدة حـلاًّ، يدل على ذلـك ما رواه أبـو الأسود إذ يقـول : « دخلت على عليّ بن أبي طالب رضي الله عنـه فرأيتـه مطرقاً متفكراً فقلت : فيم تفكر يـا أمير المؤمنين ؟ قـال : إني سمعت ببلدكم هـذا لحناً فـأردت أن أضع كتـابـاً في أصـول العـربيـة فقلت : إن فعلت هـذا أحييتنا، وبقيت فينا هـذه اللغة ثم أتيتـه بعد ثـلاث فألقى إليّ صحيفـة فيهـا : بسم الله الرحمن الرحيم : الكلام كله اسم وفعل وحرف الخ »[1] .

فهـذا النّص ينطق في وضـوح بـأن عليًّـا ذكـر مـا ذكـر في صحيفتـه بعـد دراسة وبحث ولا أدلّ على ذلك من أن أبـا الأسود جـاء إليه بعـد ثلاث فقـدم له الصحيفة بعد أن وضع فيها أصول العربية.

وقـد قدمت سـابقاً أن هـذا العمل ليس بغـريب أن يحدث من عليّ كـرّم الله وجهه،فعليّ كمـا قلت : عـالِم هـذه الأمـة : ويكفي أن النبي عليـه السـلام قال عنه : أنا مدينة العلم وعليٌّ بابها فمن أراد العلم فليأته من بابه »[2] .

---

(١) أمالي الزجّاجي ٢٣٨، ٢٣٩ .

(٢) الاستيعاب ٢ : ١١ .

ورحم الله عمر إذ يقول: «لولا عليّ لهلك عمر» [1] وقال عنه عبد الله ابن عباس: «والله لقد أعطى عليّ بن أبي طالب تسعة أعشار العلم، وأيمُ الله لقد شارككم في العشر العاشر»[2].

وطلب معاوية من ضِرار أن يصف له عليًّا فقال... يقول فضلاً، ويحكم عدلاً، ينفجر العلم من جوانبه، وتنطق الحكمة من نواحيه» [3]. على أن أبا الاسود على الرغم من جهوده في حقل نشأة هذا النحو لم ينسب الفضل لنفسه، بل كان إذا سئل عن هذا العلم: «من أين لك هذا العلم؟ يقول: «أخذت حدوده عن عليّ بن أبي طالب عليه السلام» [4].

وقد أضاف أبو الأسودِ إلى هذه الموضوعات التي تطرّق إليها باب التعجب، فقد حدث ابنه أبو حرب عنه قال: أول باب وضعه أبي من النحو: «باب التعجب» [5].

ولو تتبعنا آراء أبي الأسود في النحو غير هذه الأصول التي تحدثت عنها لا نجد لها أثراً فعند هذه الأصول توقفت الروايات ولم تذكر لأبي الأسود شيئاً غيرها، وكان هذا سبباً في تشكك بعض المحدثين في نسبة النحو إلى أبي الأسود، ومن هؤلاء أستاذنا المرحوم إبراهيم مصطفى إذ يقول: تتبعنا كتب النحو الباقية بأيدينا لنعلم أقدم عالم نسب إليه رأي نحوي في هذه الكتب، وكان أول هذه الكتب كتاب سيبويه. ويلاحظ أول ما يلاحظ أننا لم نجد في كتاب سيبويه ولا فيما بعده من الكتب رأياً نحويًا نسب إلى أبي الأسود» [6].

---

(١) نفس المصدر ص ١١٠٣.

(٢) نفس المصدر ص ١١٠٤.

(٣) نفس المصدر ١١٠٧، ١١٠٨.

(٤) الأغاني ١٢: ٣٠٣.

(٥) الأغاني ١٢: ٣٠٤ (الثقافة).

(٦) مجلة كلية الآداب المجلد العاشر ٢: ٧١ بتصرف.

وقد فات أستاذنا رحمه الله أن سيبويه تناول في كتابه قضية الضمير المتصل بعد لولا، وأفاض القول في هذا الضمير، وتناوله النحاة بالمناقشة والحوار مع أن هذه القضية نسبت إلى أبي الأسود فقد ذكر صاحب العقد الفريد أن أبا الأسود قال : إن من العرب من يقول : لولاي لكان كذا وكذا وقال الشاعر :

وكم موطن لولاي طحت كما هوى بأجرامه من قنّة النيق منهوى (١)

إن نسبة هذه الرواية إلى أبي الأسود تؤكد إحساسه النحوي ومعرفته بمواقع الكلام، ولهذا لما وجد أن هذا الأسلوب انحراف عن التعبير المعهود على ألسنة العرب من إيراد الضمائر المنفصلة بعد لولا ذكر أن هذا الأسلوب لا غبار عليه لأنه منسوب إلى بعض العرب.

أما تناول سيبويه لهذا القضية في كتابه، فيتضح من النص الآتي :

« هذا باب ما يكون مضمراً فيه الاسم متحوّلاً عن حاله إذا أُظهر بعده الاسم، وذلك لولاك إذا أضمرت الاسم فيه جُرّ، وإذا أظهرت رفع ولو جاءت علامة الإضمار على القياس لقلت : «لولا أنتم لكنا مؤمنين»(٢) ولكنهم جعلوه مضمراً مجروراً، والدليل على ذلك أن الياء والكاف لا تكونان علامة مضمر مرفوع قال الشاعر (يزيد بن الحكم) :

وكم موطن لولاي طحت كما هوى بأجرامه من قنة النيق منهوى(٣)

وهذا قول الخليل رحمه الله ويونس(٤).

وقد فتحت رواية أبي الأسود هذا الأسلوب عن العرب باب الحوار على مصراعيه بين النحاة. ولخص ابن الشجري في أماليه هذا الحوار بقوله :

---

(١) العقد الفريد ٢ : ٤٨٥.
(٢) سبأ : آية ٣١.
(٣) طاح : هلك. الأجرام جمع جرْم : الجسد. النيق: أرفع الجبل. فهوى: سقط.
(٤) سيبويه ١ : ٣٨٨.

« وللنحويين في ذلك ثلاثة مذاهب : فمذهب سيبويه أنه يرى إيقاع المنفصل المرفوع بعدها وهو الوجه كقولك : لولا أنت فعلت كذا، ولولا أنا لم يكن كذا. ولا يمتنع من إجازة استعمال المتصل بعدها كقولك : لولاي ولولاك، ولولاه، ويحكم بأن المتصل بعدها مجرور بها، فيجعل لها مع المضمر حكماً يخالف حكمها مع المظهر.

ومذهب الأخفش أن الضمير المتصل بعدها مستعار للرفع فيحكم بأن موضعه رفع بالابتداء وإن كان بلفظ الضمير المنصوب أو المجرور فيجعل حكمها مع المضمر موافقاً حكمها مع المظهر.

ومذهب أبي العباس محمد بن يزيد: أنه لا يجوز أن يليها من المضمرات إلا المنفصل المرفوع واحتجّ بأنه لم يأت في القرآن غير ذلك، وذلك قوله تعالى : ﴿ لولا أنتم لكنا مؤمنين ﴾.

ويسترسل ابن الشجري في ذكر ما يتعلق بالشاهد السابق الذي رواه سيبويه وينقض اتهام المبرد لهذا الشاهد إلى أن يصل إلى أدلة الاحتجاج فيقول : « وللمحتج لسيبويه أن يقول : إنه لما رأى الضمير في لولاي، ولولاه خارجاً عن حيز ضمائر الرفع، وليست لولا من الحروف المضارعة للفعل فتعمل النصب كحروف النداء ألحقها بحروف الجر.

وحجة الأخفش أن العرب قد استعارت ضمير الرفع المنفصل للنصب في قولهم :لقيتك أنت، وكذلك استعاروه للجر، في قولهم : مررت بك أنت أكدوا المنصوب والمجرور بالمرفوع كما ترى (1) ، وقد احتفظ لنا الرواة أيضاً بجانب هذه الرواية السابقة التي أثارت الجدل بين النحاة برواية أخرى

---

(1) أمالي ابن الشجري ١: ١٨٠، ١٨١ وانظر الخلاف المستفيض وتعليق البغدادي في الخزانة ٢/ ٤٣٠.

تدور حول قراءة قرآنية نسبت إليه وإلى نصر بن عاصم فتحت باب الاحتجاج بهذه القراءة في مجال الصّيغ اللغوية والموازين الصرفية.

قال ابن جني في المحتسب: (وقرأ نصر بن عاصم وأبو الاسود « تَثْنَوْني صُدُورهم »[1].

قال أبو الفتح: أما تثنوني فتفعوعل كما قال، وهذا من أبنية المبالغة لتكرير العين كقولك: أعشب البلد، فإذا كثر فيه ذلك قيل: اعشوشب، واخلولقت السماء للمطر إذا قويت إمارة ذلك واغدودن الشعر إذا طال واسترخى، أنشدنا أبو عليّ:

وقامت ترائيك مُغْدودناً … إذا ما تنوء به آدها

وقرأت على أبي بكر محمد بن الحسن بن أبي العباس أحمد بن يحيى قول الشاعر:

لو كنت تعطي حين تسأل سامحت … لك النفس واحلولاك كل خليل

وقال حميد بن ثور:

فلما مضى عامين بعد انفصاله … عن الضرع واحلولى ماثاً يرودها[2]

وبعد، فقد فتحت لنا رواية أبي الأسود في (لولا)، وروايته في قراءة: (تثنوني) مجالاً امتعنا بهذا الحوار النحوي في لولا، ومجالاً آخر وضّح لنا في مجال القراءة أنها غير خارجة عن صيغ العربية لأنها مدعومة بالشواهد الشعرية.

٢ ــ أبو الأسود والشواهد الشعرية:

لقد أثر أبو الأسود في مجال الشواهد الشعرية لأنه ترك لنا أبياتاً من

(١) هود: ٥.

(٢) المحتسب ١: ٣١٨، ٣١٩.

شعره كانت مثار جدل، وموضع نقاش بين المتأخرين وبذلك أسهم أبو الأسود في الدراسة النحوية التي ظهرت فيما بعد، لأنه قدم لها مادة حية من شعره شحنت جو الخلافات النحوية بما اشتملت عليه من صيغ وتراكيب.

وهذه الشواهد تتمثل في أمرين : شواهد لم يختلف أحد في نسبتها إلى أبي الأسود وشواهد اختلف فيها، أما الشواهد التي لم يختلف أحد في نسبتها إليه فهي :

١ ــ يزعم النحاة أن الفعلين : (يذر) و (يدع) لا ماضي لهما.
ومن هؤلاء النحاة ابن جني حيث يقول في الخصائص ما نصه : فإن كان الشيء شاذاً في السماع، مطّرداً في القياس تحاميت ما تحامت العرب من ذلك، وجريت في نظيره على الواجب في أمثاله: من ذلك امتناعك من : وذر، وودع لأنهم لم يقولوهما، ولا غرو عليك أن تستعمل نظيرهما نحو: وزن، ووعد لو لم تسمعهما، فأما قول أبي الأسود:

ليت شعري عن خليلي ما الذي غاله في الحب حتى وَدَعَهْ

فشاذ، وكذلك قراءة بعضهم ﴿ ما ودَعَك ربّك وما قلى ﴾ (١).

ويقول ابن جني في موضع آخر : «واعلم أنّ الشاعر إذا اضطر جاز له أن ينطق بما يبيحه القياس، وإن لم يرد به سماع ألا ترى إلى قول أبي الأسود:

ليت شعري عن خليلي ما الذي غاله في الحب حتى وَدَعَه (٢)

من هذين النصين نرى أن ابن جني ينكر ورود هاتين الصيغتين لأنه يصفهما مرة بالشذوذ، ومرة أخرى بأنهما لم يسمعا.

---

(١) الخصائص ١ : ٩٩. [الضحى / ٣]
(٢) الخصائص ١/٣٩٦.

والواقع أن ابن جني خانه التوفيق في هذا الرأي وجرى على ما جرى عليه النحاة السابقون بدون أن يكلف نفسه مشقة البحث في نصوص العرب وشواهدهم ولا أدل على ذلك من اضطرابه في الرأي، فالوصف بالشذوذ يعني القلة في الاستعمال، وفي السّماع يعني أن العرب لم تنطق بهما، وفي هذا تناقض بيّن.

وفي رأيي أن انكار ماضي هذين الفعلين مع أنهما وردا في النصوص العربية التي لا يتطرق إليها الشك بعدٌ عن الحقيقة، وظلم لهذه النصوص. وقد أعجبني، وأثلج صدري السيد محمد مرتضى الحسيني الزبيدي حينما ردّ كيد النحاة في نحورهم بقوله:

« قال أبو حيوة: وقرىء شاذاً ﴿ما ودَعَك ربك وما قلى﴾ بالتخفيف أي ما تركك وهي قراءة عروة ومقاتل، وقرأ أبو إبراهيم وابن أبي عبلة، ويزيد النحوي والباقون بالتشديد، والمعنى فيهما واحد، ثم يستدل على قراءة التخفيف بالحديث الشريف: «لَيَنْتَهِيَنّ قوم عن ودعهم الجماعات أو ليختمن الله على قلوبهم ثم ليكونن من الغافلين ».

ويسوق الزبيدي كلام ابن جني الذي ذكرته سابقاً ويعلّق بقوله: « قال شيخنا عند قوله: « وقد أميت ماضيه: قلت هي عبارة أئمة أهل الصرف قاطبة، وأكثر أهل اللغة، وينافيه وقوعه في الشعر ووقوع القراءة به، فإذا ثبت وروده ولو قليلاً فكيف يدعي فيها الأماتة؟ » ثم ساق الزبيدي نصًّا لليث فقال: «وهذا بعينه نص الليث فإنه قال: وزعمت النحوية أن العرب أماتوا مصدر يدع ويذر واستغنوا عنه بترك، والنبي ﷺ أفصَحُ العرب قد رويت عنه هذه الكلمة » [1] ويستدل أبو حيان الأندلسي بشعر أبي الأسود حينما يقول:

---

(١) تاج العروس ٥/٥٢٤ المطبعة الوهبية ـ بتصرف.

« وقد سمع ودع ، ووذر ؛ قال أبو الأسود :

ليت شعري عن خليلي ما الذي   غاله في الحب حتّى ودعه

ويؤيد شاهد أبي الأسود بشاهد آخر فيقول : وقال آخر :

وثم ودعنا آل عمرو وعامر   فرائس أطراف المثقفة السمر [1]

وأنكر الشيخ ياسين قول هؤلاء النحاة الذين يزعمون أنّ ماضي الفعلين لم يسمع بقوله : « والحق أنهم استعملوا ودع ومنه قول أبي الأسود، ثم ساق البيت وأيّده يقول النبي عليه السلام : « دعوا الحبشة ما ودعوكم، وانزكوا الترك ما تركوكم » [2].

٢ ـ وأبو الأسود لتمكنه من اللغة والنحو أورد لنا شاهداً جاء في شعره وهو يدل على فقهه بالعربية، ومعرفته بالنحو ومصادره ومشتقاته فالقِدْر يقال عنها : غلت القدر غلياً وغلياناً، ومن الخطأ اللغوي أن يقال عنها : غليت بالياء، وباب الدار يقال عنه، مغلق لا مغلوق، ويفخر أبو الأسود بفصاحته، والتزامه العربية وتجنّبه اللحن فيقلو:

ولا أقول لقدر القوم : قد غليت   ولا أقول لباب الدار : مغلوق

وتناول اللغويون والنحويون هذا البيت، وجعلوه شاهداً على أن غليت خطأ ومغلوق خطأ كذلك لأن أبا الأسود ذكر أن ذلك لحن.

قال ابن السّكيت : « ويقال : قد غلت القدر تغلي غلياً وغلياناً ولا يقال غليت :

قال أبو الأسود :

---

(١) البحر المحيط ٨ : ٤٨٥ .

(٢) حاشية ياسين ٢ : ٧٨ .

ولا أقــول القدر القــوم قــد غليت   ولا أقــول لبـاب الــدار مغلوق [1]

وهذا النص نفسه يسوقه ابن جني في المنصف [2].

كـذلك يسـوقه صـاحب اللسان، ويعلق عليـه بقولـه : أي أني فصيـح لا ألحن [3]

٣ ــ في بـاب ما ينتصب على إضمـار الفعـل المتـروك إظهـاره في غيـر الأمر والنهي يستدل سيبويه في كتابه بشـاهد نحـوي منسوب إلى أبي الأسـود. قـال سيبويـه : ومن ذلك قـولهم : مرحبـاً، وأهـلاً، وإن تـأتني فأهـلَ الليـل والنهار.

وزعم الخليل رحمه الله حين مثله أنـه بمنزلـة رجل رأيتـه قد سـدد سهمه فقلت : القـرطـاس، أي أصبت القرطاسَ ، أي أنت عنـدي ممن سيصيبـه. وإن أثبت سهمه قلت: القرطاسَ ، أي قد استحق وقـوعه بـالقرطـاس، فإنمـا رأيت رجلاً قاصـداً إلى مكان أو طـالباً أمـراً فقلت: مرحبـاً وأهلاً، أي أدركت ذلك وأصبت، فحذفوا الفعل لكثرة استعمالهم إياه، وكأنه صار بدلاً من رحبت بلادك، وأهلت كما كان الحذر بدلاً من: احذر. . . .

ثم يستشهد سيبويه على ما يقول ليؤيد رأيه فيقول : وقال أبو الأسود :

إذا جئت بـوابـاً لــه قـال : مــرحبـاً   ألا مــرحـبٌ واديــك غيــر مـضيـق [4]

٤ ــ ويستشهد سيبويه ببيت لأبي الأسود حذف تنوينه للضرورة.

فقـال : « وزعم عيسى أن بعض العـرب ينشـد هـذا البيت لأبي الأســود الدؤلي :

فألفيتُـهُ غيـر مـستـعـتـب   ولا ذاكـر الله إلاّ قــلـيــلا

(١) إصلاح المنطق ١٩٠.

(٢) المنصف ٣: ٦٠.

(٣) اللسان: غلا.

(٤) سيبويه ١ : ٢٩٦ (هارون).

لم يحذف التنوين استخفافاً لتعاقب المجرور، ولكنه حذف لالتقاء الساكنين كما قال : رمى القوم، وهذا اضطرار وهو مشبه بذلك الذي ذكرت لك (١) .

ويعلل ابن الشجري لحذف التنوين في بيت أبي الأسود بقوله : والذي حسن لقائل هذا البيت حذف التنوين لالتقاء الساكنين، ونصب اسم الله تعالى،واختيار ذلك على حذف التنوين للإضافة، وجر اسم الله :أنه لو أضاف لتعرف بإضافته إلى المعرفة، ولو فعل ذلك لم يوافق المعطوف عليه في التنكير، فحذف التنوين لالتقاء الساكنين، وأعمل اسم الفاعل فعطف نكرة على نكرة مجرورة بإضافة (غير) إليها، وانتصاب (غير) على الحال كانتصاب ضالين في قوله تعالى : ﴿ ألفوا آباءهم ضالين ﴾(٢) فصار في التقدير غير مستعتب ولا ذاكر.

ثم يسوق ابن الشجري قصة طريفة عن أبي سعيد السيرافي ليقوي بها تعليله في حذف التنوين من بيت أبي الأسود فيقول : « وحكي عن القاضي أبي سعيد السيرافي أنه قال : حضرت في مجلس أبي بكر بن دريد، ولم أكن قبل ذلك رأيته، فجلست في ذيل المجلس فأنشد أحد الحاضرين بيتين يُعزيان إلى آدم عليه السلام قالهما لما قتل ابنه قابيل أخاه هابيل وهما :

تغيرت البلاد ومن عليها   فوجه الأرض مغبرٌ قبيح
تَغيّر كل ذي حسن وطيب   وقلّ بشاشةَ الوجه المليح

فقال أبو بكر : هذا شعر قيل في صدر الدنيا، وجاء فيه الإقواء فقلت : إن له وجهاً يخرجه من الإقواء، فقال : ما هو؟ قلت : نصب (بشاشة) وحذف التنوين منها لالتقاء الساكنين لا للإضافة، فتكون بهذا التقدير نكرة منتصبة

---

(١) سيبويه ١ : ١٦٩ (هارون).
(٢) الصافات : ٦٩.

على التمييز، ثم رفع الوجه وصفته بإسناد (قلّ) إليه فيصير اللفظ : وقل بشاشةٌ الوجهُ المليحُ والأصل بشاشة الوجه المليح فقال: ارتفع فرفعني حتى أقعدني إلى جنبه»[1] .

وقد سجل البغدادي في الخزانة آراء متعددة في بيت أبي الأسود فللأعلم رأي، ولابن خلف رأي، ولابن هشام في المعنى رأي، ولبعض فضلاء العجم رأي، ولا يتسع المقام لذكر هذه [2] الآراء ، واكتفى بالإشارة إلى مراجعها .

٥ ـ وفي الباب الذي عقده ابن جني في الخصائص بعنوان : باب في تسمية الفعل يقول : « ومنها هيهات، وهي عندنا من مضاعف الفاء في ذوات الأربعة ووزنها فعللة وأصلها : هيهة، كما أن أصل الزوزاة[3]، والقوقاة، والدوداة[4]، والشوشاة[5]: الزوزوة والشوشة، فانقلبت اللام ألفاً، فصارت هيهاة، والتاء فيها للتأنيث، مثلها في القوقاة والشوشاة، والوقوف عليها بالهاء، وهي مفتوحة فتحة المبنيات، ومن كسر التاء فقال : هيهاتِ فإن التاء تاء جماعة التأنيث والكسرة فيها كالفتحة في الواحد، واللام عندنا محذوفة لالتقاء الساكنين، ولو جاءت غير محذوفة لكانت هيهات، لكنها حذفت لأنها في آخر اسم غير متمكن فجاء جمعه مخالفاً لجمع المتمكن نحو : الدوديات، والشوشيات، كما حذفت في قولك: ذان وتان، واللذان، واللتان ، وأما قول أبو الأسود :

على ذات لَوْث أو بأهوجَ شَوْشَوٍ   صنيع نبيل يملأ الرحل كاهلُهْ

(١) الأمالي لابن الشجري ١ : ٣٨٣، ٣٨٤.

(٢) الخزانة ٤ : ٥٥٤ ـ ٥٥٨.

(٣) الزوزاة: مصدر زوزي الرجل: نصب ظهره وقارب الخطو.

(٤) الدوداة: أثر الأرجوحة.

الشوشاة: الناقة السريعة، انظر من ذلك هامش الخصائص ٣: ٤١، ٤٢.

فسألت عنه أبا علي، فأخذ ينظر فيه، فقلت له : ينبغي أن يكون بني من لفظ الشوشاة مثل : جحمرش، فعاد إلى شَوْشَوِوٍ،فأبدل اللام الثالثة ياء لإنكسار ما قبلها فعاد: شَوْشَوٍ، فتقول على هذا في نصبه : رأيت شَوْشَوِياً فقبل ذلك ورضيه. فيجوز فيه عندي وجه آخر، وهو أن يكون أراد شوشوياً، منسوباً إلى شوشاة، ثم خففوا إحدى ياءي الاضافة » (١).

٦ ـ حذف فاء (أبي) إذا نادوه :

قال ابن الشجري : « ومن الأسماء المحذوف منها الهمزة باء أبي فلان إذا نادوه كقول أبي الأسود الديلي :

يا با المغيرة رب أمر معضل فرجته بالنكر مني والدّها (٢)

وأما الشواهد الشعرية التي نسبت إلى أبي الأسود وغيره أثرت في الدراسات النحوية واعتمد عليها النحويون المتأخرون في بناء القواعدُ فهي :

١ ـ « كل » لفظة الإفراد والتذكير، ومعناه بحسب ما تضاف إليه فإن كانت مضافة إلى مذكر وجب مراعاة معناها، فلذلك جاء الضمير مفرداً مذكراً في نحو﴿كل شيء فعلوه في الزّبر﴾ (٣) ومفرداً مؤنثاً في قوله تعالى : ﴿كلّ نفس بما كسبت رهينة ﴾ (٤) ومثنى كقول الفرزدق :

وكلّ رفيقيْ كلّ حل وإن هما تعاطى القنا قوما هما أخوان

ومجموعاً مذكراً في قوله تعالى : ﴿كلّ حزب بما لديهم فرحون ﴾ (٥).

---

(١) الخصائص ٣: ٤١، ٤٢.

(٢) أمالي ابن الشجري ٢: ١٦.

(٣) القمر: ٥٢.

(٤) المدثر: ٣٨.

المؤمنون: ٥٣.

ثم قال ابن هشام : وهذا الذي ذكرناه من وجوب مراعاة المعنى مع النكرة نص عليه ابن مالك، وردّه أبو حيان بقول عنترة :

جادت عليه كل عين ثرة فتركن كل حديقة كالدرهم

فقال : تركن، ولم يقل :تركت، فدل على جواز: كل رجل قائم، وقائمون.

قال ابن هشام :

والذي يظهر لي خلاف قولهما، وأن المضاف إلى المفرد إن أريد نسبة الحكم إلى كل واحد وجب الإفراد نحو : كلّ رجل يشبعه رغيف، و إلى المجموع وجب الجميع كبيت عنترة، وعلى هذا فتقول : جاد عليّ كل محسن فأغناني ،أو فأغنوني بحسب المعنى الذي تريده.

ثم قال: وربما جمع الضمير مع إرادة الحكم على كل واحد. . . وعليه أجاز ابن عصفور في قوله :

وما كلّ ذي لُبّ بمؤتيك نصحه وما كلّ مؤتٍ نصحه بلبيب

أن يكون : مؤتيك : جمعاً حذفت نونه للإضافة (١).

وهذا الشاهد الذي عرضه ابن عصفور نُسب إلى أبي الأسود أو مودود العنبري (٢) .

واستدل السيوطي في الهمع بهذا البيت على أن اعتماد اسم الفاعل على الوصف المقدر بما يسوغ عمله. أي ما كل رجل مؤت نصحه (٣) .

---

(١) المغني لابن هشام ١ : ٢١٦، ٢١٧ ط دار الفكر بيروت.
(٢) انظر معجم الشواهد ١ : ٥٩.
(٣) الهمع ٢ : ٥٩، والدرر اللوامع ٢ : ١٢٨.

٢ ـ إعادة الضمير على متأخر في اللفظ وفي الرتبة.

إذا اتصل الضمير المتصل بالفاعل المقدم على المفعول المؤخر يعتبر ضرورة على الأصح واستدل ابن هشام على هذه الضرورة بقول الشاعر :

جزى ربّه عني عديَّ بن حاتم جزاء الكلاب العاويات وقد فعل

فأعيد الضمير من « ربه » إلى « عدي » وهو متأخر لفظاً ورتبة [١]

وقد تأول هذا الشاهد ابن الشجري على إعادة الهاء إلى المصدر الذي دل عليه جزى فقدروه : جزاء ربّ الجزاء [٢] .

وقال ابن جني في الخصائص : إن الهاء عائدة على مذكور متقدم كما يؤول النحاة حتى لا يترتب على ذلك تقديم ضمير المفعول عليه مضافاً إلى الفاعل فيكون مقدّماً عليه لفظاً ومعنىً.

ولابن جني رأي طريف في هذا الشاهد جرى فيه على غير ما جرى النحاة، فيقول : وأما أنا فأجيز أن الهاء في قوله :

*جزى ربه عني عدي بن حاتم *

عائدة على (عديّ) خلافاً على الجماعة.

ويمضي ابن جني ليبرهن على رأيه فيقول : « فإن هنا طريقاً آخر يسوّغك غيرَه، وذلك أن المفعول قد شاع عنهم واطّرد من مذاهبهم كثرة تقدمه على الفاعل حتى دعا ذاك أبا عليّ إلى أن قال : إن تقدم المفعول قسم قائم برأسه كما أن تقدّم الفاعل قسم قائم برأسه، وإن كان تقديم الفاعل أكثر، وقد جاء به الاستعمال مجيئاً واسعاً، نحو قول الله عز وجل : ﴿ إنما يخشى الله من عباده العلماء﴾ [٤]

---

(١) شذور الذهب ١٢٥، ١٢٦.

(٢) أمالي ابن الشجري ١ : ١٠٢.

(٣) فاطر : ٢٨

ويستمر ابن جني في عرض أبيات من شعر العرب ليؤيد بها قوله في كثرة تقديم المفعول على الفاعل إلى أن يقول: «والأمر في كثرة تقديم المفعول على الفاعل في القرآن، وفصيح الكلام متعالم غير مستنكر، فلما كثر وشاع تقديم المفعول على الفاعل كان الموضع له حتى أنه إذا أخر فموضعه التقديم، فعلى ذلك كأنه قال: «جزى عديَّ بن حاتم ربُّه» ثم قدم الفاعل على أنه قد قدّره مقدّماً عليه مفعوله فجاز ذلك ولا تستنكر هذا الذي صورته لك، ولا يجْفُ عليك، فإنه مما تقبله هذه اللغة، ولا تعافه، ولا تتبشعه (١).

وهذا الذي شغل النحاة بما دار حوله من آراء، وبما قدم لنا ابن جني من رأي مبتكر في بيت نسب إلى أبي الأسود الدؤلي، ونسب إلى النابغة الذبياني: ويميل البغدادي في الخزانة إلى نسبته إلى أبي الأسود فيقول: «وهذا البيت لأبي الأسود الديلي يهجو به عدي بن حاتم الطائي، وزعم ابن جني وغيره إنه للنابغة الذبياني وهو وإن عاصر عديًّا لكن الذي روى له إنما هو:

جـزى الله عبْساً عبس آل بغيض   جزاء الكلاب العاويات وقد فعل

وليس فيه مما نحن فيه» (٢).

٣ ـ في المفعول معه:

ذكر ابن هشام في شرح شذور الذهب أنه ليس من المفعول معه قول أبي الأسود الدؤلي:

لا تنه عن خلق وتأتي مثله   عار عليك إذا فعلت عظيم

---

(١) الخصائص ١/٢٩٤ ـ ٢٩٧ بتصرف.

(٢) الخزانة ١: ١٣٦.

الشاهد في قوله : « وتأتي مثله » فإنه ليس مفعولاً معه، وإن كان بعد واو بمعنى مع، أي لا تنه عن خلق مع إتيانك مثله لأنه ليس باسم » [1].

واستشهد به الأشموني في باب « إعراب الفعل »، وذكر العيني أن قائله أبو الأسود ومن نسبه إلى الأخطل فقد أخطأ، وحكى أبو عبيد أنه للمتوكل الكناني [2].

من هذه الشواهد التي قدمت لنا مادة حية في مجال النحو العربي نستطيع أن نقول : إن أبا الأسود أثر في الدراسات النحوية بما قدمه من أبيات كانت موضع مناقشة، ومجال حوار لتأييد فكرة، أو دعم رأي، أو بناء قواعد في حقل النحو العربي. وإذا كان لأبي الأسود هذا الأثر الكبير في نشأة النحو، وفي تقديم الشواهد الشعرية التي لجأ إليها النحويون بعده لتأييد فكرة، أو دعم رأي أو تقوية دليل ـ أقول: إذا كان لأبي الأسود هذا الشأن فإن المناسبة تقضي بإجلاء بعض الصور في مجال حياته، وصفاته وأخلاقه وخبرته بالناس بعد أن عرفنا صوراً من جهوده في النشاط النحوي حيث نقط المصحف تنقيط إعراب، وحيث وضع اللبنات الأولى في بناء النحو.

---

(١) شرح شذور الذهب ٢١٣، ٢١٤.

(٢) الأشموني والصّبان هامش الأشموني ٣: ٣٠٧.

ترجمة موجزة لأبي الأسود الدؤلي

اسمه :

ذكر السيوطي في البقية أن اسمه « ظالم بن عمرو بن ظالم »، وقيل : ابن سفيان ـ ابن عمر بن حِلْس بن نفاثة بن عدي بن الدئل بن بكر بن كنانة، أبو الأسود الدؤلي البصري [1].

ويحقق ابن السكيت نسبته فيقول : وهو أبو الأسود الدؤلي مفتوحة مهموزة، وهو منسوب إلى الدول من كنانة، والدول في حنيفة ينسب إليهم الدولي والدِّيل في عبد شمس ينسب إليهم الدِّيلي. والدِّئل : دويبة صغيرة شبيهة بابن عِرس، وأنشد الأصمعي :

جاءوا بجيش لو قِيس مُعْرَسُهُ   ما كان إلا كمُعْرَس الدُّئلِ [2]

مصدر ثقافته :

يقول صاحب الأغاني : « وكان أبو الأسود من وجوه التابعين وفقهائهم ومحدثيهم، وقد روى عن عمر بن الخطاب، وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهمافأكثر، وروى عن ابن عباس وغيره » [3].

---

(١) بغية الوعاة ٢ : ٢٢.

(٢) إصلاح المنطق ١٦٥، ١٦٦.

(٣) الأغاني ١٢ : ٣٠١ (الثقافة).

تشيعه لعلي كرم الله وجهه :

كانت العلاقة بين علي كرم الله وجهه وأبي الأسود علاقة وطيدة الأركان، قوامها الحب والإخلاص، والتقدير لآل بيت النبي ﷺ، وبسبب تشيعه كان أبو الأسود يلقى كثيراً من المصاعب في حياته.

ولا أدل على ذلك من أن معاوية حينما ادّعى زياداً وألحقه بأبيه ولاّه العراق، وكان أبو الأسود يأتيه فيسأله حوائجه، فربما قضاها، وربما منعها لما يعلمه من رأيه وهواه في علي بن أبي طالب عليه السلام. فكان أبو الأسود يترضاه، ويداريه ما استطاع ويقول في ذلك :

رأيت زياداً صدّ عني وجهه — ولم يك مردوداً عن الخير سائله
ينفذ حاجات الرجال وحاجتي — كداء الجدي في جوفه لا يزايله
فلا أنا ناسٍ ما نسيت فآيس — ولا أنا راءٍ ما رأيت ففاعله
وفي اليأس حزم للبيب وراحة — من الأمر لا ينسى ولا المرء نائله[1]

وقصة أخرى تؤكد ما قلناه وتثبت أن أبا الأسود لاقى من رجالات قومه في سبيل تشيعه ما لاقى.

يقول صاحب الأغاني : « كان عبد الله بن عامر مكرماً لأبي الأسود ثم جفاه، لما كان عليه من التشيع» فقال فيه أبو الأسود:

ألم تر ما بيني وبيْن ابن عامر — من الود قد بالت عليه الثعالب
وأصبح باقي الود بيني وبينه — كأن لم يكن والدهر فيه عجائب
إذا المرء لم يجبك إلاّ تَكَرُّهاً — بدا لك من أخلاقه ما يغالب[2]

---

(١) المرجع نفسه ٣١٧.
(٢) الأغاني ١٢ : ٣٣١.

وحب أبي الأسود لعلي تجلّى في أوضح صوره، وأروع أمثلته حينما وقف أبو الأسود خطيباً ليرثي علياً، إن كلماته كانت تشع بالحب وتوحي بالإخلاص، وتدل على أن هذا الحب كان مجرّداً ليس فيه شائبة من نفع دنيوي، أو غرض مادي ، قال في خطبته ما نصه :

« إن رجلاً من أعداء الله المارقة عن دينه اغتال أمير المؤمنين عليّاً - كرم الله وجهه ومثواه - في مسجده، وهو خارج لتهجده في ليلة يرجى فيها مصادفة ليلة القدر، فيا لله هو من قتيل، وأكرم به، وبمقتله وروحه من روح عرجت إلى الله تعالى بالبر والتقى والإيمان والإحسان، لقد أطفأ منه نور الله في أرضه، لا يبين بعده أبداً، وهدم ركناً من أركان الله تعالى لا يشاد مثله، فإنا لله وإنا إليه راجعون، وعند الله نحتسب مصيبتنا بأمير المؤمنين، وعليه السلام ورحمة الله يوم ولد ويوم قتل، ويوم يبعث حيًّا » ثم بكى حتى اختلفت أضلاعه [1] .

شجاعته في الحق، واعتداده بنفسه :

كان أبو الأسود شجاعاً يقول الحق لا يبالي بما يلقى في سبيله، ومن هنا كان موقفه من حكام عصره موقف المعتز بنفسه ولا أدل على ذلك من قوله : « الملوك حكام على الدنيا، والعلماء حكام على الملوك»[2].

ومن جراءته على الحكام موقفه من معاوية فقد روى لنا أبو بكر الهذلي : « أن أبا الأسود كان يحدث معاوية يوماً فتحرك، فضرط، فقال لمعاوية استرها عليَّ، فقال : نعم، فلما خرج حدّث بها معاوية عمرو بن العاص، ومروان بن الحكم فلما غدا عليه أبو الأسود قال عمرو : ما فعلت

---

(١) الأغاني ١٢/٣٣٤.
(٢) العقد الفريد ٢ : ٢١٤.

ضرطتك يا أبا الأسود بالأمس ؟ قال : ذهبت كما تذهب الريح مقبلة ومدبرة من شيخ ألان الدهر أعصابه ولحمه عن إمساكها، وكل أجوف ضروط. ثم أقبل على معاوية فقال : إن امرأ ضعفت امانته ومروءته عن كتمان ضرطة لحقيق بألا يؤمنَ على أمور المسلمين » (١)

حقاً إن أبا الأسود قدم اعتذاراً مقنعاً للدفاع عن نفسه، وفي الوقت نفسه وجه لمعاوية طعنة دامية حيث اتهمه في مروءته ، وأن ولايته لأمور المسلمين غير جديرة به، فإذا كان في أمر تافه لم يستطع أن يكتمه فكيف إذاً يحمل أمانة المسلمين، أو يتولى أمورهم ؟.

حبه للرحلة من أجل طلب الرزق والحياة الكريمة

لم يكن أبو الأسود كسولاً خاملًا، فعلى الرغم من كبر سنه لم يستسلم لأحداث الحياة، ويقنع في داره بالرزق اليسير، ويؤثر الدعة والهدوء على المكافحة من أجل الحياة ومن أجل العيش الكريم، إنه لم يكن كذلك، والمحاورة الآتية بينه وبين ابنته تدل على روحه المكافحة، ونفسه الكريمة، وإيمانه بالقدر، وتوكّله على الله حيث لا يخشى في سبيل هدفه ما يخشاه أولو العزائم الضعيفة، والنفوس المريضة، والقلوب الواجفة.

يحدثنا صاحب الأغاني فيقول: «أراد أبو الأسود الدؤلي الخروج إلى فارس فقالت له ابنته : يا أبت إنك قد كبرت، وهذا صميم الشتاء فانتظر حتى ينصرم، وتسلك الطريق آمناً فإني أخشى عليك»، فقال أبو الأسود :

إذا كنت معنيًّا بأمر تريده ... فما للمضاء والتوكل من مثل
توكل وحمل أمرك الله إنّ ما ... تراد به آتيك فاقنع بذي الفضل

(١) الأغاني ١٢/٣١٤.
(٢) الأغاني ١٢/٣١٤.

ولا تحسبن السير أقرب للردى | من الخفض في دار المقامة والثمل
ولا تحسبيني يا بنتي عز مذهبي | بظنك إن الظن يكذب ذا العقل
وإني ملاق ما قضى الله فاصبري | ولا تجعلي العلم المحقق كالجهل
وإنك لا تدرين : هل ما أخافه | أبعدي يأتي في رحيلي أو قبلي
وكم قد رأيت حاذراً متحفظاً | أصيب به وألفته المنيّة في الأهل (١)

ذكاء أبي الأسود وحضور بديهته :

لم تبخل كتب الطبقات بالروايات المتعدّدة التي سجلت لتدل على قوة ذكائه وحضور بديهته، وسرعة جوابه ولا نستطيع في هذه العجالة أن نسجل تلك الروايات التي دارت حول ذكائه، وحضور جوابه، ونكتفي بذكر طرف منها لتكون دليلاً واضحاً على ذكاء أبي الأسود، وقد اعترف له بهذا الذكاء الشعبيّ حين قال عنه : قاتل الله أبا الأسود. ما كان أعف أطرافه وأحضر جوابه. ويسوق خبراً يدل على قوله فيه فيقول : « دخل على معاوية بالنُّخَيْلة فقال له معاوية : أكنت ذكرت للحكومة ؟ قال نعم، قال : فماذا كنت صانعاً؟ قال : كنت أجمع ألفاً من المهاجرين وأبنائهم وألفاً من الأنصار وأبنائهم، ثم أقول : يا معشر من حضر، أرجل من المهاجرين أحق أم رجل من الطلقاء ؟ فلعنه معاوية، وقال: الحمد لله الذي كفاناك » (٢) . وقال رجل لأبي الأسود : أنت والله ظريف لفظ، وظرف علم، ووعاء حلم غير أنك بخيل فقال : وما خير ظرف لا يمسك ما فيه ؟ » (٣) .

وسلم عليه أعرابي يوماً. فقال أبو الأسود :«كلمة مقولة، فقال : أتأذن في الدخول ؟ قال: وراءك أوسع لك. قال : فهل عندك شيء. قال : نعم،

(١) الأغاني ١٢ : ٣١٣.
(٢) أمالي المرتضى ١/٢٩٢.
(٣) المرجع نفسه ١/٢٩٤.

قـال : أطعمني، قـال : عيـالي أحق منـك. قـال : مـا رأيت ألأم منـك قال : نسيت نفسك » [1].

وأبو الأسود يجيب معاوية إجابة رجـل دقت ظهره السنـون، وعركتـه الأيام وقـد عرف خيـرها وشـرها،وذاق محنهـا وآلامهـا، فلم يعبأ بسخريـة معاويـة بـه وهو في هذه السن لأنـه أجابـه بحقيقة تهـز كيانـه، وكأنـه يقول لـه : إن الأيام لن يفلت منها إنسان ولو كان معاوية وتتجلّى هذه الواقعة في هذا الخبر.

روي أن أبا الأسود دخـل على معاوية، فقال له: أصبحت جميـلاً يا أبـا الأسود، فلو علقت تميمة تدفع العين عنك. فقال أبو الأسود:

أفني الشبـاب الـذي ولى وبهجتَه ... كـرّ الجـديـدين من آت ومنطِلـق
لـم يتـركا لي في طـول اختلافهمـا ... شيئـاً أخاف عليـه لَذْعَةَ الحـدَق [2]

وبعـد، فهذه خـطوط عريضـة لشخصية هـذا الـرجـل الـذي رفـع لـواء العربية وسجل اسمه في التاريخ من أوسع أبوابه.

أما وفاته فكانت سنة تسع وستين للهجرة بطاعون الجارف [3]

□□□

(١) المرجع نفسه ١ : ٣٩٤.
(٢) المرجع نفسه ٢٩٣.
(٣) بغية الوعاة ٢ : ٢٣.

الفصل الثاني
تلاميذ أبي الأسود

عرفنا فيما سبق أن أبا الأسود وضع بعض الأبواب النحوية باجتهاده الخاص، أو تلقّى هذه الأبواب عن أستاذه الإمام عليّ كرم الله وجهه، وزاد عليها بعض الأبواب من عنده، وقلت : إن هذه كانت نقطة الانطلاق وبداية الطريق.

وبفضل أبي الأسود نما النحو فيما بعد، وتعددت أصوله، وتشابكت فروعه، ويكفي أبا الأسود فضلاً أنه قام بعمل ضخم بجانب هذه الأبواب التي زادها أو ابتكرها، وهو تنقيط المصحف تنقيط إعراب.

وهذه قضية لم يختلف فيها أحد، وإن كان بعض الرواة ينسب هذا العمل إلى تلميذه نصر بن عاصم، والحقيقة أن نصر بن عاصم لم يضع نقط الإعراب، وإنما وضع نقط الإعجام، والظاهر أنه لم ينقط إلا بضعة حروف مما يكثر وروده.

وقد التبست روايات المؤرخين في الزمن الذي وضع فيه إعجام المصحف، وعرضت هذه الروايات في كتابي (القرآن وأثره في الدراسات النحوية)[١] وخرجت من هذا العرض بنتيجة مؤداها أن الحجاج بن يوسف لما رأى كثرة

---

(١) الطبعة الأولى ـ دار المعارف بمصر
الطبعة الثانية: مؤسسة الصباح بالكويت.

التصحيف وانتشاره بالعراق فزع إلى كُتّابه ليضعوا لهذه الحروف المتشابهة في المصحف علامات،ولكن هذه العلامات لم تف بالحاجة، فمع استعمالها كان يقع التحريف، ثم رأوا أن القراءة لا تضبط إلا بتنقيط كل الحروف كما هي الآن، وعبّروا عن ذلك بالإعجام [1].

على أية حال كانت نستطيع أن نقول: لقد اشترك أبو الأسود وتلاميذه في هذا الجهد العظيم من أجل صيانة القرآن من التحريف والتصحيف، فأبو الأسود تناول الإصلاح الإعرابي، وتلميذاه نصر ويحيى بن يعمر قاما بالإعجام.

يقول المرحوم حفني ناصف: «وبعد البحث والتروي قرر نصرويحيى، إدخال الإصلاح الثاني وهو أن توضع النقط أفراداً وأزواجاً لتمييز الحروف المتشابهة» [2].

والسؤال الذي يقال هنا: إذا كان أبو الأسود على هذه الدرجة من الرقى الفكريّ الذي أتاح له وضع اللبنات الأولى في بناء النحو العربي، وتنقيط المصحف تنقيط إعراب فهل وقف عند هذا الحد، وتجمّد على هذا الوضع؟: لأن الرواة والمؤرخين لم ينسبوا له إلا هذه الأبواب التي ذكرناها سابقاً. وكيف تكون هذه الأبواب أساساً لبناء ضخم، وقاعدة لقمة مرتفعة؟.

الحق الذي يقال: إن أبا الأسود أسس مدرسة للنحو من أشهر تلاميذها: عبد الرحمن بن هرمز، ونصر بن عاصم، ويحيى بن يعمر، وعنبسة الفيل، وقد استطاع هؤلاء التلاميذ أن يحملوا الراية بعد أبي الأسود في مجال النحو العربي واللغة مما كان له أثر كبير في نمو النحو العربي على يد تلاميذهم الذين جاءوا من بعدهم. وهذه تراجم موجزة لتلاميذ أبي الأسود.

---

(١) انظر القرآن الكريم وأثره في الدراسات النحوية ٣٦، ٣٧.
(٢) تاريخ الأدب ٧١ لحفني ناصف.

تلاميذ أبي الأسود

عبد الرحمن بن هرمز وأثره في الدراسات النحوية

لقبه الأعرج، وكنيته أبو داود مولى محمد بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب [1]. .

وكان عبد الرحمن بن هرمز من القراء والتّابعين لأنه قرأ على أبي هريرة صاحب رسول الله ﷺ، قال سبط الخياط : حكى جماعة من شيوخنا البغداديين أن الأعرج قرأ على أبي هريرة وأن أبا هريرة قرأ على النبي ﷺ » [2]

وقد أخذ القراءة عن عبد الرحمن بن هرمز نافع بن أبي نعيم إمام أهل المدينة وأحد القراء السبعة المشهورين، فقد جاء في مفتاح السعادة أن نافع بن نعيم « قرأ القرآن على سبعين رجلاً من التابعين منهم عبد الرحمن بن هرمز الأعرج » [3].

وقد جعله الإمام البخاري من الرواة الموثقين لأنه قال عنه : « أصح

---

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد ٥ : ٢٨٣ .

(٢) مفتاح السعادة ٢ : ١٤ .

(٣) المرجع نفسه ٢٧ .

الأسانيد على الإطلاق مالك عن نافع عن أبي عمر، وأصح أسانيد أبي هريرة : أبو الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة رضي الله عنهم » (١) .

هذا وقد ترك ابن هرمز المدينة مهاجراً إلى الإسكندرية كما أخبر بذلك محمد بن عمر قال : حدّثنا عبد الرحمن بن أبي الزناد عن أبيه وعن عبد الله بن الفضل قالا :

خرج عبد الرحمن بن هرمز إلى الإسكندرية فأقام بها حتى توفي سنة سبع عشرة ومائة (٢) .

* * *

معرفته بالنحو

يقول عنه الزبيديّ في طبقاته إنه كان من أعلم الناس بالنحو وأنساب قريش (٣).

ولمكانته العلمية يروي الزبيدي أن مالكاً اختلف إلى ابن هرمز عدة سنين في علم لم يبثّه في الناس، يرون أن ذلك من علم أصول الدين وما يردّ به مقالة أهل الزيغ والضلال (٤) .

وتنسب إليه بعض كتب الطبقات أنه أول من وضع العربية (٥).

وفي رأيي أن النحو العربي بدأ في البصرة بأبي الأسود ـ كما قدمنا ـ وفي المدينة كان أول من نشر هذا العلم ابن هرمز بدليل أن مالك بن أنس

---

(١) مفتاح السعادة ٢ : ١٣١ .

(٢) الطبقات الكبرى لابن سعد ٥ : ٢٨٣ .

(٣) طبقات الزبيدي ٢٦ .

(٤) نفس المصدر والصفحة .

(٥)

اختلف إليه عدة سنين. وعلى الرغم من أن ابن هرمز كان من أعلم الناس بالنحو كما يقول الزبيدي فإن هناك رواية عن تلميذه نافع بن نعيم يصفه فيها بأنه جاهل بالنحو فقد ذكر ابن الإنباري أن الأصمعيّ قال: حدثنا نافع بن أبي نعيم عن عبد الرحمن بن هرمز أنه قرأ: ﴿ لاتخذت عليه أجراً ﴾ (١). قال: لا تأخذها عنه فإنه لم يكن عالماً بالنحو » (٢).

وهذه الرواية تتناقض مع الروايات السابقة التي تدل على مقدرة الرجل في علم أصول الدين وفي النحو العربي، وفي مقدرته على قوة الإقناع، وسلامة التفكير، ونضج العقل حيث تسلح بما استطاع أن يرد به مقالة أهل الزيغ والضلالة.

فيما يبدو أن الرواية التي ساقها نافع لا تتفق مع مكانة الرجل، هذه ناحية، وناحية أخرى نستطيع أن نصل إليها من هذا النص تتمثل في أن مدلول النحو كان في ذهن نافع مرتبطاً بقراءة القرآن، وأن هذا العلم ضروري لمن يتصدى لقراءة القر آن، ولا يمكن أن يكون النحو العربي في هذا الوقت مقصوراً على الأبواب التي وضعها أبو الأسود لأنها لا تفي بحاجة القرّاء إلى معرفة وجوه القراءات من التصحيف والتحريفات، ومن هنا صح لنافع أن يقول في إسناده: إنه لم يكن عالماً بالنحو.

وإذا كان للنحو هذه المكانة في نفوس القوم لدرجة أنه يلام من لم يكن على علم به في هذا الوقت المبكر فإن هذا بدون شك يثبت أن النحو سار في طريقه لم يتوقف ولم يتجمد بفضل هؤلاء التلاميذ الذين تعلموه من أستاذهم أبي الأسود، وعلى رأس هؤلاء التلاميذ ابن هرمز الذي نعتقد انه ركن من أركان هذه المدرسة، وأن رواية تلميذه عنه تؤخذ باحتراس، فقد تكون هناك أسباب خفية دفعت تلميذه إلى أن يقول ما يقول.

---

(١) الكهف: ٧٧.

(٢) الوقف والابتداء ١/٥٦.

ونستطيع أن نضيف أن علم ابن هرمز بالعربية والنحو أن الإمام ابن مجاهد التميمي مسبّع السبعة، وشيخ القراء استدل بقوله في مجال النحو والعربية كما نصّ على ذلك ابن جني في المحتسب قال: «قرأ يحيى وإبراهيم والسلمي: ﴿أفحُكْمُ الجاهلية يبغون﴾[1] بالياء ورفع الميم، قال مجاهد: وهو خطأ قال: وقال الأعرج، لا أعرف في العربية أفحكمُ وقرأ (أفحكمَ) نصباً»[2].

ألا يدل هذا النص على أن الأعرج كان عالماً بالعربية، ملمّاً بالنحو خبيراً بدقائقه لأنه يقول: لا أعرف في العربية الخ، ولن يقول هذا القول إلا عالم متمكن من اللغة، مستوعب لأساليبها.

* * *

أثر ابن هرمز في الدراسات النحوية

وكما ترك لنا أبو الأسود من شعره شواهد في النحو العربي كانت موضع حوار ومناقشة بين النحويين في العصور المختلفة إلى يومنا هذا فإن الأعرج ترك لنا قراءات قرآنية كانت مثار جدل، وميدان دراسة بين النحويين واللغويين في العصور التي جاءت بعد عصره، ومن هنا يصح أن نقول:

إن ابن هرمز أثر في الدراسات النحوية بهذه القراءات التي أسهمت في خصوبة النحو العربي طوال هذه القرون.

ونحب أن نشير هنا إلى أن الدراسة النحوية واللغوية بدأت مختلطة، لأن الفصل بين الدراستين لم تتهيأ له أذهان العلماء في هذا العصر، فعلماء النحو كانوا علماء اللغة لأن «صلة النحو باللغة كانت وثيقة محكمة، وكان الفصل

---

(١) المائدة: ٥٠ .

(٢) المحتسب ١: ٢١١.

بين النحويين واللغويين ممـا لا يكثر خـطوره على البال، وما تزال ثمـة مسائـل متنـــازعـة بين كتب النحـــو واللغـة كحـــروف المعـاني وكثيـــر من العبـــارات الاصطلاحية، وأبواب الفعل الثلاثي » [1] .

---

(١) سيبويه إمام النحاة ١ : ٢٨ .

نماذج من قراءات عبد الرحمن بن هرمز

في إطار الدراسات النحوية

الناظر للقراءات التي اختارها ابن هرمز يجد أنها لم تخرج عن سنن النحو العربي، وأن لها من الأدلة ما يجعلها قراءة سليمة لا يتسرب إليها الضعف من الناحية اللغوية والنحوية، كما أنه لا يعتريها الوهن من ناحية الرواية والسند، ومعظم قراءاته لم ينفرد بها مما يدل على أن الرواة والعلماء باختيارهم لهذه القراءات أكدوا صحتها، ودعموا الأخذ بها، واحتجوا لها في مجال الأسلوب الصحيح القائم على التزام النحو والعربية فمن هذه القراءات:

* * *

١ ــ التشديد والتخفيف

أ ــ قراءة ﴿ أمتعه ﴾ [١] بالتشديد، وهي قراءة الأعرج، ومعه آخرون.

وعلى هذه القراءة قراءة العامة في الأمصار.

ويحتج مكي بن أبي طالب لقراءة التشديد مؤثراً لها على قراءة التخفيف فيقول: «وجه التّخفيف أنه جعله من: (أمتع) لغة في (متع)، وكلاهما

---

(١) سورة البقرة: ١٢٦.

بمعنىً، غير أن التشديد فيه معنى تكرير الفعل، وبالتخفيف قرأ ابن عباس وابن محيصن وشبل.

فأما من شدّدَ فإنه حمله على إجماعهم على التشديد في قوله: ﴿ تمتّعوا في داركم ﴾ [1] و ﴿ تمتّع بكفرك ﴾ [2] و ﴿ يمتعكم متاعاً ﴾ [3]. وهو كثير في القرآن من: (متّع) فعمل هذا عليه، وليُلحق بنظائرهِ ممّا لم يختلف في تشديده مما ذكرنا» [4].

ب ـ ﴿ بما كانوا يكذبون ﴾ [5] قرئت بفتح الياء مخفّفاً، وبضم الياء مشدداً.

وقد بسط مكي التعليل لقراءة التخفيف ولقراءة التشديد، فيقول: وعلّة من خفف: أنه حمله على ما قبله، لأنه قال تعالى: ﴿ وما هم بمؤمنين ﴾ [6] فأخبرهم أنهم كاذبون في قولهم: ﴿آمنا بالله وباليوم الآخر﴾، فقال: وما هم بمؤمنين أي ما هم بصادقين في قولهم، ثم قال: ﴿ولهم عذاب أليم بما كانوا يكذبون﴾ أي بكذبهم في قولهم: ﴿آمنا بالله وباليوم الآخر﴾ وأيضاً فإن التخفيف محمول على ما بعده، لأنه قال تعالى ذكره بعد ذلك: ﴿وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم إنما نحن مستهزئون ﴾ [7] فقولهم لشياطينهم: «إنا معكم» دليل على كذبهم في قولهم للمؤمنين: آمنّا، فحسنت القراءة بالتخفيف ليكون الكلام على نظام واحد مطابق لما قبله ولما بعده».

---

(١) هود: ٦٥.
(٢) الزمر: ٨.
(٣) هود: ٣.
(٤) الكشف عن وجوه القراءات السبع ١: ٢٦٥.
(٥) البقرة: ١٥.
(٦) البقرة: ٨.
(٧) البقرة: ١٤.

ويعـدّد مكّي بعد هـذا التعليل القـرّاء الذين قـرأوا بهـذه القـراءة فهي في نـظره قويـة في السند، مقبـولة من نـاحيـة التعليـل.

ويتنـاول بعد ذلـك قراءة التشـديـد فيقـول: «وعلة من شـدده: أنـه حمله ايضـاً على ما قبله، وذلـك أن الله جل ذكـره قـال عنهم: ﴿في قلوبهم مـرض فـزادهم الله مرضـاً﴾ والمرض: الشـك، ومن شـك في شيء فلم يتيقنـه، ولا أقـر بصحته، ومن لا يقـر بالشيء، ولا آمن بصحتـه فقـد كـذب بـه وجحـد، فهم مكذّبون لا كاذبون.

وأيضاً فإن التّكـذيب أعم من الكذب، وذلـك أن كل من كَذّب صادقاً فقد كَذَب في فعله، وليس كـل من كذب مكـذباً لغيـره، فحمْـل اللفظ على مـا يعم المعنيين أولى من حمْله على ما يخص أحد المعنيين».

ثم يقـول وبـالتشـديـد قـرأ الأعـرج، وعن قـراءة الأعـرج يقـول أبـو حاتم: والتشديد أحب إليّ مع أنها قراءة أهل المدينة ومكة.

ويقـول أبو محمـد مكيّ بن أبي طـالب: «والتشـديـد أقـوى في نفسي» وقـد علله بقولـه: «لأنـه يتضمن معنى التخفيف، والتخفيف لا يتضمن معنى التشديد، ولأنها قراءة أهل المدينة ومكة»[1].

واضـح من هذا النص أن قـراءة الأعرج بـالتشديـد ترجـع إلى أنها قـراءة أهل المدينـة وهو من قـرائها، هـذه ناحيـة، وناحيـة أخرى إن قـراءة التشديـد يسندها المنـطق الذي يقـوم على التعليل والقيـاس لأن من شك في شيء فلم بتيقنـه ولا أقر بصحتـه، ومن لا يقر بـالشيء، ولا آمن بصحتـه فقـد كـذب بـه وجحده، فهم مكذّبون وهذا بـدون شك ضـرب من ضروب القيـاس، وشكل من أشكاله وقـد قلت سابقـاً: «إن الأعرج كـان له علم لم يبثـه في الناس يـرد به مقالة أهل الـزيغ والضـلالة»[2] ومن البـديهي أن أهل الـزيغ والضـلالة لا

---

(1) انظر الكشف عن وجود القراءات ١: ٢٢٧ ـ ٢٢٩.

(2) انظر ص ٥٥.

يرّد باطلهم بدليل قرآنيّ أو حديث نبوي، ولكن بالمنطق والعقل، والأدلة التي تتوافر فيها قوة الحجة، ومتانة البرهنة، وسلامة الدليل.

حقًّا إن إسلوب البرهنة هذا من صنع أبي محمد مكي بن أبي طالب وهو من علماء القرنين الرابع والخامس، وقد ساق تعليلاته، وعرض أدلته في حلبة المنطق والفكر، لأن الفلسفة في هذه الفترة والمنطق في هذا الوقت قد بلغا أشدهما في الفكر الإسلامي، ولكن الذي لا شك فيه أن بذور القياس الفطرية في اختيار أسلوب على أسلوب أو وجه على وجه لم تكن مستغربة على تلاميذ أبي الأسود، لأن القياس الفطري جزء من تفكير الإنسان في مجال العلم والمعرفة

* * *

بناء الفعل الأجوف للمجهول

﴿ وإذا قيل لهم ﴾ [١]

في قيل وأخواتها قراءتان، فمن القراء من يقرأ بإشمام الضم، ومن القراء من يقرأ بالكسْر. وقد قرأ بالكسر الأعرج.

واختار مكيّ قراءة الكسر لأنه قال « والكسر أولاهما عندي » واحتج لهذا الاختيار بقول أبي طاهر « الكسر سنن العربية » وقول أبي حاتم: « وهي في اللغات أفشى، وفي الآثار أكثر وعلى الألسنة أخف، وفي قياس النحو أجود » [٢].

* * *

وهذا النص يدل ايضا على اختيار الأعرج للقراءة التي تسير على نهج العربية وفق الأقيسة النحوية ممّا حمل النحاة المتأخرين مثل مكي بن أبي

---

(١) البقرة: ١١.

(٢) الكشف عن وجوه القراءات ١/٢٣٢.

طالب للاحتجاج لهـا، والدفاع عنها، لأنها قـراءة مؤيدة بـالسماع والقيـاس معاً إذ يقول : « وهي في اللغات أفشى، وفي قياس النحو أجود ».

٣ ـ الفاعل والمفعول

﴿فتلقى آدم من ربه كلمات ﴾ (١)

قـرأ ابن كثيـر بنصب (آدم) ورفـع (كلمـات)، وعلّل مكّي هـذه القـراءة بقـولـه « وعلة من نصب (آدم) ورفـع (الكلمـات) أنـه جعـل (الكلمـات) استنقذت آدم بتوفيق الله له، لقوله إياها، والدعاء بها، فتاب الله عليه.

وأيضاً فإنه لما كان الله جل ذكره من أجل الكلمـات تاب الله عليـه بتوفيقـه إياه لقولـه لها كـانت هي التي أنقذتـه، ويسرت لـه التوبـة من الله فهي الفاعلة وهو المُستنقَذُ بها» .

وأما قراءة الرفع فهي قراءة الأعرج وآخـرين، وعللها مكي بقـوله : « وعلة من قرأ برفـع (آدم) ونصب (الكلمات) : أنـه جعل (آدم) هـو الذي تلقى الكلمات، لأنه هو الذي قبلها، ودعا بها، وعمل فتـاب الله عليه، فهـو الفاعـل لقبـولـه الكلمـات فـالمعنى على ذلـك وهـو الخـطاب. وفي تقـديم آدم على الكلمات تقوية أنه الفاعل.

وقد قال أبـو عبيد في معنى ﴿ فتلقى آدم من ربـه كلمات ﴾ معنـاه : قبلها، فـإذا كان آدم قـابـلاً فـالكـلام مقبـول، فهـو المفعـول، وآدم الفـاعـل وعليهـا الجماعة » (٢).

* * *

---

(١) البقرة ٣٧.

(٢) الكشف عن وجوه القراءات ١ : ٢٣٧ .

٤ ـ لا النافيـــة

﴿فلا رفث ولا فســوق﴾(١)

قرأها ابن كثيـر وأبو عمـرو بالتنـوين والرفـع، وحجتهما: أن (لا) بمعنى ليس فارتفع الاسم بعدها،لأنـه اسمها والخبـر محذوف تقـديره: فـلا رفث ولا فسـوق في الحج.

وقرأ الأعرج وآخرون بالفتح من غير تنوين، ووجه القـراءة بالفتـح من غير تنـوين: أنـه أتى بـ «لا» للنفي لتدل على النفي العـام، فنفي جميـع الـرفث، وجميع الفسوق كمـاتقــول: لا رجـل في الدار، فتنفي جميـع الـرجـال، ولا يكـون ذلك إذا رفـع ما بعـد (لا) لأنها تصيـر (لا) بمعنى (ليس) ولا تنفي إلا الواحد.

والمقصـود في الآية نفي جميـع الـرفث والفسـوق فكـان الفتـح أولى بـه لتضمنـه لعمـوم الـرفث كله والفسـوق كله، لأنــه لم يـرخص في ضــرب من الرفث، ولا في ضرب من الفسوق، كما لم يـرخص في ضرب من الجـدال، ولا يـدل على هـذا المعنى إلا الفتـح لأنـه للنفي العـام، وإجماع القـراء على فتح﴿ولا جدال﴾يقـوّي فتح مـا قبله ليكون الكـلام على نظام واحـد في عموم المنفي كله في الأسمـاء الثلاثـة في موضـع رفع كـل واحـد مـع (لا) وقـولـه ﴿في الحج﴾ خبر عن جميعها»(٢).

* * *

---

(١) البقرة: ١٩٧.

(٢) الكشف عن وجوه القراءات ١ : ٢٨٦.

٥ ـ رفع الفعل المضارع بعد حتى أو نصبه

﴿حتى يقول الرسول﴾[1] قراءة الرفع نسبت إلى نافع، وقد أخذها نافع عن الأعرج يقول مكي: «وبالرفع قرأ الأعرج».

وقراءة الرفع وإن كانت أقل درجة من قراءة النصب إلا أن بها وجهاً في النحو، وقد بين ذلك الوجه مكي فقال: «ووجه القراءة بالرفع أن الفعل دال على الحال التي كان عليها الرسول، ولا تعمل (حتى) في حال.

فلما كان ما بعدها للحال لم تعمل فيه، والتقدير: وزلزلوا فيما مضى حتى أن الرسول يقول: ﴿متى نصر الله﴾؟فحكى الحال التي عليها الرسول قبل.

ثم قال: «والرفع بعد حتى على وجهين: أحدهما: أن يكون السبب الذي أدى الفعل الذي قبل (حتى) قد مضى، والفعل المسبب لم يمض ولم ينقطع، نحو قولك: مرض حتى لا يرجونه، أي مرض فيما مضى حتى الآن لا يرجى فيجيى، الحال التي هم عليها الآن، فيرفع، ولا تحمل الآية على هذا المعنى لأنها لحال قد مضى، فحكى.

ـ والوجه الآخر: أن يكون الفعلان جميعاً قد مضيا نحو قولك: سرت حتى أدخلُها أي سرت فدخلت، فالدخول متصل بالسير، وقد مضيا، فحكيت الحال التي كانت، لأن ما مضى لا يكون حالاً إلا على الحكاية. فعلى هذا تحمل الآية في الرفع لا على الوجه الأول من وجهي الرفع.

وحتى هذه التي يرتفع الفعل بعدها ليست العاطفة ولا الجارة إنما هي التي تدخل على الجمل، فلا تعمل، وتدخل على الابتداء والخبر. فإذا كان ما بعد حتى محكيًا دالاً على حال قد انقضت أو على حال في الوقت لم

---

(١) البقرة: ٢١٤.

ينقض فلا سبيل إلى النصب بها، لأنها لا تنصب إلا غير حال تنصبه بمعنى كي أو بمعنى: «إلى أن»[1].

وإني أكتفي بعرض هذه النماذج للدراسة النحوية التي دارت حول قراءات الأعرج والتي أسهمت في إخصاب النحو ونموه وازدهاره.

وهذه القراءات التي تناولنا صوراً منها لا تخرج عن القراءات السبع التي نسبت إلى القراء السبع الذين جاءوا بعد الأعرج، وأهم هؤلاء القراء هو نافع بن نعيم الذي روى عن أستاذه الأعرج.

والقراءات السبع تجرد للدفاع عنها والاحتجاج لها في مجال اللغة والنحو ابن خالويه في كتابه، الحجة في القراءات السبع[2] وأبو علي الفارسي في كتابه الحجة في علل القراءات السبع[3]، ومكي بن أبي طالب في كتابه: الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها[4]، وما ذكرناه من النماذج السابقة مقتبس من كتاب: «الكشف عن وجوه القراءات السبع» لمكي بن أبي طالب.

على أن القراءات التي خرجت عن دائرة هؤلاء السبع اعتبرها القراء المتأخرون شاذة بناء على ما رسمه ابن مجاهد حيث اختار من القراءات العديدة مجموعة من القراءات منسوبة إلى هؤلاء السبع، وأي قراءة ولو كانت سليمة الرواية تعتبر شاذة ما لم تنسب إلى واحد من هؤلاء القراء.

وقد تجرد لهذه القراءات الشاذة قلة من العلماء ليدافعوا عنها ويحتجوا لها،

---

(١) الكشف عن وجوه القراءات ١: ٢٨٩، ٢٩٠.

(٢) حققه المؤلف، وطبع في بيروت دار الشروق عام ١٩٧١.

(٣) صدر منه الجزء الأول بتحقيق الدكتور عبد الفتاح شلبي وآخرين طبع في القاهرة دار الكاتب العربي.

(٤) مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق.

ومن هؤلاء العلماء ابن جنّي في كتابه: المحتسب. وإليك أمثلة ونماذج من احتجاج ابن جني لبعض القراءات المنسوبة للأعرج وليست من القراءات السبع، لأنها لم تنسب إلى واحد منهم.

* * *

١ ــ أن المخففة

من ذلك قراءة الأعرج ﴿أن لعنة الله﴾[١] رفع وخفف النون و﴿أن غضب الله﴾[٢].

قال أبو الفتح: أمّا من خفف ورفع فإنها عنده مخففة من الثقيلة، وفيها إضمار محذوف للتخفيف، أي أنه لعنة الله عليه، وأنه غضب الله عليها، فلما خففت أضمر اسمها وحذف، ولم يكن من إضماره بد، لأن المفتوحة إذا خففت لم تصر بالتخفيف حرف ابتداء، إنما تلك إن المكسورة وعليه قول الشاعر:

في فتية كسيوف الهند قد علموا   أن هالك كلّ من يحفى وينتعل[٣]

* * *

٢ ــ الباء بمعنى الحال

«ومن ذلك قراءة الزهري والحسن والأعرج ﴿تُنبت بالدهن﴾[٤] برفع التاء ونصب الباء. قال أبو الفتح: والباء هنا في معنى الحال أي تنبت وفيها دهنها فهو كقولك: خرج بثيابه أي بثيابه عليه، وسار الأمير في غلمانه أي

---

(١) النور

(٢) النور: ٩.

(٣) المحتسب ٢: ١٠٢.

(٤) المؤمنون: ٢٠.

وغلمانه معه وكأنه قال: خرج لابساً ثيابه، وسار مُسْتَصْحِباً غلمانـه، وكذلك قـول الهزلـي:

يعثُـرْنَ في حـدّ الـظُّبـات كـأنمـا كُسِيَتْ بـرود بني يزيـد الأذرُعُ

أي يعثرن كابيات في حدّ الـظُّبات، أو مجروحات في حـد الظبـات.. ثم قال أبو الفتح «فكذلك تنبت» ودهنها فيها»[1].

* * *

٣ ـ إسكان المتحرك

قرأ الأعرج ﴿يـا حسرهْ﴾[2] سـاكنة الهـاء. قال أبـو الفتح: «أمّـا يا حسـرهْ بـالهاء سـاكنة ففيـه نظر وذلـك أن قولـه﴿على العباد﴾متعلّق بهـا أو صفـة لهـا وكلاهما لا يحسن الوقوف عليها دونه.

ووجه ذلك عندي ما أذكره، وذلك أن العرب إذا أخبرت عن الشيء غير مُعْتَمِدَتـه ولا معتزمـة عليـه أسرعت فيـه، ولم تتأنّ على اللفظ المعبـر عنه، وذلك كقوله:

* قلنا لها قفي لنا قالت قـافْ *

معنـاه: وقفت، فـاقتصـرت من جملة الكـلام على حــرف منهـا تهـاونـاً بالحال، وتثاقلاً عن الإجابة، واعتماد المقال[3].

٤ ـ الاسـم الموصـول

ومن ذلك قراءة ابن هرمز ﴿التي أرضعنكم﴾[4] بلفظ الواحد.

---

(١) المحتسب ٢: ٨٨، ٨٩.

(٢) يسٓ: ٣٠.

(٣) المحتسب ٢: ٢٠٨.

(٤) النساء: ٢٣.

قال أبو الفتح: ينبغي أن تكون التي هنا جنساً فيعود الضمير عليه على معناه دون لفظه كما قال الله سبحانه: ﴿والذي جاء بالصدق وصدق به﴾[1] ثم قال ﴿أولئك هم المتقون﴾ فهذا على مذهب الجنسية كقولك: الرجل أفضل من المرأة وهو أمثل من أن يعتقد فيه حذف النون من (الذي) كما حذفت من (اللذا) في قوله:

* إن عمّيّ اللذا *

ألا ترى أن قوله ﴿التي أرضعنكم﴾ لا يجوز أن يعتقد فيه حذف النون لأنه لا يقال اللتين، والقول الآخر: «وجهٌ إلا أن هذا أقوى لهذه القراءة وعليه قول الأشهب بن رميله»:

إن الذي حانت بفَلْج دماؤهم   هم القومُ كلّ القوم يا أم خالد

يحتمل المذهبين: «حذف النون من الذين، واعتقاد مذهب الجنسية على ما مضى»[2].

٥ ــ زيادة من

قرأ الأعرج فيما روى عنه: ﴿لمّا آتيناكم﴾[3] بفتح اللام، وتشديد الميم (آتيناكم) بألف قبل الكاف.

قال أبو الفتح: في هذه القراءة إغراب، وليست (لمّا) ها هنا بمعروفة في اللغة وذلك أنها على أوجه:

---

(١) الزمر: ٣٣.
(٢) المحتسب ١: ١٨٥.
(٣) آل عمران ٨١.

تكون حرفاً جازماً لقوله تعالى: ﴿ولمّا يعلم الله الذين جاهدوا منكم﴾(1)، وتكون ظرفاً في نحو قوله: ﴿ولمّا توجه تلقاء مدين﴾(2).

وتكون بمعنى إلاّ في نحو قولهم: أقسمت عليك لما فعلت أي إلا فعلت، ولا وجه لواحدة منهن في الآية.

وأقرب ما فيه أن يكون أراد: وإذْ أخذ الله ميثاق النّبيين لمن ما آتيناكم، وهو يريد قراءة العامة: «لَمَا أتيناكم» فزاد (مِن) على مذهب أبي الحسن في الواجب فصارت لمما فلما التقت ثلاث ميمات، فثقلن حذفت الأولى منهن، فبقي لمّا مشدداً كما ترى»(3).

٦ ــ زيادة التاء

من ذلك قراءة ابن هرمز: ﴿لولا أن تدّاركه﴾(4) مشدّدة قال أبو الفتح: روى هذه القراءة أبو حاتم عن الأعرج لا غير، وقال بعضهم: سألت عنها أبا عمرو فقال: لا أدرى، قال أبو حاتم: لا يجوز ذلك، لأنه فعل ماض، وليست فيه إلا تاء واحدة ولا يجوز: تتداركه، وهذا خطأ منه أو عليه.

قال أبو الفتح: «قول أبي حاتم هذا خطأ لا وجه له» وذلك أنه يجوز على حكاية الحال الماضية المنقطعة، أي لولا أن كان يقال فيه: تتداركه، كما تقول زيد سيقوم أي كان متوقعاً منه القيام فكذلك هذا: لولا أن يقال: تتداركه نعمة من ربه لنبذ بالعراء.

---

(1) آل عمران: ١٤٢.
(2) القصص: ٢٢.
(3) المحتسب ١: ١٦٤.
(4) القلم: ٤٩.

ومثله ما أنشدناه أبو علي وهو رأيه وتفسيره من قوله:

فـإن تقتـلونـا يـوم حرّة واقمٍ   فلسنا على الإسلام أول من قُتِلْ

أي: «فإن تكـونـوا الآن معـروفـاً هـذا من خلالكم فيمـا مضى، فلسنـا كذا»[1].

هـذا: وقد تعـرض مكي بن أبي طـالب لبعض القـراءات المنسـوبـة إلى الأعرج في موضوع مشكلات إعراب القرآن مـرة أخرى بعـد أن عرض لـه في مـوضوع الكشف عن وجـوه القراءات السبـع وفيما يبـدو أن منهجـه في كتـابـه «مشكل إعـراب القـرآن» يختلف عن منهجـه في «الكشف عن علل القراءات»، لأنه في مشكل إعـراب القرآن يميـل إلى الإيجاز ويتجنب الاستـطراد، ويبتعد عن روايـات القراءات ونسبتهـا ويكتفي فقط ببيان الآيـات التي أشكل إعـرابهـا يقـول «فقصـدت في هـذا الكتـاب إلى تفسير مشكـل الإعـراب، وذكـر علله وصعبه ونادره،ليكون خفيف المحمل سهل المأخـذ، قريب المتنـاول لمن أراد حفظه والاكتفـاء به»[2].

ويقول في موضع آخر: «بمعـرفة حقـائق الإعراب تعـرف أكثر المعـاني، ويتجلى الإشكـال وتظهـر الفـوائـد، ويفهم الخـطاب وتصـح معـرفـة حقيقـة المراد»[3].

---

(١) المحتسب ٢ : ٣٢٦.

(٢) مشكل إعراب القرآن: ٢ .

(٣) شكل اعراب القرآن : ٢ .

مشكلات إعراب قراءات لإبن هرمز

١ ـ النصب بأن المضمرة

قال مكي: قوله تعالى: ﴿فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء﴾[1] من جزم من القراء عطفه على (يحاسبكم) الذي هو جواب الشرط.

وروى عن ابن عباس والأعرج أنهما قرآ بالنصب على إضمار «أن»وهو عطف على المعنى كما قدمناه [2].

٢ ـ حذف الخبر

قال مكي: قوله تعالى: ﴿فواحدة﴾[3] من نصبه فمعناه: «فانكحوا واحدة» وقرأ الأعرج بالرفع على معنى: فواحدة تقنع، فهو ابتداء محذوف الخبر [4].

٣ ـ العطف

قال مكي: قوله تعالى ﴿يا جبال أوِّبي معه والطير﴾[5]: قرأه الأعرج

---

(١) البقرة: ٢٨٤.

(٢) مشكل إعراب القرآن ١/١٣١.

(٣) النساء ٣.

(٤) مشكل إعراب القرآن ١: ١٨٠.

(٥) سبأ: ١٠.

«والطير» بالرفع، عطفه على لفظ الجبال على تقدير: يا أيها الجبال، ويا أيها الطير أوبي معه أو سبحي معه[1].

٤ ـ حذف الخبر

قرأ مجاهد والأعرج: ﴿وقيله﴾[2] بالرفع على الابتداء، والخبر محذوف تقديره وقيله قيل يا رب، وقيل تقديره: وقيله يا رب مسموع أو متقبل ونحوه [3].

* * *

وبعد، فمن هذه الخطوط العريضة التي رسمتها للأعرج نتبين في وضوح أن الرجل أسهم في بناء العربية لأنه كان امتداداً لرسالة أستاذه أبي الأسود في النهوض بالعربية وتطور القواعد النحوية من ناحية، ولأنه بقراءاته المتعدّدة أسهم في قيام دراسات نحوية شغلت أذهان النحاة بما دار حولها من مناقشات، وما أثارته من محاورات في ميدان النحو واللغة من ناحية أخرى.

---

(١) مشكل إعراب القرآن ٢ : ٢٠٤.

(٢) الزخرف : ٨٨.

(٣) مشكل إعراب القرآن : ٢ : ٢٨٥.

٣ ـ نصر بن عاصم

الزبيدي في كتابه «طبقات النحويين واللغويين» يضع نصر بن عاصم على رأس الطبقة الثانية، وعبد الرحمن بن هرمز يضعه في طبقة أبي الأسود مع أن عبد الرحمن بن هرمز توفي ١١٧ هـ، ونصر بن عاصم توفي سنة تسع وثمانين، وقيل: سنة تسعين[١].

على أية حال، فان سنة الوفاة ليست حاسمة في التاريخ الزمني للرجال، فان نصر بن عاصم كما ذكر ابن سلام أخذ عن يحيى بن يعمر مع أن يحيى توفي سنة ١٢٩ هـ[٢] أي بعد وفاة عاصم بثلاثين سنة، وهذا يؤكد التداخل الزمني في مجال الأستاذية فقد يمتدّ عمر الأستاذ على حين يكون عمر التلميذ قصيراً.

على أني أميل إلى الأخذ برواية (طاش كبرى زاده) إذ ذكر أن يحيى بن يعمر توفي قبل سنة تسعين [٣].

والذي نستطيع أن نثبته أن نصر بن عاصم كان من الرعيل الأول إذ أسهم في الحركة النحوية مع أستاذه أبي الأسود الدؤلي، وقد وصفه

---

(١) معجم الأدباء ١٩: ٢٢٤.

(٢) طبقات النحويين واللغويين ٢٩.

(٣) مفتاح السعادة ٢: ٢٤.

السيوطي في (البغية) بأنه من قدماء التابعين[1]، ولهذا فإن بعض الرواة نسب اليه أنه أول من وضع العربية [2].

وتلمذته لأبي الأسود لم تكن محض استنتاج لأن الرواة نصوا على أن نصر بن عاصم «عرض القرآن على أبي الأسود»[3].

ويزيد (ياقوت) أن نصر بن عاصم كان «يسند إلى أبي الأسود الدؤلي في القرآن والنحو»[4].

* * *

مكانته في النحو واللغة

القارىء لمقدمة الزبيدي في طبقاته يرى أنه ينظم نصر بن عاصم في سلك هؤلاء الرجال الذين وضعوا للنحو أبواباً، وأقاموا له بناء، وشيّدوا له أسساً، وهؤلاء الرجال هم: أبو الأسود، ونصر بن عاصم، وعبد الرحمن بن هرمز يقول: «فكان أول من أصّل ذلك، وأعمل فكره فيه أبو الأسود ظالم ابن عمرو الدؤلي، ونصر بن عاصم، وعبد الرحمن بن هرمز فوضعوا للنحو أبواباً، وأصلوا له أصولاً، فذكروا عوامل الرفع والخفض والجزم، ووضعوا باب الفاعل، والمفعول، والتعجب، والمضاف.

وكان لأبي الأسود في ذلك فضل السبق وشرف التقدم، ثم وصل ما أصلوه من ذلك التالون لهم والآخذون عنهم، فكان لكل واحد منهم من الفضل بحسب ما بسط من القول، ومدّ من الفتق من المعاني وأوضح من الدلائل، وبين من العلل[5].

---

(١) بغية الوعاة: ٢ : ٣١٣.

(٢) طبقات النحويين واللغويين : ٢٧.

(٣) مفتاح السعادة: ٢ : ٢٤.

(٤) معجم الأدباء : ١٩ : ٢٢٤.

(٥) طبقات النحويين واللغوين: ٢١، ٢٢.

من هـذا النص يوضـح لنا الـزبيـدي أن نصـر بن عـاصم ركن من أركـان هذه الحركة وعلمٌ من أعلامها البارزين.

ومما يدل على مكانته في مجال النحو واللغـة أن عمرو بن دينـار قدم لنـا روايـة توضـح هذه المكـانة، وتبين قـدر الرجـل قال «اجتمعت أنـا والـزهـري ونصر بن عاصم فتكلم نصر، فقال الزهري: إنه ليفلّق العربية تفليقاً» [1].

كتابه في العربية

الحركة التأليفية في النحـو العربي واللغـة في القرن الأول الهجـري هـي حركة مبكرة بالنسبة إلى الحركات الأخرى في المجالات العلمية المختلفة.

أما كتاب نصر بن عاصم في العربية فقـد أشار إليـه ياقـوت في معجمه إذ يقول: «وله كتاب في العربية» [2] والسيوطي في (البغية) ينقل نص يـاقوت في أن له كتاباً في العربية [3].

ونصر بن عاصم في المجـال التأليفي في علم النحـو مسبوق بـأبي الأسود الدؤلي في رواية لأبي القـاسم الزجـاجي حين ذكر العلة في تسميـة هذا النـوع من العلم نحـواً.

فيقـول: «السبب في ذلـك مـا حكي عن أبي الأسـود الـدؤلي أنـه لمـا سمـع كلام المـولدين بـالبصرة من أبنـاء العرب أنكـر ما يـأتون بـه من اللحن لمشفـاهتهم الحاضـرة، وأبناء العجم» إلى أن يقـول: «وهمَّ أن يضع كتـابـاً يجمـع فيه أصـول العـربيـة فمنعـه من ذلك (زيـاد) وقـال: لا نؤمن أن يتكـل النـاس عليه ويتـركوا اللغـة، وأخـذ الفصـاحـة من أفـواه العـرب إلى أن نشـأ

---

(١) طبقات النحويين واللغويين: ٢٧.

(٢) معجم الأدباء: ١٩ ـ ٢٢٤.

(٣) البغية ٢: ٣١٣.

اللحن وكثر وقبح فأمره أن يفعل ما كان نهاه عنه، فوضع كتاباً فيه جمل العربية ثم قال لهم : انحوا هذا النحو، أي اقصدوه، والنحو : القصد فسمي نحواً»[1].

وفي حديثي السابق عن أبي الأسود ذكرت أن الذي وضع هذا الكتاب هو عليّ كرم الله وجهه حينما دخل عليه أبو الأسود فرآه مطرقاً مفكراً فسأله عن سبب تفكيره، فقال : إني سمعت ببلدكم هذا لحناً فأردت أن أضع كتاباً في أصول العربية فقال أبو الأسود : إن فعلت هذا يا أمير المؤمنين أحييتنا وبقيت فينا هذه اللغة [2].

وسواء وضع أصول هذا الكتاب عليّ كرم الله وجهه أو أبو الأسود فالواضح أن حركة التأليف في النحو بدأت مبكرة مع نشأته وأن كتاب نصر بن عاصم ما هو إلا امتداد للكتاب السابق.

* * *

المصطلحات النحوية

مما لاشك فيه أن بذور المصطلحات النحوية وضعت في الكتاب الذي صنعه (عليّ) أو ألفه (أبو الأسود) كما بينا سابقاً، وأخذت هذه المصطلحات تنمو وتزداد ففي عهد نصر بن عاصم نسمع مصطلح (التنوين) وهو إضافة جديدة إلى المصطلحات السابقة التي أشرنا إليها. فعن خالد الحذاء قال : سألت نصر بن عاصم : كيف تقرأ ﴿ قل هو الله أحد الله الصمد ﴾فلم ينون، فأخبرته أن عروة ينون فقال : بئسما قال «وهو للبئس أهل، فأخبرت عبد الله ابن أبي إسحاق بقول نصر بن عاصم، فما زال يقرأ بها حتى مات ».

* * *

---

(١) معجم الأدباء: ١٤/٤٩.

(٢) طبقات النحويين واللغويين للزبيدي: ٢٧.

جهود نصر بن عاصم في الدراسات القرآنية

وقد اشترك نصر بن عاصم مع غيره من علماء عصره في عدّ حروف القرآن وهي ظاهرة تدل على اهتمام الولاة والعلماء بالقرآن الكريم، وإقامة دراسات حوله مبكرة، وهي دراسات إحصائية قامت في حقل الدراسات العلمية قبل الدراسات الإحصائية التي كانت قائمة على قدم وساق في الحقل القرآني في العصور المتأخّرة .

يذكر الرواة أن الحجاج بن يوسف بعث إلى قراء البصرة فجمعهم واختار منهم الحسن البصري، وأبا العالية، ونصر بن عاصم، وعاصماً الجحدريّ، ومالك بن دينار رحمة الله عليهم، وقال : عدوا حروف القرآن، فبقوا أربعة أشهر يعدون بالشعير فأجمعوا على أنّ كلماته سبع وسبعون ألف كلمة وأربعمائة وتسع وثلاثون كلمة، وأجمعوا على أن عدد حروفه ثلاثمائة ألف وثلاثة وعشرون ألفاً وخمسة عشر حرفاً » [١].

* * *

إزالة شبهة في تنقيط المصحف

هناك روايات تثبت أن نصر بن عاصم أول من نقط المصاحف، ويقال له : نصر الحروف [٢] وهذه الروايات تلتبس بما أجمع عليه الرواة أن أول من نقط المصحف هو أبو الأسود الدؤلي .

الواقع أن هناك فارقاً بين تنقيط أبي الأسود وتنقيط نصر بن عاصم فأبو الأسود نقط المصحف تنقيط إعراب ونصر بن عاصم نقط المصحف تنقيط إعجام .

---

(١) البرهان في علوم القرآن ١/٢٤٩ .

(٢) المرجع السابق: ص ٢٥١ .

وبيان ذلك أن ابن خلكان قدم لنا رواية عن أبي أحمد العسكري في كتابه (التصحيف) فقال : « إن الناس غبروا يقرأون في مصحف عثمان بن عفان رضي الله عنه نيفاً وأربعين سنة إلى أيام عبد الملك بن مروان ثم كثر التصحيف، وانتشر بالعراق ففزع الحجاج بن يوسف إلى كُتّابه، وسألهم أن يضعوا لهذه الحروف المتشابهة علامات فيقال : إن نصر بن عاصم قام بذلك فوضع النقط أفراداً وأزواجاً، وخالف بين أماكنها فغبر الناس زمانا لايكتبون إلا منقوطاً، فكان مع استعمال النقط أيضاً يقع التصحيف فأحدثوا الإعجام فكانوا يتبعون النقط الإعجام، فإذا أغفل الاستقصاء عن الكلمة فلم توف حقوقها اعترى التصحيف فالتمسوا حيلة فلم يقدروا فيها إلا على الأخذ من أفواه الرجال بالتلقين »(١).

والناظر لهذا النص قد يظن أن المراد بالنقط الحركات التي أحدثها أبو الأسود الدؤلي وهي حركات الإعراب ولكن يمنع هذا الظن عبارة : « وضع النقط الذي قام به نصر بن عاصم أفراداً وأزواجاً» ومن البديهي أن هذا لا يتناسب مع شكل الحركات التي قام بها أبو الأسود الذي يقال : إنه أحضر كاتبه فقال له : « إذا رأيتني قد فتحت فمي بالحرف فانقط نقطة فوقه إلى أعلاه، وإن ضممت فمي فانقط نقطة بين يدي الحرف، وإن كسرت فاجعل النقطة من تحت الحرف (٢).

وقد وضع جرجي زيدان النقاط على الحروف حينما أزال هذه الشبهة بقوله : « الظاهر أن النقط المذكورة هي من قبيل الإعجام لتمييز الحروف المتشابهة، ولكن نصراً هذا لم ينقط إلا بضعة حروف مما يكثر وروده، ويخشى الالتباس فيه ، ثم رأوا القراءة لا تضبط إلا بتنقيط كل الحروف كما

---

(١) وفيات الأعيان ١ : ١٢٥ .

(٢) نزهة الألباء: ١٢ .

هي الآن، وهذا ما عبروا عنه بالإعجام »[1].

وبهذا التفسير وضحت رواية ابن خلكان، واستبان غموضها.

رأيه السياسي

وكان نصر بن عاصم من الموالين للخوارج لأنّه يرى رأيهم، ولعل أحداث عصره غيرت من رأيه فلم يستمر على ولائه للخوارج، فتنكر لهم، وترك مذهبهم وقال في تركه أبياتاً:

فارقت نجْدة والذين تزرّقوا — وابن الزبيرَ وشيعة الكَرّابي
وهوى النِّجاريّين قد فارقته — وعطيّة المتجبّر المُرتابِ[2]

أثر ابن عاصم في الدراسة النحوية

على الرغم من مكانته في العربية وأنه كان يفلّقها كما يقول الرواة فإنه أثاره بالنسبة لمعاصره ابن هرمز تعد قليلة، فابن هرمز ترك لنا قراءات متعدّدة كانت محور دراسة كما قلت سابقاً، ولكن نصر بن عاصم مع أنه من القراء فإن النحاة المتأخرين الذين ألفوا في القراءات، والاحتجاج لها، ومشكلات إعرابه لم يتناولوا من قراءات نصر إلا قراءات معدودة .

١ ـ **القراءة الأولى** : كان يشاركه فيها أبو الأسود وهي قراءة ﴿ تثنوني صدورهم﴾[3] وقد ذكرتها سابقاً عند ترجمة أبي الأسود.

---

(١) تاريخ التمدن الاسلامي ٣/٥٦. وانظر قضية إعجام القرآن الكريم في كتابي القرآن الكريم وأثره في الدراسات النحوية ص٣١، ٣٧، ٣٨.

(٢) معجم الأدباء ١٩ : ٢٢٤.

(٣) هود: ٥.

٢ ــ القــراءة الثـانيــة قراءة انفرد بها وهي : بعذاب بأس [(١)]

وقـد دافـع عنهـا أبـو الفتح ،ووجـد لهــا حجـة في اللغــة إذ يقـول قــرأ نصر بن عاصم « بعذاب بأس »قـال أبو الفتـح وأما (بـأْس) فتخفيف (بَئِس) كقولك في : سَئِم : سَأْم، وفي عَلِم : علْم » [(٢)].

٣ ـ القــراءة الثـالثــة: ﴿ أفمن أَسَسُ بُنيانه ﴾ [(٣)]

من ذلك قراءة نصـر بن عاصـم : « أفمن أَسَسُ بنيـانه » في وزن فَعَـل قال أبو الفتح :

يقـال : هو أسّ الحـائط وأساسـه فُعْل وفَعـال وقـد قـالـوا لـه : أَسّ بفتـح الألف، وقـد أس البنـاء بؤسـه أسًّا إذا بنـاه على أسـاس، وقـالـوا في جمــع أسّ : آساس كقُفْل وأقفال، وقالـوا في جمع أســاس : إساس وأُسُس ـ ونـظير أساس وإساس : نـاقة هِجـان ونوق هِجـان، ودرج دلاص [(٤)] وأدرع دلاص، وإن كان هذا مكسور الأول فإن فَعالاً وفِعالاً تجريان مجرى المثال الواحد [(٥)].

وهذا وتوفي نصر بن عاصم سنة تسع وثمانين [(٦)] .

* * *

---

(١) الأعراف: ١٦٥ .

(٢) المحتسب: ١ : ٢٦٥ ، ٢٦٦ .

(٣) التوبة: ١٠٩ .

(٤) الدلاص: الملساء.

(٥) المحتسب : ١ : ٣٠٣.

(٦) البغية ٢ : ٣١٤.

يحيى بن يَعْمُرَ

كنيته : أبو سليمان العدواني،من عدوان بن قيس بن عيلان الوَشْقِيُّ البصري تابعي (1).

والزبيدي في طبقاته يقول : (كان عداده في بني ليث) (2) ويذكر الزبيدي أيضاً أن قبيلة هذيل المشهورة كانت « تدعي أن يحيى بن يعمر حليفهم » (3).

* * *

أخلاقه وصفاته

قال عنه الزبيدي « كان مأموناً عالماً » (4) وقال عنه ياقوت : « وثّقه النسائي وأبو حاتم وغيرهما » (5) ويبدو أن يحيى كان جريئاً في الحق لا يخشى فيه لومة لائم، وهذهالجراءة دفعته إلى أن يذكر الحقيقة للحجاج في صراحة ووضوح لا يبالي بما يحدث له من أجلها ،فلما بنى الحجاج

(1) معجم الأدباء : ٢٠: ٤٢ .
(2) طبقات النحويين واللغويين: ٢٧ .
(3) المصدر نفسه والصفحة.
(4) المصدر نفسه والصفحة.
(5) معجم الأدباء: ٢ : ٤٢.

(واسط) سأل الناس : ما يعيبها: قالوا : ما نعرف عيباً، وسندلك على من يعرف عيبها يحيى بن يعمر، فبعث إليه، فسأله : فقال بنيتها من غير مالك، ويسكنها غير ولدك، فغضب الحجاج، وقال : ما حملك على ذلك ؟ قال ما أخذ الله تعالى على العلماء في علمهم أن لا يكتموا الناس حديثاً فنفاه إلى خراسان » (1) .

روايته وعلمه

تلقى الرواية كما يذكر الزّبيدي عن ابن عمر، وابن عباس وغيرهما (2) .

وابن يعمر لم يكن عالماً بالنحو واللغة فحسب لأن كتب الطبقات ذكرت أنه « كان عالماً بالقراءة والحديث، والفقه والعربية ولغات العرب » (3) .

ورجل برز في هذه المجالات جميعاً يدل على أنه جهاز استقبال لثقافة عصره السائدة قراءة وفقهاً، حديثاً ونحواً .

جهوده في الدراسات القرآنية

هناك روايات تشير إلى أن يحيى بن يعمر نقط المصحف، فقد روى (خالد الحذاء) قال : كان لابن سيرين مصحف منقوط نقطه يحيى بن يعمر (4).

وابن عطية يرى أن الحجاج «أمر الحسن ويحيى بن يعمر بذلك»(5) يقصد تنقيط المصحف .

---

(1) مفتاح السعادة ١ : ١٥٠ .

(2) طبقات النحويين واللغويين للزبيدي ٢٨ .

(3) معجم الأدباء ٢٠ : ٤٢ .

(4) طبقات النحويين واللغويين ٢٩ ، والبرهان للزركشي ٢ : ٢٥١ .

(5) مقدمتان في علوم القرآن ٢٧٦ .

وقد قلت سابقاً في ترجمتي لنصر بن عاصم، إنه نقط المصحف تنقيط إعجام.

وفي رأيي أن هذه الروايات غير متضاربة « لأن هذه الروايات تنسب تنقيط المصحف إلى أربعة رجال: الحسن ويحيى بن يعمر، ونصر بن عاصم، وأبو الأسود، فلم لا يقال: إن أبا الأسود قام بتنقيط المصحف حينما رأى اللحن فاشياً، وهذا التنقيط للإعراب، ثم اشترك تلميذاه نصر بن عاصم ويحيى بن يعمر ومعهما الحسن فيما بعد في إدخال الإصلاح الثاني وهو: وضع النقط أفراداً وأزواجاً لتمييز الحروف المتشابهة فمن قال: إن أبا الأسود هو أول من نقط المصحف كان قوله صحيحاً، ومن قال: إن نصر بن عاصم أو يحيى بن يعمر هو الذي فعل ذلك لم يخرج عن الصواب، لأن كلاًّ منهما اشترك في هذا العمل الخطير الذي لا ينهض به فرد بل يحتاج إلى جهود أفراد »[1].

وابن يعمر كان يعلم أن رسم المصحف يحتمل قراءات لا تنتمي إلى لغة قريش لأن ابن خالويه يسند إليه وإلى عائشة رضي الله عنها هذا الخبر في قراءة: ﴿ إن هذان لساحران ﴾[2] روي عن عائشة ويحيى بن يعمر أنه لما رفع المصحف إلى عثمان قال: أرى فيه لحناً، وستقيمه العرب بألسنها فإن قيل: فعثمان كان أولى بتغيير اللحن، فقل: ليس اللحن هذا خطأ الصواب وإنما هو خروج عن لغة قريش إلى لغة غيرهم»[3].

ولاهتمام ابن يعمر بالدراسات القرآنية روى ابن الانباري هذا النص « عن عقيل عن يحيى بن يعمر أن أبا ذر الغفاري قال:

---

(١) القرآن الكريم وأثره في الدراسات النحوية للمؤلف ٣٨.
(٢) طه: ٦٣.
(٣) الحجة لابن خالويه ٣١٩.

تعلّموا العربية في القرآن كما تعلّمون حفظه » (1).

ومن فهمه للقرآن الكريم، ومعرفته بمعانيه، ووقوفه على أسراره انتصاره على الحجاج في قصة رائعة ساقها صاحب العقد الفريد عن الأصمعي قال بعث الحجاج إلى يحيى بن يعمر فقال له أنت الذي تقول :

إن الحسين بن عليّ ابن عم رسول الله ﷺ؟ لتأتيني بالمَخْرج مما قلت أو لأضربنّ عنقك، فقال له ابن يعمر : وإن جئت بالمخرج فأنا آمن قال : نعم قال : اقرأ :﴿ وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه ﴾ إلى قوله : ﴿ ومن ذرّيته داود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى ﴾ إلى قوله ﴿ وعيسى ﴾ (2) فمن أقرب : عيسى بن إبراهيم وما هو ابن بنته أو الحسين من محمد ﷺ ؟

فقال له الحجاج: والله لكأني ما قرأت هذه الآية قط وولاه قضاء بلده»(3) .

جهوده في الدراسة النحوية

أخذ يحيى بن يعمر النحو عن أبي الأسود الدؤلي، وقد ضم جهوده إلى جهود معاصريه فنما النحو على أيديهم، وازدادت مسائله.

ولحرص يحيى بن يعمر على الانتفاع بمسائل النحو فقد كان يسجل كل ما يسمعه من أستاذه أبي الأسود. وهذا القول ليس من السهل قبوله في نظر بعض الدارسين،لأن كتابة المسائل العلمية لم تظهر إلا في القرن الثاني عندما كان العلماء يقصدون حلقاتهم ويملون على تلاميذهم المسائل العلمية في مجالاتها المختلفة.

والواقع كما قلت سابقاً: إن التأليف النحوي ظهر مبكراً بدليل الكتاب

---

(1) إيضاح الوقف والابتداء: ٢٣ .

(2) الأنعام: ٨٣، ٨٤، ٨٥.

(3) العقد الفريد: ٢ : ١٧٥ .

المختصر الذي نسب إلى أبي الأسود أو الصحف التي كتبها عليّ كرم الله وجهه ودفع بها إلى أبي الأسود لينشرها في الناس ويزيد عليها ما يرى زيادته.

أما الكتابة عن الأستاذ في هذا الوقت المبكر فقد أشارت إليه هذه القصة: فقد روى محمد بن إسحاق «أنه كان بمدينة الحديثة رجل يقال له محمد بن الحسين.. جماعة للكتب له خزانة لم أر لأحد مثلها كثرة تحتوي على قطعة كبيرة من الكتب العربية في النحو واللغة والأدب والكتب القديمة.

قال محمد بن إسحاق: فلقيت هذا الرجل دفعات، فأنس بي وكان نفوراً ضنيناً بما عنده خائفاً من بني حمدان، فأخرج لي قِمَطْراً كبيراً. ورأيت فيه ما يدل على أن النحو عن أبي الأسود ما هذه حكايته، وهي أربعة أوراق أحسبها من ورق الصين ترجمتها: هذه فيها كلام في الفاعل والمفعول من أبي الأسود رحمه الله بخط يحيى بن يعمر»(1).

ألا يدل هذا النص على أن يحيى بن يعمر كان يسجل ما يقوله أستاذه بخطه ليكون هذا التسجيل صيانة لمسائل هذا العلم عن الضياع؟.

* * *

مكانته في النحو واللغة

يذكر يونس بن حبيب أن الحجاج قال لابن يعمر: «أتسمعني ألحن على المنبر: قال الأمير أفصح من ذلك فألح عليه فقال حرفاً قال: أيّاً؟ قال في القرآن. قال الحجاج: ذلك أشنع له فما هو؟.

قال: تقول: ﴿قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم﴾(2) إلى قوله عز وجل ﴿أحب﴾

---

(1) الفهرست لابن النديم: ٦١ المطبعة الرحمانية بتصرف.

(2) التوبة: ٢٤.

فتقرؤها (أحب) بالرفع،والوجه أن تقرأ بالنصب على خبر (كان) قال: لا جرم لا تسمع لحناً فألحقه بخراسان وعليها يزيد بن المهلب»[1].

ونحن إذا نظرنا إلى هذا النص الذي ساقه يونس في نفيه إلى خراسان وإلى ذلك النص السابق الذي ينص على أنه نفي إلى خراسان بسبب ما وعظه به حينما بنى مدينة واسط، أقول إذا نظرنا إلى هذين النصين نجد أن النفي إلى خراسان كان بسبب حادثتين مختلفتين: العظة ؟ واللحن في القرآن.

والذي آراه أنَّ لحن الحجاج قصة مستفيضة في كتب الطبقات والتاريخ ولعل قصة العظة سبقت لتدل على مكانة يحيى بن يعمر بين علماء عصره وأنه كان جريئاً في الحق لا يخشى سطوة الحجاج وهو من هو في جبروته وطغيانه ولا أدل على ذلك من قول الحجاج له: ما حملك على ذلك؟ قال: ما أخذ الله تعالى على العلماء في علمهم ألاّ يكتموا الناس حديثاً»[2].

على أية حال كانت نستطيع أن نلحظ في قصة لحن الحجاج موقفين: موقف اللاّحن وهو موقف غير مشرف بالنسبة للحجاج وبخاصّة في مجال القرآن الكريم وموقف الناقد لهذا اللحن الكاشف لعواره وهو موقف مشرف ليحيى بن يعمر حينما يذكر الحجاج بخطئه، ويبيّن له مواقع لحنه، ولكن اللحن ظاهرة خطيرة في المجتمع العربى إذ ذاك، ويحاول الحجاج أن يبعد عواره عنه حتى لا ينتشر أمر هذا اللحن،فيقل قدره بين رجالات عصره، والعقاب الحاسم هو التخلص من ذلك الناقد النحوي ليعيش بعيداً حتى لا يتتّبع سقطات الخلفاء والولاة.

* * *

---

(١) طبقات النحويين واللغويين ٢٨ .

(٢) مفتاح السعادة ١ : ١٥٠ .

مصطلحاته النحوية

ومن قصته مع الحجاج استطعنا أن نضع أيدينا على بعض المصطلحات النحوية الجديدة التي أشار اليها يحيى في ردّه على الحجاج.

من هذه المصطلحات: مصطلح (كان) حيث يقول للحجاج: «والوجه أن تقرأ بالنصب خبر كان»، وذلك مصطلح (النصب).

ومنها مصطلح الرفع حينما قال له: فتقرؤها «أحب» بالرفع.

أليست هذه المصطلحات هي الجذور الأولى التي نمت وأزهرت وازدهرت وأتت أُكلها في عصر سيبويه؟.

علمه بالغريب

ولم يكن يحيى بن يعمر إلا صورة صادقة لثقافة عصره، لأن هذه الثقافة كانت ممتزجة مختلطة وبخاصة في حقل النحو واللغة، فليس هناك فواصل أو حدود بين هذين الحقلين.

أما علم يحيى باللغة فقد تجلّى فيما يأتي:

أ ـ علمه بالغريب، فهناك كلمات لا تصدر إلاّ من مثقف لغوي يستوعبها ويدركها، ويعرف تطورها ومواقع معانيها، وهذا لا يقدر عليه إلا علماء اللغة.

وهذه أمثلة تدل على تمكنه من الغريب:

١ ـ كتب يزيد بن المهلب الى الحجاج ما نصّه: «إنا لقينا العدو فمنحنا الله أكتافهم، أسرنا طائفة، وقتلنا طائفة، واضطررناهم إلى عُرعُرة الجبل، ونحن بحضيضه وأثناء الأنهار» فلما قرأ الحجاج الكتاب قال: ما لابن

المهلّب، ولهذا الكلام حسداً له، قيل له: «إن ابنَ يعْمَر هناك. قال: فذاك إذاً» (١).

٢ ـ وقال يحيى بن يَعْمَر لرجل خاصمته امرأته: «أأَن سألتك ثمن شَكْرِها وشَبْرِك أنشأت تَطُلُّهاوتَضْهلُها» (٢).

٣ ـ حكى ابن دريد: «أن يحيى بن يعمر اشترى جارية خراسانية ضخمة فدخل عليه أصحابه فسألوه عنها فقال: نعم المِطَخَّة»(٣).

٤ ـ حدثنا الأصمعي قال: «حدثنا عيسى بن عمر قال: خاصم رجل رجلاً إلى ابن يعمر فقال أصلحك الله: إنه باعني غلاماً بيّاقاً، فقال يحيى: لو قلت أبوقاً؟ قال أبو حاتم: كذا الصواب رجل أبوق وأبّاق وآبق: يقال آبَق بأبِق، والعامة تقول: يأبَق، وهو خطأ»(٤).

٥ ـ ويستدل يحيى بن يعمر على الغريب بشواهد الشعر التي يرويها في مجاله، يذكر ابن الأنباري أن يحيى بن يعمر الليثي يروي عن عكرمة أن قوله تعالى: ﴿ذواتا أفنان﴾(٥) يراد بهما ذواتا ظل وأغصان، ألم تسمع إلى قول الشاعر:

ما هاج شوقك من هديل حمامة   تدعو على فَنَن الغصون حماما(٦)
تدعو أبا فَرْخين صادف طائراً   ذا مخلبين من الصقور قطاما

---

(١) طبقات النحويين واللغويين ٢٨.

(٢) المرجع نفسه والصفحة، والشكر: الفرج، الشبر: النكاح. تطلها: تذهب بحقها، تضهلها: تنقص من حقها (هامش الطبقات).

(٣) المرجع نفسه ص ٢٩. الطخ: كناية عن النكاح

(٤) المرجع نفسه ص ٢٩.

(٥) الرحمن: ٤٨.

(٦) إيضاح الوقف والابتداء ٦٥.

أثر يحيى بن يعمر في الدراسات النحوية

ترك يحيى بن يعمر في حقل القراءات القرآنية مجموعة من القراءات تناولها النحاة المأخرون بالدراسة والبحث، ولا شك في أنّ هذه الدراسات - كما قلت سابقاً - أثرت في النحو العربي، وزادت من مسائله، وأكثرت من قضاياه.

فمن القراءات المنسوبة إلى يحيى بن يعمر ما يأتي:

١ - قال مكي بن أبي طالب: قرأ يحيى بن يعمر ﴿وإلَه أبيك﴾[١] بلفظ الواحد، فيحتمل أن يكون واحداً و(إبراهيم) بدل منه، وإسماعيل وإسحاق عطف عليه. ويحتمل ان يكون (أبيك) هو جمع مسلّم فيبدل ما بعده من الأسماء منه، أو ينصب (إبراهيم) على إضمار: (أعني) ويعطف عليه ما بعده،وهي أسماء لاتنصرف للعجمة والتعريف »[٢].

٢ - وقال مكي قرأ يحيى بن يعمر: ﴿هذا ذكر من معي وذكر من قبلي﴾[٣] بالتنوين على تقدير حذف تقديره: «هذا ذكر» من الذي معي مما أنزل إليّ مما هو معي، وذكر«من قبلي». قال أبو إسحاق: يريد بقوله: «من معي»: من الذي عندي، ومن الذي قبلي،ثم بين فقال: ﴿وما أرسلنا من قبلك﴾ الآية[٤].

وقراءات يحيى بن يعمر تناولها ابن جني في المحتسب، ودافع عنها وبين سلامتها من الوجهة النحوية. من ذلك:

---

(١) البقرة: ١٣٣.

(٢) مشكل إعراب القرآن ١/٧٧.

(٣) الأنبياء: ٢٤.

(٤) مشكل إعراب القرآن: ٢: ٨٢، ٨٣.

١ ـ التجريد:

قراءة ابن يعمر وأبي حرب بن أبي الأسود ﴿يرثُني وارثٌ من آل يعقوب﴾[١]. قال أبو الفتح: هذا ضرب من العربية غريب، ومعناه: التجريد، وذلك أنك تريد: فهل لي من لدنك وليّاً يرثني منه أو به وارث من آل يعقوب، وهو الوارث نفسه، فكأنه جرّد منه وارثاً.

ومثله قول الله تعالى: ﴿لهم فيها دار الخلد﴾[٢] فهي نفسها دار الخلد، فكأنه جرد من الدار داراً وعليه قوله الأخطل:

بنزوةِ لصٍّ بعدما مرّ مُصعب　　بأشعثِ لا يُفْلى ولا هو يَقْمَلُ

ومصعب نفسه هو الأشعث، فكأنه استخلص منه (أشعث) .

ومثله قول الأعشى:

. . . .　أم مَنْ　　جاء منها بطائف الأهوال

وهي نفسها طائف الأهوال، وقد أفردنا لهذا الضرب من العربية باباً من كتاب (الخصائص) فاعرفه فإنه موضع لطيف طريف [٣].

٢ ـ في الظرف: «قبل» و«دبر».

من ذلك قراءة ابن يعمر: ﴿من قُبُلُ﴾ و﴿من دُبُرُ﴾[٤] بثلاث ضمات من غير تنوين قال أبو الفتح: ينبغي أن يكونا غايتين كقول الله سبحانه: ﴿لله الأمر من قبلُ ومن بعدُ﴾[٥] كأنه يريد: وقدّت قميصه من دبره، وإن كان

---

(١) مريم: ٦.
(٢) فصلت: ٢٨.
(٣) المحتسب ٢/٣٨.
(٤) يوسف: ٢٦، ٢٧.
(٥) الروم: ٤

قميصه قد من قبله، فلما حذف المضاف إليه أعني الهاء، وهي مرادة صار المضاف غاية نفسه بعدما كان المضاف إليه غاية له.

وهذا حديث مفهوم في قول الله سبحانه: ﴿من قبلُ ومن بعدُ﴾ فبنى هنا كما بنى هناك على الضم، ووكّد البناء أن (قبل) ودبر يكونان ظرفين ألا ترى إلى قول الفرزدق:

يطاعن قبل الخيل وهو أمامها ويطعن عن أدبارها إنْ تولّت

وقال الله سبحانه: ﴿ومن اللّيل فسبحه وإدبار النجوم﴾[1] فنصبه على الظرف وهو جمع دُبر[2].

٣ ــ التخفيف:

من ذلك قراءة ابن يعمر: ﴿فمرَت به﴾[3] خفيفة. قال أبو الفتح: أصله فمرّت به مثقلة كقراءة الجماعة غير أنهم نَحْو هذا تخفيفاً لثقل التضعيف.

وحكى ابن الأعرابيّ فيما رويناه عنه فيما أحسب: ظَنْت زيداً يفعل كذا[4].

ومنه قوله تعالى: ﴿وقَرْن في بيوتكن﴾[5] فيمن أخذه من القرار، لا من الوقار، وهذا الحذف في المكسور أسوغ، لأنه اجتمع فيه مع التضعيف الكسرة وكلاهما مكروه، ومنه قوله تعالى: ﴿ظَلْتَ عليه عاكفاً﴾[6] أي ظللت.

---

(١) الطور: ٤٩.
(٢) المحتسب ١: ٣٣٨.
(٣) الأعراف: ١٨٩.
(٤) المحتسب ١: ٢٦٩.
(٥) الأحزاب: ٣٣.
(٦) طه: ٩٧.

وقالوا: مَسْتُ أي مسستها. وقال أبو زيد:

خلا أن العتاق من المطايا: أَحَسْنَ به فهن إليه شُوسُ

أراد: أَحْسَسْنَ، وهذا، وإن كان مفتوحاً فإنه قد حمّل الهمزة الزائدة فازداد ثقلاً»[1].

٤ ـ الحمل على المعنى:

من ذلك قراءة يحيى: ﴿ممّن كَذبَ بآيات الله﴾[2] خفيفة الذال.

قال أبو الفتح: ينبغي أن يكون دخول الباء هنا حملاً على المعنى، وذلك لأنه في معنى: مَكَربهاً، وكفر بها، وما أكثر هذا النحو في هذه اللغة، وقد ذكرناه فيما مضى. ومنه قوله:

ألم يأتيك والأنباء تنمي بما لاقت ليون بني زياد

زاد الباء في: «بما لاقت» لمّا كان معناه ألم تسمع بما لاقت لبونهم وفيه ما أنشدناه أبو علي:

كيف ينفع ما تعطى العلوق به رئمان أنف إذا ما ضُنّ باللّبن

الحق الباء في به لما كان تعطى في معنى: ما تسمح به، ألا تراه قال في آخر البيت: «إذا ما ضن باللبن» فالضن نقيض السماحة والبذل [3].

٥ ـ حذف المبتدأ الضمير العائد على الموصول:

من ذلك قراءة ابن يعمر: ﴿تماماً على الذي أحسنُ﴾[4]

---

(١) المحتسب ١ : ٢٦٩ .

(٢) الأنعام: ١٥٧ .

(٣) المحتسب ١ / ٢٣٥ .

(٤) الأنعام: ١٥٤

قال أبو الفتح هذا مستضعف الإعراب عندنا لحذفك المبتدأ العائد على الذي لأن تقديره تماماً على الذي هو أحسن، وحذف (هو) من هنا ضعيف، وذلك أنه إنما يحذف من صلة (الذي) - (الهاء) المنصوبة بالفعل الذي هو صلتها نحو: مررت بالذي ضربت، أي ضربته، وأكرمت الذي أهنت، أي أهنته، فالهاء ضمير المفعول، ومن المفعول بُدّ، «طال الاسم بصلته»فحذفت الهاء لذلك، وليس المبتدأ بنيف ولا فضلة، فيحذف تخفيفاً لا سيما وهو عائد على الموصول، وأن هذا قد جاء نحوه عنهم، حكى سيبويه عن الخليل: ما أنا بالذي قائل لك شيئاً. أي بالذي هو قائل. وقال:

لم أر مثل الفتيان في غبن الـ ... أيام ينسوْن ما عواقبها

أي ينسون الذي هو عواقبها[1].

٦ - تركيب اللغات:

من ذلك قراءة يحيى: ﴿ما سِألتم﴾[2] بكسر السين.

قال أبو الفتح: فيه نظر وذلك أن هذه الكسرة إنما تكون في أول ما عينه معتلة أيضاً كقيل، وبيع، وحِلَّ، وبلّ، أي حُل، وبُلَ وصِعْق الرجل نحوه، إلاّ أنه لا تكسر الفاء في هذا الباب إلا والعين ساكنة أو مكسورة كنِعْم وبِئْس وصِعْق، فأمّا أن تكسر الفاء والعين مفتوحة في الفعل فلا.

فإذا كان كذلك فقراءتهما: «سِألتم» مكسورة السين مهموزة غريب، والصنعة في ذلك أن في: سأل لغتين: سِلْت تسال: كخِفت تخاف، وسألت تسأل كَسَبَحْت تسبح، فإذا أسندت الفعل إلى نفسك قلت على لغة الواو: سِلْتُ كخفت، وهي من الواو لما حكاه أصحابنا من قولهم: هما يتساولان.

---

(١) المحتسب ١: ٢٣٤ - ٢٣٥

(٢) البقرة: ٦١.

ومن همز قال: سألت، فأما قراءته: «سِألتم» فعلى أنه كسر الفاء على قول من قال: سِلْتم كخِفْتُم، ثم تنبه بعد ذلك للهمزة فهمز العين بعدما سبق الكسر في الفاء فقال: سألتم (فصار ذلك من تركيب اللغة) [1].

٧ ـ الاسم الأعجمي:

من ذلك قراءة «جَبْرَئِلّ»(٢) مشددة اللام بوزن: جَبْرَعِلّ.

قال أبو الفتح: أما على الجملة فقد ذكرنا في كتابنا هذا وفي غيره من كتبنا أن العرب إذا نطقت بالأعجمي خلّطت فيه، وأنشدنا في ذلك ما أنشدناه أبو علي من قول الراجز:

هل تعرف الدار لأم الخزرج ... منها فظَلْتَ اليوم كالمزَرّج

يريد الذي شرب الزّرجون، وهي الخمر، وأنه كان قياسه: المزرجن من حيث كانت النون في الزرجون أصليّة... إلا أن (جبرئل) قد قيل فيه: إن معناه: عبد الله وذلك أن الجبر بمنزلة الرجل، والرجل عبد الله، ولم يسمع الجبر بمعنى الرجل إلا في شعر ابن أحمر وهو قوله:

اشرب براووق حُبيت به ... وأنْعم صباحاً أيها الجبر

قالوا: «وإلّ بالنبطية: اسم الله تعالى»[3].

٧ ـ زيادة لا:

من ذلك ما رواه المفضل عن الأعمش عن يحيى: «ألاّ تقسطوا»[4]. بفتح التاء قال ابن مجاهد: ولا أصل له.

---

(١) المحتسب ١: ٨٩، ٩٠.

(٢) البقرة: ٩٧، ٩٨.

(٣) المحتسب ١/٩٧.

(٤) النساء: ٣.

قال أبو الفتح: هذا الذي أنكره ابن مجاهد مستقيم غير منكر، وذلك على زيادة (لا) حتى كأنه قال: «وإن خفتم أن تَقسطوا في اليتامى» أي تجوروا، فقال: قسَط: إذا جار، وأقسط إذا عدل، وزيادة (لا) قد شاعت عنهم واتسعت.

منه قوله تعالى: ﴿لئلا يعلم أهل الكتاب﴾[1] وقوله: ﴿وما يشعركم أنها إذا جاءت لا يؤمنون﴾[2] وعليه قول الراجز:

وما ألوم البيض ألّا تسخّراً　　إذا رأين الشمّط القفَنْدرا

أيْ أن تسخر، والأمر فيه أوسع، فبهذا يعلم صحة هذه القراءة [3].

٨ ـ لغات:

من ذلك قراءة.. يحيى: «رِدّت إلينا»[4] بكسر الراء، يستدل أبو الفتح بقول ذي الرُّمّة:

دنا البين من مَيٍّ فرِدّت جِمالُها　　وهاج الهوى، تقويضها واحتمالها

وهذه لغة لبني ضبة [5].

من هذه النصوص النحوية التي قدمها ابن جني نستطيع أن نؤكد القول بأن يحيى بن يعمر قدم لنا بهذه القراءات ألواناً من الدراسة النحوية زادت من خصوبة النحو العربي، وأسهمت في تطوره وازدهاره. هذا وقد توفي يحيى به يعمر سنة تسع وعشرين ومائة [6].

---

(١) الحديد: ٢٩.

(٢) الأنعام: ١٠٩.

(٣) المحتسب ١: ١٨٠، ١٨١ والقفندر: القبيح.

(٤) يوسف: ٦٥

(٥) المحتسب ١: ٣٤٥، ٣٤٦.

(٦) طبقات النحويين واللغويين ٢٩.

٤ ـ عنبسة الفيل

هو عنبسة بن معدان المهريّ، وهو الذي يقال له: عنبسة الفيل.[1] وقد جعل ياقوت لقب (الفيل) لأبيه إذ ترجم له بهذا العنوان:

عنبسة بن معدان الفيل[2]، ويوضح ياقوت سبب تسمية أبيه بمعدان الفيل فيقول، وأمّا معنى تسميته بمعدان الفيل أنه: كانت لزياد بن أبيه فيلة ينفق عليها في كل يوم عشرة دراهم، فأقبل رجل من أهل (مَيْسان) يقال له: معدان فقال ادفعوها إليّ وأكفيكم المئونة، وأعطيكم عشرة دراهم كل يوم فدفعوها إليه فأثرى وابتنى قصراً[3].

ويسوق الزمخشري في رواية أخرى أن معدان هذا كان يروض فيلاً للحجاج[4].

ويعترض السيوطي على تلقيب عنبسة بالفيل لأن قصة تربية الفيل حدثت مع أبيه وليست معه، فيقول معلّقاً على رواية الزمخشري: «قلت: فينبغي أن يكون اللقب لأبيه لا له»[5].

---

(١) مراتب النحويين لأبي الطيب ١١.

(٢) معجم الأدباء ١٦: ١٣٣.

(٣) المرجع نفسه والصفحة.

(٤) المزهر ٣/٤٤٦.

(٥) المرجع نفسه والصفحة.

والسيرافيّ يسوق نفس القصة، ولكنه يذكر أن عبد الله بن عامر هو صاحب الفيل الذي تولى تربيته والعناية به معدان والد عنبسة»[1].

ويتفق ابن الأنباري مع السيرافي في هذه الرواية[2].

* * *

وصْفُهُ بالبراعة في العربية

روي عن أبي عبيدة معمر بن المثنى أنه قال: اختلف الناس إلى أبي الأسود الدؤلي يتعلمون منه العربية فكان أبرع أصحابه عنبسة بن معدان المهري، واختلف الناس إلى عنبسة فكان أبرع أصحابه ميمون الأقرن»[3].

ويؤكد رواية أبي عبيدة ما روي عن الخليل، «فإنه ذكر أن أبرع أصحاب أبي الأسود عنبسة الفيل، وأنّ ميموناً الأقرن أخذ عنه بعد أبي الأسود»[4].

على أن هناك رواية أخرى عن ابي عبيدة نفسه تنص على أن: «أول من وضع النحو أبو الأسود الدؤلي ثم ميمون الأقرن، ثم عنبسة الفيل».

ويقف ابن الأنباري حائراً بين الروايتين لأنه لا يستطيع ترجيح رواية منهما على الأخرى فيقول: «ففي هذه الرواية ميمون الأقرن قبل عنبسة، ووفي تلك الرواية عنبسة قبل ميمون»[5].

* * *

---

(١) اخبار النحويين والبصريين ١٨.

(٢) نزهة الألباء ص ٨.

(٣) المرجع نفسه والصفحة.

(٤) مراتب النحويين ١٢.

(٥) نزهة الألباء: ٨.

روايته للأشعار

يقول عنه ياقوت: «روى الأشعار وظرُف وفصُح ، وروى شعر جرير، والفرزدق، وانتمى إلى أبي بكر بن كلاب فقيل للفرزدق: ها هنا رجل من بني أبي بكر بن كلاب يروي شعر جرير، ويفضله عليك، ووصفوه له، فقال: رجل من بني أبي بكر بن كلاب على هذه الصفة لا أعرفه، فأروني داره فأروه فقال: هذا ابن معدان الميسانيّ ثم قصّ قصته وقال:

لقد كان في معدان والفيل زاجر   لعنبسة الراوي على القصائدا

ولقي عنبسة أبا عيينة بن المهلب، فقال له أبو عيينة:

أأراد الفرزدق بقوله:

* لقد كان في معدان والفيل زاجر *

فقال: إنما قال:

* لقد كان في معدان وللؤم زاجر *

فقال أبو عيينة: وأبيك إن شيئاً فررت منه إلى اللّؤمِ لعظيم.

قال التاريخي: فحدثت بهذا الحديث أبا العباس أحمد بن يحيى ثعلباً فسُرَّ به وسألني أن أكتبه له، فكتبته له»[1].

أثره في النحو العربي

ليست هناك نصوص تركها لنا عنبسة لتكون موضع دراسة في حقل النحو العربي كالنصوص التي تركها معاصروه وزملاؤه أمثال ابن هرمز ويحيى ابن يعمر.

وكل ما عرفناه عنه في مجال النحو العربي أنه كان أبرع أصحاب أبي الأسود في العربية كما قال ذلك أبو عبيدة والخليل.

---

(١) معجم الأدباء ١٦: ١٣٣، ١٣٤.

٥ ـ ميمــون الأقــرن

قال الخليل: «كان يكنى أبا عبد الله، نقله أبو الطيب»(١).

وقال عنه الزبيدي: إنه أخذ أيضاً عن أبي الأسود(٢).

وجعله القفطي في (إنباه الرواة) من الطبقة الثالثة حيث يقول:

«أخـذ عن أبي الأسود مـع من أخذ، وكـان أبو عبيـدة يقدمـه على عنبسة ابن معدان رفيقه في الأخذ عن أبي الأسود»(٣).

ووصفه ياقوت فقال عنه: «هو الإمـام المقدم في العـربية بعـد أبي الأسود الـدؤلي. أخذ عن أبي الأسـود، وأخذ عن عنبسـة بن معدان الفيـل في أصَحّ الروايتين»(٤).

مكانتـه العلميــة

قال ياقوت بعد أن تحدث عن أبي الأسود: «ثم جـاء بعده ميمـون الأقرن فزاد عليه في حدود العربية»(٥).

وقال عنه أيضـاً: «وكان ميمـون أحد أئمـة العربيـة الذين يـرجع اليهم في المشكلات»، ثم يستدل على مكانته بما رواه أبو عبيدة:

---

(١) المزهر ٢/٤٢٣.

(٢) طبقات النحويين واللغويين: ٢٠.

(٣) الإنبـاه ٣: ٣٣٨.

(٤) معجم الأدباء ١٩: ٢١٩.

(٥) المرجع نفسه والصفحة.

أن يونس النحوي سئل عن جرير والفرزدق والأخطل: أيهم أشعر؟.

فقال: أجمعت العلماء على الأخطل. قال أبو عبيدة فقلت لرجل إلى جنبه: سله من هؤلاء العلماء: فسأله فقال: هم ميمون الأقرن وعنبسة الفيل وابن أبي إسحاق الحضرمي، وأبو عمرو بن العلاء، وعيسى بن عمر الثقفي، هؤلاء طرقوا الكلام وماثوه موثاً، لا كمن تحكون عنهم لا هم بدويّون ولا نحويون»[1].

أثره في النحو العربي

على الرغم من المكانة التي وصل اليها ميمون الأقرن، ورواية يونس عنه إذ جعله أحد أركان العلم في عصره، وأنه واحد من خمسة علماء يرجع إليهم في حَلّ المشكلات.

أقول على الرغم من ذلك فإننا نجهل ما هذه الزيادة التي زادها في حدود العربية كما يقول ياقوت.

كذلك لم يترك لنا أثراً من آثاره في القراءات ليكون موضع دراسة كما فعل معاصروه الذين تحدثت عنهم سابقاً .

* * *

على أية حال كانت إن تلاميذ أبي الأسود مهدوا الطريق للمرحلة الثالثة للحلقة المفقودة، والتي سنتناولها بالتفصيل في الفصل الثاني.

---

(١) معجم الأدباء ١٩ : ٢١٠.

الفصل الثالث

عبد الله بن أبي إسحاق
وأثره في النحو العربي

هو عبد الله بن أبي إسحاق مولى آل الحضرمي، وآل الحضرمي هم حلفاء بني عبد شمس بن عبد مناف. والحليف عند العرب مولى، من ذلك قول الراعي:

جزى الله مولانا «غَنيّاً» ملامةً شرارَ موالي عامرٍ في العزائم[1]

ويكنّيه ابن الأنباري فيقول عنه: هو أبو بحر [2].

وابن أبي إسحاق جد يعقوب بن إسحاق الحضرمي القارىء المشهور[3].

* * *

ثقافته

قال عنه ابن الأنباري «كان قيّماً بالعربية والقراءة إماماً فَهماً»[4].

---

(١) اخبار النحويين البصريين ٢١.

(٢) نزهة الألباء ١١.

(٣) مراتب النحويين ١٢.

(٤) نزهة الألباء ١٢.

وقال عنه أبو الطيب: «وكان يقال: «عبد الله أعلم أهل البصرة وأعقلهم»[1].

ووصفه القفطي فقال: «المقرىء النحوي العلاّمة في علم العربية»[2].

* * *

شيوخه

أخذ قراءته عن يحيى بن يعمر، ونصر بن عاصم[3]. ويذكر أبو الطيب اللغوي أنه صحب ميمون الأقرن، ورأس الناس بعده، وزاد في الشرح وتوفي ميمون وليس في أصحابه أحد مثل عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي[4].

وفي الأغاني: «أنه روى عن أبي حرب بن أبي الأسود عن أبيه»[5].

هذا وقد توفي عبد الله بن أبي إسحاق وقتادة بن دعامة في يوم واحد، فشيّع الأدباء والأشراف جنازة ابن أبي إسحاق، وشيع النساك والفقهاء جنازة قتادة بن دعامة وكانت وفاته ١١٧ هـ وهو ابن ٨٨ سنة [6].

أثره في النحو العربي

١ ـ في القياس:

يذكر المؤرخون والرواة أن ابن أبي إسحاق كان شديد التجريد للقياس

---

(١) مراتب النحويين ١٢.

(٢) الإنباه ٤: ١٠٤.

(٣) المرجع نفسه ١٠٥.

(٤) مراتب النحويين ١٢.

(٥) الأغاني ١٢/٢٢٩.

(٦) الإنباه ٢: ١٠٧، ١٠٨.

ويقال: إنه كان أشد تجريداً للقياس من أبي عمرو[1].

ويقول عنه أبو الطيب: فرّع النحو وقاسه[2] ويقول عنه الزبيدي: «هو أول من بَعَج النحو، ومدّ القياس، وشرح العلل، وكان مائلاً إلى القياس في النحو»[3].

هذه النصوص تشير الى حقيقة فحواها أن ابن أبي إسحاق هو أول من مدّ القياس وشرح العلل، وهو أشد تجريداً للقياس،فمن أين تسرب هذا القياس إلى النحو العربي في هذا الوقت المبكر؟.

الواقع أن بعض الباحثين عرض لهذه النصوص فعزّ عليه أن ينسب القياس إلى العقل العربي، لأن العقل العربي ما زال وليداً يحبو في مجال العلم في هذه الفترة، وأن نسبة القياس إليه مبالغة في القول، وتجاوز للحق، ثم يجدون أنفسهم مضطرين ليخرجوا من هذا الإشكال فلم يجدوا أمامهم مخرجاً غير نسبة هذا القياس الذي ظهر في حقل النحو العربي على يد عبد الله بن أبي إسحاق إلى المنطق الأرسطي حيث أقبل عليه النحاة مقتبسين أصوله محاكاة للمتكلمين وأصحاب الجدل.

ومن هؤلاء الباحثين الزميل الدكتور إبراهيم السامرائي إذ يقول: «إن التماس العلة والتمسك بالقياس لا يلتئم والطبيعة النحوية، وكان عليهم أن يقتصروا على وضع شيء يعصم اللسان من اللحن» إلى أن يقول: «ولكن النحاة ابتداء من عبد الله بن أبي اسحاق الحضرمي ساروا في هذا السبيل محاكاة للمناطقة والمتكلمين، وأصحاب الجدل، وكان من تمام الأدوات لدى المثقف أن يلم بمنطق أرسطو، وآراء افلاطون، وحكمة سقراط، ولذلك أقبلوا على ذلك إقبالاً كلّفهم عناء، ولا سيما في علوم العربية[4].

---

(١) نزهة الألباء ١٢.

(٢) مراتب النحويين ١٢.

(٣) طبقات النحويين واللغويين ٣٢.

(٤) النحو العربي ١٩.

الحق أن قياس عبد الله بن أبي إسحاق، والأقيسة النحوية التي ظهرت على يد النحاة بعده إلى عصر سيبويه لم يكن قياس منطق وجدل، بل قياس فطرة وطبيعة، ومن البديهي أن الإنسان يقارن بين الأشياء، فيعرف صفاتها المتشابهة والمختلفة، ثم يستنبط من هذه الصفات المتشابهة مقايسه وأصوله. ولا أعدو الحقيقة إذا قلت: إن هذه الأقيسة الفطرية أشارت إليها نصوص قديمة قبل أن يظهر ابن أبي إسحاق في حقل النحو العربي.

من هذه النصوص ما جاء في الحديث «أن رسول الله ﷺ لما بعث معاذ بن جبل إلى اليمن؛ قال له: كيف تصنع ان عرض لك قضاء؟ قال: أفضي بما في كتاب الله. قال: فإن لم يكن؛ قال: فبسنة رسول الله، قال فإن لم يكن في سنة رسول الله قال: اجتهد رأيي ولا آلو؟ قال معاذ: فضرب رسول الله ﷺ صدري، ثم قال: الحمد لله الذي وفق رسول رسول الله لما يرضي رسول الله» وفي هذا دليل على أن من أصول التشريع الاجتهاد بالرأي وهو القياس[1].

ومن هذه النصوص أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كتب إلى قاضيه بالبصرة أبي موسى الأشعري: الفهم الفهم فيما تلجلج في صدرك مما ليس في كتاب ولا سنة أعرف الأباه وقس الأمور عند ذلك[2].

وما لي أذهب بعيداً، والنبي عليه الصلاة والسلام كان يستعمل القياس في كثير من أحاديثه الشريفة ليؤكد بهذا القياس الأحكام الشرعية، والأصول الدينية في أحاديثه الكريمة. ومنذ عامين صدر كتاب في هذا الموضوع عنوانه: «أقيسة النبيّ المصطفى محمد ﷺ تصنيف الإمام ناصح الدين عبد الرحمن الأنصاري المعروف بابن الحنبلي المتوفى ٦٣٤ هـ.

وكان هذا الكتاب مخطوطاً فحقق، وتم نشره وصدوره ١٩٧٣، والكتاب

---

(١) أصول الأحكام الشرعية ١٢ للاستاذ علي حسن الله، مطبعة العلوم، ط اولى.

(٢) المرجع نفسه والصفحة.

يلقي ضوءاً كبيراً على أن القياس أصيل في كلام العرب، وليس وافداً عن طريق الترجمة والنقل كما يقول بعض هؤلاء الباحثين.

والناظر إلى مقدمة الكتاب يجد أن كثيراً من الاقيسة المتعددة بألوانها المختلفة قد احتواها كلام رسول الله ﷺ.

يقول في المقدمة: «وبعد، فإن الأحكام شرعت لمصالح الناس، ولما كانت المصالح مختلفة الأنواع والأقياس تنوعت الأدلة من النص والإجماع والقياس، وأقيسة رسول الله ﷺ: نصوص ليس لها معارض ولا مناقض، لأنها خبر معصوم، وقياس كل ذي قياس سواه، فهو بسهام الطعن مرشوق ومرجوم.

والفقهاء يقولون: قياس علة، وقياس شبه، وقياس إحالة، وقياس دلالة، وما ذكرناه من أقيسة رسول الله ﷺ؛ مشتمل على هذه الأقيسة متنوعة كانت أو مجنّسة.

وقد احصيت من هذه الأقيسة مائة قياس، وإن كان في الأجل فسحة شرحت منها ما يرفع الالتباس، ويرد إليها شارد فهم ذوي الإدراك من خواص ذوي الألباب، وعوام الناس إن شاء الله رب الفلق، ورب الناس [1].

* * *

أمثلة عن أقيسة النبي عليه الصلاة والسلام

١ ـ عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن امرأة أتت رسول الله ﷺ فقالت إن أمي ماتت، وعليها صوم شهر رمضان. فقال: أرأيت لو كان عليها

---

(١) اقيسة النبي ٧٥، ٧٦، ٧٧.

دين أكنت تقضينه : قالت: نعم قال: فدَيْن الله أحق بالقضاء [1] .

* * *

٢ ـ عن ابي هريرة قال: جاء رجل الى النبي ﷺ: فقال: إن امرأتي ولدت غلاماً أسود، فقال النبي ﷺ: هل لك من إبل؟ قال: نعم، قال فما ألوانها: قال حُمْرٌ قال: هل فيها من أورق؟ قال: إن فيها لوُرْقاً، قال فأنّى لها ذلك؟ قال: عسى أن يكون نزعه عرْق ، قال: وهذا عسى أن يكون نزعه عِرْق [2] .

* * *

٣ ـ عن ابن عمر: أن رسول الله ﷺ قال: «لا تُحْلَبَنّ ماشية أحدكم إلا بإذنه، أيحب أحدكم أن تؤتى مشْرُبَتُه فتكسر خِزانته، فينقَلَ طعامه؟ فإنما تَخزُن لهم ضروعُ مواشيهم أطعمتَهم، فلا يحلبن أحد ماشية أحد إلا بإذنه»[3] .

* * *

أستطيع أن أؤكد بعد هذا الذي قدمت أن القياس فطري وطبعي والنبي عليه الصلاة والسلام وأصحابه حينما استعملوا القياس لم يجروا على سنن المنطق الأرسطي، لأن من طبيعة الإنسان أن يبحث عن العلة أو السبب في كل حكم يصدره، وفي كل رأي يميل إليه.

على أننا لو استنطقنا تاريخ ترجمة المنطق اليوناني إلى العربية لرأينا أن هذا المنطق لم يترجم إلى العربية في هذه الفترة من التاريخ حتى يمكن للنحاة الأوائل ان يتأثروا به كما يقول بعض الباحثين.

---

(١) اقيسة النبي ٧٩.

(٢) المرجع نفسه ص ٨٠.

(٣) المرجع نفسه ٨١ .

وقد اعترف بذلك كثير من المستشرقين نذكر منهم(ت. ج. دي بور) إذ يقول في كتابه (تاريخ الفلسفة الإسلامية) ما نصه: «جمعت الأمثال والحكم والخطابات والوصايا. وجمع كل ما له علاقة بتاريخ الفلسفة بوجه عام وترجم منذ العهد الأول ثم يقول: «ولكن لم يشرع في نقل كتب اليونان في الطبيعة والطب والمنطق إلى اللسان العربي إلا في عهد المنصور»[1].

والمعروف أن خلافة ابي جعفر المنصور تمت في سنة ١٣٦ هـ مع أن ابن أبي إسحاق توفي سنة ١١٧ هـ. فكيف إذاً يتسنى لابن أبي إسحاق ومن عاصره ان يتأثر بهذا المنطق اليوناني الذي لم يترجم إلى العربية في هذا الوقت»؟.

على أن الترجمة لم تنتشر وتزدهر إلا في عصر المأمون «ذلك الذي انشأ لها مدرسة في بغداد سميت باسم بيت الحكمة، وكانت الترجمة في النصف الأول من القرن الثالث الهجري إلى السريانية، وفي النصف الثاني ازدهرت حركة الترجمة إلى العربية شيئاً فشيئاً»[2].

* * *

أمثلة من أقيسة عبد الله بن أبي إسحاق

١ ـ قال ابن أبي إسحاق للفرزدق في مديحه لأمير المؤمنين يزيد بن عبد الملك رضوان الله عليهما:

مستقبلين شمالَ الشام ـ تضربنا ... بحاصبٍ كنديف القطن منثور
على عمائمنا يُلْقَى، وأرحلُنا ... على زواحفَ تُزجى مخُّها ريرِ[3]

(١) تاريخ الفلسفة الاسلامية ٣٥ ترجمة الدكتور عبد الهادي أبو ريدة.

(٢) التراث اليوناني في الحضارة الاسلامية: ٢٨ ترجمة عبد الرحمن بدوي.

(٣)انظر الخزانة ١: ١١٥ قال البغدادي: الشمال: الريح المعروفة. الحاصب: الريح التي تثير الحصباء. الزواحف: الإبل التي اعيت فجرّت فراسنها. الرير: قال الفراء مخ رير فتح الراء وكسرها: فاسد ذائب من الهزال.

أسأت، إنما هو «مخّها ريرُ» وكذلك قياس النحو في هذا الموضوع[1].

* * *

٢ ــ «حدثنا أبو عمرو بن العلاء قال: أنشد الفرزدق قصيدته:

* عزفت بأعشاش وما كدت تعزف *

فمر فيها:

وعض زمان يا بن مروان لم يدع من المال إلا مُسْحَتاً أو مجلّف

فقال ابن أبي إسحاق: «على أي شيء رفعت مجلّفاً؟ قال على ما يسوءك»[2].

* * *

٣ ــ «قال ابن سلام: فقلت أنا ليونس: هل سمعت من ابن أبي إسحاق شيئاً؟ قال نعم: قلت له: هل يقول أحد (الصويق ؟): يعني السويق. قال نعم، عمرو بن تميم تقولها. وما تريد هذا عليك بباب من النحو يطّرد وينقاس »[3].

من هذا النص نرى أن ابن أبي إسحاق ملم بلغات العرب بدليل أسئلة تلاميذه له،ولو كان غير ذلك لما أحاطوه بهذه الأسئلة، فلما سأله يونس ـ هل يقول أحد الصوّيق؟ فإن يونس كان يعلم مقدار الرجل في معرفة لغة العرب. وسرعان ما أجابه ابن أبي إسحاق بأن عمرو بن تميم تقولها.

وموطن العجب في هذه الإجابة استنكار ابن أبي إسحاق لهذا السؤال، واستنكار، يدل على منهجه في الدراسة النحوية. فإن لغات العرب واسعة، ومتعدّدة ، والاعتماد عليها يوقع في اضطراب لغوي، ولذلك فان المنهج

---

(١) طبقات النحويين واللغويين ٣٢.

(٢) الموشح : ١٦١.

(٣) طبقات النحويين واللغويين ٣٢.

السليم في رأيه هو استقراء مستوى معيّن من كلام العرب، والقياس عليه وغض النظر عن اللهجات المختلفة ومن هنا قال قولته المشهورة: «عليك باب من النحو يطّرد وينقاس».

وقد لمح هذا المعنى الدكتور علي أبو المكارم فقال ما نصه:

«فالمقيس عند ابن أبي إسحاق هو ما ننشئه من نصوص لغوية والمقيس عليه ليس كلام العرب بل ما اطّرد من هذا الكلام وانقاس حتى اصبح قاعدة.

وفي هذا الموقف من ابن أبي إسحاق ذكاء في تصور فرق بين كلام العرب وبين قواعد النحو، إذ في كلام العرب ألوان من الاختلاف والتباين. بل والتضارب تؤكد انتسابه إلى أكثر من مستوى لغوي واحد، فهناك مستوى اللغة وهناك مستوى اللهجات، وهي بدورها ــ ذات طرق مختلفات تحتم تعدد مستواها وتنوعه، ومن ثَمّ فإن القياس على هذا الكلام وجعله أساساً عمل خاطىء، لأنه ليس قياساً على ما يطّرد، وينقاس وهو القاعدة النحوية التي استخلصت من المستوى الموحد الذي يضرب عن اللهجات صفحاً» (١).

* * *

في المناظرات النحوية

بدأت هذه المناظرات على يد عبد الله بن أبي إسحاق وتلاميذه فهم الذين فتحو بابها وعدّدوا حلقاتها فكانت مصدراً يمدّ النحو العربي بالعطاء والنماء.

فمن المناظرات النحوية التي عقدها ابن أبي إسحاق مع علماء عصره ما يأتي:

---

(١) تاريخ النحو العربي ٩٣ للدكتور علي أبي المكارم (القاهرة الحديثة للطباعة).

أ ـ مناظرته مع بلال بن أبي بردة:

عن الأصمعي قال: لاقى بلال بن أبي بردة عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي في حرف من القرآن قال بلال: ﴿يَمَلْكِنا﴾[1].

وقال ابن أبي إسحاق (بمُلْكِنا) فتراضيا بأبي عمرو، فوجه بلال إليه، فسأل أبو عمر عما أراده له، فعرف، فدخل، وقد عرف قول بلال فسأله بلال فأجازهما، وفضل قول بلال، فقال له أبو عمرو: أخبرت بما عندي، فوصله بلال، فلما خرج قال لعبد الله بن أبي اسحاق والله لو أخطأ الملوك لصوّبنا خطأهم فكيف إذا أصابوا، إن منازعة الملوك تضغنهم»[2]

* * *

ب ـ مناظرته لأبي عمرو:

قال أبو عمرو: «ما ناظرني أحد قط إلا غلبته وقطعته إلا ابن أبي إسحاق فإنه ناظرني في مجلس بلال بن أبي بردة في الهمز فقطعني، فجعلت إقبالي على الهمز حتى ما كنت دونه»[3].

* * *

جـ ـ مناظرته للفرزدق:

عن الأصمعي أن الفرزدق حضر مجلس ابن أبي إسحاق فقال: كيف تنشد هذا البيت:

وعينان قال الله كونا فكانتا فعولان بالالباب ما تفعل الخمر

---

(١) طه: ٨٧.

(٢) مجالس العلماء (لأبي القاسم عبد الرحمن بن اسحاق الزجاجي المتوفى ٣٤٠ تحقيق عبد السلام هارون من ٢٤١ ـ ٣٤٢.

(٣) المرجع السابق ٢٤٣.

فقال الفرزدق: كذا أنشده. فقال ابن أبي إسحاق الحضرمي: ما كان عليك لو قلت: فَعُولَيْن: فقال الفرزدق: لو شئت أن أسبح لسبحت، ونهض، فلم يعرف أحد في المجلس قوله: لو شئت أن أسبح لسبحت: فقال ابن أبي إسحاق: لو قال: فعولين: لأخبر أن الله خلقهما وأمرهما ولكنه أراد: هما يفعلان بالألباب ما تفعل الخمر[1].

د ـ مناظرته ليونس:

عن يونس قال: مضيت إلى عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي فقلت له: كيف تقرأ ﴿فإذا برق البصر﴾[2]؟ فقال: فإذا برَق البصر (وفتح الراء، فقمت من عنده إلى أبي عمرو، فقال من أين بك؟ قلت: من عند عبد الله ابن أبي إسحاق الحضرمي، فسألته كيف تقرأ: فإذا برق البصر؟ فقال: فإذا برَق البصر بفتح الراء فقال أبو عمرو: وأين يراد به؟ يقال: برَقت السماء، وبرَق النّبت وبرَقت الأرض، فأما البصر فبرِق كما سمعنا[3].

* * *

٣ ـ في النقد النحوي

لم يكن جهد عبد الله بن أبي إسحاق في النحو العربي مقصوراً على هذه المناظرات بل كان يتتبع سقطات الشعراء وينقدها، ويضعها في مكانها الصحيح، ومن هؤلاء الشعراء الذين وجه إليهم سيف نقده، لأنهم خرجوا عن سواء النحو الفرزدق الشاعر المشهور، فكما قدمت نقده في رفع (أو مجلف) من قوله:

وعض زمان بابن مروان لم يدع ... من المال إلا مسحتاً أو مجلّف

(١) المرجع السابق ٨٥ ـ ٨٦.

(٢) القيامة: ٧.

(٣) مجالس العلماء ٢٤٧.

والفرزدق شاعر عربي تربى في أحضان العربية، وهو حامل لوائها في هذه الفترة من التاريخ فكيف إذاً يتردّى في هذه الهوة السحيقة فيخطىء في القول، ويرده ذلك الحضرمي ،ولذلك كان رد الفعل عند الفرزدق عنيفاً إذ هجا ابن أبي اسحاق بقوله:

فلو كان عبد الله مولى هجوته ولكن عبد الله مولى مواليا

ولم يسكت ذلك الناقد النحوي عن هذا الهجاء، فبيّن أنه عوار في مجال النحو العربي ،وأنه لحن لا يستقيم مع العربية، فقال ابن أبي إسحاق بعد ان سمع هجاءه المتمثل في هذا البيت:

وقد لحنت أيضاً والوجه أن تقول: مولى موالٍ.

ويبدو ان هذا التتبع لشعر الفرزدق لم يبدأ على يد ابن أبي إسحاق فقد سبقه الى ذلك النقد عنبسة الفيل، فقد روى أبو عمرو بن العلاء قال: «كنا عند بلال بن أبي بردة فأنشد الفرزدق:

تريك نجوم الليل والشمس حية زحام بَناتِ الحارث بن عباد

فقال عنبسة بن معدان: الزحام مذكر: فقال الفرزدق: اغْرُب.

قال عبد الله :«والزحام له وجهان: أن يكون مصدراً مثل: الطِّعان والقتال من قولهم: زاحمته زِحاماً فهذا مذكر كما قال عنبسة، أو يكون جمعاً للزحمة يراد بها الجماعة المزدحمة فهذا مؤنث لأن الزحام هو المزاحمة كما أن الطّعان هو المطاعنة، وقول عنبسة أقوى، وأعرف في الكلام »[1].

* * *

ومما لا شك فيه أن هذا النقد النحوي كان له أثر كبير في أن تدور على مدى العصور التالية المعارك الأدبية والنحوية بين الشعراء ونقاد النحو واللغة ، والفضل في ذلك يرجع إلى هذا الرعيل الأول الذي جعل من

(١) الموشح: ١٦٥، ١٦٦.

نفسه حارساً على اللغة، ساهراً على سلامتها، مدافعاً عن تراكيبها، ناقداً لكل من يحاول أن يخرج على أساليبها، ولم يقف الأمر عند هذا الحد فعبد الله ابن أبي إسحاق لم يسلم من نقده علماء عصره في الدين والتفسير، وتعبير الرؤى أمثال ابن سيرين، والموقف التالي يبين كيف كان عبد الله بن أبي إسحاق حاملاً لواء العربية للدفاع عنها في عصره.

قال القفطي: «وكان ابن سيرين يبغض النحويين، وكان يقول: لقد بغض إلينا هؤلاء المسجد، وكانت حلقته إلى جانب حلقة ابن أبي إسحاق، وبلغ ابن أبي إسحاق أنه يعيب عليه تفسير الشعر ويقول: ما علمه بإرادة الشاعر، فقال ابن أبي إسحاق: إن الفتوى في الشعر لا تحل حراماً ولا تحرّم حلالاً، وإنما نفتي فيما استتر من معاني الشعر، وأشكل من غريبه وإعرابه بفتوى سمعناها من غيرنا، واجتهدنا فيها آراءنا، فإن زللنا أو عثرنا فليس الزلل في ذلك كالزلل في عبارة الرؤيا ولا العثرة فيها كالعثرة في الخروج عما اجمعت عليه الأئمة من سُنّة الوضوء وكِرهَتُهُ الجماعة من الاعتداء في الطّهور، فبلغ ابن سيرين،فأقصر عما كان عليه من الإفراط في الوضوء وكان إذا جاءه الرجل يسأله عن الرؤيا قال: هات حتى أظن لك... ثم اجتمع هو وابن سيرين في جنازة فقال ابن سيرين ﴿كذلك إنما يخشى الله من عباده العلماء﴾(١) (برفع الله ونصب العلماء) فقال ابن ابي اسحاق: «كفرت يا أبا بكر بعيبك على هؤلاء الذين يقيمون كتاب الله، فقال ابن سيرين، إن كنت اخطأت فأنا استغفر الله ورجع إلى حلقته»(٢).

ومن أجل هذا الحرص البالغ على الالتزام اللغوي والنحوي في التعبير ومحاسبته الدقيقة لكل من ينحرف عن الصواب شاعراً أو عالماً، كان ابن

---

(١) فاطر: ٨٨.

(٢) إنباه الرواة: ٢ : ١٠٦، ١٠٧.

ابي إسحاق الأساس الأول في اتساع الحركة النحوية التي قام بها تلاميذه أبو عمرو، وعيسى بن عمر ـ ويونس بن حبيب.

ولا نعتقد أن يونس تلميذه كان مبالغاً في وصفه لأستاذه حينما قال عنه: هو والبحر سواء أي هو الغاية، ولما سئل يونس عن علمه قال: لو لم يكن في الناس اليوم أحد لا يعلم إلا علمه لضحك منه،ولو كان فيهم من له ذهنه ونفاذه، ونظر نظره لكان أعلم الناس(١).

ومعنى هذا الوصف أن عبد الله بن أبي إسحاق وصل في عصره الى درجة من الرقي العلمي والفكري ليس بعدها درجة فهو البحر الخضم ولكن يونس كان دقيقاً حينما قال عنه: «لو لم يكن في الناس اليوم أحد لا يعلم إلا علمه لضحك منه» لأن العلم يتطور، والفكر ينمو، وعجلة الحياة تسير إلى الأمام دائما، وفي سيرها اتساع وتطور، ونمو وحركة، فليس من المنطق أن يكون ابن أبي إسحاق نجماً في عصره، وفي غير عصره، لأن العلم يتطور باستمرار، ولا عيب أن يكون علم ابن أبي إسحاق في عصر تلاميذه محدوداً بالنسبة إلى علم العصر، ويكفيه فخراً أنه مهد الطريق للحركة العلمية التي جاءت بعده.

على أن يونس لم يفته أن يبين مكانة الرجل في حقل الذكاء والفطنة فهو صاحب ذهن متقّد ونظر نافذ، وإدراك مستوعب، ولو كان في عصر يونس من يملك هذا الرصيد لكان أعلم الناس.

في التأليف النحوي واللغوي

ذكرت سابقاً أن الدراسات النحوية واللغوية في هذا العصر كانت مختلطة، ذلك لأن الصلة بين النحو واللغة عميقة وبخاصة في هذه الفترة التي

(١) انظر طبقات النحويين واللغويين ٢١، ٢٢.

جمعت فيها اللغة، وخير دليل على ذلك ما قاله عبد اللطيف البغدادي في هذا الأمر.

« اعلم أن اللغوي شأنه أن ينقل ما نطقت به العرب ولا يتعدّاه، وأمّا النحوي فشأنه أن يتصرّف فيما ينقله اللغوي، ويقيس عليه، ومثالهما المحدّث والفقيه، فشأن المحدث نقل الحديث برمته، ثم إن الفقيه يتلقّاه، ويتصرف فيه ويبسط فيه علله، ويقيس عليه الأمثال والأشياء » (١).

وفي هذا العهد كان المتصدّرون لوضع الأصول النحوية ومقاييسها هم اللّغويُّون الذين كان لهم فضل جمعها، ومن هنا اختلطت المسائل اللغوية والنحوية على يدهم مما جعل هذا الاختلاط من أوضح مظاهر هذه الحركة (٢).

وأول مصنف في الدراسات النحوية واللغوية في هذه الفترة هو كتاب «الهمز» لابن أبي إسحاق قال السيوطي : « وتكلم في الهمز حتى عمل فيه كتاباً مما أملاه » (٣).

ويظهر أن ابن أبي إسحاق كان على علم بهذه الهمزة مما جعل أبا عمرو بن العلاء يقول عنه : « ما ناظرني أحد قط إلا غلبته وقطعته إلا ابن أبي إسحاق، فإنه ناظرني في مجلس بلال بن أبي بردة في الهمز فقطعني، فجعلت إقبالي على الهمز حتى ما كنت دونه »(٤).

وأقول أول مؤلف يصادفنا في مجال التأليف النحوي واللغوي في عصر ابن أبي إسحاق لأننا لم نعثر في الروايات التي تناولت النحاة السابقين على رواية تثبت أن لهم جهوداً في التأليف النحوي واللغوي اللهم إلا بعض

---

(١) ضحى الإسلام ٢ : ٢٧٧ .

(٢) القرآن الكريم وأثره في الدراسات النحوية عبد العال سالم مكرم ٦٨ .

(٣) المزهر ٢ : ٣٩٨.

(٤) مجالس العلماء للزجاجي : ٢٤٣ .

الروايات التي تنسب إلى أبي الأسود الدؤلي أنه «أول من عمل كتاباً في النحو»[1].

٥ ـ أثره في سيبويه

ذكرت سابقاً في حديثي عن أبي الأسود أن أستاذنا المرحوم إبراهيم مصطفى كان لا يميل إلى نسبة نشأة النحو إلى أبي الأسود، لأنه كما يقول لا يستسيغ أن هذا الزمن المبكر قد تمكن فيه العرب من الاشتغال بالعلوم، ووضع القواعد على هذا الوجه الذي نراه في كتب العربية، وقد أنكر ذلك المستشرقون وعدّوه حديث خرافة[2] ولكنه مع ذلك لا ينكر أن أبا الأسود هو الذي وضع نقط الإعراب، وضبط المصحف على نهج العربية [3].

ولإزالة إشكال هذه النشأة رأى أستاذنا المرحوم إبراهيم مصطفى أن ينهج سبيلاً آخر في البحث فقال: «تتبعنا كتب النحو التي بين أيدينا لنعلم أقدم عالم نسب إليه رأي نحوي في هذه الكتب، وكان أول هذه الكتب كتاب سيبويه، وهذه أسماء الأعلام الذين نسب إليهم رأي نحوي»، وعدد المواضع التي وردت فيها أسماؤهم.

ويذكر من هؤلاء الأعلام عبد الله بن أبي إسحاق الذي ذكر في الكتاب ٦ مرات [4].

وفي موضع آخر من بحثه يقول: أما عبد الله بن إسحاق الحضرمي وهو

---

(١) الشعر والشعراء: ٨٢.

(٢) مجلة كلية والآداب ـ جامعة القاهرة م ١٠ جـ ٢، ديسمبر سنة ١٩٤٨ ص ٧١.

(٣) المرجع نفسه: ٧٢.

(٤) المرجع نفسه: ٧١.

من الطبقة الثالثة فهو أقدم في رأينا من ينسب إليه رأي نحوي »[1].

فمن الآراء التي نسبها سيبويه إلى عبد الله بن أبي إسحاق ما يأتي :

أ ـ في التحذيـر بـ «إيّا»

قال سيبويه: اعلم أنه لا يجوز أن تقول: إيـاك زيداً كمـا أنه لا يجـوز أن تقول: رأسَك الجدار حتى تقول: من الجدار أو والجدار. . وكذلك أن تفعل إذا أردت: إياك والفعل، فإذا قلـت: إياك أن تفعـل، تريد إيـاك أعظ مخافـة أن تفعل، أو من أجل أن تفعل جاز، لأنه لا تريد أن تضمّه إلى الاسم الأول، كأنك قلت: إياك نح لمكان كذا وكذا. .

ولو قلت: إياك الأسـد تريـد من الأسد لم يجـز كما جـاز في «أنْ» إلاّ أنهم زعموا أن ابن أبي اسحاق أجاز هذا البيت:

إياك إياك المراء فإنــه إلى الشــرّ دعّاء وللشر جالب

كأنه قال: إياك ثم أضمر بعد إياك فعلاً آخر فقال: « اتّقِ المراء»[2].

ب ـ في باب ما يجري من الشتم مجرى التّعظيم وما أشبهه:

قـال سيبويـه: «ومن هـذا التـرحّم: والتـرحّم يكـون بـالمسكين والبـائس ونحوه، ولا يكون بكل صفة، ولا كلّ اسم ولكن ترحّم بما ترَحَّم به العرب، إلى أن يقول: «وزعم الخليل: أنه يقول: مررت به المسكينِ علـى البدل وفيـه معنى الترحم».

وكـان الخليـل يقـول: إن شئت رفـعته من وجهين، فقلت: مـررت بـه

---

(١) المرجع نفسه: ٧٣.

(٢) سيبويه ١ : ٢٧٩ (هارون).

البائسُ، كأنه لما قال مررت به قال المسكين هو، كما يقول مبتدئاً : المسكينُ هو، والبائس أنت. وإن شاء قال: مررت به المسكينَ .

إلى أن يقول: «وأما يونس فزعم أنه ليس يَرفع شيئاً من الترحّم على إضمار شيء يُرفع، ولكنه إن قال: ضربته لم يقل أبداً إلا المسكينَ ، يحمله على الفعل، وإن قال ضرباني قال المسكينان ، حمله أيضاً على الفعل، وكذلك مررت به المسكينِ، يحمل الرفع على الرفع، والجر على الجرّ، والنصب على النصب، ويزعم أن الرفع الذي فسّرنا خطأ، وهو قول الخليل رحمه الله وابن أبي إسحاق» [1] .

جـ ـ في نصب الفعل المضارع :

قال سيبويه : وقال تعالى : ﴿ يا ليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربّنا ونكون من المؤمنين ﴾ [2] .

فالرفع على وجهين، فأحدهما: أن يشرك الآخر الأول والآخر على قولك:

دعني ولا أعود، أي فإني ممن لا يعود، فإنما يسأل التّرْك، وقد أوجب على نفسه أن لا عودة له البتّة ترك أو لم يترك، ولم يرد أن يسأل أن يجتمع له الترك وأن لا يعود.

وأما عبد الله بن أبي إسحاق فكانَ ينصب هذه الآية [3].

د ـ في صرف الاسم ومنعه :

قال سيبويه : « فإن سميت المؤنث بعمرو أو زيد لم يجز الصرف هذا

---

(١) سيبويه ٢ : ٧٤، ٧٥، ٧٦، ٧٧ هارون).

(٢) الأنعام: ٢٧ .

(٣) سيبويه ٣: ٤٤ . هارون).

قول ابن أبي إسحاق وأبي عمرو فيما حدّثنا يونس وهو القياس لأن المؤنث أشد ملاءمة للمؤنث، والأصل عندهم أن يسمى المؤنث بالمؤنث كما أن أصل تسمية المذكّر بالمذكّر (١).

٦ ـ أثره في المبرد

ومن الآراء التي ساقها المبرد من كتابه المقتضب لعبد الله بن أبي إسحاق.

الجمع بين همزتين :

قال المبرد: «واعلم أنه ليس من كلامهم أن تلتقي همزتان فتحقّقا جميعاً، إذ كانوا يحققون الواحدة ـ فهذا قول جميع النحويين إلا عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي، فإنه كان يرى الجمع بين الهمزتين» إلى أن يقول :

« فأما ابن أبي إسحاق فكان يرى أن يحقق الهمزتين كما يراه في الواحدة، ويرى تخفيفها على ذلك، ويقول : هما بمنزلة غيرهما من الحروف، فأنا أجريهما على الأصل، وأخفف إن شئت ـ استحقاقاً، وإلا فإن حكمهما حكم الدالين وما أشبههما. وكان يقول في جمع خطيئة : ـ إذا جاء به على الأصل ـ : هذه خطائي، ويختار في الجمع التخفيف وأن يقول خطايا، ولكنه لا يرى التحقيق فاسداً » (٢).

* * *

٧ ـ أثره في القراءات

كان ابن أبي إسحاق من قراء القرآن الكريم، وقد رويت له قراءات متعدّدة تناولها النحاة بعده بألوان من الدراسات النحوية نذكر منها ما يلي :

---

(١) سيبويه ٣: ٣٤٢. (هارون)

(٢) المقتضب ١/ ٢٩٥، ٢٩٦.

أ ـ في القراءات المشكلة

١ ـ ﴿ ولا رطبٌ ولا يابسٌ ﴾ (١)

قال مكي بن أبي طالب : « وقد قرأ الحسن وابن أبي إسحاق بالرفع في « رطب » و « يابس » على الابتداء والخبر » (٢) .

٢ ـ ﴿يا بشراي ﴾ (٣)

قال مكي : « قرأه ابن أبي إسحاق وغيره بياء مشددة من غير ألف، وعلة ذلك أن ياء الإضافة حقها أن ينكسر ما قبلها، فلما لم يمكن ذلك في الألف قلبت ياء، وأُدغمت في ياء الإضافة، ومثله : هداي (٤)(٥) .

٣ ـ﴿ صَ ﴾ (٦)

قال مكي : وقرأ ابن أبي إسحاق « صادٍ » بالكسر والتنوين على القسم كما تقول : اللهِ لأفعلنّ، تُعمل حرف الجر، وهو محذوف لكثرة الحذف في باب القسمْ، وقيل : إنما نوّن على التشبيه بالأصوات التي تنوّن للفرق بين المعرفة والنكرة نحو قولك : إيه، تريد : زد لي كلاماً، وإيه تريد : سكوتاً (٧) .

---

(١) الأنعام : ٥٩ .
(٢) مشكل إعراب القرآن ١ / ٢٧٠ .
(٣) يوسف : ١٩ .
(٤) طـه : ١٢٣ .
(٥) مشكل إعراب القرآن ١ : ٤٢٤ .
(٦) صَ : ١ .
(٧) مشكل إعراب القرآن ٢ : ٢٤٦ ، ٢٤٧ .

ب ـ في القراءات السبع

١ ـ ﴿ وما يخدعون ﴾ [١]

قال مكي بن أبي طالب : « قرأ الكوفيون وابن عامر بفتح الياء وإسكان الخاء من غير ألف.

«وقرأ الباقون بضم الياء، وألفٍ بعد الخاء وكسر الدال »ثم قال: وبغير ألف قرأ. ابن أبي اسحاق: «ثم دافع عن القراءتين فقال: «وحمل القراءتين على معنى واحد أحسن وهو أن «خادع وخدع» بمعنى واحد في اللغة، فيكون: «وما يخادعون وما يخدعون بمعنى واحد من فاعل واحد»[٢] .

٢ ـ ﴿ ولا تسأل عن أصحاب الجحيم ﴾ [٣]

قرأ نافع بفتح التاء والجزم على النهي. . «وقرأ الباقون بضم التّاء والرفع على النفي، والعطف على «بشيراً ونذيراً » فهو موضع الحال تقديره : إنا أرسلناك بالحق بشيراً ونذيراً وغير سائل عن أصحاب الجحيم . والرفع هو الاختيار، وبالرفع قرأ ابن أبي إسحاق » [٤].

٣ ـ ﴿ ليس البر ﴾ [٥]

قرأ حمزة وحفص بالنصب وقرأ الباقون بالرفع .

---

(١) البقرة: ٩.

(٢) الكشف عن وجوه القراءات السبع ١/ ٢٢٦ .

(٣) البقرة: ١١٩ .

(٤) الكشف عن وجوه القراءات ١ : ٢٦٢ .

(٥) البقرة : ١٧٧ .

وبالرفع قرأ ابن أبي إسحاق.

قال مكي: وجه القراءة بالرفع أن اسم ليس كالفعل، ورتبة الفاعل أن يلي الفعل فلما ولي البر «ليس» رفع، ولو نصب «البر» الواجب أن يكون الكلام غير رتبته، وأن ينوي بالـ(بر) التأخير، فيكون الكلام على رتبته التي أتت به التلاوة أولى من أن يحدث فيه ما يحتاج معه إلى التقديم والتأخير»(1).

٤ ـ ﴿ فلا رفث ولا فسوق ﴾(2)

قرأهما ابن كثير وأبو عمرو بالتنوين والرفع، وقرأ الباقون بالفتح من غير تنوين،وبالفتح قرأ ابن أبي إسحاق، ووجهه أنه أتى بـ(لا) للنّفي لتدل على النفي العام، فنفى جميع الرفث، وجميع الفسوق كما تقول: لا رجل في الدار، فتنفي جميع الرجال، ولا يكون ذلك إذا رفع ما بعد (لا) لأنها تصير (لا) بمعنى (ليس) ولا تنفي إلا الواحد والمقصود في الآية نفي جميع الرفث والفسوق، فكان الفتح أولى لتضمنه لعموم الرفث كله،والفسوق كله، لأنه لم يرخص في ضرب من الرّفث ولا في ضرب من الفسوق، كما لم يرخص في ضرب من الجدال، ولا يدل على هذا المعنى إلا الفتح، لأنه للنفي العام.

وإجماع القراء على فتح :« ولا جدالَ» يقوي فتح ما قبله، ليكون الكلام على نظام واحد في عموم المنفي كله (3).

---

(1) الكشف عن وجوه القراءات ١ : ٢٠٨، ٢٨١.
(2) البقرة: ١٩٧.
(3) الكشف عن وجوه القراءات ١ : ٢٨٥، ٢٨٦.

٥ ـ ﴿حتى يقول الرسول﴾ (١)

قرأه نافع بالرفع، وقرأه الباقون بالنصب، وبالنصب قرأ ابن أبي إسحاق.

ووجه القراءة بالنصب أن « حتى » جعلت غاية للزلزلة، فنصبت بمعنى (إلى أن) والتقدير : وزلزلوا إلى أن قال الرسول، فجعل قول الرسول غاية لخوف أصحابه، أي لم يزالوا خائفين إلى أن قال الرسول، فالفعلان قد مضيا جميعاً (٢).

جـ ـ في القراءات الشاذة :

وقد تناول ابن جني القراءات الشاذة التي قرأ بها ابن أبي إسحاق، وتعنى بالقراءات الشاذة القراءة الزائدة عن القراءات المنسوبة إلى القراء السبع، حقاً إن عبد الله بن أبي إسحاق كان سابقاً في الزمن لابن مجاهد مسبّع السبع، لأن عبد الله بن أبي إسحاق توفي ١١٧ هـ وابن مجاهد ولد سنة ٢٤٥ هـ ومات سنة ٣٢٤ هـ (٣) وكانت القراءات في عهد ابن أبي إسحاق لا توصف بشذوذ أو غيره، لأن سندها الرواية، وما دامت الروايات قوية، فإن القراءات التي رويت لنا عن طريقها قراءات مقبولة، ليس من حقّنا أن نصفها بالشذوذ أو بالضعف.

وفي عهد ابن مجاهد « استصفى سبعة من أئمة القراء في أمصار خمسة هي أهم الأمصار التي حملت عنها القراءات في العالم الاسلامي، وهي المدينة، ومكة، والكوفة، والبصرة، والشام، واختار من المدينة نافعاً، ومن

(١) البقرة : ٢١٤.
(٢) الكشف عن وجوه القراءات ١ : ٢٨٩، ٢٩٠، ٢٩١.
(٣) معجم الأدباء ٥: ٦٦، ٦٧.

مكة ابن كثير، ومن الكوفة عاصماً وحمزة ومن البصرة أبا عمرو بن العلاء، ومن الشام عبد الله بن عامر»[1].

ومعنى ذلك أن قراءات أئمة القراءة قبل ابن مجاهد شاذة ما لم تنسب إلى واحد من هؤلاء الأئمة السبعة.

وقد ألف ابن جني كتابه المحتسب ليحتج لهذه القراءات الشاذة، وفي مقدمته لهذا الكتاب يقول: « القراءات على ضربين: ضرب اجتمع عليه أكثر قراء الأمصار وهو ما أودعه أبو بكر أحمد بن موسى بن مجاهد رحمه الله كتابه الموسوم بقراءات السبع، وهو بشهرته غان عن تحديده.

وضرب تعدّى ذلك فسماه أهل زماننا شاذًّا أي خارجاً عن قراءة القراء السّبعة إلا أنه مع خروجه عنها نازع بالثقة إلى قرائه، محفوف بالروايات من أمامه وورائه، ولعله أو كثيراً منه مساوٍ الفصاحة للمجتمع عليه »[2].
ويقول في موضع آخر:

«غرضنا منه أن نرى وجه قوة ما يسمى الآن شاذًّا وأنه ضارب في صحة الرواية بجرانه » ثم قال: والرواية تنّميه إلى رسول الله ﷺ، والله تعالى يقول: ﴿ وما آتاكم الرسول فخذوه ﴾[3]. وهذا حكم عام في المعاني والألفاظ وأخذه هو الآخذ به، فكيف يسوغ مع ذلك أن نرفضه، ونجتنبه »[4].

وابن جني قدم دراسات نحوية رائعة حول هذه القراءات الشاذة، لأنه دافع عنها، واحتجّ لها، وبين أنها غير خارجة عن سنن العربية، ومن هذه

---

(١) مقدمة الدكتور شوقي ضيف لكتاب السبعة لابن مجاهد ص ١٨.
(٢) المحتسب ١ المقدمة.
(٣) الحشر: ٧.
(٤) المحتسب ١ / المقدمة.

القراءات التي احتج لها القراءات التي نسبت إلى ابن أبي إسحاق ولم يقرأ بها أحد من قراء الأئمة السبعة.

١ ـ ﴿هديّ﴾ [١] قراءة عبد الله بن أبي إسحاق.

قال أبو الفتح: هذه لغة فاشية في هذيل وغيرهم أن يقلبوا الألف بين آخر المقصور إذا أضيفت إلى ياء المتكلم ياء، قال الهذلي:

سبقوا هويّ وأعنقوا لهواهم فتخرّموا ولكل جنب مصرع

ورويناعن قطرب قول الشاعر:

يطوف بي عكبٌ في مَعَدٍّ ويطعن بالصُّمُلّة في قَفيّا
فإن لم تثأرا لي من عكب فلا أرويتما أبداً صَديّا

قال أبو علي: وجه قلب هذه الألف لوقوع ياء ضمير المتكلم بعداً: أنه موضع ينكسر فيه الصحيح نحو: هذا غلامي، ورأيت صاحبي، فلما لم يتمكنوا من كسر الألف قلبوها ياء فقالوا: هذه عَصَيٌّ، وهذا فَتَيٌّ، أي عصاي وفتاي. وشبهوا ذلك بقولك: مررت بالزيدين لما لم يتمكنوا من كسر الألف للجرّ قلبوها ياء ـ ولا يجوز على هذا أن تقلب ألف التثنية لهذه الياء فتقول: هذان غلاميّ لما فيها من زوال علم الرفع، ولو كانت ألف عصا ونحوها علماً للرفع لم يجز فيها عَصَيٌّ » [٢].

٢ ـ ﴿هن أطهر لكم﴾ [٣].

كان ابن أبي إسحاق يقرأ: « هن أطهرَ لكم » بالنصب، وقد ضعف سيبويه هذه القراءة على حين دافع عنها ابن جني في كتابه المحتسب قال

---

(١) البقرة: ٣٨.
(٢) المحتسب ١: ٧٦.
(٣) هود: ٧٨.

ابن جني : « ذكر سيبويه هذه القراءة وضعفها . وإنما قبح ذلك عنده، لأنه ذهب إلى أنه جعل « هن » فصلاً، وليست بين أحد الجزأين اللذين هما مبتدأ وخبر، ونحو ذلك كقولك : ظننت زيداً هو خيراً منك، وكان زيد هو القائمَ.

وأنا من بعدُ أرى لهذه القراءة وجهاً صحيحاً، وهو أن تجعل « هن » أحد جزأي الجملة، وتجعلها خبراً لـ (بناتي) كقولك زيدٌ أخوك هو، وتجعل (أطهر) حالاً من (هن) أو من (بناتي). والعامل فيه معنى الإشارة كقولك : هذا زيد هو قائماً أو جالساً أو نحو ذلك فعلى هذا مجازه » [1].

٣ ـ ومن ذلك قراءة ابن أبي إسحاق ﴿ من قُبلُ ﴾ ﴿ ومن دُبرُ ﴾ [2] بثلاث ضمات من غير تنوين.

قال أبو الفتح : ينبغي أن يكونا غايتين كقول الله سبحانه : ﴿ لله الأمر من قبل ومن بعد ﴾ [3]. كأنه يريد : وقدت قميصه من دبره، وإن كان قميصه قُدَّ من قبله، فلما حذف المضاف إليه أعني الهاء، وهي مرادة صار المضاف غاية نفسه بعدما كان المضاف إليه غاية له.

وهذا حديث مفهوم في قول الله سبحانه « من قبل ومن بعد » فبني هنا كما بني هنالك على الضم، ووكّد البناء أن « قبل » و« دبر » يكونان ظرفين ألا ترى إلى قول الفرزدق :

يطاعن قبل الخيل وهو أمامها ويطعن عن أدبارها إن تولت

---

(١) المحتسب ١/٤٠٥، ٤٠٦، مخطوط رقم ٣٧٩ تفسير وانظر القرآن الكريم وأثره في الدراسات النحوية ٧٣.

(٢) يوسف : ٢٦، ٢٧.

(٣) الرّوم: ٤.

وقال الله سبحانه : ﴿ ومن الليل فسبحه وإدبار السجود ﴾ [1] فنصبه على الظرف وهو جمع دُبُر [2].

٤ ــ وقرأ ابن أبي اسحاق: ﴿يُرءّون الناس﴾[3] مثل: يُرعُّون، والهمزة بين الراء والواو من غير ألف.

قال أبو الفتح: معناه يبصّرون الناس، ويحملونهم على أن يَرَوْهم يفعلون ما يتعاطونه.

وهي أقوى معنى من (يراءون) بالمد على يفاعلون، لأن معنى يراءونهم يتعرضون لأن يَرَوْهم. و(يرءونهم) يحملونهم على أن يروهم.

قال أبو زيد: رأت المرأة الرجل المرآة إذا أمسكتها له ليرى وجهه، ويدلك على أن يرائي أضعف معنى من يُرئّي قوله:

تَرى أو تُراءِى عند مقعد غرزها تهاويل من أجلاد هِرّ مووّم [4]

* * *

٥ ــ ﴿ويتوب الله﴾[5].

قرأ عبد الله بن أبي إسحاق بنصب الفعل.

قال أبو الفتح: إذا نصب فالتوبة داخلة في جواب الشرط معنىً،وإذا رفع كقراءة الجماعة فقال: «ويتوب الله على من يشاء» فهو استئناف، وذلك

---

(١) ق: ٤٠.

(٢) المحتسب ١/ ٤٢٠، ٤٢١ ـ مخطوط وانظر القرآن الكريم وأثره في الدراسات النحوية ٧٣.

(٣) النساء: ١٤٧.

(٤) المحتسب ١ /٢٠٢. الغرز للناقة مثل الحزام للفرس. التهاويل: جميع تهويل وهو ما هو به. اجلاد الشيء: شخصه بكماله ـ المووم: القبيح الخلقة العظيم الهامة: (هامش المقتضب ١: ٢٠٢).

(٥) التوبة : ١٥ .

أن قوله: ﴿قاتلوهم يعذّبهم الله بأيديكم ويُخزهم وينْصُرْكُم عليهم ويشف صدورَ قوم مؤمنين ويذهب غيظَ قلوبهم ويتوب الله على من يشاء﴾[1] فهو كقولك: إن تزرني أحسن إليك وأعطيَ زيداً درهماً فتنصبه على اضمار «أن» أي: «إن تزرني أجمع بين الإحسان إليك والإعطاء لزيد[2].

من هذا الذي قدمت أستطيع أن أقول: إن ابن أبي إسحاق كان نجم عصره في الثقافة العربية والإسلامية، والدراسات النحوية واللغوية وإحساسه بمكانته في العلم، وتمكنه من ناحية اللغة جعله يقول لبكر بن حبيب السهميّ: ما ألحنُ في شيء، فقال: لا تفعل، قال فخذ على كلمةً، فقال هذه واحدة قل: كَلِمَةْ.

ومرت به سِنَّورة فقال لها: اخْسَيْ فقال له: أخطأت إنما هو اخْسَئي[3].

على أية حال هذه هنات لا تغض من قدر ابن أبي إسحاق في مجال اللغة والنحو.

ومن أهم التلاميذ الذين تسلموا راية النحو واللغة بعده: عيسى بن عمر الثقفي وأبو عمرو بن العلاء وسنتناولهما بالبحث والدراسة في الفصل الآتي: .

---

(١) التوبة / ١٤.

(٢) المحتسب ١: ٢٨٤، ٢٨٥.

(٣) طبقات النحويين واللغويين ٤٦، واللسان (خسأ).

الفصل الرابع

تلميذا عبد الله بن أبي إسحاق

عيسى بن عمر ـ أبو عمرو بن العلاء

تسلم راية الدراسات النحوية بعد عبد الله بن أبي إسحاق تلميذان مشهوران تطورت على يدهما الدراسة النحوية واللغوية بما قدّما من بحوث مختلفة في المفردات اللغوية، والتراكيب النحوية، والصيغ الصرفية.

واستطاع هذان التلميذان بحق أن يستوعبا اللغة العربية، نحوها وصرفها، صيغها وتراكيبها في ضوء الدراسة الجادّة، والبحث الدقيق.

أما هذان التلميذان فهما عيسى بن عمر، وأبو عمرو بن العلاء، وسنخصهما بمزيد من البحث،لأنهما أسهما بجهد لا يعرف الكلل في الدراسة النحوية التي ازدهرت واتسعت على يد تلاميذهما يونس والخليل، وأبي جعفر الرؤاسي والكسائي، وانتفع بهذه الدراسات كلها فيما بعد سيبويه في كتابه عمدة النحو العربي . .

(١) ـ عيسى بن عمر

قال عنه ابن الأنباري في «نزهة الألباء» : «وأما عيسى بن عمر الثقفي فكنيته أبو سليمان ويقال أبو عمرو»(١).

ويذكر عنه الزبيدي في الطبقات: انه «مولى خالد بن الوليد المخزومي، نزل في ثقيف»(٢) وكان السيرافي دقيقاً حينما بيّن لنا أن هناك نحويّن لغويّين يسميان بهذا الاسم،ووضّح في دقة كلاًّ منهما حتى لا تختلف المسميات على الدارسين والباحثين، فقال عن عيسى بن عمر: «هو عيسى بن عمر الثقفي من أهل البصرة ليُحَدّد بالنسب إلى ثقيف وبكونه من أهل البصرة سماتِه وصفاتِه حتى لا ينصرف الذهن إلى عيسى بن عمر الهَمْداني الذي قال عنه ما نصه: «وليس بعيسى بن عمر الهمداني من أهل الكوفة»(٣).

مكانته العلمية

وصفه ياقوت فقال: «عالم بالنحو والعربية، والقراءة مشهور بذلك»(٤)

---

(١) نزهة الألباء ١٣، ١٤.

(٢) طبقات النحويين واللغويين ٤٠.

(٣) أخبار النحويين البصريين ٢٥.

(٤) معجم الأدباء ١٦/١٤٦.

ويزيد ابن الأنباري بأنه كان ثقة[1].

ومن ابرز معارفه اللغوية علمه بغريب اللغة حتى في المواقف الصعبة، فإن علمه بالغريب، وتحدثه به وجريه على لسانه حتى لم يكن ليفارقه مما يدل على أن الرجل متمكن من اللغة بغريبها، وأصبح هذا التمكن سمة من سماته، وصفة من صفاته.

فمن المواقف الصعبة التي تعرّض لها، ومع ذلك لم ينس أن يتحدث بالغريب في مجالها هذا الموقف المشهور عنه، فقد ذكر أبو حاتم أن الأصمعي قال «كان عيسى لا يدع الإعراب لشيء. وقال الأصمعي: كان ابن هبيرة اتّهم عيسى بن عمر بأن بعض العمال استودعه مالاً، فضربه مقطّعاً نحواً من ألف سوط، فجعل يقول له: ما عندك، فيقول: والله ما كانت إلا أُثَيَّاباً في أُسَيْفاط قبضها عشّاروك»[2].

ببدو إن السياط أثرت فيه، فأصيب بضيق التنفس الذي «أدركه يوماً وهو في السوق فوقع ودار الناس حوله يقولون: مصروع، مصروع فبين قارىء ومتعوذ من الجانّ، فلما أفاق من غشيته نظر إلى ازدحامهم فقال لهم: ما لي أراكم تَتَكأْكَئُون عليّ تكأْكُؤكم على ذي جِنّة، افرنقعوا، فسمع أحد الجمع وهو يقول: إن جنيّه هذا يتكلم بالهندية» [3].

ويعلل صاحب (مفتاح السعادة) هذا الغريب الذي كان يجري على لسان عيسى بن عمر في كل المواقف حتى في المواقف التي ينسى الإنسان فيها نفسه فضلاً عن نسيان الغريب فيقول: «ومن ادّعى معرفة اللغة وتكلّم مع كل أحد بالعالي والغريب من اللغة فهو ناقص العقل إلا أن بعضاً من

---

(١) نزهة الألباء ١٤.

(٢) طبقات النحويين واللغويين ٤٢، والسفط: وعاء، والعشار: قابض الزكاة.

(٣) الإنباه ٢ /٣٧٧، ومعنى تكأكأتم: تجمعتم. افرنقعوا: تنحوا بلغة اهل اليمن.

العلماء يصير بملازمة اللغة بحيث يختلط بلحمهم ودمهم، ويسبق لسانهم إلى الغريب، وإنْ كانوا يخاطبون من لا يفهمه»(١) ثم ساق قصّة عيسى بن عمر حينما وقع في السوق، وقال حينما أفاق من غشيته قوله الذي ذكرته سابقاً.

واذا تجاوزنا علمه بالغريب إلى علمه باللغة لراعنا هذا التمكن من اللغة الذي هيأ له أن يملك ناصيتها لدرجة أنه يستطيع أن يعمم أحكامه اللغوية على ظواهر اللغة، ولا يفعل ذلك إلا عليم بدقائقها، مستوعب لألفاظها، جامع لكلماتها، والدليل على ذلك ما ذكره صاحب الصحاح إذ يقول: «قال عيسى بن عمر: كل اسم على ثلاثة أحرف أوله مضموم وأوسطه ساكن فمن العرب من يثقله، ومنهم من يخففه، مثل عُسْر وعُسُر، ورُحْم ورُحُم، وحُلْم وحُلُمُ، ويُسْر ويُسُر، وعُضْرُ وعُضُر»(٢).

وكان علماء عصره يعرفون هذه المنزلة لعيسى بن عمر، ومن هؤلاء أبو عمرو بن العلاء فقد حدثنا الأصمعي قال: «جاء عيسى بن عمر يوماً إلى أبي عمرو بن العلاء فقال: «مررت بقنطرة قرّة فلقيني بعيران مقرونان في قَرَن، فما شعرت شعرة حتى وقع قرانهما في عنقي، فلُبج بي، فافرنقع عني والناس قيام ينظرون، قال: فكاد أبو عمرو ينشق غيظاً من فصاحته»(٣)

وقد وصل الأمر بأبي عمرو أنه إذا اجتمع مع عيسى في مجلس يسكت أبو عمرو ليتكلم عيسى. «قال يونس: وكانا إذا اجتمعا في مجلس لم يتكلم أبو عمرو مع عيسى لحسن إنشاده وفصاحته»(٤).

وفي رأيي أن هذه المكانة العلمية بعامة واللغوية والنحوية بخاصة ترجع إلى ثلاثة أمور:

---

(١) مفتاح السعادة: ١: ١٠١.

(٢) المزهر ٢: ١٠٨، ١٠٩.

(٣) طبقات النحويين واللغويين ٤٤. ولبج بفلان لبجاً إذا صرع.

(٤) الخصائص ٢/٣٠١.

١ ـ صلته بالحسن البصري، والحسن البصري هو «إمام زمانه علماً وعملاً»(١) وكان مضرب المثل في الفصاحة والبلاغة مما جعل الشافعي يقول عنه: «لو أشاء أقول: إن القرآن نزل بلغة الحسن لقلت لفصاحته»(٢).

وتذكر كتب الطبقات أنه رَوَى عن الحسن البصري (٣)وهذه الرواية في نظري ليست رواية صيغ أو نحو، ولكنها رواية نصوص مأثورة صيغت في قالب من الفصاحة والبيان، وقد امتدت آثار هذه النصوص إلى ثقافة عيسى ابن عمر فتأثر ببيانها وفصاحتها، ثم تفاعلت في نفسه هذه الثقافة فكونت له رصيداً ضخماً من اللغة التي اختلطت بلحمه ودمه، وامتزجت بشعوره وحسه، فكان لا ينطلق في مجالات القول إلا بلغة فصيحة أثارت إعجاب معاصريه وعلى رأسهم أبو عمرو بن العلاء.

ولا أدل على ذلك من هذه الرواية التي سجلها المرتضى في كتابه الأمالي: قال: «روى عيسى بن عمر قال: قال الحسن: إن هذه القلوب طُلَعة فاقدعوها، فإنكم إن تطيعوها تنزع بكم إلى شرّ غاية، وحادثوا هذه النفوس، فإنها سريعة الدُّثُور»، قال عيسى بن عمر: «فحدثت بذلك أبا عمرو ابن العلاء، فعجب من فصاحته»(٤).

٢ ـ كثرة شيوخه الذين أخذ عنهم، فقد رووا أنه أخذ عن عبد الله بن أبي إسحاق كما أخذ عن أبي عمرو بن العلاء، وروى عن الحسن البصري، والعجاج بن رؤبة، وجماعة»(٥).

---

(١) مفتاح السعادة ٢: ٢٤.
(٢) المرجع نفسه والصفحة.
(٣) مفتاح السعادة ١: ١٥١.
(٤) امالي المرتضى ١: ١٥٥.
(٥) انظر مفتاح السعادة ١: ١٥١.

٣ ــ إنه يتميز بتدوينه لكل ما يسمع من العرب ، والذاكرة مهما أوتيت من القوى لا تستطيع أن تستوعب اللغة بمفرداتها وتراكيبها، فكان لا بد لعيسى وهو بانٍ من بناة اللغة،وركن من أركان النحو العربي في عصره ـ أن يسجل في أوراقه وكراساته كل ما يستحق التسجيل حتى يستطيع أن يعود إليه في الوقت الذي يريد ليراجع، ويوازن، ويدقق، وقد دلّنا على هذه الصفة فيه ما ذكره الرواة عنه في هذا المجال مجال الكتابة والتسجيل.

من ذلك: ما ذكره السيوطي قال: قال عيسى بن عمر: كنت أنسخ بالليل حتى ينقطع سوائي (يعني وسطه)(١).

وفي موضع آخر ذكر السيوطي أن عيسى بن عمر النحوي قال: أملي عليّ ذو الرمة شعراً فبينا أنا أكتبه إذ قال لي: أصلح حرف كذا وكذا، فقلت له: إنك لا تخط، قال: أجل، قدم علينا عراقي فعلم صبياننا، فكنت أخرج معه في ليالي القمر، فكان يخط لي في الرمل فتعلمته(٢).

* * *

الخلافات اللغوية بينه وبين معاصريه

ومنزلة عيسى في اللغة والغريب كما قلت ـ منزلة كبيرة، وقد بينت سر هذه المنزلة، ولِمَ كان لعيسى هذا التميز الواضح؟ ومع ذلك فإن زميله أبا عمرو بن العلاء كان منافساً كبيراً له في هذا المجال: فأبو عمرو كما ستتحدث عنه فيما بعد كان رواية للغة، ونتاجه في اللغة ضخم وكبير كان الأساس الأول للحركات اللغوية التي جاءت بعده كحركتي الخليل ويونس.

والمنافسة تقتضي اختلاف الآراء حول بعض الظواهر اللغوية التي لم تكن موضع اتّفاق بينهما.

---

(١) المزهر ٢ : ٢٠٤.

(٢) المزهر ٢ : ٤٩.

فمن هذه الظواهر اللغوية المختلف فيها ما يأتي:

١ ــ كان عيسى بن عمر يتحدث في مجلس فيه أبو عمرو بن العلاء فقال عيسى في حديثه: ضرَبه فَحُشَّت يده. فقال أبو عمرو: ما تقول يا أبا عمر؟ فقال عيسى: فحَشَّت يده: قال يونس: التي رده عنها جيدة يقال: حُشت يده ـ بالضم ـ وحشت يده ـ بالفتح ـ وأحشت»(١).

٢ ــ قال أبو يوسف صاحب: إصلاح المنطق: أخبرني محمد بن سلام الجمحي «قال: سألت يونس عن قول الله جل وعز: ﴿كي لا يكون دولة﴾(٢) فقال: قال أبو عمرو بن العلاء: الدولة في المال، والدولة في الحرب: قال: وقال عيسى بن عمر: كلتاهما تكون في الحرب والمال سواء» قال: «وقال: أما أنا فوالله ما أدري ما بينهما»(٣).

على أن هذه المنزلة اللغوية التي وصل اليها عيسى بن عمر لم تمنع نقاد اللغة من نقده، فقد نقده تلميذه يونس، ورماه بالتصحيف في الحديث الشريف:

قال محمد بن سلام الجمحي: قلت ليونس بن حبيب إن عيسى بن عمر قال: صحف أبو عمرو بن العلاء في الحديث: «اتقوا على أولادكم فحمة العشاء» فقال بالفاء، وإنما هي بالقاف، فقال يونس عيسى الذي صحف ليس أبا عمرو، وهي بالفاء كما قال أبو عمرو لا بالقاف كما قال عيسى (٤).

وقد نقده أيضاً في هذا التصحيف بكر بن حبيب، فقد قال أبو الفضل

---

(١) الخصائص ٣: ٣٠١.
(٢) الحشر: ٧.
(٣) اصلاح المنطق ١١٥.
(٤) المزهر ٢: ٣٦٠.

الرياشي تلميذ الأصمعي أخبرنا أبو معمر عن عبد الوارث قال: «كنا بباب بكر بن محمد بن حبيب فقال عيسى بن عمر في عرض كلام له: قحمة العشاء. فقلت: لعلها فحمة العشاء: قال هي قحمة العشاء لا يختلف فيها، فدخلت على بكر بن حبيب فحكيناها له فقال: فحمة العشاء بالفاء لا غير أي فَوْرتُه»[1].

وإلى جانب هذا التصحيف يقف عاجزاً أمام الكسائي في سؤال لغوي وجهه إليه. قال أبو العباس أحمد بن يحيى وجدت بخط إسحاق بن إبراهيم الموصلي: حكى الأصمعي عن عيسى بن عمر والكسائي أنه جمعهما الحسن بن قحطبة أول ما دخل بغداد قال الكسائي: فسألته عن: «همُّك ما أهمّك» قال: فذهب الكسائيّ يقول: يجوز كذا ويجوز كذا فقال: قلت له: عافاك الله، إنما أريد كلام العرب، ولم تجيء بكلام العرب، قال الأصمعي: تقول همّني: أذابني، وأهمّني أقلقني، فكيف شئت فقل، وأنشد:

وانْهَمّ هاموم السّديف الواري

قال أبو العباس: وليس يخطىء أحد في هذه المسألة [2].

أثره في النحو العربي

١ ـ في الشواهد الشعرية:

كان لعيسى بن عمر أثر كبير في النحو العربي، وسنتناول هذا الأثر في المجالات النحوية المختلفة، ونبدأ بأثره في الشواهد الشعرية.

---

(١) التنبيه على حدوث التصحيف ٧٤.

(٢) مجالس العلماء ١٤٨ وفي معجم الأدباء ١٦: ١٥٠ ان الذي ألقى هذه المسألة انما هو عيسى بن عمر لا الكسائى كما يقول الزجاجي في مجالسه أي أن عيسى هو الذي سأل الكسائي لا العكس. والشاهد للفجاج يصف بعيره وانظر اللسان: (همم).

والناظر لما كتبه الرواة عن عيسى بن عمر يجد أنه خبير بالشعر العربي، يعرف دقائقه ويروى منه ما يحقق له دراسته اللغوية والنحوية، وقد قلت سابقاً: إن ذا الرمة كان يملي عليه شعره فيكتبه [1].

وقد ذكر حمزة بن الحسن الأصفهاني أن عيسى بن عمر قال في بيت امرىء القيس:

نطعنهم سُلْكى ومَخْلوجةً　　كرَّك لأمين على نابل

ذهب من كان يحسن هذا [2]:

ويستدل ابن السكيت على أن كلمة: (الأثر) معناها: فرند السيف بقوله: «قال الأصمعي: أنشدنى عيسى بن عمر الثقفي:

جلاها الصَّيْقلون فأخلصوها　　خفاقاً كلُّها يَتّقي بأثر

أي كلها يتقي بفرنده[3].

والأصمعي يستدل على أن رضع بفتح الضاد مضارعها برضِع يكسرها بما سمعه عيسى من العرب.

قال ابن السكيت: الأصمعي: رضع الصّوى يَرْضَع، ورَضَعَ يَرْضِع، قال: وأخبرني عيسى بن عمر أنه سمع العرب تنشد هذا البيت لابن همام السلولي:

وذموا لنا الدنيا وهم يرضِعُونها　　أفاويق حتى ما يَدِرّ لها ثُعْلُ[4]

أما الشواهد الشعرية في ميدان النحو فتتضح فيما يأتي:

---

(١) انظر ص ١٣٥.

(٢) التنبيه على حدوث التصحيف ١٣٧. وانظر ما دار بين العلماء في تفسير هذا البيت في نفس الموضع.

(٣) إصلاح المنطق ٢٣ ـ ٢٤.

(٤) المصدر نفسه. ٢١٣.

١ ـ زيادة (ما)

ذكر ابن هشام في (المغني) أن أمية بن أبي الصلت زاد (ما) ثلاث مرات في قوله:

سلَعٌ مّا، ومثله عُشَرٌ ما عائلٌ ما، وعالت البيقورا

وهذا البيت قال عيسى بن عمر: لا أدري ما معناه، ولا رأيت أحداً يعرفه[1]. وقد عرض الهروي في كتاب (الأزهية) لهذا الشاهد فبعد أن أورده ونسبه إلى أمية بن أبي الصلت قال: «وذكر ابن قتيبة في كتاب معاني الشعر أن الأصمعي ذكر عن عيسى بن عمر أنه قال: ما أدري ما معنى هذا البيت ولا رأيت أحداً «يحسنه»، ولكن الهروي لم يقتنع بجهل عيسى لمعنى هذا البيت، وحاول أن يجد له تفسيراً، فقال:

وقال غيره: كانوا في سنة الجدب يجمعون ما يقدرون عليه من البقر ثم يعقدون في أذنابها ثنن عراقيبها السلع[2] والعشر[3]، ثُمّ يعلون بها في جبل وعر، ويشعلون فيها النار، ويضجّون بالدعاء والتضرع، وكانوا يرون ذلك من أسباب السُّقيا».

والبيقور: البقر، والعائل: الفقير، وعالت البيقورا: يعني سنة الجدْب أثقلت البقر بما حمّلت من هذا الشجر، يقال: «عالني الأمر أثقلني»[4].

ويوضح ابن الشجري معنى: «وثنن عراقيبها» في رواية ابن قتيبة فيقول: «وقوله: وثنن عراقيبها: الثنن جمع ثنة وهو الشَّعَر المحيط بالعرقوب وبالظلف وبالحافر»[5].

---

(١) المغني ١: ٣٤٨ ـ دار الفكر ببيروت.

(٢) السّلْع: شَجَر مرٌّ ونبت خبيث.

(٣) العَشَر: ضَرْبٌ من الشجر.

(٤) الأزهية ٧٧، ٨٧ .

(٥) أمالي ابن الشجري ٢/٢٤٦ .

ومما يجدر ذكره أن المحقق لهذا النص في المغنى صحف هذه الكلمة بكلمة: «وبين عراقيبها» وهو خطأ لم يتبينه[1].

وفي رأيي أن هذا التفسير اجتهاد خاص قد يكون مراداً للشاعر، وقد لا يكون كذلك، وموقف عيسى بن عمر من هذا البيت نستشف منه أنه لا يستريح إلى هذا البيت من الوجهة النحوية فزيادة هذه الماءات والغموض في مدلول الكلمات، وعدم الإشارة التاريخية للظروف التي قيل فيها هذا البيت، كل ذلك جعله يقول: ما أدري ما معنى هذا البيت ولا رأيت أحداً يحسنه، والإحسان هنا معناه التفسير.

وإذا كان عيسى بن عمر وهو من هو في الإحاطة باللغة وبكلام العرب يقول هذا فكيف إذاً يتجرأ غيره من المتأخرين ليفسره هذا التفسير؟ وكيف إذاً يتخذه النحويون بعده شاهداً لزيادة (ما) ثلاث مرات في بيت واحد:

ولله درّ يونس النحوي فقد سئل عن جرير والفرزدق والأخطل أيهم أشعر؟ فقال: أجمعت العلماء على الأخطل، قال أبو عبيدة: فقلت لرجل إلى جنبه: سله ومن هؤلاء العلماء: فسأله فقال: من شئت؟ ابن أبي إسحاق، وأبو عمرو بن العلاء، وعيسى بن عمر الثقفي، وعنبسة الفيل، وميمون الأقرن، هؤلاء طرقوا الكلام وما ثوه، لا كَمَن تحكون عنه، لا بدويّين ولا نحويّين [2]

* * *

---

(١) المغني ١/٣٤٨، وانظر اللسان: (ثنن).

(٢) معجم الأدباء ١٦: ٦٥.

٢ ـ في الفصل بين المضاف والمضاف إليه

النحويون يرون أن الفصل بين المضاف والمضاف إليه بغير الظرف خطأ نحوي قد يجوز في الشعر على قبح.

ولكن أبا الحسن الأخفش يجوّز هذا بناءً على شاهد سمعه من عيسى ابن عمر.

قال الرماني: قال أبو الحسن: سمعت عيسى بن عمر ينشد قول الشاعر:

فزججتها بمزجّه   زجَّ القلوصَ أبي مزاده

ففصل بالقلوص ـ وليست ظرفاً ـ بين الجار والمجرور.

وقال أبو العباس: «لم يعرف أبو عمر الجَرْمي ما حكاه أبو الحسن» وقال: «وهو عند جميع أصحابنا خطأ»(١).

* * *

٣ ـ حذف التنوين اضطراراً

قال الرماني: أنشد سيبويه:

فألفيته غير مستعتب   ولا ذاكر الله إلاّ قليلا

يريد: (ذاكراً الله) فحذف لالتقاء الساكنين لا للإضافة ولولا ذلك لجُر فقال: ولا ذاكرَ اللهِ، وقد روي بالجر.

وزعم أبو الحسن الأخفش أن عيسى بن عمر كان ينشده بالنصب على ما ذكرنا(٢).

---

(١) توجيه إعراب أبيات ملغزة الإعراب للرماني ٥٤، ٥٥.

(٢) المرجع نفسه ٧.

ويقول سيبويه: وزعم عيسى أن بعض العرب ينشد هذا البيت.. ثم ذكر البيت وعلق عليه بقوله: «لم يحذف التنوين استخفافاً ليعاقب المجرور، ولكنه حذفه لالتقاء الساكنين، وهذا اضطرارٌ.»[١].

* * *

٤ ـ في النقد النحوي

قال المرزباني: كان عيسى يقول: أساء النابغة في قوله:

فبت كأني ساورتني ضئيلة ... من الرقش في أنيابها السم ناقع

يقول: موضعه: ناقعاً[٢].

ومن نقده لرؤبة ما ذكره أبو العيناء أنه قال:

سئل الأصمعي عن بيت العجاج:

غير ثلاثٍ في المحلّ صيّم

وأصله الواو: «قال حدثني عيسى بن عمر، قال: سألت رؤبة عن هذا فقال: تيه به في المتيّهين، وهو صوّم»[٣].

* * *

٥ ـ في التأويل والتخريج

قال المبرد في المقتضب: «وإنما الفصل بين المصدر وبين اسم الفاعل أنك إذا قلت: عجبت من ضرْبِ زيدٍ عمراً ـ أن ضَرْباً في معنى: (أنْ ضرب فيحتاج ما بعدها إلى الفاعل والمفعول).

فإذا قلت: عجبت من ضاربٍ عمراً ـ فقد جئت بالفاعل، وإنما بقي

(١) سيبويه ١: ١٦٩. (هارون).

(٢) الموشح: ٥٠.

(٣) المرجع نفسه ٣٤١.

المفعول، والفاعل يُحمل على المصدر، كما حُمل المصدر عليه ـ تقول: قم قائماً، فالمعنى: قم قياماً، فمن ذلك قوله:

على حَلْفة لا أَشْتُم الدهر مسلماً ولا خارجاً من فيّ زور كلام

إنما أراد: لا أشتم، ولا يخرج من فيّ زورُ كلام، فأراد ولا خروجاً فوضع خارجاً في موضعه، وهذا قول عامة النحويين.

وكان عيسى بن عمر يأبى ما فسرنا ويقول: إنما قال:

ألم تَرَني عاهدت ربي، وإنني لبين رِتاج قائماً ومَقام
على حَلْفةٍ لا أشتم الدهر مسلما ولا خارجاً مِن فيّ زورُ كلام

يريد: عاهدت ربي على أمور، وأنا في هاتين الحالتين: لا شاتماً ولا خارجاً من فيّ مكروه[1].

وقد فسر المبرد في (الكامل) قول عيسى حينما ذكر أن عيسى بن عمر كان يقول: إنما قوله: لا أشتم «حال» فأراد عاهدت ربي في هذه الحال، وأنا غير شاتم ولا خارج من فيّ زور كلام ولم يذكر الذي عاهد عليه»[2].

ويوجّه الرماني قول عيسى فيقول: «وكان عيسى بن عمر يقول: «عاهدت» هو قسم ولكن لا جواب له، ويجعل «لا أشتم» حالاً، وكذلك: «ولا خارجاً» و(لا اشتم) على قول عيسى موضعه نصب وعلى قول غيره: لا موضع له من الإعراب»[3].

---

(١) المقتضب ٣ : ٢٦٩ ، ٢٧٠ .

(٢) الكامل ٣: ١٢٠، ١٢١.

(٣) توجيه إعراب أبيات ملغزة ٢٤٤ .

٢ ـ في القضايا النحوية

كان لعيسى بن عمر منهج واضح في لغة العرب وفي الدراسات النحوية، ذلك لأن لغة العرب لغة واسعة بما اشتملت عليه من لهجات مختلفة والإحاطة بهذه اللهجات، وبناء القواعد على تراكيبها لا يستقيم مع المنطق السليم فضلا عن استحالته، حتى ولو تمت هذه الإحاطة بكلام العرب لكانت القواعد القائمة عليه مضطربة ليس فيها نظام أو اتساق وقواعد تقوم على هذا الخلط بين اللهجات لا تؤدي إلى الغرض المطلوب من تعلّم اللغة ومحاكاتها في أساليبها وتراكيبها.

فمن منهجه: أنه ينسج القواعد النحوية على الأكثر والغالب من كلام العرب أي أن ظاهرة الاستقراء لا تشمل كل ما نطقت به العرب، ولكن تشمل فقط جملة من الأساليب العربية التي يكثر دورانها في معظم كلام العرب، وفي ضوئها تبنى القاعدة، ويستخدم القياس.

وقد دلني على هذا المنهج ما رواه العلماء عنه في كتب الطبقات، فلما ألف في اللغة والنحو كتاباً قال له أحد العلماء: «أخبرني عن هذا الذي وضعته في كتابك ـ أيدخل فيه كلام العرب كله؟ قال: لا قلت: فمن تكلم خلافك واحتذى ما كانت العرب تتكلم به تراه مخطئاً؟ قال: لا قلت: فما ينفع كتابك؟»[1].

ويذكر القفطي «ان عيسى بن عمرو وضع كتابه على الأكثر، وبوّبه، وهذبه، وسمى ما شذ عن الأكثر لغات»[2].

---

(١) إنباه الرواة ٢ : ٣٧٥، وأخبار النحويين البصريين ٢٦ .

(٢) إنباه الرواة ٢ : ٣٧٥.

ولعلي لا أبتعد عن الصواب إذا قلت: إن هذا المنهج تأثر به ابن جني في كتابه الخصائص وحينما وضع باباً من أبوابه في اختلافات اللغات وكلها حجة. قال: «اعلم أن سعة القياس تبيح لهم ذلك، ولا تحظره عليهم، ألا ترى أن لغة التميميين في ترك إعمال (ما) يقبلها القياس، ولغة الحجازيين في إعمالها كذلك، لأن لكل واحد من القومين ضرباً من القياس يؤخذ به، ويخلد إلى مثله، وليس لك أن ترد إحدى اللغتين بصاحبتها لأنها ليست أحق بذلك من رسيلتها، لكن غاية مالك فى ذلك أن تتخير إحداهما فتقويها على أختها، وتعتقد أن اقوى القياسين أقبل لها، وأشد أنساً بها، فأمّا ردّ إحداهما بالأخرى فلا:

ثم قال: «هذا حكم اللغتين إذا كانت في الاستعمال والقياس متدانيتين متراسلتين أو كالمتراسلتين.

فأما أن تقلّ إحداهما جداً، وتكثر الأخرى جداً فإنك تأخذ بأوسعهما رواية وأقواهما قياساً، ألا تراك لا تقول: مررت بَكَ، ولا المال لِكَ قياساً على قول قضاعة: المال لِه ومررت بَه»[1].

لهذه النصوص، فإني لا أوافق الدكتور (علي أبو المكارم) في إدعائه أن عيسى بن عمر كان يهتم بالغريب ولهجات العرب حتى إنه ليحاول القياس عليها فإذا وجد تضارباً بينهما فزع إلى النصب معتمداً على التأويل، وهكذا كان يقرأ: (الزانيةَ والزّانيَ)[2]. و(السارقَ والسارقةَ)[3]، (هؤلاء بناتي هن أطهَر لكم)[4]، (يا جبال أوبي معه والطيرَ)[5] كما كان ينشد:

* يا عديًّا لقلبك المهتاج *

وهكذا وقع عيسى بن عمر في الخطأين اللذين وقع فيهما من قبل أبو

---

(١) الخصائص ٢: ١٠.

(٢) النور: ٢.

(٣) المائدة: ٣٨.

(٤) هود: ٧٨.

(٥) سبأ: ١٠.

عمرو بن العلاء، وأولهما الخلط بين مستويات اللغة، وجعل قياس النحو إلى كلام العرب كله، لا إلى مستوى واحد هو الذي يطرد وينقاس منه»[1].

والواقع أن منهج عيسى بن عمر واضح في النصّين السابقين اللذين سجلتهما، ولو حللنا نص ابن جني لوجدناه، لا يخرج كثيراً عن هذا المنهج الذي حدده عيسى بن عمر.

أما هذا الخلط بين المستويات اللغوية التي أشار إليها الأخ الفاضل فلا أوافقه عليه للأسباب الآتية:

١ ــ لا شك أن عيسى بن عمر كان من المولعين بالغريب، والغريب ليس معناه الخلط بين المستويات اللغوية، لأن الغريب كلمات من العربية لم تسعد باستعمالها في دائرة الحديث أو الكتابة، فلا يعرفها كل الناس ومعرفتها مقصورة على هؤلاء العلماء الذين تمرسوا باللغة، وعاشوا في رحابها، ووفدوا إلى مواطنها في البداية فوضعوا يدهم على مجموعة من الكلمات هي من صميم اللغة، وليست بعيدة عنها أو دخيلة عليها.

٢ ــ وأما الخلط بين اللهجات فعيسى في دراستي له لم يكن كذلك، والقصة التي دارت بينه وبين أبي عمرو في: ليس الطيب إلا المسك تشهد بذلك، فهو كان لا يعرف إلا مستوى واحداً فقط، ولكن أبا عمرو نبهه إلى أن من القبائل من يقول غير ذلك، وسنتعرض لهذه القصة فيما بعد.

٣ ــ وأما هذه النصوص في مجال القراءات فليست خارجة عن المستوى الواحد للغة، فقراءة «الزانيةَ والزاني» ومثلها: «السارقَ والسارقةَ» بالنصب ليست خارجة عن القياس اللغوي للمستوى الواحد، فهناك منصوبات لا حصر لها في الاستعمال الفصيح منصوبة بفعل مضمر، وقد

---

(١) تاريخ النحو العربي ٩٦.

لمس هــذا المعنى ابن جني في المحتسب فقــال: «وهــذا منصــوب بفعــل مضمــر أيضاً أي اجلدوا الـزانية والـزاني، فلما أضمـر الفعـل النـاصب فسـره بقـوله: «فـاجلدوا كلّ واحـدة منهما مـائة جلدة» وأجـاز دخول الفـاء في هـذا الوجه، لأنه موضع أمر»[1].

وأما ﴿هؤلاء بناتي هن أطهـر لكم﴾[2] بنصب (أطهر) فليس خـارجاً على قيـاس العربيـة وليس خلطاً بين المستويـات، ولعـل الـدكتـور الفـاضـل تـأثـر بسيبويه حينما ضعف هذه القراءة ورماها بالقبح، وليس سيبويـه حجة في هـذا فـإن ابن جني بين أنهـا جـاريـة على سنن العربية، وليس فيهــا إلا المستـوى الـواحد، قـال ابن جني: وذكر سيبـويه هـذه القراءة وضعفهـا. . . وإنما قبح ذلـك عنـده، لأنـه ذهب إلى جعـل (هن) فصـلاً ـ وليست بين أحـد الجـزأين اللذين همـا مبتدأ وخبـر، ونحو ذلـك كقولـك: ظننت زيداً هـو خيـراً منـك، وكان زيد هو القائمَ.

وأنـا من بعد أرى أن لهـذه القراءة وجهـاً صحيحاً، وهـو أن تجعل (هن) أحـد جزأي الجملة، وتجعلهـا خبراً لـ «لبنـاتي) كقولـك: زيـد أخـوك هـو. وتجعـل (أطهـر) حـالاً من (هن) أو من (بنـاتي) والعـامـل فيـه معنى الاشـارة كقولك: هذا زيد هو قائماً أو جالساً أو نحو ذلك فعلى هذا مجازه»[3].

---

(١) المحتسب ٢/ ١٠٠.
(٢) هود: ٧٨.
(٣) المحتسب ١/ ٣٢٥، ٣٢٦.

وأما قراءة ﴿يا جبال أوبي معه والطير﴾ بنصب (والطير) فهي القراءة السبعية قراءة العامة، وكان عيسى بن عمر يقرأ بها ولا حرج عليه حينما يقرأ بذلك لأنها قراءة عامة القراء من ناحية، ولأنها غير خارجة على أساليب العربية ذات المستوى الواحد من ناحية أخرى، قال المبرد: «وأما أبو عمرو، وعيسى بن عمر، ويونس وأبو عمر الجَرْمي فيختارون النصب، وهي قراءة العامة» ويدافع عنها المبرد فيقول:

«وحجة الذين نصبوا أنهم قالوا: نردّ الاسم بالألف واللّام إلى الأصل كما نرده بالإضافة والتنوين إلى الأصل... قال المبرد: والنصب عندي حسن على قراءة الناس»[1].

ولعلي بعد الذي قدمت استطيع أن اقول: إن عيسى بن عمر لم يخرج عن منهجه في النظر ألى الأكثر حينما تبنى قاعدة، أو يحرر أسلوب، أو تحلل صيغ.

وهذه أمثلة من بعض القضايا النحوية في ضوء منهجه:

١ ـ في القياس:

يقدم لنا ابن جنّي في كتابه الخصائص باباً يسميه (باب في تركيب المذاهب) ويمثل له بأن «أبا عثمان كان يعتقد مذهب يونس من ردّ المحذوف في التحقير وإن غنى المثال عنه، فيقول في تحقير «هاد»: هُوَيْئِر»...

«وسيبويه إذا استوفى التحقير مثاله لم يرد ما كان قبل ذلك محذوفاً فيقول: هُوَيْر»...

---

(١) المقتضب ٤: ٢١١، ٢١٢، ٢١٣.

ثم يقول: «وكان أبو عثمان أيضاً يرى رأي سيبويه في صرف نحو: جوارٍ علماً وإجرائه بعد العلميّة على ما كان عليه قبلها، فيقول في رجل أو امرأة اسمها: جوارٍ أو غواشٍ بالصرف في الرفع والجر على حاله قبل نقله.

ويونس لا يصرف ذلك ونحوه علماً، ويجريه مجرى الصحيح في ترك الصرف.

فقد تحصّل اذاً لأبي عثمان هنا مذهب مركّب من مذهبي الرجلين، وهو الصرف على مذهب سيبويه، والردّ على مذهب يونس.

فتقول على قول أبي عثمان في تحقير اسم رجل سميته بيري: هذا يُرَيْءٍ كـ (يُريْع) فتردّ الهمزة على قول يونس، وتصرف على قول سيبويه:

ويونس يقول في هذا: يُرَيْئي (بوزن يُرَيْعى) فلا يصرف.

وقياس قول سيبويه: يُريٍّ فلا يرد، وإذا لم يرد لم يقع الطرف بعد كسرة فلا يصرف إذاً كما لم يصرف (أُحَيّ) تصغير (أحوى).

وقياس قول عيسى أن يصرف فيقول: يُرَيٌّ، كما يصرف تحقير أحوى: (أُحَيٌّ)[1].

* * *

٢ ــ كان عيسى بن عمر يقرأ (على تقوىً من الله﴾[2] بتنوين: «تقوىً» وقد توقف سيبويه في هذه القراءة، لأنه لا يدري ما سر هذا التنوين؟ قال ابن سلام: قال سيبويه كان عيسى بن عمر يقرأ «على تقوىً من الله» قلت: على أي شيء نون؟: قال لا ادري ولا أعرفه: فهل نوّن أحد غيره: قال: لا.

قال أبو الفتح: أخبرنا بهذه الحكاية أبو جعفر بن علي بن الحجاج عن أبي خليفة الفضل بن الحباب عن محمد بن سلام.

---

(١) الخصائص ٣: ٧٢.

(٢) التوبة: ١٠٩.

فأما التنوين وإن كان غير مسموع إلا في هذه القراءة فإن قياسة أن تكون ألفه للإلحاق لا للتأنيث كـ﴿تترًى﴾ (1) فيمن نوّن، وجعلها ملحقة بجعفر، وكان الأشبه بقدر سيبويه ألا يقف في سبيل ذلك، وألا يقول: لا أدري، ولولا أن هذه الحكاية رواها ابن مجاهد ورويناها عن شيختا أبي بكر لتوقفت فيها، فأما أن يقول سيبويه: لم يقرأ بها أحد فجائز فيما سمعه، ولكن لا عذر له في أن يقول: لا أدري، لأن قياس ذلك أخف وأسهل على ما شرحنا من كون ألفه للالحاق» (2)

وهذا الدفاع من ابن جني عن هذه القراءة في مجال القياس يؤكد ما رواه ابن خلّكان عن عيسى بن عمر أنه كان له اختيار في القراءة على قياس العربية» (3) .

٣ ــ في الرجوع إلى الأصل

من ذلك ما رواه الزّجاجيّ في أماليه قال: «وأما قوله:

* سلام الله يا مطرٌ عليها *

فإنه منادى مفرد، ونوّنه ضرورة. فأما الخليل وسيبويه والمازني فيختارون أن ينونوه مرفوعاً، ويقولون: لما اضطررنا إلى تنوينه نوّنّا، على لفظه؛ والى هذا كان يذهب الفراء ويختاره.

وأمّا عمرو بن العلاء ويونس بن جبيب او عيسى بن عمرو والجَرْمي فينشدونه.

* سلام الله يا مطراً عليها *

بالنصب والتنوين، ويقولون: ردّه التنوين إلى أصله، وأصله النصب، وهذا مثل اسم لا ينصرف، فإذا اضطر الشاعر إلى تنوينه نوّنه وصرفه؛ وردّه إلى أصله: قال الشاعر:

---

(1) المؤمنون: ٤.

(2) المحتسب ١: ٣٠٤.

(3) وفيات الأعيان ٢: ١١٨. طبع ١٢٩٩ هـ.

مــا إنْ رأيتُ ولا أرى في مُــدَّتي كجــوارِي يَلْعَبْن بـالصحــراء[1]

ألا نرى كيف نوّنه وخفضه.

وقد انتصر أبـو القاسم الـزّجاجّي للخليل وأصحابـه ناقـداً رأي عيسى بن عمـر وأصحابـه في ظاهـرة الـرجـوع إلى الأصـل، قـال: القـول عنـدي قـول الخليـل وأصحابـه، وتلخيص ذلك أن الاسم المنـادى المفرد العلم مبنيٌّ على الضم. . . فـإذا لحقه التنـوين في ضـرورة الشعـر فـالعلة التي من أجلهـا بنى قائمة بعد، فينوّن على لفظه، لأنا قـد رأينا من المبينّـات ما هـو منوّن نحـو: إيهٍ، وغـاقٍ، وما أشبـه ذلك، وليس بمنـزلة مـا لا ينصرف، لأن ما لا ينصرف أصله الصـرف، وكثيـر من العـرب لا يمتنـع من صـرف شيء في ضـرورة شعـر ولا غيـره إلا أفعل منك، وعلى هذه اللغـة قرىء: «قـواريـراً قـواريـراً من فضـة[2] بتنوينهما جميعاً، فإذا نوّن إنما يـردّ إلى أصله، والمفرد المنادى العلم لم ينطق به منوّناً منصوباً قط في غير ضرورة شعر وهذا بيّن واضــح » [3].

* * *

٢ ــ ومن ذلـك مـا رواه المبـرد في المقتضب أن أبـا عمـرو، وعيسى بن عمر، ويونس والجرمي يختارون النصب في قوله تعـالى: ﴿يا جبـال أوبي معه والـطيرَ﴾[4] بنصب (والطير).

قال المبرد: وحجة الذين نصبوا أنهم قالـوا نردّ الاسم بـالألف واللام إلى الأصل كما نردّه بالإضافة والتنوين إلى الأصل » [5].

* * *

---

(١) الشاهد في الخزانة ٣: ٥٢٦، ٥٢٧.

(٢) الإنسان:١٥، ١٦.

(٣) الأمالي للزجاجي: ٨٣، ٨٤.

(٤) سبأ: ١٠.

(٥) المقتضب ٤: ٢١١، ٢١٢، ٢١٣.

٣ ــ في الحمل على المعنى

قال المبرد: «فإذا قلت: ادخلوا الأول فالأولَ فلا سبيل عند أكثر النحويين إلى الرفع، لأن البدل لا يكون من المخاطب، لأنك لو قدرته بحذف الضمير لم يجز.

فأمّا عيسى بن عمر فكان يجيزه، ويقول: معناه: ليدخل الأولُ فالأولَ. ولا أراه إلا جائزاً على المعنى، لأن قولك: ادخل إنما هو لتدخل في المعنى»[1].

* * *

٤ ــ في التعليل

في باب تسمية المؤنث في كتاب «المقتضب» يذكر المبرد أن الاسم إذا كان مكوّناً من ثلاثة أحرف أوسطها ساكن وهو مذكر عربي مثل زيد وعمرو ليس أعجميّاً مثل: خشّ ـ دلّ ـ جاز. وقد سميت بهذا الاسم المذكر مؤنثاً فإن فيه اختلافاً:

«فأما سيبويه والخليل والأخفش والمازني فيرون أن صرفه لا يجوز لأنه أخرج من بابه إلى باب يثقل صرفه فكان بمنزلة المعدول، وذلك نحو(امرأة) سميتها زيداً أو عمراً». .

«وأما عيسى بن عمر، ويونس بن حبيب،والجرمي، وأحسبه قول أبي عمرو بن العلاء فإنهم كانوا إذا سموا مؤنّثاً بمذكر على ما ذكرنا رأوا صرفه جائزاً،ويقولون: نحن نجيز صرف المؤنث إذا سمّيناه بمؤنث على ما ذكرنا

---

(١) المقتضب: ٣: ٢٧٢ .

وإنما أخرجناه من ثقل إلى ثقل، فالذي إحدى حالتيه حالُ خفة أحقّ بالصرف، كما أنا لو سمّينا رجلاً أو غيره من المذكـرّ باسمٍ مؤنث على ثلاثة أحرف ليس له مانعٌ لـم يكن إلا الصرف، وذلك أنك لو سميت رجلاً (قَدَماً) أو (فخِذاً) أو (عضُداً) لم يكن فيه إلا الصّرف لخفة التذكير»[1].

٥ ـ في المناظرات النحوية

وقد أثر عيسى بن عمر في النحو العربي بهذه المناظرات التي كانت تدور في ميدان الدراسات النحوية واللغوية.

ولا أستطيع أن أقول: إن عيسى بن عمر نشأت المناظرات النحوية على يده، لأنه قد سبق لنا أن بيّنا أن أستاذه عبد الله بن أبي إسحاق جرت على يده مناظرات عدة مع كبار رجال عصره من العلماء والشعراء كمناظرته لبلال بن أبي برده. وأبي عمرو، والفرزدق.

ومن الطبيعي أن هذه المناظرات مصدر من مصادر النحو العربي أذكت شعلة الخلافات النحوية بين علماء النحو، لأنها معرض لثقافة العصر، تتجلّى فيها روح المعرفة القائمة على الفكر، والإحاطة بكلام العرب، وكلما كان رصيد العالم كبيراً في هذا المجال كان دليله أقوى، وحججه أظهر، وغلبته مؤكدة.

من هذه المناظرات التي اشترك فيها عيسى بن عمر:

أ ـ مناظرته لأبي عمرو بن العلاء:

وقد روى هذه المناظرة الزّجاجي في أماليه فقال:

حدثني أبو عبد الله الحسن بن علي قال: حدثني عبد الله اليزيدي عن

---

(١) المقتضب: ٣: ٣٥٠، ٣٥١، ٣٥٢. بتصرّف.

عمه عن جده أبي محمد، وقال أبو جعفر محمد بن حبيب : ذكر أبو محمد اليزيدي قال :

جاء عيسى بن عمر إلى أبي عمرو بن العلاء، ونحن عنده، فقال : يا أبا عمرو، ما شيء بلغني أنك تجيزه : قال وما هو : قال بلغني أنك تجيز « ليس الطيب إلا المسك » بالرفع قال : فقال له أبو عمرو : نمت يا أبا عمرو، وأدلج الناس، ليس في الأرض حجازي إلا وهو ينصب ولا في الأرض تميمي إلا وهو يرفع.

قال اليزيدي: ثم قال لي أبو عمرو: تعال أنت يا يحيى، وتعال يا خلف (خلف الأحمر)،اذهبا إلى أبي المهدي : فلقّناه الرفع فإنه لا يرفع، واذهبا إلى المنتجع التميمي ولقّناه النصب فإنه لا ينصب.

قال : فذهبت أنا وخلف وأتينا أبا المهدي فإذا هو يصلي،وكان به عارض، وإذا هو يقول في الصلاة : اخْسَأْنانّ عني : قال : ثم قضى صلاته وانفتل إلينا فقال : ما خطبكما ؟ قلنا: جئنا نسألك عن شيء من كلام العرب.

فقال : هاتيا. فقلت له كيف تقول : ليس الطيب إلا المسك ؟ فقال : أتأمراني بالكذب على كِبْرة سني، فأين الجاديّ؟ [1] قال ابن حبيب: وحكى ابن الأعرابي : فأين بَنّة[2] الإبل الصادرة؟ وأين كذا؟ وأين كذا؟ قال اليزيدي : فقال له خلف : ليس الشراب إلا العسل. قال : فما تصنع سودان هَجَر؟ ما لهم شراب إلا هذا التمر.

قال اليزيدي : فلما رأيت ذلك منه قلت له : ليس مِلاك الأمر إلا طاعة الله والعمل بها، قال : فقال : هذا كلام لا دخل فيه، ليس مِلاك الأمر إلا طاعةَ الله والعمل به فنصب.

---

(١) الجادي : الزعفران.

(٢) بنة الأبل : رائحتها.

قـال اليـزيـدي: فقلت لـه ليس مِـلاك الأمـر إلا طـاعـة الله والعمـل بها، ورفعت فقال: لا ليس هذا من لحني ولا من لحن قومـي قـال: فكتبنـا ما سمعنـا منـــه . .

ثم أتينـا المنتجع، فـأتينا رجـلًا يعقل، فقـال له خلف : ليس الـطيب إلا المسك ، قال فرفع، ولقّناه وجهدنا به في ذلـك، فلم ينصب وأبى إلا الرفـع، قال : فأتينا أبا عمرو فأعلمناه، وعنده عيسى بن عمر لم يبرح، قـال : فأخـرج عيسى خاتمه من يده، ثم قال لك الخاتم، بهذا والله فقت الناس » [1] .

* * *

وهذه المناظرة شغلت أذهان النحاة المتأخرين عدّة قـرون فأنـه لا يخلو كتاب نحوي من ذكر هذه المناظرة،والتعليق عليها.

ومن هـذه الكتب النحويـة التي تناولت هـذه القضيـة كتـاب مغني اللبيب لابن هشام فبعد أن سـاق القصة علّق عليهـا بتخريـج لأبي علي الفارسي،ولم ينس ابن هشـام أن يكـون لـه رأي في هـذه القضيّة فضـلًا عن تتبعـه لبعض تخريجات الفارسي ونقدهـا.

قال ابن هشام : « وخرج الفارسي ذلك على أوجه :

أحـدهـا : أن في (ليس) ضميـر الشـأن، ولـو كـان كمـا زعم لـدخلت (إلا) على أول الجملة الاسميــة الـواقعــة خبـراً، فقيــل : ليس إلا الـطيب المسك كما قال.

ألا لـيس إلا مــا قضـى اللهُ كائــنٌ   ومـا يستـطيـع المـرءُ نفعـاً ولا ضـرّا

---

(١) مجالس العلماء ١، ٢، ٣، ٤ وانـظر ايضـا: المـزهـر ٢ : ٢٧٧، ٢٧٨ .

وأجاب بأن (إلا) قد توضع في غير موضعها مثل : ﴿ إن نظن إلا ظنًّا ﴾ (١)

. وقوله :

* وما اغتره الشيب إلا اغتراراً *

أي إن نحن إلا نظن ظنًّا، واغتره اغتراراً إلا الشيب، لأن الاستثناء المفرغ لا يكون في المفعول المطلق التوكيدي لعدم الفائدة فيه.

وأجيب بأن المصدر في الآية والبيت نوعيّ على حذف الصفة أي إلا ظنًّا ضعيفاً وإلا اغتراراً عظيماً.

الثالث : أنه كذلك، ولكن (إلا المسك) نعت للاسم، لأن تعريفه تعريف الجنس فهو نكرة بمعنى أي ليس طيبٌ غيرُ المسك طيباً.

ولأبي نزار الملقب بملك النحاة توجيه آخر، وهو أن (الطيب) اسمها والمسك مبتدأ حذف خبره، والجملة خبر ليس، والتقدير إلا المسك أفخرُه »

وقد أعجبني رأي ابن هشام بعد عرضه لتخريجات وتأويلات الفارسي إذ يقول : « وما تقدم من نقل أبي عمرو أن ذلك لغة تميم يرد هذه التّأويلات (٢) .

حقاً إنه رأي سديد، فما الداعي لهذه التأويلات العديدة والتخريجات المرهقة ما دام هذا الأسلوب يجري على نهج لغة تميم ؟

وكثير من القضايا النحوية قامت على لهجات مختلفة من اللهجات العربية مما أدى إلى اضطراب كثير من القواعد النحوية.

---

(١) الجاثية: ٣١.

(٢) المغني ١ : ٣٢٦، طبع دار الفكر.

وكان عيسى بن عمر يرى أن رفع الاسم بعد إلا خروج عن القاعدة ويعد عن الصواب،ولكن سرعان ما ردّه أبو عمرو في صوابه حينما قال له : « ليس في الأرض حجازي إلا وهو ينصب، ولا في الأرض تميمي إلا وهو يرفع » وهذه إشارة واضحة إلى أن الأخذ : بمستوى لغوي معين دون المستوى الآخر، وكلاهما نابع من كلام العرب ـ منطق مرفوض، فللحجاز لهجته، ولتميم لهجتها، ولا يمكن لمن يبني القواعد إلا أن ينظر إلى هذه المستويات المختلفة في إطار مكانة القبيلة من الفصاحة، والعصمة من الاختلاط بغيرها، وسلامة لسانها من الفساد.

على أن الأعرابي يستطيع أن يخطىء في لغته أو يخالف لهجته،ولو كان على سبيل المحاكاة أو التقليد.

قال ابن جني : سألت يوماً الشجري (وهو أعرابي من عقيل) كيف تجمع دكاناً فقال دكاكين، قلت : فسرحانا، قال : سراحين، قلت فعثمان، قال عثمانون، فقلت : هلا قلت : عثامين : قال أيش عثامين، أرأيت إنساناً يتكلم بما ليس من لغته ؟[1]

ونقل عن أبي حاتم سهل بن محمد السجستاني، قال: قرأ على أعرابي بالحَرَم «طيبي لهم وحسن مآب»[2] فقلت له: طوبى، فقال: طيبي، فلما طال عليّ، قلت: طوطو، فقال: طي طي [3] . .

٢ ــ مناظرته للكسائي : وقد سبق ذكرها [4]

---

(١) الإعرابيات لخليل مروم ص ٩.
(٢) الرعد: ٢٩ .
(٣) الأعرابيات ص ١١ .
(٤) انظر ص : ١٣٧ .

٣ ــ مناظرته مرة أخرى لأبي عمرو بن العلاء وقد سجلتها فيما سبق (١) .

٦ ــ في التأليف النحوي

قلت : إن عيسى بن عمر اشتغل بالكتابة، فكان مولعاً بتسجيل ما يسمعه من شعر أو لغة ولا أدل على ذلك من أن ذا الرمة كان يملي عليه شعره فيكتبه، وقد تحدّث عيسى نفسه عن مزاولته للكتابة فقال فيما رواه أبو عبيدة عنه : « كنت وأنا شاب أقعد بالليل فأكتب حتى ينقطع سوائي » (٢) أي : وسطي .

ومعنى هذا النص يشير في وضوح إلى أن قعوده بالليل ليكتب يدل على أنه في هذه الحالة كان يعاني التأليف، ويعانيه بجهد لا يعرف الكلل حتى يشعر أن وسطه قد انقطع من كثرة الكتابة.

ولهذا أميل إلى تصديق الروايات التي تقول عنه : « إن له نيّفاً وسبعين مصنّفاً ذهبت كلها » (٣).

ومن هذه الكتب كتابان ورد ذكرهما في كثير من المراجع العربية، وهما : كتابا الإكمال، والجامع، وكلاهما في النحو.

والسؤال الذي يقال هنا : لِمَ لم يتحدث الرواة عن موضوعات هذه الكتب وأسمائها ولم دار الحديث حول هذين الكتابين فقط ؟ .

سؤال خطر في نفسي ولم أجد إجابة عنه إلا في شذرات الذهب لابن عماد الحنبلي فقد قال ما نصه : « وصنّف سبعاً وسبعين كتاباً في النحو، ولم

---

(١) ص ١٣٦ .

(٢) طبقات النحويين واللغويين ٤٢ .

(٣) بغية الوعاة ٢ : ٢٣٨ تحقيق (أبو الفضل).

يبق منها سوى الجامع والإكمال لأنها احترقت إلا هذين »[1].

وهكذا وضحت مشكلة ذهاب هذه الكتب بهذه الرواية التي تقول : إن الحريق قد التهمها ولم يبق منها إلا هذان الكتابان.

ولعل رحلة سيبويه إلى عيسى ترجع إلى علم سيبويه بهذه المصنفات وهو بصدد تأليف كتابه عمدة النحو، فأراد أن يستمد من مصنفات عيسى ما يعينه على تأليف الكتاب ولكنه فوجىء بذهاب مصنفاته فعاد من رحلته، ومعه كتاب الجامع الذي رآه الخليل مع سيبويه فأعجب به.

قال ابن عماد الحنبلي : « وكان سيبويه رحل إليه، وعاد ومعه (الجامع) فسأله الخليل عن عيسى فأخبره بأخباره، وأراه (الجامع) فقال الخليل :

بطل النحو جميعاً كله غير ما أحدثه عيسى بن عمر
ذاك إكمال وهذا جامع فهما للناس شمس وقمر[2]

والقفطي في (الإنباه) يصف هذين الكتابين بالكِبَر، فيقول : « وهما تصنيفان كبيران : أحدهما (الإكمال) والآخر (الجامع).

ويقول في الموضع نفسه : « إن الجامع هو كتاب سيبويه زاد فيه وحشاه،وسأل مشايخه عن مسائل أشكلت عليه، فذكرت له فأضافها.

وانه لما أحضره إلى الخليل بن أحمد ليقرأه عليه عرفه الخليل وأنشد (البيتين المعروفين) فأشار إلى الجامع بما يشار به إلى الحاضر وهي لفظة: «هذا»[3].

---

(١) شذرات الذهب ١ : ٢٢٤، ٢٢٥.
(٢) المرجع نفسه والصفحة.
(٣) الإنباه ٢ : ٣٧٥.

وإذا قارنّا بين روايتي ابن العماد والقفطيّ نجد انهما متكاملتان؛ فرواية ابن العماد تشير إلى أن سيبويه رحل الى عيسى، ومن البديهي أن الرحلة لطلب العلم والمعرفة، وأنه قد أحضر واحداً من كتابيه وهو الجامع ورآه الخليل، وأنشد فيه البيتين، ورواية القفطي تشير إلى أن عيسى أخذ الكتاب ليقرأه على الخليل، والخليل تلميذ عيسى بن عمرو، ومن البدهي أن يعرف أسلوب الكتاب ومنهجه وطريقته فيعرفه وينسبه إلى شيخه ولا يملك إلا أن يمدحه.

ولعل تسمية الكتاب بالجامع لها دلالتها الواضحة في أنه جمع في هذا الكتاب مسائل النحو العربي وقضاياه، مما حدا بالخليل إلى أن يقول عنه: إن النحو ذهب جميعه غير هذا النحو الذي صنعه عيسى بن عمر، وفي التعبير بكلمة (الجامع) أعظم دلالة على قيمة هذا الكتاب، وأنه ليس سرداً أو حشداً لمسائل النحو من غير نظام، ولكنه صنعة محدثة اتسم بها عيسى قامت على الترتيب والتنظيم، والتبويب والتنسيق.

ومن هنا تتضح رواية محمد بن سلام الجمحي حينما قال: «إن عيسى ابن عمر وضع كتابه على الأكثر، وبوّبه وهذبه، وسمى ما شذ عن الأكثر لغات»[1].

إن معنى هذا النص لا يختلف فيه احد من زاوية المنطق والفكر، فوضع كتابه على الأكثر يوضّح أن عيسى استطاع أن يقعّد القواعد على أساس الأكثر والأعم في كلام العرب،وأنه بهذا الوضع استطاع أن يحصل على مجموعة من القواعد المطّردة. وإن صدم بمجموعة من الأساليب القليلة التي لا تندرج تحت هذه القواعد سمّاها لغات متّصفة بالشذوذ، لأنها خرجت

---

(١) الإنباه ٢: ٣٧٥.

عن اطّراد القاعدة التي استنبطها أو استخرجها من الكثير الغالب في كلام العرب.

وكان عيسى منطقياً في منهجه، فلم يرم هذه اللغات التي لم تندرج تحت ما بناه من قواعد بالخطأ والضعف، لأنها من كلام العرب إلا أنها قليلة لم تبلغ في كثرتها مبلغ اللغات التي بنى عليها القواعد.

والدليل على ذلك ما قاله أحد العلماء لعيسى بن عمر: «أخبرني عن هذا الذي وضعته في كتابك أيدخل فيه كلام العرب كله؟ قال: لا قلت: فمن تكلم خلافك، واحتذى ما كانت العرب تتكلم به نراه مخطئا؟ قال لا. قلت: فما ينفع كتابك»[١].

أما إنكار السيرافي لهذين الكتابين إذ يقول: «ولم يقعا إلينا، ولا رأينا أحداً ذكر أنه رآهما»[٢] فليس معناه عدم التسليم بوجود هذين الكتابين وإنما معناه في رأيي ـ أن هذين الكتابين انقطعت أخبارهما بعد حصول سيبويه على أحدهما: فلم يرهما السيرافي في عصره ولم يـر أحداً يذكر أنه رآهما، والمعروف أن السيرافي توفي سنة ٣٦٨ هـ[٣] هذا فضلا عن رواية أخرى توضح أن محمد بن يزيد قال: قرأت أوراقاً من أحد كتابي عيسى بن عمر وكان كالإشارة إلى الأصول»[٤].

* * *

(١)الإنباه ٢ : ٣٧٥.

(٢)البغية ٢ : ٢٣٨.

(٣)البغية١ : ٥٠٨.

(٤) ضحى الإسلام ٢ : ٢٩٠ . ط رابعة النهضة المصرية.

٧ ـ أثره في سيبويه

لا نستطيع أن ننكر أثر عيسى بن عمر في سيبويه، فقد قدمت لنا كتب الروايات على اختلافها أنه أخذ عن عيسى بن عمر، وتلقى عنه.

ونحن إذا نظرنا إلى آراء عيسى في الكتاب نجدها متنوعة، لأنها سبقت بعبارات مختلفة، وسنتناول هذه الآراء في ضوء هذه العبارات: فمن التعبيرات التي ساقها سيبويه في كتابه حول آراء عيسى التعبير بما يأتي:

١ ـ التعبير بقوله: وكان عيسى يقول، أو يقرأ:

أ ـ من ذلك قوله في (باب ما ينتصب فيه الصفة لأنه حال وقع فيه الألف واللام) «وهو قولك: دخلوا الأول فالأول، جرى على قولك: واحداً فواحداً، ودخلوا رجلاً رجلاً».

وإن شئت رفعت فقلت: دخلوا الأولُ الأولُ، جعله بدلاً وحمله على الفعل، كأنه قال دخل الأولُ فالأولُ.

وإن شئت قلت: دخلوا رجلٌ فرجلٌ «تجعله بدلاً» كما قال عز وجل: ﴿بالناصية . ناصية كاذبة﴾[1].

فإن قلت: «ادخلوا، فأمرْت فالنصب الوجه، ولا يكون بدلاً، لأنك لو قلت: ادخل الأولُ فالأولُ أو رجلٌ «رجلٌ» لم يجز، ولا يكون صفة، لأنه ليس معنى الأول فالأول أنك تريد أن تعرفه بشيء تحليه به».. ثم قال:

«وكان عيسى يقول: ادخلوا الأولَ فالأولَ، لأن معناه: ليدخل فحمله على المعنى»[2].

* * *

---

(١) العلق: ١٥، ١٦.

(٢) سيبويه ١: ١٩٨.

ب ــ وفي (باب ما ينتصب على المدح والتفظيم والشتم)

يقول: وأما قول الأحوص:

سلام الله يا مطر عليها   وليس عليك يا مطر السلام

فإنما لحقه التنوين كما لحق ما لا ينصرف، لأنه بمنزلة اسم لا ينصرف وليس مثلَ النكرة، لأن التنوين لازم للنكرة على كل حال والنصبَ.

وهذا بمنزلة مرفوع لا ينصرف يلحقه التنوين اضطراراً، لأنك أردت في حال التنوين في «مطرٍ» ما أردت حين كان غير منون، ولو نصبته في حال التنوين لنصبته في غير حال التنوين ولكنه اسم اطرد الرفع فيه وفي أمثاله في النداء، فصار كأنه يرفع بما يرفع من الأفعال والابتداء، فلما لحقه التنوين اضطراراً لم يغير رفعه، كما لا يغير رفع ما لا ينصرف إذا كان في موضع رفع، لأن مطراً وأشباهه في النداء بمنزلة ما هو في موضع رفع، فكما لا ينتصب ما هو في موضع رفع كذلك لا ينتصب هذا.

وكان عيسى بن عمر يقول: (يا مطراً) يشبهه بقوله: (يا رجلاً) يجعله إذا نون وطال كالنكرة. ولم نسمع عربياً يقوله، وله وجه من القياس إذا نوّن وطال كالنكرة. .

جـ ـ وفي (باب من أبواب إن) :

يقول: «وكان عيسى يقرأ هذا الحرف: ﴿فدعا ربه إني مغلوب فانتصر﴾[2]. أراد أن يحكي؛ كما قال عز وجل: ﴿والذين اتخذوا من دونه

---

(١) سيبويه ١ : ٣١٣.

(٢) القمر: ١٠.

أولياء ما نعبدهم﴾[1] كأنه قال: والله أعلم«قالوا ما نعبدهم»[2].

* * *

د ـ وفي (باب ما ينصرف من الأفعال إذا سميت به رجلاً).

يقول: «زعم يونس أنك إذا سميت رجلاً بضارب من قولك: ضارب وأنت تأمر، فهو مصروف».

وكذلك إن سميته (ضارَبَ) وكذلك (ضَرَبَ) وهو قول أبي عمرو والخليل ثم يقول: «وأما عيسى فكان لا يصرف ذلك، وهو على خلاف قول العرب سمعناهم يصرفون الرجل يسمى: (كَعْسَباً) وإنما هو فَعَل من الكعسبة وهو العدو الشديد مع تداني الخطا، والعرب تنشد هذا البيت لسحيم بن وثيل اليربوعي:

انـا ابن جـلا وطـلاع الثنـايـا   متى أضـع العمـامـة تعرفوني

ولا نراه على قول عيسى، ولكنه على الحكاية، كما قال:

* بنى شاب فرناها تُصرّ وتحلُب *

كأنه قال: أنا ابن الذي يقال له: «جلا»[3].

* * *

هـ ـ وفي (باب تسمية المؤنث)

يقول: «فإن سميت المؤنث بعمرو أو زيد لم يجز الصرف».

ثم يقول: « وكان عيسى يصرف امرأة اسمها (عمرو)، لأنه على أخف الأبنية»[4].

---

(١) الزمر: ٣.

(٢) سيبويه ٣: ١٤٣.

(٣) سيبويه ٣: ٢٠٦.

(٤) سيبويه ٣: ٢٤٢.

٢ ـ التعبير بقوله: وزعم عيسى:

أ ـ من ذلك قوله في (باب من اسم الفاعل الذي جرى مجرى الفعل المضارع: «وزعم عيسى أن بعض العرب ينشد هذا البيت:

فألفيته غير مستعتب ... ولا ذاكِر الله إلاّ قليلا

لم يحذف التنوين استخفافاً ليعاقب المجرور، ولكنه حذفه لالتقاء الساكنين كما قال: رحى القوم، وهذا اضطرارٌ»(١).

ب ـ ومن ذلك قوله في الباب نفسه:

«وزعم عيسى أنهم ينشدون هذا البيت:

هل أنت باعث دينار لحاجتنا ... أو عبد رب أخا عَوْن بن مخْراق(٢)

جـ ـ وفي (باب ما ينتصب على التنظيم والمدح) يقول:

«وزعم عيسى أنه سمع ذا الرمة ينشد هذا البيت نصباً:

لقد حملتْ قيسُ بن عَيْلان حربها ... على مستقلٍّ للنّوائب والحرب

أخاها إذا كانت عضاضاً سمالها ... على كل حالٍ من ذلول ومن صَعْب

زعم الخليل أن نصب هذا على أنك لم ترد أن تحدث الناس ولا من تخاطب بأمر جهلوه، ولكنهم قد علموا من ذلك ما قد علمت، فجعله ثناء وتعظيماً ونصبه على الفعل»(٣).

٣ ـ التعبير بقوله: حدثنا.

أ ـ من ذلك قوله:

«هذا باب النصب فيما يكون مستثنى مبدلاً. حدثنا بذلك يونس وعيسى

---

(١) سيبويه ١: ١٦٩.

(٢) سيبويه ١: ١٧١.

(٣) سيبويه: ٢ / ٦٥، ٦٦.

جميعاً: أن بعض العرب الموثوق بعربيته يقول: ما مررت بأحد إلا زيداً وما أتاني أحد إلا زيداً وعلى هذا: ما رأيت أحداً إلا زيداً فينصب زيداً على غير (رأيت) وذلك أنك لم تجعل الآخر بدلاً من الأول، ولكنك جعلته منقطعاً مما عمل في الأول، والدليل على ذلك أنه يجيء على معنى ولكن زيداً، ولا أعني زيداً، وعمل فيه ما قبله كما عمل (العشرون) في (الدرهم) إذا قلت: عشرون درهماً»[1].

* * *

ب ـ ومن ذلك قوله في (باب الهمز):

واعلم ان كل همزة متحركة كان قبلها حرف ساكن فأردت أن تخفف حذفتها وألقيت حركتها على الساكن الذي قبلها: وذلك قولك منَ بُوك، ومنُ مُّك، وكمِ بِلكُ، إذا أردت أن تخفف الهمزة في الأب، والأم، والإبل».

ثم قال: وقد قال الذين يخففون: ﴿ألا يسجدوا لله الذي يخرج الخبَ في السموات﴾[2]. حدثنا بذلك عيسى»[3].

* * *

تعقيب

الواقع إذا نظرنا إلى علاقة سيبويه بعيسى بن عمر في ضوء البحث نلاحظ هذه الحقائق:

١ ـ هل سيبويه أخذ عن عيسى بن عمر وتتلمذ عليه؟ معظم كتب الطبقات تثبت هذه الحقيقة التي تؤكدّ بأن سيبويه تلقى عن عيسى بن عمر

---

(١) سيبويه ٢: ٣١٩.

(٢) النمل: ٢٥.

(٣) سيبويه ٣: ٥٤٥.

وأفاد منه،ولم أجد في كتب الطبقات المعروفة لدى الدارسين كتاباً واحداً ينكر هذا التلقي أو ينفيه، ففي (نزهة الألباء) «وأخذ عن الخليل، وعن يونس وعيسى بن عمر وغيرهم»[1] وفي (أخبار النحويين البصريين): «وأخذ النحو عن الخليل وهو أستاذه وعن يونس، وعيسى بن عمر وغيرهم»[2] وفي (بغية الوعاة) «وأخذ عن الخليل ويونس وأبي الخطاب الأخفش وعيسى بن عمر»[3] وفي (معجم الأدباء): «وأخذ سيبويه النحو والأدب عن الخليل بن أحمد، ويونس بن حبيب، وأبي الخطاب الأخفش وعيسى بن عمر»[4].

والناظر الى هذه النصوص لا يتسرب إليه أدنى شك في تلمذة سيبويه لعيسى،وتلقى الروايات النحوية واللغوية عنه.

لهذا أخذتني الحيرة، واستولى عليّ العجب حينما رأيت الصديق الفاضل الدكتور أحمد مكي الأنصاري يرى أن هناك من الرواة من ينكر أخذ سيبويه عن عيسى،وينفي الالتقاء به والاستماع إليه.

ومع نقد زميلي الفاضل لهذا الرأي حاولت أن أجد فيما كتب المصدر التي استقى منه هذه الرواية التي كلف نفسه مشقة الردّ عليها، وتصويب سهام النقد إليها فلم أجد، وقد اعتمد في نقده على المنطق الفكري لا على النصّ المادي حينما افترض أن السبب في إنكار أو في الشك على حد تعبيره في أخذ سيبويه عن عيسى يرجع إلى رفض القضية القائلة بأن سيبويه بنى كتابه على كتاب عيسى بن عمر.

---

(١) نزهة الألباء ٣٨.
(٢) أخبار النحويين البصريين النحويين ٣٧.
(٣) بغية الوعاة ٢٢٩.
(٤) معجم الأدباء ١٦ : ١١٦.

ولأكون أميناً في النقل أحب أن أسوق كلام الصديق الفاضل بنصه وفصه كما يقولون. يقول الدكتور أحمد مكي الأنصاري في كتابه: (سيبويه والقراءات بعد أن تعرّض لقراءة ﴿ألا يسجدوا لله الذي يخرج الخب في السموات﴾ [1].

«وفي هذا النص أكثر من ملحظ فأنت تراه يقول: (حدثنا بذلك عيسى) فهو يعترف صراحة بأنه أخذ عن عيسى بن عمر الثقفي. وفي هذا أبلغ رد على من تشكك في أخذه عن عيسى ليتوصل بذلك إلى نفي انتفاع سيبويه بكتاب (الجامع) لعيسى بن عمر الثقفي رفضاً للقضية القائلة بأن سيبويه رحمه الله ـ بنى كتابه هذا على كتاب عيسى بن عمر فكان كتاب عيسى بمثابة المتن المركز لكتاب سيبويه، أو الجزء منه على الأقل، وما ذلك ببعيد على عيسى، أو مستبعد على سيبويه، ولا غضاضة في ذلك ولا غبار، فهذا شأن معظم المؤلفين»[2].

وعلى الرغم من إيماني بأن سيبويه أخذ عن عيسى إلا أن هناك سحباً من الشك حول هذا الموضوع تحتاج إلى ضوء كاشف يبدّد ظلمات هذه السحب ويضع يدنا على الحقيقة البلقاء، وكنت أحب من الصديق الباحث أن يكفيني مئونة هذا البحث، ولكنه توقف عند هذا الحد، بل لم يعطنا المرجع الذي يتشكك في أخذ سيبويه عن عيسى.

وقد قام في ذهني أن أبحث عن المدة الزمنية التي انتفع فيها بأستاذه عيسى لنعرف مدى تأثره به، ومدى إفادته منه.

ولما رجعت إلى سنوات الوفاة التي حددتها كتب الطبقات لعيسى ولسيبويه راعني أمر لم يتنبّه إليه أحد من الباحثين قديماً أو حديثاً فيما أعلم

---

(١) النمل: ٢٥.

(٢) سيبويه والقراءات ١٨٩.

اللهم إلا ياقوت الحموي في معجم الأدباء،أقول ذلك لأني كنت أعتقد أنني لم أسبق بهذا الرأي وسرعان ما تبدد هذا الفخر حينما علمت أن ياقوت راعه ما راعني في هذه القضية.

ولبيان ذلك نقول معظم كتب الرواة تحدد وفاة عيسى في سنة ١٤٩ هـ، ووفاة سيبويه سنة ١٨٠ هـ.

وفي رواية أن عمره إذ ذاك ٣٢ سنة، وفي رواية أخرى أنه مات، وقد نيف على الأربعين. فعلى الرواية التي تنص على أنه مات وعمره ٣٢ سنة نستطيع أن نقول: إنها مستحيلة لأن عمر سيبويه حينما مات عيسى كان عاماً واحداً، ومن البدهي السكوت عن التعليق عليها.

ويميل ياقوت في معجم الأدباء إلى الرواية الثانية التي تنص على أنه مات وقد نيف على الأربعين؛ والنّيف هو كل ما زاد على العقد حتى يبلغ العقد الثاني أي أنه من الممكن أن تكون سنه عند الوفاة تسعاً وأربعين سنة.

ولنترك ياقوت ليعرض علينا رأيه في هذه القضية قضية وفاة سيبويه قال ما نصه:

«قال المرزباني: مات بشيراز سنة ثمانين ومائة، وذكر الخطيب أن عمره كان اثنتين وثلاثين سنة،ويقال: إنه نيف على الأربعين سنة وهو الصحيح لأنه قد روى عن عيسى بن عمر، وعيسى بن عمر مات سنة تسع وأربعين ومائة، فمن وفاة عيسى الى وفاة سيبويه احدى وثلاثين سنة، وما يكون قد أخذ عنه إلا وهو يعقل، ولا يعقل حتى يكون بالغاً، والله أعلم»(١).

والذي أميل إليه لأنه يريح عقلي، ويطمئن نفسي هو ما ذكره معظم الرواة من أن سيبويه مات سنة ١٨٠ هـ كما أنني استريح أيضاً إلى الرواية

---

(١) معجم الأدباء ١٦ : ١١٥.

التي استراح إليها ياقوت وهي أنه مات وقد نيف على الاربعين سنة، لأن عمره إذا ذاك يكون اثنتي عشرة سنة تقريباً عند وفاة عيسى أو تزيد وهو عمر يتيح إليه أن يجالس العلماء؛ ويستمع إليهم، ويأخذ عنهم بخاصة إذا علمنا أنه رحل إلى بغداد ليناظر شيخاً من شيوخها وهو الكسائي ولن يرحل الا اذا كان قديراً على المهمة التي ندب من أجلها.

أما رحلته الى العراق فقال عنها ثعلب في (أماليه) ما نصه: «قدم سيبويه العراق في أيام الرشيد وهو ابن نيف وثلاثين سنة»[٢]. وهذا يدل بدون شك دلالة واضحة على أن سيبويه بدأ العلم مبكّراً، لأن بيئة البصرة التي عاش فيها كان لها أثر كبير في فتح أبواب المعرفة أمام الطلاب منذ سن مبكرة، مما ستتبينه بعدُ عند الحديث عنها.

أقول بعد هذا العرض:إن سيبويه أخذ عن عيسى في سن مبكرة وحمل عنه كتابه (الجامع) الذي لم تؤهله سنه الصغيرة لفهمه وهضمه فكان يقرؤه على أستاذه الخليل ليبين له غموضه، ويكشف له عن عويصه، ولا أدل على ذلك من رواية القفطي إذ يقول: «وأنه لما أحضره (أي الجامع) إلى الخليل بن أحمد ليقرأه عليه عرفه الخليل»[١].

* * *

٢ ـ تعبير سيبويه في الكتاب بقوله: وكان عيسى يقول أو يقرأ يشير إلى ما أفاده سيبويه من كتاب عيسى بن عمر، لأن تسجيل قول عيسى في بعض القضايا النحوية أو تسجيل قراءة له في مجال القراءات القرآنية. يدل على أن سيبويه استقى هذه النصوص من كتابه، وأبرز إشارة الى هذا هو التعبير بكان التي تدل على الماضي.

---

(١) معجم الأدباء ١٦: ١١٥.
(٢) إنباه الرواة ٢/ ٣٧٥.

ولـو أخذ عيسى هـذه النصوص عنـه مشافهـة لما عبـر عنها بقـولـه، وكـان عيسى. على أن سيبـويه إزاء هـذه النصوص التي أشـار اليها بهـذا التعبيـر لم يكن ناقداً في معظم ما يـذكر عنـه وإنما كـان مفسّراً، ففي النص (أ) من هـذا التعبيـر يقول: وكـان عيسى يقول: ادخلوا الأول فـالأول لأن معنـاه: ليـدخـل فحمله على المعنى[١]. وفي النص (ب) من هـذا القسم يحتج لـه، ويـدافـع عنـه حتى ولو لم يسمـع من العرب لأن لـه وجهـاً من القيـاس، يقـول «وكـان عيسى بن عمـر يقول» يـا مطراً يشبهـه بقولـه: يا رجـلاً بجعله إذا نـون وطـال كـالنكـرة ولم نسمـع عـربيّـاً يقـولـه ولـه وجـه من القياس إذا نـون وطـال كـالنكـرة»[٢]. وفي النص (هـ) في بـاب تسميـة المؤنث يعلل لـه ويقـول: «وكان عيسى يصرف امرأة اسمها عمرو لأنه على أخف الأبنية»[٣].

كذلك في النص (جـ) يفسـر قراءة عيسى لهـذا الحرف ﴿فـدعا ربـه إني مغلوب فـانتصـر﴾[٤] بكسـر (إن) لأنـه أراد أن يحكي ويـدعم قـراءة عيسى بآيـات قرآنية أخرى[٥].

لكنه مع ذلـك لم يكن مفسراً أو مـدافعاً في كـل ما يـورده عيسى في هذا النـوع، لأننا رأينـاه ينقده في عدم صـرف مـا سمى بـه من الأفعـال فيقـول: «وأمـا عيسى فكـان لا يصـرف هـذا لأنـه على خـلاف قـول العـرب، وذكـاء سيبـويه هـو الـذي جعله يـادر فيبـدد الأوهـام حـول البيت المشهـور: «أنـا ابن جلا » الخ فيقول فتراه على قـول عيسى ولكنه على الحكـاية، ثم يؤكـد قولـه بشعر آخر فيـه معنى الحكايـة ليوهن قـول أستاذه عيسى ، ويؤكـد الدفـاع عن رأيه.

* * *

---

(١) انظر ص ١١٠.

(٢) انظر ص ١١٠.

(٣) انظر ص ١١١.

(٤) القمر: ١٠.

(٥) انظر ص ١١٠.

٣ ــ وأما التعبير بقوله: وزعم عيسى، فمعظم ما ذكره حول هذا التعبير يدور حول أبيات استشهد بها سيبويه،ورواها عن العرب وكان الطريق الوحيد لهذه الأبيات عن طريق آخر غير طريق عيسى فإن أنسب تعبير في هذا المقام هو التعبير بـ (زعم عيسى)،لذلك نرى سيبويه يقف أمام هذه الأبيات لا موقف المدافع عنها أو الناقد لها،لأنها رواية،والرواية لا ترد، ومن حفظ حجة على من لم يحفظ،بل يقف أمامها شارحاً ومحللاً وذلك واضح من النصوص التي سجلتها في هذا القسم .

٤ ــ أما التعبيربقوله: (وحدثنا) فليس هناك أدنى شك في أنها آراء نحوية تحدث بها عيسى مع سيبويه، وقد تكون إجابة لمشكلة أو حلاً لسؤال، أو كشفاً لغموض. على أن القضايا النحوية التي عبر فيها سيبويه بحدثنا قضايا لم يضعها سيبويه في معرض النقد كما كان يفعل إزاء بعض القضايا التي تحدثت عنها سابقاً، ولكنه عرضها في باب الاستدلال لتكون دليلاً على ما يرى، وتأكيداً لما يقول، ودعماً لما يشرح على أنني لا أذهب بعيداً إذا قلت: إن هذه الآراء كتبها سيبويه بطريقة الإملاء عليه من عيسى، وقد وقعت على نصّ يؤيد هذه الفكرة، فقد جاء في إعراب ثلاثين سورة لابن خالويه ما نصه: «قال قوم: ما قرىء على الشيخ قلت فيه: أخبرنا، وما أملاه عليك قلت فيه حدثنا» [1].

* * *

من أجل ذلك نقول: إن تنوع هذه التعبيرات في مجال الرواية عن عيسى يحدد طريق التلقّي، وسبيل الرواية، ومدى التأثر.

---

(١) إعراب ثلاثين سورة ١٢٣ .

٨ ـ أثره في القراءات:

هناك قراءات نسبت لعيسى بن عمر، وقد فتحت هذه القراءات مجال المناقشات النحوية بين النحويين في العصور المختلفة.

وقد تناول قراءات عيسى النحويون في مجالات متعددة، تناولوها في مجال القراءات التي أشكل إعرابها، وفي مجال القراءات السبع وفي مجال القراءات الشّاذة، وسنورد نماذج من هذه القراءات في مجالاتها المختلفة لتكون دليلاً على أن عيسى أسهم في النحو العربي وبنائه إسهاماً فعالاً من ناحية، وأسهم في غزارة القضايا النحوية وإنمائها من ناحية أخرى.

أ ـ في القراءات المشكلة:

(في الاشتغال)

﴿والسارق والسارقة﴾[1].

قال مكي: «رفع بالابتداء، والخبر محذوف عند سيبويه، تقديره: وفيما يتلى عليكم السارقُ والسارقةُ، أو فيما فرض عليكم، وكان الاختيار على مذهب سيبويه النصب، لأنه أمر، وهو بالفعل أولى، وبه قرأ عيسى بن عمر[2].

ويعلّق الشيخ خالد في التصريح على هذه القراءة فيقول: «وقرأ عيسى ابن عمر وابن أبي عبلة (والسارقَ والسارقةَ) بالنصب، وقال أبو محمد عبد الله بن محمد بن السيد وأبو الحسن طاهر بن أحمد بن بابشاذ: ويختار الرفع في الاسم المنظور فيه الى العموم بالأمر كالآية ونحوها كالسارق

(١) المائدة: ٣٨.

(٢) مشكل إعراب القرآن ٢٢٧.

والسارقة فاقطعوا لشبهه بالشرط في العموم والإبهام، ويختار النصب في الاسم المنظور فيه إلى الخصوص بالأمر كزيداً اضربه لعدم مشابهته للشرط[1].

١ ـ في العطف على اللفظ:

﴿أن الله بريء من المشركين ورسوله﴾[2].

قال مكي: ارتفع بالابتداء، والخبر محذوف، أي ورسوله أيضاً بريء من المشركين فحذف لدلالة الأول عليه.

وقد أجاز قوم رفعه على العطف على موضع اسم (الله) قبل دخول (أنّ) وقالوا (الأذان) بمعنى القول، فكأنه لم يتغير معنى الكلام، ومنع ذلك جماعة، لأن (أن) المفتوحة قد غيرت معنى الابتداء، إذ هي وما بعدها مصدر، فليست كالمكسورة التي لا تدل على غير التأكيد، ولا يغير معنى الابتداء دخولها.

فأما عطف (ورسوله) على المضمر المرفوع في (بريء) فهو قبيح عند كثير من النحويين حتى يؤكد، وقد اجازه كثير منهم في هذا الموضع إن لم يؤكد، لأن المجرور يقوم مقام التأكيد.

فعطفه على المضمر في (بريء) حسن جيد، وقد أتى العطف على المضمر المرفوع في القرآن من غير تأكيد، ولا ما يقوم مقام التأكيد، قال الله جل ذكره: ﴿ما أشركنا ولا أباؤنا﴾[3] فعطف (الآباء) على المضمر المرفوع، ولا حجة في دخول (لا) لأنها إنما دخلت بعد واو العطف، والذي يقوم مقام التأكيد إنما يأتي قبل واو العطف في موضع التأكيد. والتأكيد لو

---

(١) التصريح ١: ٢٩٩.

(٢) التوبة: ٣.

(٣) الأنعام: ١٤٨.

أتى لـه لم يكن إلا قبل واو العطف، نحو قوله تبارك وتعالى: ﴿اذهب أنت وربك﴾[1].

ولكن جاز ذلك لأن الكلام قد طال بدخول (لا) فقام الطول مقام التأكيد.

وقد قرأ عيسى بن عمر: ﴿ورسوله﴾ بالنصب عطف على اللفظ»[2].

* * *

٣ ـ الصرف للخفة

قال مكّي: إذا جعلت (هوداً) اسماً للسورة، فقلت: هـذه هود لم تنصرف عند سيبويه والخليل كامرأة سميتهـا بزيد أو بعمرو.

وأجاز عيسى صرفه لخفته، كما يصرف (هند) اسم امرأة، فإن قدرت حذف مضاف مع (هود) صرفته، تريد: هذه سورة هود»[3].

٤ ـ في النعت على اللفظ أو على البدل

قال مكي: «قوله تعالى: ﴿قل إن ربي يقذف بالحق علّام الغيوب﴾[4] مَنْ رفع (علام) جعله نعتاً لـ (رب) على الموضع أو على البدل منه أو على البدل من المضمر في (يقذف). ومن نصبه وهو عيسى بن عمر جعله نعتاً لـ (ربّ) على اللفظ أو على البدل»[5].

---

(١) المائدة: ٢٤.

(٢) مشكل إعراب القرآن ١: ٣٥٥ ـ ٣٥٦.

(٣) مشكل إعراب القرآن: ٣٠٤.

(٤) سبأ: ٤٨.

(٥) مشكل إعراب القرآن ٢: ٢٩٢.

٥ ـ في جمع فعيل

قوله تعالى: ﴿إنا بُرآء منكم﴾[1].

قال مكي: هو جمع بريء مثل كريم وكرماء.

وأجاز أبو عمرو وعيسى بن عمر (بِرآء) بكسر الباء، جعلاه مثل كريم وكِرام»[2].

* * *

ب ـ في القراءات السبع

هناك قراءات متعددّة في مجال القراءات السبع نسبت لعيسى وغيره من النحاة الذين سبقوه أمثال يحيى بن يعمر، وعبد الله بن أبي إسحاق والأعرج.

وقد سجل هذه القراءات ودافع عنها مكي في كتابه: (الكشف عن وجوه القراءات السبع). وكان دفاعه يدور في فلك النحو العربي.

ولما كانت هذه القراءات قد سبق ذكرها في هذا البحث، فإننا نحيل القارىء إليها، ونكتفي بهذه الإحالة عن ذكرها وتكرارها مرة أخرى.

* * *

جـ ـ في القراءات الشاذة

وقد تناول ابن جني في كتابه: (المحتسب) عدة قراءات شاذة منسوبة الى عيسى بن عمر، دافع عنها، وبين وجه الصواب فيها، ودلّل على أنها غير خارجة عن نهج العربية ومن هذه القراءات ما يأتي:

---

(١) الممتحنة: ٤.

(٢) شكل إعراب القرآن ٣٧١.

١ ــ في الرفع على العطف على الضمير

قــال ابن جني : من ذلــك قــراءة عيسى الثقفـي : «فــاجمِعـوا أمــركـم وشركاؤكم»[١] مكسورة الميم، ورفع (شركاؤكم).

قـال ابو الفتـح : فرفعـه على العطف على الضميـر في (أجمعـوا) وسـاغ عـطفه عليـه من غير تـوكيـد للضميـر في : (اجمعـوا) من أجـل طـول الكـلام بقوله : (أمركم).

وعلى نحو من هذا يجـوز أن تقول: قم إلى اخيـك وأبو محمـد، واذهب مـع عبد الله وأبـو بكر، فتعـطف على الضمير من غير توكيد وأن كان مـرفوعـاً ومتصلاً لما ذكرنا من طول الكلام بالجار والمجرور.

وإذا جـاز قول الله تعـالى : ﴿مـا أشـركنـا ولا آبـاؤنـا﴾ وان تكتفي بـطول الكلام بـ(لا) وإن كانت بعد حرف العـطف كان الاكتفـاء من التوكيـد بما هـو أطـول من (لا) وهو أيضـاً قبـل الـواو ـ كمـا أن التـوكيـد لـو ظهـر فيهـا لكـان أحرى»[٢].

* * *

٢ ــ في الحـــال

﴿سلاماً قولاً﴾[٣]

قـال ابن جنـي: «وقرأ عيسى الثقفي : «سـلامـاً قـولاً» نُصِبا جميعاً، وأمـا (سـلامـاً) بـالنصب فحـال ممـا قبله ،أي ذلـك لهم مسلّمـاً أو مسالماً، ونصب (قولاً) على المصدر»[٤].

---

(١) يونس : ٧١.

(٢) المحتسب ١/٣١٤.

(٣) يّس: ٥٨.

(٤) المحتسب ٢ : ٢١٥.

٣ ـ النصب بفعل مضمر: ﴿من نهار بلاغاً﴾[١] (قراءة عيسى).

قال أبو الفتح: هو على فعل مضمر أي بَلَغُوا أو بُلِّغُوا بلاغاً »[٢].

٣ ـ النصب على الحال﴿خافضة رافعة﴾[٣] بالنصب (قراءة عيسى) قال أبو الفتح: «هذا منصوب على الحال، وقوله:﴿ليس لوقعتها كاذبة﴾حينئذ حال أخرى قبلها، أي إذا وقعت الواقعة، صادقةَ الوَقْعَة خافضةً، رافعةً، فهذه ثلاث أحوال: أولاهن الجملة التي هي قوله:
«ليس لوقعتها كاذبة» ومثله: «مررت بزيد جالساً متكئاً ضاحكاً وإن شئت أن تأتي بعشرة أحوال إلى أضعاف ذلك لجاز وحسن»[٤].

* * *

٥ ـ في حذف المبتدأ

قال أبو الفتح: ومن ذلك قراءة عيسى الثقفي:﴿ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل كل شيء، وهدى ورحمة﴾[٥]برفع الثلاثة الأحرف.

قال أبو الفتح: «أي ولكن هو تصديق الذي بين يديه، وتفصيل كل شيء وهدى ورحمة، فحذف المبتدأ، وبقي الخبر»[٦].

أما بعد، فهذه خطوط بارزة لشخصية عيسى بن عمر حاولت أن اجمعها من المصادر المتعددة، لألمّ شملها، وأجمع شتاتها.

---

(١) الأحقاف: ٣٥.
(٢) المحتسب ٢/٢٦٨.
(٣) الواقعة: ٣.
(٤) المحتسب ٢: ٣٠٧.
(٥) يوسف: ١١١.
(٦) المحتسب ١: ٣٥٠.

وفي ضـوء هذه الخـطوط عـرفنـا أن عيسى بن عمـر أثـر في الـدراسـات النحـوية تـأثيراً عـظيماً بمـا قدم في مجـالها من ألـوان مختلفة سـاعـدت على نهضـة النحـو العـربي في المـرحلة التي تسلم قيـادتهـا صـاحبـه أبـو عمـرو، وتلميذه الخليل.

(٢) أبو عمرو بن العلاء

١ ــ اسمه وكنيتـه :

اختلف الرواة في اسمه، فالزبيدي يقول: «إن اسمـه كنيته»[١] ويـاقوت في معجم الأدبـاء يذكـر هذا الاختـلاف بين الرواة، ولكنـه يرجـح أن كنيته ليست هي اسمه فيقول «واختلف في اسمـه على أحد وعشـرين قولاً، والصحيـح أنه «زبان»، ثم يسوق سلسلة نسبه إلى أن يصل بـه إلى مضر بن معـد بن عـدنـان فيقول زبّان بن عمار بن العريـان. . إلى أن يقول بن اليـاس بن مضر بن معـد ابن عدنان»[٢] .

فهو بهذه النسبـة عربي قـح يلتقي نسبه بنـسب الـرسول عليـه السلام عنـد إلياس بن مضر.

وهنـاك رواية تنفي عن أبي عمـرو النسب إلى العرب، وتبين أنـه من فارس من مـوضع يقـال له (كـازرون) وهي بلدة معـروفـة في فارس، وهـذه الـروايـة ذكرها الذهبي في طبقات القراءة منسوبة الى القاضي أسد اليزيدي[٣].

على أن بعض الـرواة يـذكـر أن اسمـه «ربـان» بـالـراء المهملة: قـال الذهبي:

---

(١) طبقات النحويين ١ : ٣٥.

(٢) معجم الأدباء ١١ : ١٥٦ .

(٣) غاية النهاية ١ : ٢٨٩ .

«والذي لا أشك فيه أنه زبان بالزاي، وقد أغرب ابن الباذش في حكايته ربان بالراء والباء الموحدة، وأغرب من ذلك ما حكى عن بعضهم: (ربار) بالراء وآخر الحروف، قال وهو تصحيف»(١).

وذكر السيوطي سبب هذا الاختلاف في اسمه فقال: «وسبب الاختلاف فيه أنه كان لجلالته لا يسأل عن اسمه»(٢).

ويبدو أن الاختلاف في اسمه حدث في عصره حتى إن الأصمعي تلميذه وصاحبه كان يجهل الاسم الحقيقي لأبي عمرو، لأنه قال: «قلت لأبي عمرو: ما اسمك: فقال لي: أبو عمرو»(٣). على أن هناك رواية أخرى يعترف فيها أبو عمرو بأن اسمه زبان فقد روي: أن الفرزدق جاء معتذراً إليه من أجل هجو بلغه عنه فقال أبو عمرو:

هجوت زبّان ثم جئت معتذراً من هجو زبان لم تهجو ولم تدع(٤)

وفي رأيي أن هذا الاختلاف في اسمه: هل هو أبو عمرو أو زبان؟ يرجع إلى أن كثيراً من رجالات العرب في السياسة والحكم، والعلم كانوا يحتفظون بالاسم بجانب الكنية، فمنهم من يذكر باسمه، ومنهم من يذكر بكنيته، والأمثلة على ذلك كثيرة، ولا أدل على ذلك من أن أبا عمرو نفسه ذكر أن اسمه زبان حينما عاتب الفرزدق على هجائه، ثم ذكره مرة اخرى في مجال الكنية حينما سأله الأصمعي ما اسمك؟ وفي كلتا الإجابتين إشارة إلى أنه يسمى بهاتين التسميتين.

---

(١) المرجع نفسه والصفحة.

(٢) المزهر ٢: ٤١٨.

(٣) مراتب النحويين ١٤.

(٤) معجم الأدباء ١١: ١٥٨.

٢ ـ ولادته ونشأته:

يذكر ياقوت أن أبا عمرو ولد بمكة سنة ثمان أو خمس وستين[١].

وأسرة أبي عمرو أسرة علمية، فقد كان له أخوان عالمان يروي عنهما العلماء بحدثنا الزبيدي فيقول: «سمعت يحيى يقول: أبو عمرو بن العلاء ثقة وأبو سفيان بن العلاء، ومعاذ بن العلاء أخوا أبي عمرو يروي عنهما وكيع»[٢].

ومن البدهي أن اسرة تضم ثلاثة إخوة يحملون لواء المعرفة والعلم في عصرهم لا بد أن تهتم بتنشئة أبنائها تنشئة علمية منذ الصغر، وقد ظفر أبو عمرو بهذه الرعاية العلمية منذ سن مبكرة، ولا أقول هذا الكلام افتراضاً أو احتمالاً، لأن أبا عمرو نفسه تولى بيان هذه الحقيقة، فقد قال الزبيدي: قال أبو عمرو: أخذت في طلب العلم قبل أن أختن»[٣].

أما المدن التي تلقى فيها العلم، والشيوخ الذين أخذ عنهم فإننا نترك ياقوت ليحدثنا عن ذلك. قال ياقوت: «أخذ بمكة والمدينة، والكوفة والبصرة عن شيوخ كثيرين منهم أنس بن مالك، والحسن البصري، وسعيد ابن جبير وعكرمة ومجاهد»[٤].

أما أساتذته في النحو فقد ذكر الزبيدي أنه أخذ عن ابن أبي إسحاق[٥] وذكر ياقوت أنه أخذ النحو عن نصر بن عاصم الليثي»[٦].

---

(١) معجم الأدباء ١١: ١٥٩.

(٢) طبقات النحويين ٣٧، ووكيع هو وكيع بن مليح الرؤاسي أبو سفيان مات سنة ١٩٦ هـ (هامش طبقات النحويين).

(٣) طبقات النحويين ٣٧.

(٤) معجم الأدباء ١١: ١٥٩.

(٥) طبقات النحويين ٣٥.

(٦) معجم الأدباء ١١: ١٥٩.

٣ ـ مكانته العلمية:

عرف لأبي عمرو مكانته علماء عصره، فقد أعطوه حقه من الإجلال والإكبار، كما عرف هذه المكانة الرواة فأشادوا به، وأحاطوه بعبارات الثناء.

قال عنه يونس: «لو كان أحد ينبغي أن يؤخذ بقوله في كل شيء كان ينبغي أن يؤخذ بقول أبي عمرو بن العلاء.

وقال أبو عيينة: أبو عمرو أعلم الناس بالقراءات والعربية وأيام العرب، والشعر»(١).

وقال شعبة(٢) لعلي بن نصر الجهضمي: «خذ قراءة أبي عمرو فيوشك أن تكون إسناداً»(٣).

ويتحدث إبراهيم الحرْبيّ عن أهل العربية في عصر أبي عمرو فيقول: «كان أهل العربية كلهم أصحاب أهواء إلا أربعة فإنهم كانوا أصحاب سُنّة أبو عمرو بن العلاء، والخليل بن أحمد، ويونس بن حبيب البصري، والأصمعي»(٤). ومدحه الفرزدق الشاعر بقوله:

ما زلت أفتح أبواباً وأغلقها حتى أتيت أبا عمرو بن عمار(٥)

وأبو عمرو نفسه مدح نفسه في مجال العلم والمعرفة، وقد أزال الأصمعي شبهة الفخر وتزكية النفس عن أبي عمرو حينما تحدث عن نفسه، وأشاد بقدره، قال الأصمعي وسمعت أبا عمرو يقول ـ ولم يقله إن شاء الله بغياً ولا تطاولاً ـ ما رأيت أحداً قط أعلم مني»(٦).

---

(١) معجم الأدباء ١١: ١٦٠.

(٢) توفي سنة ١٦٠ هـ.

(٣) مراتب النحويين ١٥.

(٤) نزهة الألباء ١٨.

(٥) مراتب النحويين ١٥.

(٦) مراتب النحويين ١٥ والحسن هو الحسن البصري توفي ١١٠ هـ وانظر مراتب النحويين ١٥.

وفي موضع آخر قال: «كنت رأساً والحسن حيّ»[1]. ومن الرواة الذين أشادوا بقدر أبي عمرو:

الزبيدي «إذ يقول: وكان أوسع علماً بكلام العرب ولغاتها وغريبها»[2].

وابن الأنباري: إذ يقول: «هو العَلَم المشهور في علم القراءة واللغة العربية وكان من الشأن بمكان»[3].

وأبو الطيب: «إذ يقول: وكان سيد الناس وأعلمهم بالعربية والشعر ومذاهب العرب» [4].

٤ ـ تلاميذه:

أما تلاميذه الذين تلقوا عليه العلم، وأخذوا منه المعرفة فقد عدد أسماءهم ياقوت فقال: «وأخذ عنه القراءة عرضاً وسماعاً كثيرون منهم: عبد الله بن المبارك، واليزيدي، وأخذ عنه النحو الخليل بن أحمد، ويونس بن حبيب البصري، وأبو محمد اليزيدي.

واخذ عنه الأدب وغيره طائفة منهم: أبو عبيدة معمر بن المثنى، والأصمعي ومعاذ بن مسلم النحوي وغيرهم.

وروى عنه الحروف سيبويه»[5].

٥ ـ صفاته وأخلاقه:

لم تكن حياة أبي عمرو تدور في فلك المادة، كل ما يريده هو لقيمات

---

(١) طبقات النحويين ٣٧.

(٢) المرجع نفسه ٣٥.

(٣) نزهة الألباء ١٦.

(٤) مراتب النحويين ١٥.

(٥) معجم الأدباء ١: ١٦٠.

يُقمن صلبه من أجل أن يعيش لرسالته، ويحيا لأداء متطلبات العلم والمعرفة.

فمن صفاته البارزة الزهد، وما بقي في يده تصدق به لغيره:

قال الأصمعي: «كان لأبي عمرو بن العلاء من غلته كل يوم فلسان:

فلس يشتري به كوزاً، وفلس يشتري به ريحاناً، فيشم الريحان يومه، ويشرب في الكوز يومه، فاذا أمسى تصدق بالكوز، وأمر الجارية أن تجفّف الريحان وتدقه في الأشنان»(1).

ومن صفاته الكرم، فقد تحدث أبو حاتم عن الأصمعي قال: «كان أبو عمرو بن العلاء يوسّع لي، وربما حلف ألا يخبرني بحرف حتى آكل»(2).

ومن صفات أبي عمرو كرمُ طبعه، واتّساع أفقه الاجتماعي، ففي عصره، لم تصل المرأة إلى المستوى الاجتماعي الذي يتيح لها أن تشارك الرجال في ميدان الفكر، ومجالات المعرفة، ولكن أبا عمرو العالم الذي يعرف أثر العلم في المجتمع لم يخص به الرجال دون النساء،لأنه جعل من نفسه القدوة التي تحتذى في تعليم البنت لتأخذ مكانتها في الوجود، ولا أدل على ذلك من رواية الأصمعي إذ يقول: «وكانت ابنته تجيء وتجلس عندنا في مجلسه وقد حجم الثدي على نحرها»(3).

وإني أحس من هذه الرواية بأن الأصمعي كان يشعر أن حضور ابنته في هذه السن خروج على العرف، وانحراف عن التقليد، ومفهوم العبارة الأخيرة (وقد حجم الثدي على نحرها) تأكيد لهذا الخروج، ودليل على

---

(1) طبقات النحويين واللغويين ٣٦ .

(2) المرجع نفسه ٣٧.

(3) طبقات النحويين ٣٧.

هذا الانحراف وفي الوقت نفسه كان الأصمعي يشير إلى شجاعة أبي عمرو والإعجاب به،لأنه في سبيل العلم لا يأبه بهذه التقاليد، أو يحترم هذه الأعراف.

ولم ينس الزبيدي أن يبين لنا أن مجلس أبي عمرو لم يكن من قبيل الصدفة أو وليد الارتجال بل كان له يوم محدد وساعة معينة حرصاً على الوقت وإيماناً بالنظام.

أما اليوم الذي ينعقد فيه مجلسه فقد وضحه الزبيدي بما روى عن تلميذه الأصمعي إذ يقول: «وعيسى بن عمر وضَرْبه إنما كانوا يلقونه يوم الجمع»(١) وتحديد هذا اليوم الأسبوعي للقاء تلاميذه وأصحابه للدرس والبحث والسؤال والإجابة يدل على حرصه البالغ على الانتفاع بالوقت، وتنظيمه حتى لا يتبدّد تحت ضغط ظروف الحياة.

يصور ذلك ما حكاه الأصمعي، قال: غدوت ذات يوم إلى زيارة صديق لي، فلقيني أبو عمرو بن العلاء، فقال لي: إلى أين يا أصمعي: قلت إلى صديق لي فقال: إن كان لفائدة أو لمائدة أو لعائدة، وإلا فلا(٢).

من هذا النص نتبين أن الوقت عند أبي عمرو ينفق من اجل الفائدة أو المائدة أو لعيادة المريض، وما عدا ذلك فالوقت من ذهب لا يجمل بطالب علم أن يضيعه فيما لا يفيد.

وقصة أبي عمرو مع الحجاج وفراره منه تدل على شجاعته في قول الحق ومواجهته لسفاح بني أمية مما جعل الحجاج يتوعده ويهدده، وقد حكى ذلك أبو عمرو عن نفسه فقال: «كنت هارباً من الحجاج بن يوسف وكان يشتبه علي (فرجة) هل هو بالفتح أو بالضم فسمعت قائلاً يقول:

---

(١) طبقات النحويين واللغويين ٣٨.

(٢) نزهة الألباء ١٦، ١٧.

ربما تجزع النفوس من الأمـ ـرِ لـه فـرجـة كحـل العقـال

بفتح الفتاء من (فرجة) ثم قال : ألا إنه قد مات الحجاج، فقال أبو عمرو: فما أدري بأيهما كنت أشد فرحاً بقوله: فرجة وبقوله: مات الحجاج؟[1] ولم يكن أبو عمرو كعيسى بن عمر يحب التقعر في كلامه، وينطق بالغريب في حديثه، بل كان كلامه سهلاً لا صعوبة فيه، ذكر ذلك عبد الرحمن ابن أخي الأصمعي، قال: حدثني عمّي قال: كنت إذا سمعت أبا عمرو بن العلاء يتكلم ظننت أنه لا يحسن شيئاً ولا يلحن، يتكلم كلاماً سهلاً[2].

وإيمان أبي عمرو الكبير بأن الحياة ظلّ زائل جعله ذا حسّ مرهف نحو الحياة والموت والدنيا والآخرة، فقد تحدّث أبو العباس الأديب عن الأصمعيّ عن أبي عمرو قال: بينا ذات يوم - أحسبه قال في ضَيْعتي - سمعت قائلا يقول:

وإن امرأً دنياه أكبر همه لمستمسك منها بحبل غرور

قال: فكتبت هذا البيت على فص خاتمي، فكان نقشه هذا[3].

ويعجب الحسن البصري إمام عصره بحلقة أبي عمرو لأنها عامرة بالناس حافلة بالعلم والمعرفة، ويوضح هذا الإعجاب الأخفش حينما قال:

«مرّ الحسن بأبي عمرو وحلقته متوفرة، والناس عكوف فقال: من هذا؟.

قالوا: «أبو عمرو: فقال: لا إله إلا الله كادت العلماء تكون أرباباً. كل عزّ لم يؤكد بعِلْم فإلى ذلّ يئول»[4].

---

(١) المرجع نفسه والصفحة.

(٢) طبقات النحويين واللغويين ٣٧.

(٣) طبقات النحويين واللغويين ٣٨

(٤) غاية النهاية ٢٩٢.

ورحم الله يونس فقد جاء إلى أولاد أبي عمرو ليسرّيهم حينما بلغه موت أبي عمرو فقال: «نعزيكم وأنفسنا بمن لا نرى له شبهاً آخر الزمان، والله لو قُسِّمَ علم أبي عمرو وزهده على مائة إنسان لكانوا كلهم علماء زهاداً، والله لو رآه رسول الله ﷺ لسره ما هو عليه»(١).

هذا وكانت وفاة أبي عمرو في طريق الشام سنة أربع وخمسين ومائة(٢).

* * *

ثقافة أبي عمرو مصادرها:

كان أبو عمرو رأساً في الثقافة العربية، وعلماً من أعلامها الذين تطورت على يدهم اللغة العربية في مجالاتها المختلفة شعراً ونقداً، ونحواً وصرفاً، وقرآناً وحديثاً، وكان أبو عمرو يعرف مكانة التفقه في اللغة لأنها المصدر الأول لكل الدراسات، القرآنية والإسلامية: وقد روى عنه في هذا الشأن كلمة ترددت في كتب الرواة وهي: «أكثر من تزندق بالعراق لجهلهم بالعربية»(٣).

وثقافة أبي عمرو ثقافة رجل اتسع أفقه، ونمت مداركه، ونضج عقله، لأنه كان جهاز استقبال لكل ألوان الثقافة في عهده، يُخالط العامة، ويجالس الخاصة ولا يحاول أن يظهر مقدرته اللغوية وثقافته العالية لمن لم يكن لها أهلاً، وإنما يظهر ذلك لمن يعرفون للغة قدرها، ويفهمون مقاصدها، ولعل أبا عمرو اتعظ بما حدث لزميله عيسى بن عمر بسبب تقعره في اللغة واستعماله الغريب، فكان حكيماً في سلوكه عاقلاً في عرض لغته، والقصة التالية توضح هذا المعنى الذي إليه قصدت.

(١) المرجع نفسه والصفحة.
(٢) طبقات النحويين: ٤٠.
(٣) نزهة الألباء ١٦ وغيره.

«حكي:أن أبا عمرو بن العلاء قصده طالب ليقرأ عليه، فصادفه بكلأ[1] البصرة وهو مع العامة يتكلم بكلامهم، لا يفرق بينه وبينهم، فنقص في عينه وعلم أنه كلم كل طائفة بما يناسبها من الألفاظ»[2].

وتتضح ثقافة أبي عمرو وضوحاً كاملاً في مجلسه مع رجل من مضر فقد «فاخر مضريٌّ يمانياً، فعلاه اليماني، فقال أبو عمرو للمضري: قل له: لنا النبوّة والخلافة والكعبة والسدانة، والسقاية، واللواء، والرفادة، والندوة، والشورى، والهجرة وفتوح الآفاق، وبنا سميت الأنصار انصاراً، ومنا أول من تنشق عنه الأرض، وصاحب الحوض، وأول شافع ومشفع.

وأول من يدخل الجنة، وسيّد ولد آدم، وأكرم الناس أمّاً وأباً، وأخاً وأختاً وجدًا وجدة وعمًّا وعمّةً، وخالاً وخالة، ومنا الأسباط، ولنا الملوك، وفينا الأنبياء، فمن عزّ منكم فنحن أعززناه ومن ذل منكم فنحن أذللناه.

قال: «فعجب الناس من كلامه حتى كأنه يقرؤه من كتاب»[3].

وللقارىء أن يسأل: هذه الثقافة الواسعة لأبي عمرو: ما مصدرها؟ وعمّن أخذها؟ وللإجابة عن هذا السؤال نقول: إن هناك منابع علمية في عصر أبي عمرو استقى منها وارتوى حتى وصل إلى ما وصل إليه من ألوان المعرفة، وشعابها المختلفة فما هذه المنابع؟

١ ــ الرحلات العديدة لأبي عمرو أتاحت له فرصة الالتقاء برجال هذه البلاد التي رحل إليها وقد أخذ عنهم ما يحتاج إليه لإنماء معارفه اللغوية والأدبية.

---

(١) في هامش مفتاح السعادة ١: ١٠١ الكلأ بالفتح ثم التشديد والمد / محلة مشهورة وسوق بالبصرة.

(٢) مفتاح السعادة ١: ١٠١.

(٣) مجالس العلماء ١٠٨.

ومن هذه الرحلات رحلته إلى اليمن، فعن الأصمعي قال: قال أبو عمرو بن العلاء: سمعت أعرابياً يمانيّاً يقول: فلان لغوب جاءته كتابي فاحتقرها فقلت تقول: جاءته كتابي؟ فقال: أليس بصحيفة؟ فقلت له: ما اللغوب؟ فقال الأحمق[1].

وعن الأصمعي أيضاً «عن أبي عمرو بن العلاء: أنه سمع رجلاً من خولان يقول باليمن قد مات لهم سيد: «أي عير انقعر منا» أي أيّ سيد»[2]. وتحدث أبو عمرو عن رحلته إلى اليمن بصراحة إذ يقول: «كنت باليمن فأتيت دار رجل أسأل عنه: فقال لي رجل من الدار: اسمك في (الرّيم) أي اصعد الدرجة»[3].

٢ ــ وسمع من أهل نجد، فعن الأصمعي عن أبي عمرو أن رجلاً من أهل نجد أنشده:

حتى كأن لم يكن إلاّ تذكّره والدّهر أيّتما حالٍ دهاريرُ[4]

* * *

٣ ــ وذهب الى الشام: «فعن علي بن نصر قال: قدم أبو عمرو إلى الشام فأتاه الناس يسألونه فكان فيمن سأله يومئذ هارون»[5].

٤ ــ ويحدد أبو عمرو القبائل التي تؤخذ عنها اللغة في مجالي الفصاحة والإعراب، قال الأصمعي: قال أبو عمرو بن العلاء: أفصح الشعراء ألسناً وأعربهم أهل السّروات: وهن ثلاث، وهي الجبال المطلة على تهامة مما

(١) جمهرة اللغة ٣١٩/١.
(٢) جمهرة اللغة ٣٩٢/٢.
(٣) جمهرة اللغة ٢: ٤١٩، ٣: ٤٦.
(٤) الخصائص ٢: ١٧١.
(٥) مجالس العلماء ٢٧١ ـ هو هارون بن موسى القارىء توفي سنة ١٧٠.

يلي اليمن، فأولها هذيل، وهي تلي الرمل من تهامة، ثم علية السراة الوسطى وقد شركتهم ثقيف في ناحية منها، ثم سراة الأزد أزد شنؤة وهم بنو الحرث بن كعب بن الحرث بن نصر بن الأزد.

وقال أبو عمرو أيضا: أفصح الناس عليا تميم، وسفلى قيس[1].

* * *

٥ ـ الأخذ عن الإعراب والكتابة عنهم، والرحلة إليهم:

يقول ابن جني في باب في «تركيب اللغات» ما نصه:

«والخبر المرفوع في ذلك وهو سؤال أبي عمرو أبا خِيرة[2] عن قولهم: استأصل الله عِرقاتهم[3]، فنصب أبو خيرة (التاء) من (عرقاتهم) فقال له أبو عمرو: هيهات أبا خيرة لان جلدك.

وذلك أن أبا عمرو استضعف النصب بعدما كان سمعها منه بالجرّ، قال: «ثم رواها فيما بعد أبو عمرو بالنصب والجر، فإما أن يكون سمع النصب من غير أبي خيرة ممن يرضى عربيته، وإما أن يكون قوي من نفسه ما سمعه من أبي خيرة من نصبها، ويجوز أيضاً أن يكون قد أقام الضعف في نفسه، فحكى النصب على اعتقاده ضعفه، وذلك أن الأعرابي ينطق بالكلمة يعتقد أن غيرها أقوى في نفسه منها»[4].

٦ ـ روايته للشعر العربي:

من أهم المنابع الثقافية التي شرب منها أبو عمرو حتى ارتوى منبع

---

(١) المزهر ٢ : ٤٨٣.

(٢) هونهشل بن زيد انظرها من الخصائص ١ : ٣٨٤.

(٣) جمع عرقه وهي الأصل «هامش الخصائص ١ : ٣٨٤» .

(٤) الخصائص ١ : ٣٨٤.

الشعر العربي فقد كان نجم زمانه في هـذا المضمار، وفـارس عصره في هـذه الحلبة، لأنه عاش في حقل الشعر العربي راوية، ودارساً، وناقداً.

وكان الرواة يعـرفون لأبي عمـرو هذه المنـزلة في روايـة الشعر، فهـذا هو الأصمعي تلميذه يقول عنـه فيما رواه الجـاحظ: «جلست إلى أبي عمرو عشـر حجج فما سمعته يحتج ببيت إسلامي»(١).

أما الأمثلة التي تدل على استيعابه للشعر العربي، ومعـرفـته بفنونه فـإليك صوراً منها:

أ ــ قـال ابن دريـد: الخُلْبة، الخُصلة من الليف، والجمـع خُلَب، قـال الشـاعر يصف ثـوراً طاردته الكلاب، وزعمت عبـد القيس أنها لهـا وادَّعتهـا الأزد:

غـبـاره فـي أثـره سـاطـع مثـل رشـاء الخُلُب الأجـرد

وكـان الأصمعي يقول: «أنشـدني أبـو عمـرو بن العـلاء هـذه القصيـدة، وهي أحسن شيء قيل في الغبار»(٢).

ب ــ وقال ابن دريد: ومال حَير: كثير. قال أبو حاتم: قال الأصمعي: قال أبو عمرو بن العلاء: رأيت باليمن امرأة ترقص ابنها وهي تقول:

يـا ربنـا من سـرّه أن يكبَـرا فسُق لـه يـا رب مـالاً حَيـرا(٣)

جـ ــ روى المرزباني أن الأصمعي «قـال: سمعت أبا عمـرو بن العـلاء يقول: لقيت الفرزدق في المربد: فقلت: يـا أبا فـراس: أحدثت شيئـاً؟ قال:

---

(١) البيان والتبيين ١: ٣٢٠. ٣٢١.

(٢) الجمهرة ١: ٢٣٩.

(٣) الجمهرة ٢: ١٤٧.

فقال: خذ، ثم انشدني:

كم دون ميّة من مستعمل قَذفٍ (١) ومن فلاة بها تستودع العيسُ

قال: «فقلت: سبحان الله، هذا للمتلمس: قال: اكتمها فلضوال الشعر أحسب إلي من ضوال الإبل»(٢).

د ـ معرفته بقبائل العرب، ونسبة الشعر إليها:

قال ابن عبد ربه: قال أبو عمرو بن العلاء: كانت بنو سعد بن تميم أغدرالعرب، وكانوا يسمون الغدر في الجاهلية كيسان، فقال فيها الشاعر:

إذا كنت في سعد وخالك منهُمُ غريباً فلا يضررك خالك من سعد
إذا ما دعوا كيسان كانت كهولهم الى الغدر أدنى من شبابهم المرد(٣)

هـ ـ وكان الشعراء يحرصون على زيارة أبي عمرو ومصاحبته للإفادة منه ومن روايته للشعر، وقد تحدث أبو عمرو عن هذا فقال: «نزل جرير وهو مقبل من عند هشام بن عبد الملك، فبات عندي إلى الصبح، فلما أصبح شخص وخرجت معه أشيعه، فلما خرجنا عن أطناب البيوت التفت إلي فقال: أنشدني من قول مجنون بن عامر قيس بن الملوح، فأنشدته:

وأَدْنَيْتِني حتى اذا سبقتني بقول يُحِل العصم سهل الأباطح
تجافيت عني حين لالي حيلة وغادرت ما غادرت بين الجوانح

فقال: «والله لولا أنه لا يحسن لشيخ مثلي الصّراخ لصرخت صرخة يسمعها هشام على سريره. وهذا من أرق الشعر كله وألطفه»(٤).

---

(١) المستعمل اسم للطريق والقذف: البعيدة.

(٢) الموشح ١٧٦.

(٣) العقد الفريد ١: ٨٠.

(٤) العقد الفريد ٥: ٣٧٨.

وكان الأصمعي ينشد بيت الأشعر الجعفي:

يـا رب عَـرْجلةٍ أصابـوا خلّةً دانـوا وحارد ليلُهم حتى بكى

ويقول: كذا قرأناه على أبي عمرو: وحارد ليلهم حتى بكى (١).

ومع كثرة رواية أبي عمرو للشعر فإنه كان يرى أن هذا الشعر المروي قليل بالنسبة لما لم يُرْو، وقد آثر عنه في هذا المقام فيما رواه يونس بن حبيب قوله: «ما انتهى إليكم مما قالت العرب إلا أقله، ولو جاءكم وافراً لجاءكم علم وشعر كثير»(٢).

وكان أبو عمرو في نقله لهذا الشعر، وروايته له رائده الأمانة فيما نقل والصدق فيما روى،فلم يرمه نقاد الروايات بالكذب والاختلاق كما فعلوا مع حماد وأضرابه.

وقد بلغ من إحساس أبي عمرو بأمانته أنه اعترف بخطأ واحد ارتكبه في مجال الرواية،ثم رجع عن هذا الخطأ ورد الحق إلى قرابه،فقد «قال أبو عمرو بن العلاء ـ رحمه الله: ما زدت في شعر العرب إلّا بيتاً واحداً يعني ما يرويه للأعشى من قوله:

وأنكرتني وما كان الذي نكرت من الحوادث الا الشّيب والصَّلَعا(٣)

ويعلق ابن جني على اعتراف أبي عمرو بخطئه بقوله: «أفلا ترى إلى هذا البدر الطالع الباهر، والبحر الزاخر الذي هو أبو العلماء وكهفهم، وبدء الرواة وسيفهم كيف تخلّصه من تبعات هذا العلم وتحرّجه، وتراجعه

---

(١) التنبيه على حدوث التصحيف ١٤٥. وفي الهامش: المرجلة: القطعة من الخيل والجماعة من الناس والمحاردة في الأصل:قلة اللين، ثم اطلق على الدهر القاسي. ومعنى حارد ليلهم: أي انه قضى عليهم.

(٢) الخصائص ١: ٣٨٦.

(٣) الخصائص ٣: ٣١٠.

فيـه إلى الله وتحوبـه، حتى إنه لمـا زاد فيه ـ على سعتـه وانبثـاقـه، وتـراميـه وانتشاره ـ بيتاً واحداً، وفقه الله للاعتراف بـه، وجعل ذلـك عنوانـاً على توفيـق ذويه وأهله[1].

والسؤال الـذي يقال هنـا: هل أبـو عمـرو بن العـلاء كـان شـاعـراً يقـول الشعـر وقد بلغ بـه الأمـر أن يـدس شعـره في أشعـار الفحـول كمـا فعـل مـع الأعشى؟.

الواقع أننا لا ننكر شاعرية أبي عمرو فـرجل مثله يصحبـه الشعراء ليفتيهم في قضايا الشعر كما سنـوضح بعـد قليل؛ ويـطلب منه جـرير أن ينشـده شعراً لقيس صـاحب ليلى، أقول: رجـل مثل هـذا من الجائـز أن يقـول الشعر، وينبـغ فيـه، ولكن روايته للشعـر شغلته عن إنشـائه كمـا أن روايته للغـة، وتعمقه في قضايا عصره من القراءات والنحو كل ذلك جعله لم يجد الوقت الكافي للمعاناة الشعـرية، ولعلّ هذا هـو السبب في أن ينكر أبـو الطيب شـاعريـة أبي عمرو حينما يقول عنه: «وكان نقش خاتمـه:

إن امـرأ دنيـاه أكبـر همـه ... لمستمسك منهـا بحبـال غـرور[2]

وهذا البيت له، ولا نعرف له شعراً إلا هذا البيت.

ونحن لا نـوافق أبا الـطيب في أن أبا عمـرو لم يقـل إلا هـذا البيت فقـد سبق لنا القول بأن أبا عمـرو دسّ بيتاً من شعـره في قصيدة الأعشى ثم تـاب، ورجع إلى الصدق وأظهر هذا البيت المدسوس وأبعده عن القصيدة، وكذلك سبق لنا القول حينما قلنا: إن الفرزدق هجا أبـا عمرو ثم جـاء إليه معتـذراً فردّ عليه أبو عمرو بيتاً من شعره، وهو قوله:

هجـوت زبـان ثم جئت معتـذراً ... من هجو زبان لم تهجو ولم تدع[3]

* * *

---

(١) الخصائص ٣/ ٣١٠.

(٢) مراتب النحويين ١٤.

(٣) انظر معجم الأدباء ١١: ١٥٨.

أبو عمرو ونقد الشعر العربي:

كان أبو عمرو كبير الثقة بما يروى عن العرب، ولا يحاول أن يضع مقاييس يطبقها في مجال الشعر العربي ليحكم في ضوء هذا التطبيق على هذا الشعر إن كان جيّداً أو رديئاً، صواباً أو خطأ كما كان يفعل أستاذه عبد الله بن أبي اسحاق في تعقبه للفرزدق، ورميه بالخطأ في قصة معروفة قد أشرنا إليها سابقاً.

إن حسن الظن بهذا الشعر كان سمة من سمات أبي عمرو، ولعل ورعه وعفته وما وصف به من الإيمان والصلاح كان يقف حائلاً بينه وبين رمى غيره بالكذب والخطأ ومن هنا صح لتلميذه يونس النحوي أن يقول:

«كان أبو عمرو بن العلاء أشدّ تسليماً للعرب، وكان ابن أبي إسحاق وعيسى بن عمر يطعنان عليهم».

وفي رأيي أن تسليم أبي عمرو للعرب كان في المستوى اللغوي والإعرابي.أما في مستوى نقد المعاني في إطار الشعر العربيّ فكان أبو عمرو نسيج وحده في هذا المجال بل كان نقده نقطة الانطلاق للنقد الأدبي فيما بعد،يدل على ذلك ما رواه قعنب بن المحرّر الجاهليّ - قال: سمعت الأصمعيّ يقول: قرأت على أبي عمرو بن العلاء شعر النابغة الذبياني، فلما بلغت قوله:

مقذوفة[1] بدخيس النحض بازلها ... له صريف صريف القعو بالمسد

قال لي: ما أضر عليه في ناقته ما وصف: فقلت له: وكيف؟ قال: لأن صريف الفحول من النشاط، وصريف الإناث من الإعياء والضجر، كذا

(١) في القاموس: ناقة قاذِف، وقِذاف، وقَذف تتقدّم من سرعتها وترمي بنفسها أمام الإبل. والباذل: السنّ حتى تطلع. والصريف: صباح من النشاط والفرح والمسد: الحبل وانظر هامش الموشح/ ٥٠، ٥١.

تكلمت العرب: فرآني بسكوتي مستزيداً، فقال: ألم تسمع قول ربيعة بن مقروم الضبي:

كناز البضيع جماليّة ... إذا ما بَغَمْنَ تراها كتوما

وكما قال الأعشى:

كتوم الرّغاء إذا هجّرت ... وكانت بقية ذَوْد كُتُم

ويفسّر المرزباني بعض الكلمات الغامضة في هذا الشعر فيقول:

القعو: حد البكرة. والنحض: اللحم، والدّخيس: قد دخل بعضه في بعض»[1].

والقارىء لهذا النص يرى أن أبا عمرو أديب ناقد لم يكتف ببيان رأيه في نقد النابغة، ولكنه شفع ذلك بالأدلة من كلام العرب وشعرائهم المعروفين.

ولتأثر أبي عمرو بالشعر العربي فإن معانيه كانت تجري على لسانه نثراً في مواقف القول أو في مواطن الإجابة، فقد سأل الأصمعي أبا عمرو عن عدي بن زيد فقال له: كيف موضع عدي بن زيد من الشعراء؟

قال: كسهيل في النجوم، يعارضها ولا يدخل فيها»[2].

وقد لمح هذه الإجابة أبو العباس ثعلب فقال وقد روى هذا الحديث: أَحْسن أبوعمرو، لأنه سمع شعر الوليد بن يزيد حيث يقول:

ألا ليت إني منكم، حيث كنتُم ... مكان سهيلٍ من جميع الكواكب
يراهن أصحاباً وهن يَرَيْنه ... ويسري إذا يسرين غير مصاحب[3]

---

(١) الكناز: مكتنزة اللحم، الناقة الجمالية: تشبه الجمل في خلقتها. والبغام: صوت الإبل.
والبغام: صوت الإبل.
(٢) الموشح ١٠٢.
(٣) الموشح ١٠٣.

وأبو عمرو يحب شعر لبيد لتناوله ذكر الله، وذكر الخير، وذكر الدين، ولكنه من ناحية تصوير المعنى يتوقف في إعجابه بهذا الشعر، يخبرنا بذلك الأصمعي قال:

سمعت أبا عمرو بن العلاء يقول: «ما أحد أحب إلي شعراً من لبيد بن ربيعة لذكره الله عز وجل، ولإسلامه، ولذكره الدين والخير، ولكن شعره رحى بزر»[1].

وأبو عمرو أحاط علماً بالمعاني التي تتعلق بالإنسان من حيث الكرم والبخل والجبن والشجاعة، والتي تناولها الشعراء في أشعارهم فنراه يقول: «المتلمس أول من حث على البخل»[2].

وميزان الشعر الجيد عند أبي عمرو ميزان دقيق، فالشعر الجيد في نظره هو السهل الممتنع الذي يخيل للسامع أن يقول مثله فلا يستطيع، وعبارة أبي عمرو في هذا المعنى تصوير بليغ رسم بريشة فنان، يقول ابن عبد ربه: قيل لأبي عمرو بن العلاء: أي بيت تقوله العرب أشعر؟ قال: البيت الذي إذا سمعه سامعه سولت له نفسه أن يقول مثله، ولأن يخدش أنفه بظفر كلب أهون عليه من أن يقول مثله»[3].

ويعجب أبو عمرو بشعر الأعشى في وصف الرياض، لأنه تناول في هذا الشعر معاني لم يتطرق إليها الشعراء بما اشتملت عليه من حسن التعبير، وروعة الأداء، وقوة الفن، وجمال التصوير.

ويسوق هذا الشعر الزجاجي في أماليه فيقول: وأنشد للأعشى:

---

(١) الموشح ١٠٩.
(٢) الموشح ١٠٩.
(٣) العقد الفريد ٥: ٣٢٥.

ما روضة من رياض الحَزْن معشبةٌ — خضراء جاء عليها مُسْبل هطل
يضاحك الشمس منها كوكبٌ شَرِقٌ — مؤزّر بعميم النّبت مكتهل
يوماً بأطيب منها نشر رائحة — ولا بأحسن منها إذ دنا الأصل

قال الأصمعي: «قال أبو عمرو بن العلاء: لم يقل في وصف الرياض، ولا في وصف جمال النساء وطيب نشرهن أبلغ من هذا الشعر ولا أحسن»[1].

وللقرآن الكريم في نفس أبي عمرو منزلة كبرى في مجال النقد الأدبي على هديه ينقد، وفي ضوء أسلوبه يوجه، فعن أبي عبيدة قال: لما أنشد ذو الرمة بلالاً مدحه فبلغ قوله:

رأيت الناس ينتجعون غيثاً — فقلت لصيدح[2] انتجعي بلالا

قال بلال: يا غلام: اعلف ناقته، فإنه لا يحسن أن يمدح.

فلما خرج قال له ابو عمرو - وكان حاضراً -: هلا قلت له: إنما عنيت بانتجاع الناقة صاحبها كما قال الله عز وجل: ﴿واسأل القرية التي كنا فيها﴾[3] يريد أهلها، وهلا أنشدته قول الحارثي:

وقفت على الديار فكلمتني — فما مَلَكَتْ مدامعها القلوص

فقال له ذو الرمة: يا أبا عمرو: أنت مفرد في علمك، وأنا في علمي وشعري ذو أشباه»[4] وأبو عمرو الناقد لا يميل إلى الهجاء المقذع، ولا يستريح إلى الكلمات الفاحشة في فن الشعر، لأن الشعر فن جميل تختار له أحسن العبارات، وأجمل الكلمات وأطهر الألفاظ، وأرق المعاني، فإن كان

(١) امالي الزجاجي ١٣٥ : ١٣٦.
(٢) صيدح: اسم ناقة.
(٣) يوسف: ٨٢.
(٤) الموشح ٢٨٢، ٢٨٣.

الموقف يتطلب من الشاعر أن يهجو فله أن يهجو لكن بألفاظ ليس فيها من الخشونة ما يضيع جمال الشعر وليس منها من الإسفاف ما يحرج الخلق أو يؤلم النفس.

وقد وضع ناقدُنا ميزاناً للهجاء لو وزن به الهجاءون هجاءهم لاستراح الشعر العربي في كل عصوره من هذا الهراء الذي لا يتفق مع هذا الفن الجميل.

أما ميزانه فقد أوجزه في كلمات قليلة حينما سئل عن أحسن الهجاء فقال: «هو الذي إذا أنشدته العذراء في خدرها لا يقبح عليها»(١).

ولمكانة أبي عمرو كان العلماء والرواة يقرأون عليه ما يحفظون من الشعر العربي ليصحح لهم أخطاءهم، ويدلهم على موضع الصواب، فقد قرأ عليه أبو زيد قصيدة زهير حتى وصل الى قوله:

ومن لا يزلْ يسترحل الناس نفسه ... ولا يُعْفِهِا يوما من الذم يندم

«ويروى عن المازني أنه قال: وقال أبو زيد: قرأت هذه القصيدة على أبي عمرو منذ أربعين سنة وقال أبو عمرو: قرأتها منذ خمسين سنة ولم أسمع هذا البيت إلا منك يعني أبا زيد»(٢).

وشيخ العلماء لا تحجب هذه المشيخة عنه الحقيقة فتغريه بتجاوزها فيفتي بما لا يعرف، أو يجيب عما يجهل، لأن أبا عمرو رجل صدق، الأمانة رائدة، والحق شعاره، فإذا عرف أجاب، وإذا جهل؛ قال: لا أدري ففي البيت:

تطعنهم سُلْكى ومخلوجةً ... كرّك لامين على نابل

---

(١) مفتاح السعادة ٢ : ٥٠٩.

(٢) شرح القصائد السبع الطوال للانباري ٢٨٤ ـ ٢٨٥.

« يقـول ابن الأنبـاري : قـولـه : سلكي : معنـاه : مستقيمـة، ومخلوجـة : غيـر مستقيمـة وقـال أبـو عـبيـدة : سـلكى : مـسـتـويـة، ومخلوجة : تختلجهم، وقال : سألت عنها أبـا عمرو بن العـلاء فقال : سـألت عنها فلم أجد من يعرفها، وهي من الكلام الدارس»[1] .

ولأبي عمـرو آراء في أشعار معـاصريـه تدل على ملكـة في النقد، وقـدرة فائقة على تمييز الكلام وغربلته، ومعرفة ما علا منه وما هبط .

فقد سئل أبـو عمرو عن شعـر ذي الرمـة فقال : إنمـا شعر ذي الـرمة نقط عروس تضمحل عن قليـل، وأبعار ظبـاء لها مشم في أول شمهـا،ثم تعود إلى أرواح البعر »[2]

ويلتقي أبو عمرو بذي الرمة فيقول له : أنشدني :

* ما بال عينك منها الماء ينسكب *

فأنشده، فلما انتهى إلى قوله :

تصغي إذا شدّها بالكور جانحةً حتى إذا ما استوى في غرزها تَثِبُ

فقال أبو عمرو : ما قاله عمك الراعي أحسن مما قلت :

وهـي إذا قـام فـي غـرزهـا كمِثْـل السـفـيـنـة أو أوقَـرُ
ولا تُعجِلُ المرء قبـل البـرو ك وهـي بِـرُكْـبَـتِـهِ أبـصـر

فقال ذو الرمة : «إن الراعي وصف ناقة ملك، وأنا أصف ناقة سوقة »[3]

وينتقـد الـطرمـاح فعن الأصمعي قـال : ذكـر الـطرمـاح عنـد أبي عمـرو بن العلاء فقـال : رأيته بسـواد الكوفـة يكتب ألفاظ النبيط، فقلت : مـا تصنع بهذه ؟ قال : أعربها وأدخلها في شعري »[4] .

---

(١) شرح القصائد السبع الطوال للانباري ٩ ، ١٠ .

(٢) الموشح ٢٧١ .

(٣) في ديوان الرّاعي/٢ : «الوروك» مكان : «البروك» .

(٤) الموشح ٢٧٦ ـ ٢٧٧ . (٥) المرجع نفسه ٣٢٥ .

ولأبي عمرو مع جرير صداقة قد عرفنا طرفاً منها فيما سبق، وكان أبو عمرو بن العلاء لا يُحب من جرير سب الناس وشتمهم بأقذع الألفاظ، وأقسى الكلمات وفيما يبدو أن أبا عمرو كان يطربه شعر جرير في ميدان الفطنة والعبرة، والحكمة، والموعظة.

قال أبو عمرو بن العلاء: لقد جلست إلى جرير وهو يملي على كاتبه:

ودع أمامة حان منك رحيل

ثم طلعت جنازة فأمسك. وقال شيبتني هذه الجنائز، قلت: فلم تسب الناس؟ قال يبدأونني ثم لا أعفو، واعتدي ولا أبتدي ثم أنشد يقول:

تَرّوعنا الجنائز مقبلاتٍ فنلهو حين تَذْهبُ مدبرات
كروْعة هجْمة لمغاد سبع فلمّا غاب عادت رائعات(1)

وبعد فهذه خطوط عريضة لمكانة أبي عمرو في نقد الشعر، وقد عرف هذه المكانة شعراء عصره فلم يضيقوا به ذرعاً بل أعطوه حقه من التقدير والإجلال، وإن كان قد صوَّب سهام نقده لبعض أشعارهم.

فقد قال فيه الفرزدق:

ما زلت أفتح أبواباً وأغلقها حتى أتيت أبا عمرو بن عمار

وقال فيه مكي بن سوادة:

الجامع العلم ننساه ويحفظه والصادق القول إن أنداده كذبوا (2)

* * *

---

(1) العقد الفريد ٣: ١٨٦، ١٨٧.

(2) البيان والتبيين ١: ٣٢٠، ٣٢١.

أبو عمرو في الميدان اللغوي

أ : تفسير الكلمات القرآنية :

القرآن الكريم في القمة من الفصاحة والبلاغة، جاء بلغة العرب، ولكنه على مستوى رفيع من اللفظة المختارة، والعبارة الرائعة، والتعبير القوي.

ولا نطيل القول في بيان إعجازه من الوجهة البلاغية واللغوية فقد تعددت المؤلفات حول إعجازه وبيانه.

غير أن هناك بعض كلمات أعطاها القرآن الكريم مدلولات لم يعرفها غير هؤلاء المختصين بلغة العرب، الواقفين على أسرارها.

ومنذ عهد رسول الله ﷺ كانت الأسئلة حول هذه الكلمات تدور في مجلس رسول الله ﷺ وفي مجالس أصحابه فيما بعد.

ففي عهده عليه السلام نرى أعرابياً يسأله في معنى بعض هذه الكلمات في مثل قوله تعالى: ﴿ ولم يلبسوا إيمانهم بظلم ﴾ (1) قائلاً، وأيّنا لم يظلم نفسه؟ وفسره النبي عليه الصلاة والسلام بالشرك، واستشهد عليه بقوله تعالى: ﴿ إن الشرك لظلم (2) عظيم ﴾ (3).

وعلى الرغم من ادّعاء ابن خلدون حيث ذكر في مقدمته: «أن القرآن نزل بلغة العرب وعلى أساليب بلاغتهم، فكانوا كلهم يفهمونه ويعلمون معانيه في مفرداته وتراكيبه» (4).

---

(1) الأنعام: ٨٢.

(2) لقمان: ١٣.

(3) أثر القرآن في تطور النقد العربي / ٢٧.

(4) المقدمة ٣٦٧. المطبعة الأزهرية سنة ١٩٣٠.

أقول على الرغم من ذلك فإني لا أرى هذا الاتجاه الذي ذكره ابن خلدون، لأن لغة العرب ذات لهجات متعدّدة لا يستوي في فهمها جميع العرب فيما اشتملت عليه من غريب ونادر، وتحتاج في هذا الفهم إلى استيعاب لهذه اللهجات، ودراسة عميقة لما تشتمل عليه من كلمات

ولما كان القرآن الكريم نزل بلغة العرب، وقد تمثلت فيه معظم اللهجات، وبخاصة لهجة قريش فإن العرب لا يستوون في المعرفة بجميع ما في القرآن من هذه اللغات أو هذه اللهجات،لأن هذه المعرفة مقصورة فقط على أولي العلم الذين رسخوا في ميدانه، وتعمقوا في معرفة ما تشير إليه كلماته.

ولهذا فإني أسلّم بهذا الاتّجاه الذي أشار إليه ابن قتيبة حيث يقول :

« العرب لا تستوي في المعرفة بجميع ما في القرآن من الغريب والمتشابه بل لبعضها الفضل في ذلك على بعض، والدليل عليه قول الله عز وجل : ﴿ وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم ﴾ [(١)] ثم قال : ويدل عليه قول بعضهم : يا رسول الله إنك لتأتينا بالكلام من كلام العرب ما نعرفه، ونحن العرب حقًّا، فقال : إن ربي علمني فتعلمت » [(٢)] .

وفي مجال الكلمات القرآنية وتفسيرها أسهم أبو عمرو، واستطاع أن يقدم لنا ألواناً من هذه التفسيرات، ولا غرو فإن أبا عمرو كان على صلة وثيقة بمفسري عصره، يدل على ذلك قول ابن الأنباري في قوله تعالى : ﴿ وكأين من نبي قاتل ﴾[(٣)]: وقفٌ حَسَنٌ، ثم تبتدىء ﴿معه ربيون ﴾ على معنى : قاتل النبي ﷺ، ومعه جموع كثيرة فما ضعفوا لقتل نبيّهم ولا

---

(١) آل عمران: ٧.

(٢) المسائل لابن قتيبة، نسخة مصورة بمكتبة جامعة القاهرة رقم ٢٢٠٩٦٧ لوحة ٤ .

(٣) آل عمران / ١٤٦ .

استكانوا، الدليل على هذا قوله : ﴿ أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ﴾ (١) وهذا القول حكاه أبو عمرو عن بعض المفسرين » (٢).

وعلم أبي عمرو بالقرآن الكريم، وتعمقه فيه جعله موضع ثقة الرواة والدارسين،ففي عصره، كانوا يوجهون إليه مشكلات حول الكلمات القرآنية طالبين تفسيرها، راغبين في بيانها، ويتولى أبو عمرو الإجابة - إذا كان يدري - محاولاً دعم إجابته بما يروى من كلام العرب، ليؤكد إجابته بالدليل وفي إجابته وبخاصة في ميدان القرآن الكريم يلزم جانب التريث والتفكير حتى لا يقع في خطأ قد يكون غير مراد، فيوقعه في إثم عظيم ، والنص الآتي يوضح منهج أبي عمرو في إجابته حين يسأل :

ذكر الرياشي قال : حدثنا الأصمعي قال : سأل رجل أبا عمرو بن العلاء عن مسألة، فأجابه،ثم سأله عن مسألة أخرى فأجابه، وأمسك السائل فقال أبو عمرو متمثلاً :

إذا ما انتهى علمي تناهيت عنده	أطال فأجرى أو تناهى فأقصرا
ولا اركب الأمر المغيَّب غيبُه	بعميائه حتى أروز وأنظُرا
كما تفعل العشواء يُركب دفْها	وتبرز دفًا للمعاذير مُعْوِرا (٣)

نماذج من تفسير أبي عمرو للكلمات القرآنية :

١ - حدثنا أبو عبيدة معمر بن المثنى عن يونس قال : كنت مع أبي عمرو بن العلاء عند بيت الله الحرام،فجاءنا مقاتل بن سليمان، فجعل يسأل أبا عمرو عن تفسير القرآن، فأكثر، ثم قال له : ما معنى قوله تعالى : ﴿ مثل

---

(١) آل عمران : ١٤٤ .

(٢) الوقف والابتداء ٢ : ٥٥٨ .

(٣) مجالس العلماء ١٧٦ .

الـجنـة الـتـي وعـد الـمـتـقـون ﴾[1] ؟

فـقـال أبـو عمرو: لا أدري :قال يونس: فقلت له أضجرت الشيخ من كثرة ما تسأل.

أراد: صفة الجنة التي وعد المتقون: فقال مقاتل لأبي عمرو: هـو كما قـال، فقال:إن كـان سمع فخـذ عنـه ، فقـال مقـاتـل: مـا أفتيتني سمعت؟[2]. فقال: لـو لم أسمع من الثقات ما أفتيتك »[3].

وفي هـذا النص أكثر من ملحظ: فـأبو عمـرو يسـأل عن تفسيـر القـرآن، ولـولا علمه بـالقرآن لمـا سئل، وأبـو عمرو تتـوقف إجابتـه في بعض الأسئلة، وهـذا أوّل دليل على علمـه وفضله، ولأنه قـال الكلمة التي لا يقـولهـا إلا قلة من العلماء وهي: لا أدري.

وأبو عمرو في حواره مع مقاتل يحتكم إلى السمـاع فيقول مقـاتل بعـد أن اقتنع بكلام يـونس هو كمـا قال، ولكن أبـا عمرو لم يُرد من مقاتـل أن يأخـذ كلام يونس حجة مسلمة بل قال: إن كـان سمع فخـذ عنه. ولمـا سأل يـونس عن إجابته هل لها أساس من السماع؟ يجيبـه يونس فيقول: لولم أسمـع من الثقات ما أفتيـتك.

٢ ــ حـدثنـا عبـد الملك بن قُريب قـال: جـاء عمـرو بن عبيـد إلى أبي عمـرو بن العلاء فقـال: يـا أبـا عمـرو، أيخلف الله وعـده؟ قـال: لا، قـال: أفـرأيت من وعـده الله على عمــل عقـابــاً أيخلُف وعـده فيــه؟ فقـال أبــو عمرو: من العجمة أُتيت أبا عثمان: إن الوعد غير الوعيد، والله عز وجــل إذا وعد وفىّ، وإذا أوعد ثم لم يفعـل كان ذلك كرمـاً وتفضـلاً.

---

(١) الرعد: ٣٥، ومحمد ١٥.

(٢) معناها كما في هامش المجالس: أي هل سمعت ما أفتيتني.

(٣) مجالس العلماء ٦٥.

وإنمـا الخُلف أن تعد خيـراً ثم لا تفعله. قال : فـأوجدلي هـذا في كلام العرب. قال : نعم ، أما سمعت قول الأول :

ولا يرهب ابنُ العم ما عشتُ صولتي
ولا أختَني (١) من صولـة المتهـدد

وإنـي وإن أوعـدتُـه أو وعـدتـه
لمخلف إيعـادي، ومُنجزُ مَوْعـدي

وتكلم في هـذه الآية : ﴿ ونـادى أصحابُ الجنـة أصحـاب النـار أن قـد وجـدنـا مـا وعـدنـا ربنـا حقـاً فهـل وجـدتم مـا وعـد ربكم حقـاً قالوا : نعم ﴾ (٢).

فقيـل : كيف خـرج القـول من الـفـريقـين بـلفظ واحـد، وهـو وعـد ووعيد؟ : فقال: لأن العرب تقول : وعدته خيراً،ووعدتـه شراً، فـإذا أسقطوا ذكـر الخير والشر قيل في الخير وعدت، وفي الشر، أوعدت (٣).

٣ ــ عن أبي نصر علي بن نصر قال: قدم أبو عمرو من الشام فأتاه الناس يسألونه فكان فيمن سأله يومئذ هـارون (٤) فقال لـه : يا أبا عمرو: «لن ينال الله لحومُها ولا دماؤها»(٥) ولكن مـاذا ؟ قال : « ولكن ينـاله التقـوى ». قال : يقـول هارون : فإن ابن يعمر كان يقـرأ « تنالـه » فقال : ألا تـراه يقول : « لن ينـال الله لَحومُهـا ولا دمـاؤهـا ولكن ينـالـه ». قـال علي : فقلت : هـذا يـرد على

---

(١) اختني : اذل.
(٢) الأعراف: ٤٤.
(٣) مجالس العلماء ٧٩.
(٤) هارون بن موسى القارىء المتوفى ١٧٠ هـ.
(٥) الحج : ٣٧.

هارون، وعلى ابن يعمر، متى أصل أنا إليه ؟ فاتبعته فمرت دابّة تَرُوث ، فقال أبو عمرو : كل دابة تحبِق »[1].

٤ ـ قال الأصمعي : سألت أبا عمرو عن قوله تبارك وتعالى :

﴿ فعزّزنا بثالث ﴾[2] مثقلة فقال شدّدنا، وأنشد للمتلمس :

أَجُدٌ إذا ضَمَرتْ تعزّز لحمُها　　وإذا تشد بِنِسْعها لا تَنْبِسُ[3]

٥ ـ قال أبو عبيدة :«وقالت هيت لك»[4] أي هلم لك، أنشدني أبو عمرو بن العلاء :

أبلغ أمير المؤمنين أخا العراق إذا أتيتا
إن العراق وأهله عُنُقٌ إليك فهيتَ هيْتا

قال أبو عبيدة : وشهدت أبا عمرو وسأله أبو أحمد أو أحمد وكان عالماً بالقرآن . . ثم كبر فقعد في بيته، فكان يؤخذ عنه القرآن، ويكون مع القضاة فسأله عن قول من قال : هِئت، بكسر الهاء وهمز الياء، فقال أبو عمرو : نَبْسي :(أي باطل) جَعْلُها، قلت : من تهيأت، فهذا الخِندق واستعرض العرب حتى تنتهي إلى اليمن، هل يعرف أحد : هئت لك ؟ [5].

---

(١) مجالس العلماء: ٢٧١ .

(٢) يسٓ: ١٤ .

(٣) أخبار النحويين البصريين: ٢٢ . والأَجُدُ: الناقة . الضامرة:صُلْبة العظم . والنسع : سير تشدّ به الدابّة .

(٤) يوسف: ٢٣ .

(٥) مجاز القرآن ١ / ٣٠٥ ـ ٣٠٦ .

تعقيب

من هذه النماذج عرفنا أن أبا عمرو بن العلاء كان رجل قرآن، يأتي إليه طلاب العلم سائلين باحثين، وهو في كل إجاباته يلتزم منهجاً دقيقاً فرضه على نفسه في ميدان الكلمات القرآنية، فتراه في رده على عمرو بن عبيد حينما سأله عن وعد الله بالعقاب وهل يخلف الله وعده ؟ يجيبه مفسّراً موضّحاً بأن الوعد غير الوعيد، ويرميه بالعجمة،لأنه لم يفرق بين هاتين الكلمتين وكأن أبا عمرو بن عبيد أراد أن يحرج أبا عمرو بن العلاء بهذا السؤال، فلما أجابه بالفرق بين الكلمتين أراد أن يحرجه مرّة أخرى لأنه قال له : فأوجد لي هذا في كلام العرب، ولكن أبا عمرو أجابه على الفور بما أورده من شعر.

فأبو عمرو إذاً كان يحمل راية الدفاع عن معاني الكلمات القرآنية ضد هؤلاء المنحرفين، وهؤلاء الذين يحاولون التشكيك في معاني هذه الكلمات.

وفي النموذج الثالث نراه يرد على هارون بن موسى القارىء حينما سأله عن الآية القرآنية : ﴿ لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ﴾ قائلاً له : ولكن ماذا ؟ فيعرف أبو عمرو فحوى سؤاله فيجيبه على الفور : ﴿ولكن يناله التقوى﴾ وينكر ذلك هارون لأن ابن يعمر كان يقرأ : « تناله » بالتاء، ولكن أبا عمرو يبين له أنه من الأحسن أن الفعل إذا تكرر بصورته الأولى يؤدي إلى اتساق مع الأسلوب، واطّراد مع المعنى بدليل قوله : ألا تراه يقول : لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله ؟[1]

وقد لمس هذا المعنى ابن الأنباري فقال: «قرىء ينال» بالياء والتاء، فمن قرأ باليـاء بالتذكير أراد معنى الجمع، ومن قرأ بالتاء بالتأنيث، اراد معنى

الجماعة،والفصل بين الفعل والفاعل بالمفعول يقوى بالتذكير، ويزيده حسناً[1].

ومن حسن إجابة أبي عمرو التي تدل على مقدرته الفائقة في إدراك المعاني القرآنية لزمَه عليٌّ بن نصر قائلاً، هذا يرد على هارون، وعلى ابن يعمر متى أصل أنا إليه؟.

على أن أبا عمرو في مناقشته لسائليه، إذا وجد دليلاً من القرآن يخالف ما يقول نراه يغير رأيه، ويتبع الدليل القرآني إيماناً منه بأن ما قاله القرآن حجة لا تقبل الرّدّ،ودليل لا يقبل الشك،يوضح ذلك ما ذكره الزّجاجّي في (أماليه) قال: قال مصعب بن الزّبير : أنشد رجل من أهل المدينة أبا عمرو ابن العلاء قول ابن قيس:

إن الحوادث بالمدينة قد أوجعتني وقَرَعْن مروتيَهْ

فانتهره أبو عمرو، وقال: ما لنا ولهذا الشعر الرّخو، إن هذه الهاء لم تدخل في شيء من الكلام إلا أرخته.

فقال المدني: قاتلك الله. ما أجهلك بكلام العرب؟.

قال الله عز وجل في كتابه: ﴿ما أغنى عني ماليه * هلك عني سلطانيه[2]﴾ و﴿يا ليتني لم أوت كتابيه * ولم أدر ما حسابيه﴾[3] وتعيبه؟ فانكسر أبو عمرو انكساراً شديداً»[4].

* * *

---

(1) البيان في غريب إعراب القرآن لابن الأنباري ٢ : ١٧٦ .

(2) الحاقة ٢٨ ، ٢٩ .

(3) الحاقة ٢٦ ، ٢٧ .

(4) مجالس العلماء : ١٨٨ .

ب ـ في الأحاديث النبوية:

أسهم أبو عمرو بن العلاء في بعض الدراسات اللغوية التي تتعلق بالحديث الشريف ولعل هذا الإسهام يشير إلى أن أبا عمرو يعتقد بأن الأحاديث النبوية لها وزنها في مجال الدراسات اللغوية، وأن إبعادها عن هذه الدراسات بحجة أن الراوين لها غير عرب أمر لا يستقيم في ميزان الحق والعدل وذلك للأمور الآتية:

١ ـ الدقة في روايات الحديث الشريف، وقد وصلت إلى درجة لم تصل إليها الدقّة في روايات اللغة مما يجعلنا نؤكد أن التحرّي في رواية الأحاديث وضبطها حتى لا يزاد فيها أو ينقص منها أو تغير كلماتها ـ كان دأب الرواة ومنهجهم حتى لا يقعوا في خطيئة الكذب على رسول الله ﷺ.

ومن هنا نقول ان ميدان التوثيق والضبط في الحديث الشريف أقوى بكثير من ميدان التوثيق في الأشعار التي استشهد بها النحاة، وكثير منها لا نعرف له أباً أو أماً.

٢ ـ هذه الأحاديث صدرت من أفصح العرب وهو رسول الله ﷺ الذي كان ينكر اللحن إنكاراً شديداً ويقول لمن أخطأ في حضرته «أرشدوا أخاكم فإنه قد ضل»(١).

ويفتخر النبي عليه السلام بعروبته التي لا تعرف اللحن، ولا تزيغ عن الصواب فيقول:

«أنا من قريش، ونشأت في بني سعد، فأنّى لي اللحن»(٢)؟

---

(١) الخصائص ٢: ٨.

(٢) مراتب النحويين ٦.

٣ ــ في هذا العصر كـان هناك لغـويون نحـويون، محـدثون، ومن هؤلاء حمـاد بن سلمـه[1] الـذي كـان يقـول: «من لحن في حـديثي فقـد كـذب علي»[2].

وحماد بن سلمة هذا تتلمذ عليه شيخان من شيوخ النحو العربي:

أولاهمـا: يـونس بن حبيب الـذي تحـدث عنـه ابن سـلام قـال: «قلت ليونس: أيما أسنُّ أنت أو حماد بن سلمة؟ قال: «هو أَسَنّ مني، ومنْه تعلمـت العربيـة»[3].

وعن حمـاد بن سلمة هـذا تحدث صـالح بن إسحـاق الجَرْمي قـال: «ما رأيت فقيهـاً قط أفصح من عبـد الـوارث، وكـان حمـاد بن سلمـة أفصح منه»[4].

وثـانيهما: سيبـويه، فقـد ذكر نصر بن علي قال: كـان سيبـويـه يستعلي على حماد فقال حمـاد يومـاً: قال رسـول الله ﷺ: «ما من أحـد من أصحابي إلاّ وقد أخذت عليه، ليس أبا الدرداء» فقال سيبويه: ليس أبـو الدرداء. فقـال حماد: لحـنت يا سيبويه: فقـال سيبويـه: لا جرم لأطلبنّ علمـاً لا تلحنني فيه أبداً فطلب النحو»[5].

وإذا كـان للحديث الشـريف هذا الشأن العظيم في عصـر أبي عمرو من ناحية الدقة في روايتـه، وضبطهـا، وصيانـة أسلوبه من اللحن والتحـريف فإن

(١) توفي حماد بن سلمة سنة ١٦٩ هـ.

(٢) اخبار النحويين البصريين: ٣٤.

(٣) المرجـع نفسه: ٣٤.

(٤) المرجع نفسه: ٣٤.

(٥) المرجع نفسه والصفحة.

من البدهي أن يسهم أبو عمرو في دراسته، وبخاصة إذا علمنا أنه أخذ عن شيوخ كثيرين منهم أنس بن مالك[1].

وأنس بن مالك تنتهي إليه سلسلة من رواة الحديث الشريف لأنه مصدر من مصادر رواته، وقد قالوا:

«أصح الأسانيد عن أنس بن مالك»، «مالك عن الزهري عن أنس»

«حماد بن زيد عن ثابت عن أنس»، «وحماد بن سلمة عن ثابت عن أنس»[2].

* * *

(١) معجم الأدباء ١١: ١٥٩.

(٢) هامش الباعث الحثيث في اختصار علوم الحديث للحافظ ابن كثير ص ٢٤.

نماذج من الأحاديث الشريفة في مجال الدراسة اللغوية

١ ــ حدثنا الأصمعي عن سفيان الثوري قال: كنا عند الأعمش وعنده أبو عمرو بن العلاء، فحدث عن أبي وائل عن عبد الله: (كان النبي ﷺ يتخولنا بالموعظة» ثم قال الأعمش: « يتعاهدنا » فقال له أبو عمرو إن كان يتعاهدنا فيتخوننا فأما يتخولنا: فيستصلحنا، فقال له الأعمش: وما يُدريك؟ فقال: لئن شئت يا أبا محمد أن أُعْلِمك الساعة أن الله ما علّمك من جميع ما تدّعيه شيئاً فعلت».

وعلق على هذه الرواية أبو الطيب اللغوي فقال:

«والأمر على ما قال أبو عمرو، يقال: تخولت الشيء أتخوله تخوّلاً: إذا تعهدته بالإصلاح، وهو من قولهم: رجل خائل مالٍ وخال مالٍ: إذا كان حسن القيام عليه، والإصلاح له، وقد خال المال يخوله خولا: إذا رعاه. قال الشاعر:

أخول على أهلي وأكفي عشيرتي   أموري والإصلاح للمال أفضل

والتخون: التعهد في الوقت بعد الوقت. يقال: تخونه يتخونه تخوناً قال ذو الرمة يصف ولد الظبي، وتعهد أمه له بالرضاع:

لا ينعش الطرف إلا ما تخوّنه   داعٍ يناديه باسم الماء مبغومُ

ينعش: يرفع، وأراد بالداعي: أمّه، واسم الماء: حكاية صوتها والمبغوم الضعيف الصوت»[1].

* * *

٢ ـ قال الأصمعي: وقال أبو عمرو بن العلاء في قول النبي ﷺ: «في الجنين غُرّة عبد أو أمة»: لولا أن رسول الله ﷺ: أراد بالغرة معنى لقال: في الجنين عبد أو أمة، ولكنه عَنى البياض لا يقبل في الدية إلا غلام أبيض أو جارية بيضاء»[2].

٣ ـ «يروى أن النبي ﷺ ذكر المدينة، فقال: من أحدث فيها حدثاً أو آوى محدثاً فعليه لعنة الله إلى يوم القيامة لا يقبل منه صرف ولا عدل».

قال الأصمعي عن أبي عمرو بن العلاء: الصرف: الاحتيال، من قولك فلان يتصرّف في أموره، أي يحتال، قال الله عز وجل: ﴿فما تستطيعون صرفاً ولا نصراً﴾[3] و العدل: الفداء. وقال الراجز:

قد يَكسِب المال الهِدانُ الجافي
بغير عقل ولا اصطراف [5].

من عرض هذه الأحاديث نرى أن منهج أبي عمرو في معالجة القضايا اللغوية في الحديث الشريف يقوم على توضيح الدلالات اللغوية للكلمات النبوية، فمدلول كلمة(يتخولنا) في الحديث الأول يختلف عن مدلول كلمة يتخوننا، والخلط بين المدلولين أو استعمال أحدهما للآخر لا يتفق مع منهج أبي عمرو.

---

(١) مراتب النحويين ١٦، ١٧ وانظر الخصائص ٣: ٢٨٩، ومجالس العلماء ١٧٧.

(٢) طبقات النحويين ٣٦ .

(٣) الفرقان ١٩ .

(٤)الهِدان على وزن: كتاب: الأحمق، انظر القاموس «هدن».

(٥) الأمثال لأبي عكرمة الضبي ٨١ .

وفي الحديث الثاني نراه يدرك بحسه اللغوي ما تعنيه كلمة: (غرة) لم تأت في الحديث صدفة أو اعتباطاً، فإن كلام النبي عليه السلام دقيق في معانيه، متماسك في ألفاظه، ومن ثمّ فإن لكلمة (غرة) معنى مقصوداً يقوم عليه حكم شرعيّ وهو الدية المتمثلة في غلام أبيض أو جارية بيضاء.

وفي الحديث الثالث يفسر أبو عمرو معنى الصرف، ويدعم تفسيره بالقرآن الكريم وبكلام العرب.

* * *

جـ ــ في الأمثال:

ولأبي عمرو جهد لغوي في الأمثال العربية يفسرها، ويبين معناها ويستدل على ما يرى بالشعر العربي.

وإليك نماذج من هذه الأمثال:

١ ــ المرء تحت لسانه:

قال أبو عبيد: عن أبي عمرو بن العلاء: المعنى أنه يتكلم بالكلمة يكون فيها تلفه، وأنشد:

احذر لسانك لا تقول فَتُبْتَلى إن البلاء موكّل بالمنطق

واعلم بأنك ميّت ومحاسب فإذا نطقت بحرف غَيْب فاصدق

وذكر أن العرب تقول: رب كلمة تقول لصاحبها ذرْني»[1].

* * *

٢ ــ قال أبو عبيد: ومن أمثالهم في الجلادة: «لأُلحِقَنَّ قطوفها بالمِعْناق» يعني في شدة السير .

---

(١) الأمثال لأبي عكرمة الضبي ١١٤، ١١٥.

قلت: هكذا أورده أبو عبيد: لأُلْحِقَنّ بالنون الشديدة وحكاه الأصمعي عن أبي عمرو: لألحقَنْ بالنون الخفيفة»[1].

٣ ـ قال أبو عبيد: قال الأصمعي: يقال في أمثالهم: «لن يزال الناس بخير ما تباينوا، فإذا تساووا هلكوا».

قال الأصمعي: وقال أبو عمرو بن العلاء: ما أشد ما هجا القائل:

سواسيةً كأسنان الحمار

قال: وقوله: سواسيةً كأسنان الحمار هذا عجز بيت لا أدري صدره ولا رأيته، وإنما المحفوظ:

سواءٌ كأسنان الحمار فلا ترى لذي شَيْبَةٍ منهُمْ على ناشىء فضلا

وسواسية: «جمع سواء على غير قياس»[2].

* * *

٤ ـ قال أبو عبيد: ومن أمثالهم في الشر: «دقّوا بينهم عِطْر مَنْشم»: يراد به الشر العظيم.

قال أبو عبيد البكري: «للعلماء في تأويل هذا المثل، وفي اللفظ به، وفي اشتقاقه وفي سبب المثل به اختلاف كثير، وأقوال جمة»... إلى أن يقول: «وأمّا اختلاف معناه فإن أبا عمرو زعم أن المنشم الشرّ نفسه»[3].

* * *

٥ ـ قال أبو عبيد: من أمثالهم في الوعيد: «لأُلحقَنّ حَواقِنك بذواقِنك»

---

(١) فصل المقال: ١٧٠.

(٢) فصل المقال: ١٩٦.

(٣) المرجع نفسه ٤٨٤.

والحوانق ما يحقن الطعام في بطنه، والذّواقن: أسفل بطنه: قال عبيد: قال أبو عمرو في الذواقن والحواقن غير هذا[1].

قال أبو عبيد البكري: «قول أبي عمرو هو قول أكثر العلماء، وذلك أن باطن الترقوتين: هما الحاقنتان، وهو هواء يفضي إلى الجوف، والذاقنة: طرف الحلقوم، ومنه حديث عائشة رضي الله عنها: قبض رسول الله ﷺ بين حاقنتي، وذاقنتي»[2].

٦ ــ في (باب الحاجة يسألها الرجل فيمنعها فيسأل غيرها).

قال أبو عبيد: من أمثالهم في هذا قولهم: «إلادَهِ فلادَهِ» قال أبو عبيد البكريّ: قد ذكر أبو عبيد ما قال فيه أبو عبيدة، وابن الكلبي، والأصمعيّ، وأن الأصمعي قال: لا أدري ما أصله».

وحكى الجرميّ عن عمرو[3] عن أبيه في قولهم: «إلادَهِ فلادَهِ: قال معناه إلا تفعلوه الان لا تفعلوه أبداً»[4].

د ــ الظواهر اللغوية:

لا أستطيع أن اعتبر أبا عمرو بن العلاء راوية للغة كرواة عصره من حيث الحرص على استيعابها، وتتبع مظاهرها عند الأعراب أو لدى القبائل الضاربة في الصحراء أو الإلمام بالكلمات الغريبة في الاستعمال ـ أقول لا أستطيع أن اعتبر أبا عمرو راوية كهؤلاء الرواة فحسب، لأن أبا عمرو كان نسيج وحده في الافتنان باللغة، والحرص البالغ على جمعها، وتكلّف مشاق الرحلات في سبيلها، لو تصفحنا تاريخ الرواية للغة العربية لم نجد قبل أبي

---

(١) علق المحقق في الهامش بأن هناك سقطاً بعد هذه العبارة.

(٢) فصل المقال ٤٨٨.

(٣) هو عمرو بن أبي عمرو بن العلاء.

(٤) فصل المقال ٣٤٨، ٣٤٩.

عمرو رجلاً فعل فعله، وسلك نهجه في سبيل اللغة.

رحل أبو عمرو إلى مكة والمدينة، وسافر إلى الشام، وذهب إلى عمان واليمن، وقابل الأعراب، واتجه إلى القبائل يجمع، ويكتب ويروي ويدقق، ويسأل ويختبر.

وقد وصل حب أبي عمرو للغته إلى مكانة لا تقل عن حبه لحياته والقصة التي ساقتها كتب الرواة تبين هذا الحب، وتظهر هذا الهيام باللغة والافتنان بها:

قال الزبيدي: «وأخافه الحجاج بن يوسف فكان يتستر، قال: فخرجت في الغلس أريد التنقل من الموضع الذي كنت فيه إلى غيره، فسمعت منشداً ينشد:

ربما تكره النفوس من الأمـ ـر له فرجة كحل العقال

وسمعت عجوزاً تقول: مات الحجاج فما أدري بأيهما كنت أسر؟ أبقول المنشد «فرجه» بالفتح أم بقول العجوز: مات الحجاج»(١).

* * *

بعض الظواهر اللغوية التي رويت عن أبي عمرو

١ ـ في تعليل الأسماء:

من ذلك ما رواه الأصمعي: «أن معتوهاً جاء إلى أبي عمرو بن العلاء فقال: يا أبا عمرو. لم سميت الخيل خيلاً؟ فبقي أبو عمرو ليس عنده فيه جواب، فقال: لا أدري: فقال: لكنني أدري، فقال: علّمنا نعلمْ، قال: لاختيالها في المشي، فقال أبو عمرو لأصحابه بعدما ولى المجنون: اكتبوا الحكمة، وارووها ولو عن معتوه»(٢).

* * *

---

(١) طبقات النحويين: ٣٥.

(٢) مجالس العلماء ٢٤٦.

ومن ذلك تعليله: لم سمي (العراق) عراقاً؟.

قال ابن دريد: «ذكروا أن عمرو بن العلاء كان يقول: سميت عراقاً بتواشج عروق الشجر والنخل فيها كأنه أراد عِرقاً، ثمّ جمع: عِراقاً»[1].

* * *

٢ ـ في الكلمات الغريبة:

قال ابن دريد: «ورجل لا يأتبل أي لا يثبت على الإبل،قال الأصمعي: قال أبو عمرو بن العلاء: رأيت عمانياً راكباً وأبوه يمشي،فقلت له: أتركب وأبوك يمشي؟ فقال: إنه لا يأتبل، أي لا يثبت على الإبل»[2].

ـ قال ابن دريد: مضّه الشيء يمضّه مضًّا، وأمضه إمضاضاً: إذا بلغ من قلبه فهو ماض ـ ومُمِّضٌ ـ قال: وكان أبو عمرو بن العلاء يقول: مضني كلام قديم قد ترك ـ وكأنه أراد أن (أمضّ) هو المستعمل». [3].

ـ قال أبو عمرو بن العلاء: كانت بنو سعد بن تميم أغدر العرب، وكانوا يسمون الغدر في الجاهلية: كيسان،فقال فيهم الشاعر:

إذا كنت في سعد وخالك منهم ... غريباً فلا يضررك خالك من سعد
إذا ما دعوا كيسان كانت كهولهم ... إلى الغدر أدنى من شبابهم المرد[4]

* * *

ـ قال أبو عبيدة في المجاز:

---

(١) الجمهرة ٢: ٣٨٤.
(٢) الجمهرة ٣: ٢١١.
(٣) الجمهرة ١: ١٠٦.
(٤) العقد الفريد ١: ٨٠.

(كأن أبو عمرو يقول في واحد الهدْي: هَـدْية: قـال أبو عمـرو: ولا أعلم حرفاً يشبهه)[1].

– عن معمر قال: سألت أبا عمـرو بن العلاءعن «العُثان» مـا هو؟،فسكت ساعة، ثم قال: هـو الدُّخان من غير نار.

قـال أبو القـاسم: يقال: هـو الدُّخـان، وجمعه دواخن، والعثان، وجمعه: عواثن ولا يعرف لهما نظير في الجموع، لأن فُعالا لا يجمع على:فواعل غير هذين»[2].

* * *

– وفي البيت:

نـطعنهم سلكى ومخـلوجـة　　كـرّك لامـين عـلى نـابـل

يقـول ابن الأنبـاري: وقـال أبـو عبيـدة: سُلكى: مستوية، ومخلوجة: تختلجهم،وقال: سألت عنها أبا عمـرو بن العلاء، فقال: سألت عنهـا فلم أجد من يعرفها، وهي من الكلام الدارس»[3].

* * *

٣ – في التعبـيرات:

قـال الأصمعي: قال أبـو عمرو بن العـلاء: ليس في كـلام العـرب أتـانـا سَحَراً، ولكن أتانا بسحر،وأتانا أعلى السَّحَرين.

وليس في كلامهم: بينا فلان قاعـدٌ إذ قام، إنمـا يقال: بينـا فلان قاعـدٌ قام»[4].

* * *

---

(١) مجاز القرآن ١: ٦٩.

(٢) امالي الزجاجي ١٢١.

(٣) شرح القصائد السبع الطوال لابن القاسم الأنباري ص ٩، ١٠.

(٤) المـزهـر ٢: ١١١ والجمهـرة ٣: ٤٦٩

ـ حكى الأصمعي عن أبي عمرو قال: سمعت رجلاً من اليمن يقول فلان لغوب جاءته كتابي فاحتقرها، فقلت له: أتقول: جاءته كتابي! قال نعم: أليس بصحيفة؟[1].

* * *

ـ قال الأصمعيّ: «قال رجل لأبي عمرو بن العلاء: «ألزمك الله» ،قال: محدثة»[2].

* * *

ـ قال الأصمعي: «سمعت أبا عمرو بن العلاء، وقد اشترى غَرْساً فقال للذي اشتراه: أريد منك عشرة آصُل، يريد: جماعةَ أصْل، وآصُل كما تقول: حَبْل وأحبُل»[3].

* * *

ـ قال أبو عمرو بن العلاء: «أتيت دار قوم باليمن أسأل عن رجل، فقال رجل منهم: اسْمُك[4] في الرَّيْم «أي اعلُ في الدرجة»[5].

* * *

٤ ـ في التصحيف

وإلى جانب هذه الظواهر اللغوية التي ذكرتها كانت هناك ظاهرة أخرى تصحح الانحراف، وتقوّم الخطأ ـ وهي ظاهرة تصحيح التصحيف في اللغة من ذلك:

ـ قال أبو عمرو بن العلاء للأصمعي لما قرأ عليه:

* وغررتني وزعمت أنك لابن بالصيف تامر *

---

(١) الخصائص ١/٢٤٩، والمغني ٢/٧٥٥ ط بيروت.

(٢) البيان والتبيين ٤ : ٨٤ تحقيق هارون، ط ثانية.

(٣) شرح القصائد السبع الطوال ٥٥٩.

(٤) في اللسان : سمك الشيء يسمكهُ فسمك: رفعه فارتفع.

(٥) الأمالي للقالي : ١ : ١٦.

فقال:

* وغررتني وزعمت انك لاتني بالضيف تامر *

فقال: أنت في تصحيفك أشعر من الحطيئة [1].

ـ أبو البيداء الرياحي قال: أنشد أبا عمرو مرة:

ولو أن حيّاً للمنايا مقاتلاً   يكونُ لقاتلتُ المنيّة عن مَعْن
فتّى لا يقول الموتُ من حَرّ وقعه   لك ابنُك خذه، ليس من شيمتي دعني

فقال أبو عمرو: إنما هو «قتالاً» يقول الموت من حرّ وقعه [2].

* * *

ـ ذكر الرقاشي عيسى بن إسماعيل عن خلف الحراني قال: قرأ الأصمعي على أبي عمرو بن العلاء هذا البيت:

ألا قَتَلتْ مَذْحِجٌ ربَّها   وكانت خزايتها في مُراد

فقال أبو عمرو: هذا من قلة الصنعة، وإنما هو خرابتها والخارب: «اللص»[3].

* * *

ومع أن أبا عمرو لم يسكت إزاء هذه التصحيفات، ووجه إليها سيف النقد ليردها إلى الصواب فإن له تصحيفات عدّها عليه العلماء من هذه التصحيفات ما يأتي:

ـ روى بيت امرىء القيس على الوجه الآتي:

تأوّبني دائي القديمُ فغلّسا   أحاذِر أن يشتد دائي فأُنْكَسا

فقال أبو زيد: هذا تصحيفه، لأن المتأوّب لا يكون مغلّساً في حال

---

(١) نفح الطيب ٥: ٢٢٠.

(٢) التنبيه على حدوث التصحيف ٩٣.

(٣) المرجع نفسه ١٥١.

واحدة، لأن الغلس إنما هو في آخر الليل، وتأوب: جاء في أوله، وإنما هو: (فعلّسا) أي اشتد وبرّح[1].

* * *

ـ وروى أبو عمرو بيت ابن مقبل:

منحتُ نصارى تَغْلِبٍ إذْ منحتُها   على نأيها جَذّاء مانعة الغُبْرِ

الجذاء: التي لا لبن لها، فقال الأصمعي: هذا خطأ، لأن الغُبْر بقية اللبن فكيف تمنع بقية لبنها؟ وإنما هو حذاء وهي الخفيفة تسرع إليهم»[2].

* * *

على أية حال كانت نستطيع القول بأن أبا عمرو أسهم في الميدان اللغوي إسهاماً فعّالاً لمسناه في هذه النصوص التي تشهد بحق على أن أبا عمرو كان بانياً من بناة اللغة، ولا أتجاوز الحقيقة إذا قلت: إنه الباني الأول، أو المؤسس الأول للدراسات اللغوية التي تسلمها الخلف من بعده فساروا بها مساراً حسناً آتى أكله في هذه الألوان المتعددة من الدراسات التي قدّمها هؤلاء الأعلام من تلاميذه وتلاميذ تلاميذه.

* * *

---

(١) التنبيه على حدوث التصحيف ٦٨.

(٢) المرجع نفسه: ٦٨.

في الدراسات الصرفية والنحوية

١ ـ في الدراسات الصرفية:

هل كان أبو عمرو يعرف التصريف ؟

قبل الإجابة عن هذا السؤال أحب أن أبين للقارىء: ما علم التصريف؟ عرفه السيرافي فقال: «وأما التصريف فهو تغيير الكلمة بالحركات والزيادات والقلب للحروف التي رسمنا جوازها حتى تصير على مثال كلمة أخرى، والفعل يُمثِّلها بالكلمة، ووزنها به كقوله: ابن لي من ضرب: مثل: جُلْجُل: فوزنّا جُلْجُل بالفعل فوجدناه: فُعْلُل. فقلنا: ضُرْبُب: فتغيير الضاد إلى الضم وزيادة الباء، ونظم الحروف التي في: ضُرْبُب على الحركات التي فيها هو التصريف. والفعل هو تمثيله: بـ «فُعلل» الذي هو مثال: «جُلْجُل»[(1)]

وقال ابن جني في تعريفه: «معنى قولنا: التصريف هو أن تأتي إلى الحروف الأصول.. فنتصرّف فيها بزيادة حرف أو حروف بضرب من ضروب التغيير، فذلك هو التصريف لها، والتصرف فيها نحو قولك: ضرب: فهذا مثال الماضي فإن أردت المضارع قلت: يضرب أو اسم الفاعل قلت: ضارب: أو المفعول: قلت مضروب أو المصدر قلت: ضَرْباً: أو فعل ما لم يسم فاعله قلت: ضُرِب، وإن أردت أن الفعل كان

(١) شرح السيرافي لسيبويه ٥: ٥٧٦ مخطوط رقم ٥٢٨ نحو تيمور ونقلا عن المنصف ٣: ٢٧٤ (المتن والهامش).

من أكثر من واحد على وجه المقابلة قلت: ضَارَب، فان أردت أنه استدعى الضرب قلت: استضرب، فإن أردت أنه كثّر الضّرب وكرّره قلت: ضرّب، فإن أردت أنه كان فيه الضرب في نفسه مع اختلاج وحركة قلت: اضطرب، وعلى هذا عامّة التصرف في هذا النحو من كلام العرب»[1].

وابن عصفور في مقدمة كتابة «الممتع» أشاد بعلم التصريف وبيّن أن له شرفاً كبيراً حيث يقول: فالذي يبين شرفه احتياج جميع المشتغلين باللغة العربية من نحوي ولغوي إليه أيما حاجة، لأنه ميزان العربيّة ألا ترى أنه قد يؤخذ جزء كبير من اللغة بالقياس ولا يوصل إلى ذلك إلا من طريق التصريف نحو قولهم: كل اسم في أوله ميم زائدة مما يعمل به، وينقل فهو مكسور الأول نحو مِطرقة ومِسرجة الا ما استثني من ذلك، فهذا لا يعرفه إلا من يعلم أن الميم زائدة، ولا يعلم ذلك إلا من جهة التصريف»[2]. ولكن هذا العلم غامض يحتاج إلى ممارسة وتدريب لأن كثيراً من العلماء لا يسبرون غوره، ويعانون من غموضه حتى جلة العلماء كان لهم في هذا العلم سقطات، وإلى ذلك يشير ابن عصفور فيقول: «والذي يدل على غموضه كثرة ما يوجد من السقطات فيه لجلة العلماء، ألا ترى ما يحكى عن أبي عبيد من أنه قال في «مندوحة» من قولك: «مالي عنه مندوحة» أي متسع: أنها مشتقة من (انداح) وذلك فاسد، لأن (انداح) انفعل ونونه زائدة، ومندوحة مفعولة ونونه أصلية، إذ لو كانت زائدة لكانت (منفعلة) وهو بناء لم يثبت في كلامهم، فهو على هذا اشتق من الندح وهو جانب الجبل وطرفه وهي إلى السعة.

ونحو «من ذلك ما يحكى عن ابي العباس ثعلب من أنه جعل «أُسْكُفّة

---

(١) مختصر التصريف الملوكي: ٧ نقلا عن خاتمة في تعريف علم التصريف ملحقة بكتاب المنصف ٣: ٢٧٧.

(٢) الممتع ١ : ٢٧.

الباب» من «استكف» اي اجتمع، وذلك فاسد، لأن استكف استفعل، وسينه زائدة و«أسكفة» (أُفْعُلّه) وسينه أصلية إذ لو كانت زائدة لكان وزنه (اسْفُعْلَة) وذلك بناء غير موجود في أبنية كلامهم»[1].

ويبين ابن عصفور السبب في تأخر نشأة هذا العلم عن غيره من العلوم العربية فيقول: «وقد كان ينبغي أن يقدم علم التصريف على غيره من العلوم العربية، إذ هو معرفة ذوات الكلم في أنفسها من غير تركيب، ومعرفة الشيء في نفسه قبل أن يتركب ينبغي أن تكون مقدمة على معرفة أحواله التي تكون له بعد التركيب، إلّا أنه أخر للطُفْه ودقته، فجعل ما قدم عليه من ذكر العوامل توطئة له حتى لا يصل إليه الطالب إلا وهو قد تدرب وارتاض للقياس[2].

وقبل أن انتهي من هذا التقديم أود أن أشير إلى أن الإمام السيوطي لمح من القصة الآتية أن معاذ بن مسلم الهراء المتوفى ١٨٧ هـ هو أول من وضع التصريف.

وبيان ذلك أن أبا مسلم مؤدب عبد الملك بن مروان وكان قد نظر في النحو ينكر التصريف ويهجو أصحابه لإيرادهم أمثلة تشبه زجل الغربان والبوم وكلام الزَّنْج والروم.

ومن هجائه لهم قوله:

قد كان أخذهُمُ في النحو يعجبني	حتى تعاطوا كلام الزَّنْج والروم
لما سمعت كلاماً لست أفهمه	كأنه زجل الغربان والبوم
تركت نحوهُم والله يعصمني	من التَّقحّم في تلك الجرائيم

فأجابه معاذ:

عالجتها أمْرَد حتى إذا	شِبتُ ولم تُحسِن أبا جادها
سميت من يعرفها جاهلاً	يُصْدِرها من بعد إيرادها
سهّل منها كل مُسْتَصْعَبٍ	طوْدٌ علا القَرْن مِنْ أطوادها

(١) الممتع ١: ٣٠.

(٢) الممتع ١: ٣١.

قال الزبيدي: وكان ابو مسلم جلس إلى معاذ بن مسلم الهراء النحوي فسمعه يناظر رجلا في النحو، فقال له معاذ: كيف تقول من: «تؤزهم أزّاً»[1] يا فاعل افعل . . . فسمع أبو مسلم كلاماً لم يعرفه فقام عنهم وقال الأبيات [2].

وقد علق السيوطي في (البغية) بعد نقل هذه القصة من طبقات الزبيدي بقوله: «ومن هنا لمحت أن أول من وضع التصريف معاذ هذا» [3].

نلحظ في هذه القصة ما يأتي:

١ ــ الدراسة الصرفية كانت مختلطة بالدراسة النحوية بدليل قول أبي مسلم إنه كان يعجب بالنحو إلى أن أدخلوا فيه هذا التصريف فهجره ودعا الله أن يعصمه من التقحم في جراثيم النحو.

معنى هذا أن الظواهر الصرفية كانت تندمج في الظواهر النحوية، وتدخل في باب النحو.

٢ ــ نسبة وضع التصريف إلى معاذ بن مسلم الهراء ليست موثقة، لأن تعقيب السيوطي على القصة بقول: « لمحت » يؤكد أن الرجل منهجي، لأنه لم ينسب صراحة هذا العلم إلى معاذ، واللمحة خاطر، ومجرد احتمال.

والذي أراه أن الظواهر الصرفية كانت في نظر المشتغلين بالنحو ظواهر نحوية لم تتحدد وتنفصل إلا في مرحلة متأخرة عن مرحلة أبي عمرو.

ومن هنا أستطيع أن أجيب عن السؤال الذي بدأت به هذا البحث:

هل أبو عمرو كان يعرف التصريف؟.

الواقع كما قلت: إن أبا عمرو عرف الظواهر التي نطلق عليها ظواهر صرفية، لأنها كانت تسير جنباً إلى جنب مع الظواهر اللغوية والنحوية.

إلى أن جاء معاذ بن مسلم وجعل من هذه الظواهر الصرفية ميداناً للتدريب والتمرين كما بينت، ومع ذلك فإنها كانت تسمى نحواً، ثم أطلق

---

(١) مريم / ٨٣ .

(٢) طبقات النحويين : ١٢٥، ١٢٦ . وانظر جواب هذه المسألة في طبقات النحويين.

(٣) البغية ٢ : ٢٩١ .

عليها فيما بعد تصريفاً ثم تطوّر هذا التصريف إلى أن أصبح علماً مستقلا له مقاييسه وأصوله.

والنص السابق لابن عصفور حول السبب في تأخر نشأة هذا العلم يؤكد ما أقول، ومالي أذهب بعيداً وقد وقعت على نص يؤكد صراحة أن التصريف كلمة جديدة لم ترد على لسان أبي عمرو أو على لسان رجل من طبقته وإنما وردت على لسان رجلين من طبقة جاءت بعد طبقته وهما: أبو محمد اليزيدي المتوفى ٢٠٢ هـ وعلي الأحمر المتوفى ١٩٤ هـ وبيان ذلك أن حواراً دار بين الرجلين ذكره الزّجاجي في مجالس العلماء قال: قال أبو محمد اليزيدي: وكنت جالساً مع الفضل بن الربيع، فدخل علينا علي الأحمر، فجلس إلى الفضل، فقال لي الفضل: من كان أعلم بالنحو: الكسائي أو أبو عمرو بن العلاء؟ وكان أبو عمرو أستاذ أبي محمد، قلت: أصلحك الله، لم يكن أحد بالنحو أعلم من أبي عمرو، فقال الأحمر: لم يكن يعرف التصريف، فقلت له: ليس التصريف من النحو في شيء إنما هو شيء ولّدناه نحن واصطلحنا عليه، وكان أبو عمرو أنبل من أن ينظر فيما ولّد الناس: قال: ولم؟ قلت: لأنه جاور البدو أربعين سنة ولم يقم الكسائي بالبدو أربعين يوماً.

ثم قلت له: أنت أيضاً تزعمُ ان الكسائي لم يكن يبصر التصريف وأنت تزعم أنك علّمته، فسكت، فلما أراد أن يقوم أخذت دواة وقرطاساً وكتبت:

زعم الأحمر المقِيت عُليٌّ   والذي أُمُّه تدين بمقْته
أنّه علم الكسائيّ تصريفاً   فإن كان ذا كذا فبِاسْته

ثم دفعت الرقعة إلى الفضل، فما زال يضحك منها والأحمر لا يدري من أي شيء يضحك؟[1].

---

(١) مجالس العلماء ١٧١، ١٧٢.

من هذا الحوار نستطيع أن نلمح ما يأتي:

١ ــ التصريف مهارة مكتسبة من مقاييس وأصول لغوية لم تكن هذه المهارة عند أبي عمرو لأنها شيء ولده الناس وأبو عمرو أنبل من أن ينظر فيما ولد الناس.

٢ ــ كذلك ألمح من هذا القصة أن الكسائي لم يكن يعرف التصريف، وأن عليّاً الأحمر أفحمه اليزيدي حينما تناقضت أقواله في معرفة الكسائي بالتصريف، وفيما يبدو أن هجاء اليزيدي للأحمر يدلّ على سخرية بهذا التصريف الذي ادعاه ونسبه إلى شيخ نحاة الكوفة.

ــ على أنني ـ كما قلت سابقاً ـ: لا أستطيع إنكار الظواهر الصرفية عند أبي عمرو وطبقته لأنها ظواهر ـ كما قلت ـ مندرجة تحت النحو العربي وينظر إليها في إطاره، فما هي إذن هذه الظواهر الصرفية؟.

١ ــ الرجوع إلى الأصل:

قال ابن جني: «اسم المفعول من الثلاثيّ المعتل العين، نحو مبيع ومخيط، ورجل مدين من الدين. فهذا كله مغير، وأصله: مبيوع ومديون، ومخيوط فغُيّر على ما مضى.

ومع ذلك فبنو تميم ـ على ما حكاه أبو عثمان عن الأصمعي ـ يتمّون مفعولاً من الياء، فيقولون: مخيوط ومكيول...

أنشد أبو عمرو بن العلاء:

* وكأنها تفاحة مطيوبة *(١)

وفي تصريف أبي عثمان المازني ما نصه: «قال أبو عثمان: وسمعت

---

(١) الخصائص ١: ٢٦١.

الأصمعي يقـول: سمعت أبـا عمـرو بن العـلاء يقـول: سمعت في شعـر العرب:

* وكأنها تفاحة مطيوبة *(١)

* * *

ــ وقـال أبو عثمـان في قولـه تعالى: «﴿وإذا الـرسـل أُقتت﴾(٢) والأصـل عندنا «وقتت» لأنهـا فعلت من الوقت، ولكنهـا ألزمت الهمـز لانضمامهـا، ولو كـانت في غير القـرآن لكان تـرك الهمز جائزاً.

وقال ابن جني شارحاً قولـه: أُقتت ولكنها ألزمت الهمز، لانضمامها ليس يعني به أن الضم موجب للهمز، بل يريد أنه مجوّز للهمز، لأنه قد بيّن هذا في أول الفصل، فيقول إنها ألزمت الهمز لانضمامها في أكثر الأمر، وإن كان ترك الهمز جائزاً كما يجوز أشياء كثيرة في القياس،وإن لم يرد بها الاستعمال.

وعلى أن أبا عمرو قد قرأ: «وقتت» بلا همز»(٣).

٢ ــ في الجمـع:

ــ قـال أبو العبـاس: «قال أبـو عبيـدة: كنـا عنـد أبي عمـرو بن العـلاء، فسـأله سـائل عن جمـع (يد) من الإنسـان، فقـال: (أيـدٍ)، وأنكـر أن تكـون الأيادي إلا في النّعم، فلما قمنا قال لي أبو الخطاب الأخفش:

أما إنها في علمه غير أنها لم تحضره»(٤).

ــ ويفـرق بين صيغتي جمـع أسيـر: أسـرى وأسـارى فيقـول: الأسـرى

---

(١) المنصف ١: ٢٨٦.

(٢) المرسلات: ٧٧.

(٣) المنصف ٢١٨/١، ٢٢٠.

(٤) مجالس العلماء ١٦٢.

الذين جاءوا مستأسرين، والأسارى: الذين جاءوا في الوثاق والسجن»[1].

* * *

٣ ــ فاء الإفتعال:

قال ابن جني: ومن ذلك أن تقع فاء (افتعل) زاياً أو دالاً أو ذالاً، فتقلب تاؤه لها دالاً كقولهم: ازدان، وادّعى، وادّكر واذ دكر، فيما حكاه أبو عمرو[2].

* * *

٤ ــ القياس:

قال الزمخشري: «حبرور» هو في عداد المكبرات، وفي قول الأعرابي الذي سئل عن تصغير «الحبارى» فقال: «حُبرور» مصغر.

ومثله ما حكي عن أبي عمرو: أن رجلا عرض عليه من شعره بحراً من منظومات أهل زمانه مما لا يشكل الشعر إلا بوزنه ودروبه، فقال له: يا هذا إن الشعراء ثلاثة: شاعر، وشُويعر، وشُعرور وما أراك إلا من الشّعارين. قاس شُعروراً على «حُبرور» فبناه بناءه، وجعله أدل على الصغر من «شويعر»[3].

* * *

٥ ــ التصغير:

في تصغير الاسم المختوم بالألف المقصورة

قال المبرد: فإذا كانت مع الألف زائدة غيرها حذفت أيتهما شئت وذلك

---

(١) المزهر ٢: ٢٩١.

(٢) الخصائص ٢: ١٤٢.

(٣) المحاجاة بالمسائل النحوية ١٢٨.

قولك في مثل حياري»[1]: حُبيري وهو أقيس لأن الألف الأولى من حبارى زائدة لغير معنى إلا للمد، وألف حباري الأخير للتأنيث، فلأن تبقى التي للمعنى أقيس.

وقد قالوا: حبيِّر فحذفوا الأخيرة لأنهما زائدتان، وما دون الطرف أقوى مما كان طرفاً.

وكان أبو عمرو بن العلاء يقول في تصغيرها: حُبيِّرة فيحذفها، ويبدل منها «هاءً» التأنيث ليكون له في الاسم علامة تأنيث، ويفعل ذلك بكل ما فيه ألف التأنيث الخامسة فصاعدا، ويقول: لم يجز إثباتها، لأنها ساكنة، فاذا حذفتها لم أخل الاسم من علامة تأنيث ثابتة»[2].

* * *

٦ ـ حذف التنوين لالتقاء الساكنين:

قال المبرد: وقرأ بعض القراء: ﴿قل هو اللهُ أحدُ.الله الصمد﴾ [3] وأما الوجه فإثبات التنوين، وإنما هو مجاز.

فمن ذهب إلى حذف التنوين لالتقاء الساكنين قال: هذه هندُ بنت عبد الله فيمن صرف هنداً، لأنه لم يلتق ساكنان.

وكان أبو عمرو بن العلاء يذهب إلى أن الحذف جائز، لأنهما بمنزلة اسم واحد لالتقاء الساكنين، ويحتج بما ذكرته لك في النداء من قولهم: يا يا زيدُ بنَ عبد الله، وقال: هذا هو بمنزلة قولك: هذا امرؤٌ، ومررت بامرِءٍ، ورأيت امْرَأً، وتكون الراء تابعة للهمزة فكذلك آخر الاسم الأول تابع لنون ابن،

---

(١) الحباري: طائر يقع على المذكر والمؤنث، والواحد والجمع.

(٢) المقتضب ٢: ٢٦١، ٢٦٢.

(٣) الصمد ١، ٢.

وهـو وابن شيء واحـد، تقـول : هـذا زيـدُ بنُ عبـد الله ومـررت بزيـدِ بنِ عبد الله، ورأيت زيدَ بنَ عبد الله فيقول : هـذه هندُ بنتُ عبـد الله فيمن صرف هنداً »[1].

* * *

٧ ــ الهمــز:

قال أبو عبيدة: «بادىء الرأي»[2] مهموز لأنه من بدأ عن أبي عمرو ومعناه: أول الرأي[3].

٨ ــ تخفيف الهمـزة:

قـال سيبويـه: واعلم أن الهمزتين إذا التقتا، وكانت كـل واحدة منهمـا من كلمـة فإن أهل التحقيق يخففـون إحداهمـا ويستثقلون تخفيفها لمـا ذكرت لـك كمـا استثقل أهـل الحجاز تحقيق الـواحدة. فليس من كـلام العرب أن تلتقي همزتان فتُحققا.

ومن كـلام العـرب تخفيف الأولى وتحقيق الأخرى وهـو قـول أبي عمـرو وذلك قولك: «فقد جاء أشراطها»[4] و﴿يا زكريا إنا نبشرك﴾[5] [6].

* * *

من هذه الظواهر الصرفية عرفنا أن أبا عمرو شارك مشاركة فعالة في هذه الظواهر مما يدلّ على أن له قدماً راسخة في ألوان الدراسات العربية.

□ □ □

---

(١) المقتضب ٢: ٣١٣ - ٣١٤.

(٢) هـود / ٢٧.

(٣) المجاز ١ / ٢٨٧.

(٤) محمد: ١٨.

(٥) مريم: ٧.

(٦) سيبويه ٣: ٥٤٩.

٢ ــ في الدراسات النحوية

أ ـ منهج أبي عمرو في الدراسات النحوية

١ ــ القــراءات:

أبـو عمرو بن العـلاء أحد القـراء السبعة المشهـورين، ولا أبالغ إذا قلنا: إنه أبرزهم وأعلمهم.

وهؤلاء القراء السبعة هم: نـافع، وابن كثيــر، وأبو عمرو، وابن عـامر، وعـاصـم، وحمزة، والكسائي(١).

وقـد اختـارهم ابن مجـاهـد من قـراء كثيـرين حتى ظن بعض العـوام أن القـراء السبعة هم الـذين تنسب اليهم القراءات السبـع في الحـديث المشهـور «أنزل القرآن على سبعة أحرف كلها شاف كاف»(٢).

ومن ثم وجـه نقد مـرير لابن مجـاهد لأنـه اقتصر على سبعـة قـراء بـدون زيادة أو نقص مما دفع بعض الناس إلى هذا الوهم الخاطىء.

ومن أشهر النقد الذي صوب اليه نقد مكي بن أبي طالب، إذ يقول:

---

(١) تـوفي نافـع ١٦٩ هـ ـ وابن كثير ١٢٠ هـ وعبـد الله بن عامـر ١١٨ هـ، وعـاصم بن بهـدلـة ١٢٨ هـ وحمـزة بـن حبيب ١٥٦ هـ والكسائي ١٨٩ هـ.

(٢) النشر ١: ٢١.

«ومن ظن أن قراءة هؤلاء القراء كنافع وعاصم هي الأحرف السبعة في الحديث فقد غلط غلطاً عظيماً. قال: ويلزم من هذا أيضاً أن ما خرج عن قراءة هؤلاء السبعة مما ثبت عن الأئمة غيرهم، ووافق خط المصحف ألّا يكون قرآناً وهذا غلط عظيم، فإن الذين صنفوا القراءات من الأئمة المتقدمين كأبي عبيد القاسم بن سلام، وأبي حاتم السجستاني، وأبي جعفر الطبري، وإسماعيل القاضي قد ذكروا أضعاف هؤلاء» (١).

* * *

ونقده أيضاً أبو حيان الأندلسي فقال: «ليس في كتاب ابن مجاهد ومن تتبعه من القراءات المشهورة إلا النزر اليسير، فهذا أبو عمرو بن العلاء اشتهر عنه سبعة عشر راوياً»(٢).

ومكانة أبي عمرو في القراءات ترجع إلى أنه «ليس في القراء السبعة أكثر شيوخاً منه، سمع أنس بن مالك وغيره، وقرأ على الحسن بن أبي الحسن البصري، وحميد بن قيس الأعرج، وأبي العالية رفيع بن مهران الرياحي على الصحيح، وسعيد بن جبير، وشيبة بن نصاح، وعاصم بن أبي نجود، وعبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي، وعبد الله بن كثير المكي وعطاء بن أبي رياح، وعكرمة بن خالد المخزومي، وعكرمة مولى ابن العباس، ومجاهد، ومحمد بن عبد الرحمن بن محيصن ونصر بن عاصم، والوليد بن يسار، ويقال: بشار الخزاعي، وأبي جعفر يزيد بن القعقاع المدني، ويزيد بن رومان، ويحيى بن يعمر» (٣).

وعلم أبي عمرو بالقراءات وبالقرآن علم غزير كان يشعر به أبو عمرو نفسه، ويرى أن الله وهبه في هذا الميدان القرآني، ما لم يهب غيره، ولا

---

(١) الإتقان ١: ٨٠، ٨١.

(٢) المرجع نفسه والصفحة.

(٣) غاية النهاية في طبقات القراء ١: ٢٩٠.

أدل على ذلك ما قاله الأصمعي، قال: قال لي أبو عمرو: «لو يهيأ لي أن أفرغ ما في صدري في صدرك لفعلت، لقد حفظت في علم القرآن أشياء لو كتبت ما قدر الأعمش على حملها، ولولا أن ليس لي أن أقرأ إلا بما قرئ لقرأت كذا وكذا، وكذا، وكذا، وذكر حروفاً»[1].

وقد وثق قراءة أبي عمرو علماء عصره بما رواه الرواة في توثيقها من أخبار.

فقدرووا عن سفيان بن عيينة قال: «رأيت رسول الله ﷺ في المنام فقلت: يا رسول الله قد اختلفت عليّ القراءات، فبقراءة من تأمرني أن اقرأ؟ فقال: اقرأ بقراءة أبي عمرو بن العلاء»[2].

وقال ابن مجاهد: «وحدثونا عن وهب بن جرير قال: قال لي شعبة: تمسك بقراءة أبي عمرو فانها تصير للناس إسناداً[3].

وقال نصر: «قلت لأبي كيف تقرأ؟ قال: على قراءة أبي عمرو، وقلت للأصمعي: كيف تقرأ؟ قال: على قراءة أبي عمرو»[4] وقال عنه ياقوت: «وقالوا: صدوق حجة في القراءة»[5].

* * *

قراءات أبي عمرو في ضوء القواعد النحوية

والقراءات التي نسبت لأبيعمرو كان معظمها قائماً على الأصول النحوية التي كان يراها، ويؤمن بصحتها، وليس معنى هذا أن كل القراءات التي رويت لأبي عمرو كانت جارية في نظره على مستوى الصواب النحوي

(١) المرجع نفسه ص ٢٩١.

(٢) المرجع نفسه والصفحة.

(٣) المرجع نفسه ص ٢٩٢.

(٤) المرجع نفسه ص ٢٩٢.

(٥) معجم الأدباء ١١: ١٦٠.

الذي كونه النحاة في عصره من الأساليب العربية السائدة والمرويّة، بدليل قوله: ولولا أن ليس لي أن أقرأ إلا بما قرىء لقرأت كذا وكذا وكذا، وذكر حروفاً»[1].

فهذا النص لا يدع مجالاً للشك في أن أبا عمرو مقيد في قراءته بالرواية،وإن كانت الرواية أحياناً تخالف مذهبه النحوي.

واعتقد أن هذه المخالفة كانت في روايات معدودة بدليل الإشارة إليها بكلمة كذا، وكذا ، لأنها لو كانت كثيرة لما اختار هذا الأسلوب الذي يدلّ على القلّة.

على أن أبا عمرو كان ينظر إلى أسلوب القرآن الكريم بأنه الذروة العليا في الفصاحة والبلاغة، والغاية القصوى للأسلوب العربي في قوته وكماله والدليل الناصع الذي يرشد إلى السلامة في التعبير، والصواب في الحديث، والإبداع في القول، والقوة في الأسلوب.

وفي مجال أسلوب القرآن الكريم يحدثنا ابن جني فيقول:

«أنشد رجل من أهل المدينة أبا عمرو بن العلاء قول ابن قيس الرقيات :

إن الحوادث بالمدينة قد أوجعتني وقرعن مَرْوَتِيَهْ

فانتهره ابو عمرو، فقال : ما لنا ولهذا الشعر الرخو: إن هذه الهاء لم توجد في شيء من الكلام إلا أَرْضَتْه. فقال له المديني:

قاتلك الله، ما أجهلك بكلام العرب! قال الله عز وجل في كتابه: ﴿ما أغنى عني ماليه هلك عني سلطانيه﴾[3] وقال: ﴿يا ليتني لم أوت كتابيه ولم أدرِ ما حسابيه﴾ [4] فانكسر أبو عمرو انكساراً شديداً[2] .

---

(1) غاية النهاية في طبقات القراء ١ : ٢٩٠.

(٢) الخصائص ٣: ٢٩٣.

(٣) الحاقة / ٢٨ ـ ٢٩ .

(٤) الحاقة / ٢٥ ـ ٢٦ .

وهناك قراءات لأبي عمرو اختارها،لأنها وافقت مذهبه النحوي، وقد ترك لمن جاء بعده بيان مذهبه وكشف رأيه، وإظهار وجهته.

* من هذه القراءات ما يأتي:

أ ـ ﴿إلا من ظلم﴾ (١)

قرأ ابو عمرو «إلا من ظُلم» بضم الظاء ،قال ابن الأنباري: فمن قرأ بضم الظاء كان له مذهبان؛ أحدهما: أن ينصب «من» على الاستثناء المنقطع.

والوجه الثاني: أن يرفعها بتأويل الجهر، كأنه قال: «لا يحب الله أن يجهر بالسوء من القول إلا المظلوم»(٢).

* * *

ب ـ ﴿ويذَرك وآلهتك﴾(٣)

كان أبو عمرو يقرأ «ويذرك» بالنصب.

قال ابن الأنباري: فمن قرأ: «ويذرك» بالنصب كان له مذهبان؛ أحدهما: أن يقول: نصبته على الصرف من قوله: «أتذر موسى» ومعنى الصّرف: الحال، كأنه قال: أتذر موسى وقومه ليفسدوا في الأرض في حال تركهم إياك وآلهتك»...

وقال اليزيدي «ويذرك» منصوب على معنى: ﴿ليفسدوا في الأرض، وليذرك وآلهتك﴾(٤).

* * *

---

(١) النساء: ١٤٨.

(٢) الوقف والابتداء ٢: ٦٠٧.

(٣) الأعراف: ١٢٧.

(٤) الوقف والابتداء ٢: ٦٦٣.

جـ ـ ﴿وحورٌ عينٌ﴾ [1].

قرأ ابو عمرو: «وحور عين» بالرفع. قال ابن الأنباري: على معنى: «عندهم حور عين» [2].

د ـ ويعلل ابن خالويه لقراءة أبي عمرو: ﴿ وأُخَرُ من شَكله أزواج﴾ [3] فيقول: «والحجة لمن جمع أنه شاكل بالجمع بينه وبين قوله أزواج، ولم يقل زوج، وهما في الوجهين لا ينصرفان» [4].

هـ ـ وينفرد أبي عمرو بقراءة: ﴿وأكونَ من الصالحين﴾ [5] ويعللها ابن خالويه فيقول: والحجة لمن نصب أنه رده على قوله: أصدق، لأن معنى: «لولا» ها هنا معنى: هلّا، وهي للاستفهام والتّحضيض، والجواب في ذلك بالفاء منصوب، وفيما شاكله من الأمر والنهي، والتمني، والجحد، والعرض، فعطف لفظاً على لفظ ليكون الكلام من وجه واحد» [6].

و ـ ﴿يا بن أم لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي ﴾ [7].

قرأ أبو عمرو بفتح ابن وأمّ قال الزجاجي: قرأ أبو عمرو بن العلاء بالفتح على أنه بناه، وجعل الكلمتين كلمة واحدة [8].

* * *

---

(١) الواقعة : ٦٨ .

(٢) الوقف والابتداء ٢ / ٩٢١.

(٣) ص: ٦٨ .

(٤) الحجة في القراءات السبع لابن خالويه ٢٨٠ .

(٥) المنافقون: ١٠ .

(٦) الحجة في القراء السبع لابن خالويه : ٣٤٦ طبعة ثانية

(٧) طه: ٩٤.

(٨) اللامات للزجاجي: ٨٧.

ز ـ لام الأمر:

قال الحريري: «وأصل هذه اللام الكسر كما كسرت لام الجر مع الظاهر، فإن دخلت عليها الواو أو الفاء أو ثُمّ جاز كسرها على الأصل، وإسكانها للتخفيف إلا أن الاختيار أن تسكن مع الفاء والواو لكونهما على حرف واحد لا يمكن السكوت عليه وأن يكسر مع ثُمّ لأنها كلمة بذاتها، وبهذا أخذ أبو عمرو بن العلاء فقرأ: «فليضحكوا قليلاً وليبكوا كثيراً»(١) باسكان اللام مع الفاء والواو وقرأ «ثم لِيقطع»(٢) بكسر اللام مع ثُمّ (٣).

٣ ـ الشعر العربي:

أبو عمرو كان راوية للشعر العربي، وكان تراثاً متنقلا يعي في ذاكرته أشعار العرب الجاهليين، ويستوعب ما قاله المعاصرون، وكما قلت سابقاً: إنه كبير الثقة بالشعر الجاهلي مما حمل الأصمعي إلى أن يقول عنه فيما رواه الجاحظ: «جلست إلى أبي عمرو عشر حجج فما سمعته يحتج ببيت إسلامي» (٤).

وعلى الرغم من كثرة رواية أبي عمرو للشعر الجاهلي، فإنه كان يرى أن هذا الشعر المروي قليل بالنسبة لما لم يرو، فقد روي عنه أنه قال: «ما

---

(١) التوبة : ٨٢.

(٢) الحج : ١٥ .

(٣) درة الغواص ١١٦، ١١٧ .

(٤) البيان والتبيين ١: ٣٢٠، ٣٢١.

انتهى إليكم مما قالت العرب إلا أقله، ولو جاءكم وافراً لجاءكم علم وشعر كثير»[1]. ولتظلّ لهذا الشعر الجاهلي قدسيته فقد اعترف أبو عمرو بأنه ارتكب خطأ واحداً في مجال رواية هذا الشعر لأنه زاد بيتاً واحداً دسّه في شعر الأعشى، ولكنه ندم على هذا الخطأ، وأعلن أنه معترف بما ارتكب في حق قدسية هذا الشعر[2].

أما أشعار معاصريه، فقد كان أبو عمرو قليل الثقة بها، فقد سئل مرة عن شعر ذي الرمّة فقال: «إنما شعر ذي الرّمة نقط عروس تضمحل عن قليل، وأبعار ظباء لها مشمّ في أول شمها ثم تعود إلى أرواح البعر»[3].

وسأله الأصمعي عن شعر عديّ بن زيد فقال له: كيف موضع عدي ابن زيد من الشعراء؟ قال: «كسهيل في النجوم، يعارضها ولا يدخل فيها»[4] على أن أبا عمرو لم يغض طرفه عن شعر معاصريه، فقد كان يرويه وكان الشعراء يأتون إليه ليعرضوا عليه محفوظاتهم من هذا الشعر ليوثقها أو يصححها، لأن أبا عمرو مضرب المثل في الأمانة، وأنه لا يقرىء إلا كما سمع.

يصور ذلك عيسى بن إسماعيل حيث يقول: سمعت الأصمعي يقول: قرأت على خلف شعر جرير فلما بلغت قوله:

ويوم كإبهام القطاة محبّب ... إليّ هواه غالبٍ ليَ باطلُهْ
رُزِقنا به الصّيدَ الغرير ولم نكن ... كمن نَبْلُهُ محرومةٌ وحبائلهُ
فيا لك يوما خيرُه قبل شره ... تغيب واشيهِ واقصر عاذلُه[5]

---

(1) الخصائص ٣: ٣١٠.
(2) انظر الخصائص ٣: ٣١٠.
(3) الموشح ٢٧١.
(4) الموشح ١٠٢.
(5) انظر ديوان جرير / ٣٨٤، ٣٨٥.

فقال: ويله: وما ينفعه خير يؤول إلى شر؟ قلت له: هكذا قرأته على أبي عمرو فقال لي: صدقت، وكذا قاله جرير، وكان قليل التنقيح، مشرد الألفاظ، وما كان أبو عمرو ليقرئك إلا كما سمع.

فقلت: فكيف كان يجب أن يقول؟ قال: الأجود له لو قال:

* فبالك يوماً خيره دون شره *

فاروه هكذا، فقد كانت الرواة قديماً تصلح من أشعار القدماء فقلت: «والله لا أرويه بعد هذا إلا هكذا»(١).

* * *

نماذج من الآراء النحوية لأبي عمرو في إطار الشواهد الشعرية:

١ ـ التأويل والتخريج:

قد مرت فيما سبق قصة تخطئة ابن أبي إسحاق للفرزدق في بيته المشهور

وعض زمان يابن مروان لم يدع   من المال إلا مسحتاً أو مجلف

فقد قال له ابن أبي إسحاق: على أي شيء رفعت: «مجلفا»؟.

قال: على مايسوءك، قال أبو عمرو: فقلت له: أصبت، هو جائز على المعنى على أنه: لم يبق سواه.

قال أبو جعفر الرؤاسي: «وكان أبو عمرو ممن حسن الله علمه وفهمه»(٢).

* * *

ـ ويشيد بعمر بن أبي ربيعة ويقول: انه حجة في العربية وما تعلّق عليه بشيء غير حَرْف واحد، قال أبو عمرو: له وجْهٌ إن أراد الخبر، ولم يرد

---

(١) الموشح ١٩٨، ١٩٩.   (٢) الموشح ١٦١.

الاستفهام وهو قوله:

حين قالوا تحبها قلتَ بَهْراً عدد القطْر والحصى والتراب

ولم يقل: أتحبها؟[1].

* * *

٢ ـ حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه:

تحدث محمد بن يزيد النحوي قال كان بلال بن أبي بردة داهية لقناً: ويقال: إن ذا الرمة لما أنشده:

سمعت الناس ينتجعون غيثاً فقلت لصيدح[2] انتجعي بلالا

فلما سمع قوله: «فقلت لصيدح انتجعي بلالا» قال: يا غلام، مُرْ لها بقتٍّ ونوى..

وفي رواية لأبي عبيدة: قال بلال: يا غلام اعلف ناقته، فإنه لا يحسن أن يمدح.

فلما خرج بلال: قال أبو عمرو لذي الرمة وكان حاضراً: هلا انشدته قول الحارثي:

وقفت على الديار فكلمتني فما ملكت مدامعها القلوصُ

يريد صاحبها فقال له ذو الرمة: يا أبا عمرو: أنت مُفْردٌ في علمك، وأنا في علمي وشعري ذو أشباه[3].

* * *

---

(١) الموشح ٣١٥، ٣١٦.

(٢) صيدح: اسم ناقته.

(٣) الموشح ٢٨١ - ٢٨٣.

٣ ــ ادخال إلا بعد (ما تنفك).

ينقد أبو عمرو ذا الرمة في هذا الأسلوب إذ يقول:

حراجيج ما تنفك إلا مناخةً على الخسف أو نرمي بها بلداً قفرا

قال الأصمعي: «سمعت أبا عمرو بن العلاء يقول: أخطأ ذو الرمة في إدخاله إلا بعد قوله: (ما تنفك)»[١].

وقد فسر الأصمعي كلام أبي عمرو فقال: «ما» جَحْد، «وإلا» تحقيق، فكيف يجتمعان؟[٢].

٤ ــ في الضرورة:

قال أبو عمرو: سمعت أبا سوار الغنويّ ينشد:

علمنا أخواننا بن عِجِل الشغزبي ثم اعتقالاً بالرّجِل

فسرا العينيّ هذا الشاهد فقال:

الشغزبي: ضرب من الصراع، والاعتقال: أن يدخل رجله بين رجلي صاحبه حتى يصرعه. ثم قال: «الاستشهاد فيه في «عجل» و«الرجل» فإن الشاعر حرك الجيم فيهما للضرورة وبنو عجل: قبيلة تنسب إلى عجل بن لجيم»[٣].

* * *

٥ ــ ومع مكانة أبي عمرو في الشعر العربي، ومعرفته بمواقع الكلمات ومواطن التحريفات فإن له هفوات أخذت عليه في مجال هذا الشعر.

* * *

---

(١) الموشح ٢٨٦.

(٢) المرجع نفسه ٢٨٧.

(٣) شواهد العيني هامش الخزانة ٤: ٥٦٧، ٥٦٧.

من هذه الهفوات

أ ــ تحدث أبو عبيدة عن أبي عمرو قال: «كنّا عند بلال بن أبي بردة فخرج الفرزدق يتخلع ، فسمعني أنشد بيت التغلبي[1]:

نُعاطي الملوك القِسط ما قصدوا لنا   وليس علينا قتْلُهمْ بمُحرّم

فقال الفرزدق: «أأرشدك أم أدعك؟ قلت: أرشدني قال: ما قصدوا بنا»[2].

ب ــ أخبرنا الأصمعي عن سلمة بن عباس «قال: سألت أبا عمرو بن العلاء عن هذا البيت:

يا صاح يا ذا الضّامرُ العنْسِ   والرّحْل ذي الأجلاب والحِلْس

فقال: يا صاح يا ذا الضامر، العنسِ ، ثم قام، فصعد درجة ، فأحضر فيها فقلت له : إن فيها:

* والرّحلِ ذي الأجلاب والحِلْس *

فقال : ويحك منها فررت أي علم أنه أخطأ فقام .

قال الأصمعي : إنما أراد يا صاح يا ذا العنس الضامر، والرحل ذي الأجلاب، فلا يكون في (الضامر) الرفع :

وأجلاب الرحل : عيدانه وجَدَياته»[3] .

٣ ــ الإكثار من لغات العرب :

قال ابن نوفل:سمعت أبي يقول لأبي عمرو بن العلاء : أخبرني عما وضعت مما سميته عربية، أيدخل فيه كلام العرب كله ؟ فقال : لا،

---

(١) في هامش طبقات النحويين ٣٨ هو جابر بن جني التغلبي فارس جاهلي .

(٢) طبقات النحويين ٣٨.

(٣) مجالس العلماء ٥١.

فقلت : كيف تصنع فيما خالفتْك فيه العرب وهم حجة ؟ فقال أعمل على الأكثر، وأسمي ما خالفني لغات [1].

والنص يشير في وضوح إلى أن أبا عمرو استقرأ الكثير من كلام العرب واستوعبه وفي ضوئه قعّد القواعد، وبنى الأصول.

وكان أبو عمرو منهجياً حينما أجاب سائله بأن كلام العرب لا يحيط به أحد، وما دام بصدد تبويب هذا الكلام، وتقعيده فإن المنطق يقضي بأن الكثرة هي الأساس الذي يقام عليه هذا التقعيد.

وكان السائل منطقيًّا أيضاً لأن كلام العرب حجة وليس هناك ميزان يفرق بين لغة ولغة في مستوى الخطأ والصواب، فالأخذ بلغة دون لغة ولهجة قبيلة دون أخرى أمر لا يتّفق مع المنطق اللهم إلا إذا كانت القبيلة انحرفت لغتها عن مستوى الصواب بسبب اختلاطها بغيرها من القبائل أو البلاد التي فسدت لغتها.

والباني للقواعد يحاول دائماً أن تكون قواعده مطّردة ولا يتأتى هذا الاطراد إذا نظر المؤسس اللغوي أو النحوي إلى كلام العرب كله، ومن هنا كان المنهج يحتم عليه أن يبني قواعده على الأكثر، وما خالف هذه القواعد سمي لغات، وليست هذه اللغات موضع شك أو اتهام، ولكنها خرجت عن مستوى الكثرة، فلا تقام عليها قاعدة، ولا يبنى على أساسها أسلوب،لأن من شأن القاعدة دائماً أن تحاط بالاطراد الذي يحميها من الخلل، ويحفظها من الاضطراب.

ومنهج أبي عمرو في هذا هو منهج معاصره عيسى بن عمر الذى، قيل له يوماً على لسان واحد من علماء عصره : « خبرني عن هذا الذي وضعت

---

(١) طبقات النحويين ٣٩.

أيدخل فيه كلام العرب كله ؟ فقال : لا ، قلت. فمن تكلم بخلافك ، واحتذى على ما كانت تتكلم به أتراه مخطئاً ؟ قال : لا ، قلت : فما ينفع كتابك ؟ (١)

* * *

نماذج من لغات العرب في ضوء منهج أبي عمرو

١ ـ لغة تميم :

اقتران خبر ليس بإلا :

كان أبو عمرو يقول به مثل : « ليس الطيب إلا المسك » بالرفع ، فبلغ ذلك عيسى بن عمر الثقفي فجاء فقال : يا أبا عمرو : ما شيء بلغني عنك ؟ ثم ذكر ذلك له فقال له أبو عمرو : نمت وأدلج الناس ، ليس في الأرض تميمي إلا وهو يرفع ، ولا حجازي إلا وهو ينصب » (٢).

٢ ـ لغة أهل مكة :

حدّث العباس بن الفضل قال : سألت أبا عمرو عن قوله : ﴿يحول بين المرْء وقلبه﴾ (٣) فقال : أما أهل مكة فيقولون : جاءني المرُءُ يا هذا ومررت بالمرِءِ يا هذا ، ورأيت المَرأَ يا هذا (٤).

وتناول هذه الظاهرة ابن هشام في كتابه « شذور الذهب » فقال : اختلف أهل البلدين في هذين الاسمين (يعني : امرؤ وابتم) فقال الكوفيون : إنهما

---

(١) طبقات النحويين ٤٥ .

(٢) المغني ٣٢٥ ، ٣٢٦ ـ ط بيروت .

(٣) الأنفال: ٢٤ .

(٤) الوقف والإبتداء ١ : ٢١٣ ، ٢١٤ .

معربان من مكانين وقال البصريون، وهو الصواب : إن الحركة الأخيرة هي الإعراب وما قبلها إتباع لها [1] .

٣ ـ لغة أهل المدينة :

سأل سيبويه الخليل فقال : « أرأيت قول العرب : يا أخانا زيداً أقبل ؟ قال : عطفوه على هذا المنصوب، فصار نصباً مثله، وهو الأصل، لأنه منصوب في موضع نصب.

وقال قوم : يا أخانا زيدُ. وقد زعم يونس أن أبا عمرو كان يقوله، وهو قول أهل المدينة، قال : هذا بمنزلة قولنا : يا زيد، كما كان قوله يا زيد أخانا، بمنزلة يا أخانا، فيحمل وصف المضاف إذا كان مفرداً بمنزلته إذا كان منادى » [2] .

٤ ـ لغة بني أسد :

في باب ما يرتفع بين الجزمين وينجزم بينهما :

قال سيبويه : « وسألت الخليل عن قوله :

متى تأتنا تُلْمِم بنا في ديارنا ... تجد حطباً جزْلاً وناراً تأججا

قال : تلمم بدل من الفعل الأول، ونظيره في الأسماء : مررت برجل عبدالله، فأراد أن يفسر الإتيان بالإلمام كما فسر الاسم الأول بالاسم الآخر. ومثل ذلك أيضاً قوله، انشدنيهما الأصمعي عن أبي عمرو لبعض بني أسد :

إن يبخلوا أو يجبُنوا ... أو يَغدِروا لا يَحفِلوا
يغدو عليك مرجّلين ... كأنّهم لم يفعلوا

---

(١) شرح شذور الذهب ٢٦ .

(٢) سيبويه ٢ : ١٨٤، ١٨٥ .

فقوله: «يغدو» بدل من لا يحفلوا، وغدوهم مرحلين يفسّر أنهم لم يحفلوا [1].

٥ ـ لغة تميم :

قال السيوطي في الهمع: اختلف في جواز حذف الحركة الظاهرة من الأسماء والأفعال الصحيحة على أقوال: [2]

أحدها: الجواز مطلقاً وعليه ابن مالك، وقال: إن أبا عمرو حكاه عن لغة تميم.

الثاني: المنع مطلقاً في الشعر وغيره.

الثالث: الجواز في الشعر، والمنع في الاختيار، وعليه الجمهور، قال أبو حيان: «وإذا ثبت نقل أبي عمرو أن ذلك لغة تميم كان حجة على المذهبين».

ب ـ في المناظرات النحوية

لأبي عمرو ـ كما قدمت سابقاً ـ مجالس علمية ينتظم فيها علماء عصره، وتدور في هذه المجالس المحاورات والمناقشات، وقد عادت هذه المناقشات على الدراسات النحوية بالنمو والازدهار، وقد ضم كتاب (مجالس العلماء) للزجاجي صوراً عدّة للمجالس العلمية التي اشترك فيها أبو عمرو حيث دار بينه وبين غيره من العلماء ألوان من الحوار أذكر منها ما يلي:

١ ـ في مجلس أبي عثمان المازني مع أبي يعلى بن أبي زرعة دار حوار بينهما حول قراءة قرآنية اعتمد فيها أبو عثمان على شاهد شعري

---

(١) سيبويه ٣، ٨٥، ٨٦، ٨٧.

(٢) همع الهوامع: ١: ١٨٦، ١٨٧ ط بيروت.

أورده أبو عمرو، وصورة الحوار جاءت على النحو التالي :

قال أبو يعلى : قرأ أبو عثمان : ﴿ لقد تقطع بينكُم ﴾ [1] وأنشد قال : أنشدني الأصمعي عن أبي عمرو بن العلاء :

كأن رماحنا أشطان بئر بعيدٍ بينُ جَالَيْها جرورِ

بالرفع، وهو ظرف في الأصل، فصيّره اسماً ورفعه، قال : وأنشدني :

* ويُشرِق بينُ الليْت منها إلى الصُّقل [2] *

وهذه المناظرة أو المحاورة وإن لم يشترك فيها أبو عمرو بنفسه فقد اشترك فيها برأيه، إذ أن أبا عثمان اعتمد في حوازه على ما رواه أبو عمرو من الشعر العربي.

٢ ــ وكان العلماء إذا اختلفوا احتكموا إلى أبي عمرو لما يتميز به من قوة الرأي، وصدق الرواية، وحسن العلم.

اختلف عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي أستاذه مع بلال بن أبي بردة في قراءة: (بملكنا)[3] فقال بلال: (بمَلكنا) بفتح الميم وقال ابن أبي إسحاق: بمُلكنا (بضم الميم) فتراضيا بأبي عمرو، فوجه بلال إليه فسأل أبو عمرو عما أراده له فعُرِّف، فدخل، وقد عرف قول بلال، فسأله بلال فأجازهما، وفضل قول بلال، فقال له ابن أبي إسحاق، أما قرأنا على مجاهد (بمُلكنا)؟ فقال له أبو عمرو: أَخبرت بما عندي، فوصله بلال فلما خرج قال لعبد الله بن أبي إسحاق: «والله لو أخطأ الملوك لصوبنا خطأهم فكيف إذا أصابوا» [4].

---

(١) الأنعام: ٩٤.

(٢) مجالس العلماء ١٤٢ .

(٣) طه: ٨٧.

(٤) مجالس العلماء ٢٤١ ـ ٢٤٢ .

٣ ــ وأبو عمرو قوي في مناظرته، لأن الأصمعي قال عنه : كان أبو عمرو بن العلاء يحسن علوماً إذا أحسن إنسان فنًا منها قال : من مثلي ؟ ولا يعتدّ أبو عمرو بذلك (١)

وقال عنه في موضع آخر : سألت أبا عمرو عن ثمانية آلاف مسألة مما أحصيت عددها من أشعار العرب ولغاتها غير ما لم أحصِ ، فكأنه في قلوب العرب (٢).

ومما يدل على براعته في الحوار، وقوته في المناظرة ما حكاه عن نفسه إذ يقول: «ما ناظرني أحد قط إلا غلبته وقطعته إلا ابن أبي إسحاق فإنه ناظرني في مجلس بلال بن أبي بردة في الهمز فقطعني، فجعلت إقبالي على الهمز حتى ما كنت دونه » (٣)

٤ ــ مناظرة أبي عمرو ولأبي حنيفة

عن خلّاد بن يزيد الأرقط عن أبي عمرو بن العلاء أنه سمع أبا حنيفة يبطل القود إلا ما كان قتلاً بحديد، فقال له أبو عمرو : أرأيت إن ضربه بكذا، أرأيت إن ضربه بكذا؟ قال: لو ضربه بأبو قُبيس(٤) لم يكن عليه قَود، فقال أبو عمرو: هذا كلام شنيع قال: وما الشنع؟ قال: ولا تعرف الشنع أيضاً؟.

وفي أبي حنيفة يقول أبو عمرو لما سمع كلامه في الفقه : إنه لخطاب

---

(١) المرجع نفسه ٢٤٢.
(٢) المرجع نفسه والصفحة.
(٣) مجالس العلماء ٢٤٣.
(٤) جبل من جبال مكة.

لو ساعده صواب، وقال له مرة : إنك لأحوج إلى إصلاح لسانك من جميع الناس »[1].

ج ـ التأليف النحوي

لم يكن أبو عمرو في ميدان المعرفة يعتمد على ذاكرته فقط، لأن المعارف العلمية التي وصل إليها في اللغة والشعر والأدب والقراءات والنحو لا تستوعبها ذاكرة، أو يحيط بها إدراك، أو تختزنها حافظة لذلك نقول: إن أبا عمرو كان يكتب ليعاود ما يكتبه، فيعينه على حفظ ما يريد من مسائل العلم نحواً ولغة وأدباً وشعراً، قرآناً وتفسيراً، والدليل على ذلك ما ذكره شعبة قال : « كنت أجتمع أنا وأبو عمرو بن العلاء عند أبي نوفل بن أبي عقرب فأسأله عن الحديث خاصة، ويسأله أبو عمرو عن الشعر واللغة خاصة، فلا أكتب شيئاً مما يسأله عنه أبو عمرو، ولا يكتب أبو عمرو شيئاً مما أسأله أنا عنه »[2].

والكتابة طريق التأليف لأن المؤلف حينما يعاني التأليف يرجع إلى ما كتب في المادة التي يراد التأليف فيها، ليبحث ويوازن، ويناقش ويدقق إلى أن يصل إلى ما يريد من تأليفه.

أما الدليل على أن أبا عمرو كان يهتم بالكتابة والتأليف فإن الرواة ذكروا عنه أنه أكثر في هذا المجال فقد « كانت دفاتره ملء بيته إلى السقف ثم تنسك فأحرقها »[3].

مع العِلْم بأنّ هذا التراث الذي التهمته النيران لم يذهب كله، فقد بقيت منه بقية انتفع الناس بها فيما بعد فأبو العباس أحمد بن يحيى ثعلب كان يروي

---

(١) مجالس العلماء ٣٣٧.

(٢) المزهر ٢ : ٣٠٤.

(٣) معجم الأدباء ١١ : ١٦٠.

عن ابن بجدة كُتُب أبي زيد، وعن الأثرم كُتُب أبي عبيدة، وعن أبي نصر كُتُب الأصمعي، وعن عمرو بن أبي عمرو كُتُب أبيه [1].

وقد جاء في ترجمة يحيى بن المبارك اليزيدي عن ابن خلكان عن أبي حمدون الطبيب قال: شهدت ابن أبي العتاهية، وقد كتب عن أبي محمد اليزيدي قريباً من ألف مجلد عن أبي عمرو بن العلاء خاصة، فيكون ذلك عشرة آلاف ورقة لأن تقدير المجلد عشر ورقات [2].

من هذه النصوص نستطيع أن نقول: إن أبا عمرو أسهم في الدراسات النحوية بهذه الدفاتر التي كانت ملء بيته إلى السقف، وعلى الرغم من حرقها فيما بعد، فإن القدر احتفظ ببعضها لتكون تراثاً ينتفع به الناس.

د ــ أثر أبي عمرو في سيبويه

لا يستطيع الباحث أن ينكر أثر أبي عمرو في سيبويه، فقد تعدّد النقل عن أبي عمرو في الكتاب مما يدل على أن أبا عمرو أسهم بطريق غير مباشر في صنع هذا الكتاب.

وطرق الأخذ عن أبي عمرو في الكتاب مختلفة، إلا أن معظم النصوص التي نقلها سيبويه في كتابه منسوبة إلى أبي عمرو أخذها من يونس بن حبيب:

وجاءت صور الأخذ عن يونس بعبارات مختلفة نبينها على الوجه التالي:

أ ــ مسائل منسوبة إلى أبي عمرو تحدث بها يونس مع سيبويه، ومن نماذجها:

---

(١) المزهر ٢: ٤١٢ و٤١٣.

(٢) تحقيق النصوص للاستاذ عبد السلام هارون ٢٢.

١ ــ في ظرف المكان :

قال سيبويه : « ومن ذلك قولك أيضاً : هو ناحيةَ من الدار وهو ناحيةَ الدار، وهو ناحيَتك، وهو نحوك، وهو مكاناً صالحاً وداره ذاتَ اليمين، وشرقيّ كذا . إلى أن يقول : وقالوا منازلهم يميناً ويساراً وشِمالاً . قال الشاعر وهو عمرو بن كلثوم :

صددت الكأس عنّا أم عمرو وكان الكأس مجراها اليمينا

أي على ذات اليمين، حدثنا بذلك يونس عن أبي عمرو، وهو رأيه »[1]

٢ ــ هذا باب من المعرفة يكون فيه الاسم الخاص شائعاً في الأُمّة :

يقول سيبويه في هذا الباب : « ويدلك على أن ابن عرس وأمّ حُبَينٍ وسامّ أبرص وابن مطر معرفة : أنك لا تدخل في الذي أضفن إليه الألف واللام، فصار بمنزلة زيد، وعمرو ألا ترى أنك لاتقول : أبو الجخادب.

وهو قول أبي عمروَ حدثنا به يونس عن أبي عمرو[2].

٣ ــ في الحال :

قال سيبويه : واعلم أن ما كان صفة للمعرفة لا يكون حالاً ينتصب انتصاب النكرة، وذلك أنه لا يحسن لك أن تقول: هذا زيدٌ الطويلَ ولا هذا زيد أخاك من قِبلَ أنه من قال هذا فينبغي له أن يجعله صفة النكرة فيقول: رجل أخوك.

ومثل ذلك في القبح : «هذا زيد أسودَ الناس، وهذا زيد سيّدَ الناس حدثنا بذلك يونس عن أبي عمرو»[3].

---

(١) سيبويه ١ : ٤٠٤، ٤٠٥.

(٢) سيبويه ٢ : ٩٦.

(٣) سيبويه ١ : ١١٣.

٤ ــ في الاستثناء:

قال سيبويه: «ومن قال: ما أتاني القوم »إلا أباك لأنه بمنزلة أتاني القوم إلا أباك، فإنه ينبغي له أن يقول: «ما فعلوه إلّا قليلاً منهم» (١).

وحدثني يونس أن أبا عمرو كان يقول: «الوجه ما أتاني القومُ إلا عبد الله ولو كان هذا بمنزلة: أتاني القوم لما جاز أن تقول: ما أتاني أحد، كما أنه لا يجوز: أحد، ولكن المستثنى في هذا الموضع مبدل من الاسم الأول» (٢).

* * *

ب ــ مسائل منسوبة إلى أبي عمرو بعبارة: زعم يونس، ومن نماذجها:

١ ــ في ظرف المكان:

قال سيبويه: «وزعم يونس أن أبا عمرو كان يقول: داري من خلف دارك فرسخان، فشبهه بقولك: دارك مني فرسخان، لأن (خلف) ها هنا اسم، وجعل (من) فيها بمنزلتها في الاسم، وهذا مذهب قوي»(٣).

* * *

٢ ــ في باب ما يختار فيه الرفع، ويكون فيه الوجه في جميع اللغات:

قال سيبويه: «وزعم يونس أنه قول أبي عمرو، وذلك قولك: أما العبيدُ فذو عبيد، وأما العبدُ فذو عبد، وأما عبدان فذو عبدين»(٤).

---

(١) النساء: ٦٦.

(٢) سيبويه ٢: ٣١١، ٣١٢.

(٣) سيبويه ١: ٤١٧.

(٤) سيبويه ١: ٣٨٧.

٣ ــ في باب النداء:

قال سيبويه: «وقال قوم: يا أخانا زيدُ».

وقد زعم يونس أن أبا عمرو كان يقوله، وهو قول أهل المدينة، قال: هذا بمنزلة قولنا: يا زيدُ، كما كان قوله يا زيدُ أخانا بمنزلة: أخانا(١).

* * *

جـ ــ مسائل منسوبة إلى أبي عمرو بعبارة: «أخبرنا يونس، ومن نماذجها: كم الخبرية. قال سيبويه: واعلم أن «كم» في الخبر لا تعمل إلا ما تعمل فيه «رُبّ»، لأن المعنى واحد، إلا أن (كم) اسم، و(رُب) غير اسم بمنزلة: (مِن) والدليل عليه أن العرب تقول: كم رجلٍ أفضل منك، وتجعله خبر «كم»: أخبرناه يونس عن أبي عمرو»(٢).

* * *

آراء منسوبة إلى أبي عمرو ويرجح أنها مأخوذة من كتبه:

هناك آراء نسبها سيبويه إلى أبي عمرو ولم يتحدث بها أو يزعمها أو يخبر بها يونس بن حبيب، وإنما نسبت إليه بطريق مباشر، وأرجّح أن هذه المسائل أخذها سيبويه بنفسه عن طريق كتبه، ويقوي هذا الترجيح ما ذكره السيوطي في المزهر عند حديثه عن أبي عبيد القاسم بن سلام إذ قال: «وسمع من الفراء والأمويّ والأحمر، وأبي عمرو ـ وذكر أهل البصرة أن أكثر ما يحكيه من علمائهم من غير سماع إنما هو من الكتب»(٣).

ومن نماذج هذه المسائل ما يأتي:

---

(١) سيبويه ٢: ١٨٤، ١٨٥.

(٢) سيبويه ٢: ١٦١.

(٣) المزهر ٢: ٤١٢.

١ ـ ضمير الفصل:

قال سيبويه: «وقد جعل ناس كثير من العرب (هو) وأخواتها في هذا الباب بمنزلة اسم مبتدأ، وما بعده مبني عليه، فكأنك تقول: أظن زيداً أبوه خيرٌ «منه» ووجدت عمراً أخوه خيرٌ منه، فمن ذلك أنه بلغنا أن رؤبة كان يقول: أظن زيداً هو خيرٌ منك».

وحدثنا عيسى أن ناساً كثيراً يقرءونها «وما ظلمانهم ولكن كانوا هم الظالمون»(١).

وقال الشاعر قيس بن ذريخ:

تُبكّى على لُبنى وأنت تركتها وكنتَ عليها بالمَلا أنت أقدر

وكان أبو عمرو يقول: إن كان لهو العاقلُ(٢).

* * *

٢ ـ قال سيبويه: «وكان أبو عمرو لا يصرف «سبأ»، يجعله اسماً للقبيلة»(٣).

موقف سيبويه من نحو أبي عمرو بن العلاء

هناك مسائل نحوية منسوبة إلى أبي عمرو تناولها سيبويه بالبحث والدراسة، وكان موقفه منها موقف المؤيد المدافع.

ومن نماذج هذه المسائل ما يأتي:

١ ـ بقاء ياء الإضافة مع النداء:

قال سيبويه: «واعلم أن بُقيان الياء لغة في النداء في الوقف والوصل.

تقول: يا غلامِي أقبل، وكذلك إذا وقفوا.

---

(١) الزخرف / ٧٦.

(٢) سيبويه ٢: ٣٩٣ ـ هارون.

(٣) سيبويه ٣: ٢٥٣ ـ هارون.

(٣) سيبويه ٣: ٢٥٣ ـ هارون.

وكان ابو عمرو يقول: «يـا عبادي فاتقون»[1]وقال الرّاجز، وهـو عبد الله بن عبد الأعلى القرشي:

وكنت إذْ كـنت إلَـهي وحـد كـا　　لم يـك شيء يـا إلَهي قبلكـا[2]

فقول أبي عمرو بإثبات الياء في النداء يقـويه سيبـويه بشـاهد شعـري مما يؤكد أن هذه لغة، وأن أبا عمرو لم يخرج عن الصواب.

* * *

* ـ وفي موضع آخر يقوي قـراءته، ويؤيـدها بـالشعر العـربي ليدل على أنها لم تخرج عن الأصول النحوية.

قال: وكان أبو عمرو يقرأ: «خاشعـاً أبصارهم»[3].

قال الشاعر، وهو أبو ذؤيب الهذلي:

بـعـيــدُ الـغَـزاة فـمــا إن يــزا　　لُ مُضْـطَـمـراً طُـرّتـاهُ طَلِيحـا

وقال الفرزدق:

وكنـا ورثنـاه على عهـد تُبَعٍ　　طـويلاً سوارِيه شـديداً دعائمُهْ

وقال الفرزدق ايضاً:

قــرنْبىَ يـحُـكّ قفـا مُـقْــرفٍ　　لئيــمٍ مــآثــره قُعـدُدِ

وقال آخر، وهو أبو زبيد الطائي:

مُسْتَجِنٌّ بهــا الرِّيــاح فمـا يَجْـ　　ـتـا بهـا في الـظلام كـلُّ هجـود

---

(١) الزمر: ١٦.

(٢) سيبويه ٢: ٢١٠ ـ هارون.

(٣) القلم: ٤٣، المعارج: ٤٤.

وقال آخر من بني أسد:

فلاقى ابن أُنثى يبتغي مثلَ ما ابتغى   من القـوم مَسْقِيَّ السِّمام حـدائدُهْ

وقال آخر: الكميت بن معروف:

ومـا زلت محمـولاً عليَّ ضغينــةٌ   ومُضْـطلِع الأضغان مـذأنـا يـافـعُ

وهذا في الشعر أكثر من أن أحصيه لك»(١).

* * *

٢ ـ في باب ما تكون اللام فيـه مكسورة، لأنه مدعوٌّ له هـا هنا وهـو غير مَدعـوّ:

قال سيبويه: وذلك قول بعض العرب: يا لِلْعَجب، ويا للمـاء، وكأنـه نبّه بقوله: يا غيرَ المـاء للماء، وعلى ذلـك قال أبـو عمرو: «يـا ويلٌ لك» ويا ويحٌ لك، كأنه نَبّه إنساناً ثم جعل الويل له وعلى ذلك قول قيس بن ذريح:

* فيـا للنَـاس للواشي المُطـاع *

* يـا لقَـومي لفـرقـة الأحبـاب *

كسروها لأن الاسم الذي بعدها غير منـادى، فصار بمنـزلته إذا قلت: «هذا لِزيـد» (٢).

٣ ـ يفسر قول أبي عمرو، ويشرح مذهبه في النداء:

قال سيبويه: «وتقول: يا زيدُ زيدُ الطويلُ، وهو قول أبي عمرو.

وزعم يـونس أن رؤبة كـان يقول: يـا زيدُ زيـداً الطويلَ. فأمـا قـول أبي عمرو فعلى قولك: يا زيدُ الطويـلُ، وتفسيره كتفسيره، وقال رؤبـة:

---

(١) سيبويه ٢: ٤٣، ٤٤، ٤٥ ـ هارون.

(٢) سيبويه ٢: ٢١٨، ٢١٩.

إنـي وأسـطارٍ سـطرن سـطرا   لقـائـلٌ يـا نصرُ نصـراً نصرا

وأما قول رؤبـة فعلى أنه جعـل (نصراً) عـطف البيان ونصبه، كأنـه على قول: يا زيدُ زيداً، وأما قول أبي عمرو، فكأنه استأنف النداء.

وتفسير يا زيدُ زيدُ الطويلُ كتفسيـر: يا زيـدُ الطويـلُ فصار وصف المفـرد إذا كان مفرداً بمنزلته لو كان منادى»(١).

* * *

هـ ـ من آرائه النحويـة

لأبي عمـرو آراء في النحو العـربي أثـارت الـطريق لمن جـاء بعـده، ولا أبـالـغ إذا قلت: إن آراء أبي عمـرو تـرددت على ألسنـة النحاة الـذين جـاءوا بعده متقدمين ومتـأخرين ؛ بـل لا أبالـغ إذا قلت: إن النصوص العـربية التي ضمتها كتب النحاة شعراً ونثراً مدينة لأبي عمـرو بن العلاء، لأنهم في ضـوئها بنوا قواعدهم، وعلى أساسهـا شيدوا نحـوهم، وفي إطارهـا تكونت المـدارس النحوية.

ومن أبـرز الأصـول النحـويـة التي عـالجهـا أبـو عمـرو في مجـال النحـو القيـاس النحـوي، لأنـه على أسـاسـه تـطّرد القـواعـد، وفي ميـزانـه تصحـح الأسـاليب، وقد قلت سـابقاً: إن بعض معـاصريـه سألـه عن هذا النحـو الذي وضعـه معتمـداً على القيـاس فقـال لـه: «أخبـرني عمـا وضعت ممـا سميتـه عـربية، أيـدخل فيـه كـلام العـرب كله؟ فقـال: لا، فقلت كيف تصنـع فيمـا خالفتك فيـه العرب وهم حجـة ؟ فقال؟ أعمـل على الأكثر، وأسمي مـا خالفني فيه لغات»(٢).

---

(١) سيبويه ٢: ١٨٥، ١٨٦.

(٢) طبقات النحويين واللغويين ٣٩.

والواقع أن أبا عمرو في آرائه النحوية كان دائماً ينظر إلى هذا القياس إلى جانب عرضه للغات خالفت القياس، ذكرها، لأنها لغات معروفة، ولها وجه من الإعراب، ومن العبث رميها بالخطأ، وإبعادها عن الصواب.

وأبو عمرو الذي وضع هذا المنهج في الدراسات النحوية بالنسبة للغات العرب إلى جانب اعتماده على القرآن الكريم، والشعر العربي لا يمكن ان يكون نشاطه النحوي قليلاً، أو معرفته بالنحو ضعيفة.

أقول ذلك لأن الأستاذ الفاضل الدكتور شوقي ضيف وصفه في مجال النحو بأنه لم يكن ذا باع طويل حينما قال عنه: «والحق أنه لم يكن نحوياً بالمعنى الدقيق لهذه الكلمة، وإنما كان لغوياً وراوياً ثقة من رواة الشعر القديم»(١).

ونحن إذا نظرنا إلى أقوال القدماء والمتأخرين في قضية معرفة أبي عمرو بالنحو لوجدنا أن هناك إجماعاً على أن أبا عمرو نشاطه النحوي كثير ومعرفته بالنحو قوية مما يجعلنا نتوقف في الأخذ برأي أستاذنا الفاضل:

فمن العلماء المتقدمين أبو محمد اليزيدي الذي أنكرُ ان يكون الكسائي شيخ نحو الكوفة يصل في المستوى النحوي الى مكانة أبي عمرو.

قال أبو محمد اليزيدي: وكنت جالساً مع المفضل بن الربيع فدخل علينا عليّ الأحمر فجلس الى الفضل فقال له الفضل: من كان أعلم بالنحو؟.

الكسائي أو أبو عمرو بن العلاء؟: «قال: قلت له: «أصلحك الله لم يكن أحد بالنحو أعلم من أبي عمرو».

---

(١) المدارس النحوية ٢٨.

قال: «ولم؟ قلت: لأنه جاور البدو أربعين سنة، ولم يقم الكسائي بالبدو أربعين يوماً»(1).

ومن النحاة للمتأخرين ابن جني، فقد قال عنه معقّباً ـ بعد سماعه لرجل من اليمن يقول: فلان لعوب، جاءته كتابي فاحتقرها، فقال له أبو عمرو أتقول: جاءته كتابي: قال نعم أليس بصحيفة: أفتُراك تريد من أبي عمرو وطبقته، وقد نظروا وتدبروا، وقاسوا، وتصرفوا أن يسمعوا إعرابياً جافياً غُفْلاً يعلل هذا الموضوع بهذه العلة، ويحتج لتأنيث المذكر بما ذكره، فلا يهتاجهم لمثله، ولا يسلكوا فيه طريقته فيقولوا: «فعل كذا لكذا، وصنعوا كذا لكذا، وقد شرع لهم العربي ذلك، ووقفهم على سمته وأَمِّه» (2).

وفي هذا النص إشارات توضح لنا أن أبا عمرو أنكر هذا الأسلوب حينما سمعه من الأعرابي لأنه خروج عن القياس الذي وضعه أبو عمرو على الأكثر.

وفي هذا ما يؤكد القول بأن أبا عمرو حسه النحوي لم يقبل هذا الأسلوب مما جعله يسأل الأعرابي مستنكراً كيف يقول هذا، فيجيبه الأعرابي بصحة هذا الأسلوب معللاً لرأيه.

وإشارة اخرى تبين أن ابن جني يعجب لهذا التعليل الذي صدر من أعرابيّ غفل، ثم يبين أنه من باب أولى أن يسلك هذا الطريق في التعليل أبو عمرو وطبقته لأنهم نظروا وقاسوا وتدربوا وتصرفوا.

أقول أليس النظر والقياس، والتدريب والتعليل ألصق بالنحو من اللغة وهل بعد هذه النصوص نشك في أن أبا عمرو كان نحوياً بارعاً في النحو؟.

---

(1) مجالس العلماء ١٧١/١.
(2) الخصائص ١: ٢٤٩. وأَمِّهِ: أي قصده.

أكبر الظن أن أستاذنا الفاضل قاس أبا عمرو بالنحويين المتأخرين الذي تعمقوا في العلة، وأفاضوا في القياس، وأكثروا من الجدل، والحقيقة أن رصيد أبي عمرو بالنسبة لهؤلاء المتأخرين قليل، ولكن المنهج السليم يقتضي منا حينما ننظر إلى ابي عمرو النحوي ننظر اليه في ضوء عصره، إننا إن فعلنا ذلك نؤيد ما قاله النحويون أمثال اليزيدي وابن جني في مقدرة أبي عمرو، وبراعته في النحو.

وليست قلة آراء أبي عمرو النحوية دليلاً على قلة بضاعته في النحو فقد عرفنا سابقاً أن كتبه ملأت بيته إلى السقف ثم تنسك فأحرقها، ومن يدري فلعل هذه الكتب لو بقيت لأمدتنا بزاد كبير في الدراسات النحوية؟.

على أن ما بقي لنا من آراء أبي عمرو يدل دلالة واضحة على أنه أسهم في النحو العربي بدراسات كان لها أثر كبير في الدراسات النحوية التي ساعدت على تطور النحو العربي:

* * *

نماذج من آراء أبي عمرو في إطار النحو العربي

١ ـ في النقد النحوي:

من مقاييس أبي عمرو في النحو العربي وتشدده في هذه المقاييس نَقد أبو عمرو قراءة من قرأ: ﴿هؤلاء بناتي هن أطهرَ لكم﴾[١] بنصب «أطهر».

قال ابن هشام: ولحّن أبو عمرو من قرأ بذلك.

وقد خرجت على أن «هؤلاء بناتي» جملة، و(هن) إما توكيد لضمير مستتر في الخبر، أو مبتدأ، ولكم) الخبر، وعليهما فـ (أطهر) حال، وفيهما نظر، أما الأول فلأن (بناتي) جامد غير مؤول بالمشتق فلا يتحمل ضميراً

---

(١) هود: ٧٨.

عند البصريين، وأما الثاني فلأن الحال لا تتقدم على عاملها الظرفي عند أكثرهم»[1].

* * *

ـ ومن نقده أنه سأل أبا خيرة عن قولهم: استأصل الله عرقاتهم فنصب أبو خيرة التاء من (عرقاتهم)، فقال له أبو عمرو: «هيهات أبا خيرة لان جلدك، وذلك ان ابا عمرو استضعف النصب بعدما كان سمعها منه بالجر»[2].

٢ - في التعليل:

قال ابن جني في التوكيد: «فجميع ما مضى وما نحن بسبيله مما أحضرناهُ أو نبهنا عليه فتركناهُ شاهد بإيثار القوم قوة إيجازهم، وحذف فضول كلامهم، هذا مع أنهم في بعض الأحوال قد يمكّنون ويحتاطون، وينحطّون[3] في الشق الذي يؤثرون، وذلك في التوكيد نحو جاء القوم أجمعون، أكتعون، أبصعون، ابتعون، وقد قال جرير:

تزوّد مثل زاد أبيك فينا ... فنعم الزاد زاد أبيك زادا

فزاد الزاد في آخر البيت توكيداً لا غير.

وقيل لأبي عمرو: أكانت العرب تطيل؟ فقال: نعم لتبلغ، قيل أفكانت توجز؟ قال نعم ليحفظ عنها؟[4].

* * *

٣ ـ في القياس:

قال سيبويه: «وزعم يونس عن أبي عمرو: وهو قوله أيضاً، وهو القياس

---

(١) المغني ط بيروت ٥٤٧.

(٢) الخصائص: ١: ٣٨٢، ٣: ٣٠٤.

(٣) يخطّون: يسرعون.

(٤) الخصائص ١: ٨٢، ٨٣.

أنك قلت: لقيته العام الأول أو يوماً من الأيام ،ثم قلت: غدوةَ أو بكرةَ، وأنت تريد المعرفة لم تنوّن»[1].

* * *

٤ ـ في التأويلات النحوية:

قال الزبيدي: «وكان عيسى وأبو عمرو يقرآن: «يا جبال أوبي معه والطير»[2] بالنصب، ويختلفان في التأويل، كان عيسى يقول: هو على النداء كما تقول يا زيدُ والحارثَ، لمّا لم يمكنه: يا لحارث.

وقال أبو عمرو: لو كان على النداء لكان رفعاً، ولكنها على إضمار ﴿وسخرنا الطير﴾ لقوله على إثر هذا: ﴿ولسليمان الريح﴾[3].

* * *

٥ ـ وفي باب من الجزاء ينجزم فيه الفعل يقول سيبويه:

«وسألته عن قوله: أما أنت منطلقاً انطلق معك، فرفع، وهو قول أبي عمرو وحدثنا به يونس وذلك لأنه لايجازي بـ«(أن) كأنه قال: لأن صرت مُنْطلقاً أنطلق معك»[4].

* * *

٦ ـ وفي نصب الفعل المضارع بعد فاء السببية قال سيبويه:

«وكان أبو عمرو يقول: لا تأتنا فنشتمك»[5].

* * *

---

(١) سيبويه ٣: ٢٩٣ ـ هارون.

(٢) سبأ: ١٠.

(٣) سبأ: ١٢. وانظر طبقات النحويين / ٤١.

(٤) سيبويه ٣: ١٠١ ـ هارون.

(٥) سيبويه ٣: ٤٠ هارون.

٧ ــ وفي باب المنفي المضاف بلام الإضافة يقول سيبويه:

«وإن شئت قلت: لا غلامين، ولا جاريتين لك إذا جعلت «لك» خبراً لهما وهو قول أبي عمرو»[(١)].

٨ ــ في المصدر:

قال الجوهري في الصحاح: «حكي عن أبي عمرو بن العلاء (القَبول) بالفتح مصدر لم أسمع غيره»[(٢)].

* * *

٩ ــ في الظرف:

قال الأصمعي: «قال ابوعمرو بن العلاء: لا تقول العرب: خرجنا سَحَراً إنما يقولون خرجنا بسحر.. وفي التنزيل.. نجيناهم بسحر»[(٣)، (٤)].

* * *

١٠ ــ في العدد:

حكى أبو عمرو، وإسحاق بن مرار الشيباني: مَوْحَد إلى مَعْشَر[(٥)].

* * *

١١ ــ في المضمر:

قال السيوطي كسر الهاء في المثنى والجمع ككسرها في المفرد..

---

(١) سيبويه ٣: ٢٨٢ هارون.
(٢) المزهر ٢: ١٢٨.
(٣) القمر: ٣٤.
(٤) الجمهرة ٢: ١٣٢.
(٥) الهمع ١: ٨٤. ط بيروت.

ويضم فيما عداهما. قال أبو عمرو: والضمّ مع الياء أكثر منه مع الكسرة[1].

١٢ ــ في العلم:

قال السيوطي: وكنّوا عن اسم الجنس غير علم بـ (هن) في المذكر . . . وقال ابو عمرو: يُكنّى به علم ما لا يعقل»[2]

* * *

١٣ ــ أي الموصولة:

قال السيوطي: وإذا أنثت أي بالتاء عند حذف ما تضاف إليه لم تمنع الصرف، إذ ليس فيها إلا التأنيث، وكان أبو عمرو يمنعها الصرف حينئذ للتأنيث والتعريف[3].

* * *

١٤ ــ ابن هشام ينقد أبا عمرو في رأي نحوي:

في الباب الخامس (في ذكر الجهات التي يدخل الاعتراض على المعرب من جهتها ضرب ابن هشام أمثلة مما خرجوه على الأمور المستبعدة لتجنبها وأمثالها: احدها: قول جماعة في «وقيله»[4]: «إنه عطف على لفظ (الساعة) فيمن خفض، وعلى محلها فيمن نصب، مع ما بينهما من التباعد. وأبعد منه قول أبي عمرو في قوله تعالى: ﴿إن الذين كفروا بالذكر﴾[5]: إن خبره: «أولئك ينادَون من مكان بعيد»[6].

---

(١) الهمع ١ : ٢٠٣. ط بيروت.

(٢) الهمع ١ : ٢٥٦.

(٣) الهمع ١ : ٣١٣.

(٤) الزخرف:٤٣، ٨٠، ٨٥، ٨٨ ـ هذه الأيات متصلة بعضها ببعض في الإعراب.

(٥) فصلت: ٤١ الآيات من ٤٠ ـ ٤٤.

(٦) المغني ٦٠٤.

١٥ ـ زيادة الواو:

قال الأصمعي: «قلت لأبي عمرو بن العلاء قولهم: ربنا ولك الحمد. قال: يقول الرجل للرجل: بعني هذا الثوب، فيقول: وهو لك، وأظنه أراد: هولك»[1].

* * *

١٦ ـ فتح لام الجر

حكى أبو عمرو أن من العرب من يفتحها مع الظاهر على الإطلاق »[2].

وبعد،

فهذه طائفة من آراء أبي عمرو بن العلاء، وهي لا تدع مجالاً للشك في أنه نحوي، عاش في قضايا النحو، ومع ذلك فانه كان دائما يتهم نفسه بالتقصير في مجال العلم والمعرفة، ويكفيه فضلاً وفخراً انه كان يقول: إنما نحن بالإضافة إلى من كان قبلنا كبقل في أصول رَقْل «أي نخل طوال»[3].

وقد عقب على ذلك ابن الأنباري فقال: «وهذا يدل على كماله في فضله» قال الشاعر:

ما عبّر الإنسان عن فضل نفسه ... بمثل اعتقاد الفضل في كل فاضل
وان أشد النقص أن يرمى الفتى ... قذى العيب عنه بانتقاص الأفاضل[4]

وفي أبي عمرو ومن سبقه من النحاة البصريين يقول يحيى بن المبارك اليزيدي تلميذ أبي عمرو:

يا طالب النحو ألا فابكه ... بعد أبي عمرو وحمّاد
وابن أبي إسحاق في علمه ... والزين في المشهد والنادي
عيسى وأشباهٍ لعيسى وهل ... يأتي لهُمْ دَهْرٌ بأنداد
هيهات إلا قائلا عنهُمُ ... أرسَوْا له الأُصْلَ بأوتاد[5]

---

(١) إصلاح المنطق ٣٦٢.
(٢) الجنى الداني ١٨٣.
(٣) نزهة الألباء ١٨.
(٤) المرجع نفسه والصفحة.
(٥) اخبار النحويين البصريين ٣٢.

[الفصـــل الخامـــس]

٢ ــ يونس بن حبيب

١ ــ اسمـه وكنيتـه ومولـده :

اسمه يونس بن حبيب، وكنيته أبو عبد الرحمن، ونسبته: الضَّبيّ، وهي نسبة ولاء،لا نسب، ويزيد ياقوت في معجمه أنه قيل: الليثي بالولاء[١] .

أما مولده فقد قالوا عنه: إنه كان من أهل جَبُّل[٢] بفتح الجيم وتشديد الباء وضمها، ويحدّد (بروكلمان) مكان هذه القرية فيقول: «هي قرية على دجلة بين بغداد وواسط»[٣] .

وزعم مصنف «مفاخر العجم» أنه عجميّ[٤] .

* * *

٢ ــ نشأته:

نشأ يونس بن حبيب بالبصرة، والبصرة في عصره كانت قبلة العلم وكعبة الفكر ومحطّ أنظار العلماء والمفكرين.

ولعل النحو كان أول علم تطلّعت إليه نفس يونس فقد قال: «أول من

---

(١) معجم الأدباء ٢٣: ٦٤.

(٢) طبقات النحويين واللغويين ٥١ .

(٣) تاريخ الأدب العربي. ٢/ ٣٠ .

(٤) المرجع نفسه. والصفحة.

تعلمت منه النحو حمّاد بن سلمة»[1]. ثم ازدادت معارفه، ونمت عقليته فاستوعب ثقافة عصره حتى صعد إلى قمتها، فكانت له حلقة يؤُمها رجالات الفكر والعلم، وسوف نتحدث عنها فيما بعد إن شاء الله .

وقد قالوا عن يونس: إنه توفي في سنة ثلاث وثمانين ومائة، وعاش ثماني وثمانين سنة لم يتزوّج، ولم يتسرّ، ولم تكن له همة إلا طلب العلم ومحادثة الرجال[2].

والواقع أن رواية ابن النديم لا نعتمد عليها، لأنها معارضة برواية أخرى أثبتها ابن الجزري في (غاية النهاية) حيث ذكر أنه «روى القراءة عنه ابنه حرميّ بن يونس»[3] ومعنى هذه الرواية يؤكد أن يونس تزوج، وأنجب، وله ابن مرموق في باب روايات القراءات القرآنية، وإني أميل إلى هذه الرواية، لأن يونس من خلال صفاته، وإحساسه بالحياة، وتفاعله معها يحملنا على القول بأنه لم يعش بعيداً عن المرأة فقد كان يحسّ بالجمال، ويشعر بحيوية الشباب في مجاله، والدليل على ذلك ما رواه أبو حيان التوحيدي حيث يقول: «قال يونس النحوي:

«إني لفي ظل دار ابن عامر في يوم من أيام ناجر[4] قد اتّقدت فيه الهواجر، أذ أقبلت امرأة لم أر مثلها في شبابها وهيئتها فما ملكنا أنفسنا حتى رميناها بأبصارنا، فعطفت في زقاق ومضت، فإنا لفي حديثها إذا فتى في مثل هيئتها قد أقبل مدهوشاً، فقال له بعض القوم: ها هنا حاجتك، وأشار

---

(١) طبقات النحويين واللغويين ٥١.

(٢) الفهرست ١: ٢٣.

(٣) غاية النهاية ٢: ٤٠٦.

(٤) ناجر: شهر رجب أو صفر وكل شهر من شهور الصيف.

إلى الزقاق، فقال بوجه.. وقلب مجتمع، ولسان عضب:

إذا سلكت قصد الطريق سلكته وإن هي عاجت عجت حيث تعوج[1]

وفي هذا النص إشارة واضحة إلى أن يونس كان رجلاً يستهويه الجمال ويأسره الشباب، ويملك نفسه الحسن، قد وصل الأمر إلى أنه لا يملك نفسه في مجاله فيرمي الفاتنة ببصره، ولا يكتفي بذلك بل يتحدث عن قصتها مع الشاب لتكون خبراً من أخباره، وراوية من رواياته.

ودليل آخر يؤكد أن يونس لم يكن راهباً ينفر من المرأة، وينطوي على نفسه بعيداً عن مباهج الحياة، فقد روى عنه أنه كان يقول: «فرقة الأحباب سقم الألباب»، وينشد:

شيئان لو بكت الدماء عليهما عيناي حتى يؤذنا بذهاب
لم يبلغا المعشار من حقّيهما شرخُ الشباب، وفُرقة الأحباب[2]

ودليل ثالث يدل على مرحه، وروحه اللطيفة، وظرفه الممتع ما روى: أن رؤبة كان يسير ومعه أمه إذْ لقيهما يونس فجعل يداعب والدة رؤبة ويمنعها الطريق، فخاطبه رؤبة بقوله:

تنحّ للعجوز عن طريقها وقد أقبلت رائحة من سوقها
دعها فما النحويّ من صديقها[3]

أخلاقه وصفاته:

من أهم أخلاق يونس وصفاته الأمانة في النقل، والصدق في القول والإخلاص للعلم.

وقد عرف له هذه الأخلاق والصفات نقاد الروايات، وجهابذة تمحيص

---

(١) البصائر والذخائر: ١٤٩.

(٢) شذرات الذهب ١: ٣٠١.

(٣) شرح شواهد الشافية ٤: ١٣٨، ١٣٩.

الأخبار. قال عنه إبراهيم بن إسحاق الحربي فيما رواه ابن حجر: «كان أهل البصرة ـ يعني أهل العربية منهم ـ أصحابَ أهواء إلا أربعة فإنهم كانوا أصحاب سُنة: أبو عمرو بن العلاء، والخليل بن أحمد، ويونس بن حبيب، والأصمعي»[1] ولنفوره من الكذب في الرواية كان يوجه نقده لحماد فيقول:

«العجب لمن يأخذ عن حماد، كان يَلْحن، ويكذب» [2] .

ومن صفات يونس الذكاء والفطنة فقد قال بعض الأعراب ليونس بن حبيب ـ وأحْمد جوابه ـ : «قضيت لك بالفقه أي بالفطنة» [3] .

والفكر عند يونس هو السلطان القوي، به تتقرر الحقيقة وتتقدم الحياة أما صراع الأيدي، ومغالبة الألسنة، فليس لها عند يونس ميزان، لأنه كان ينقدها ويذمها.

قال الشرداني للكسائي: «كيف تصغّر حُسيناً: قال: حُسَيْنِين، فقال أتصغر مصغراً؟ هذا ما لا نهاية له، فوثب رجل كان معه على الشرداني، وقال: أتقول هذا لمؤدب أمير المؤمنين؟ فقال يونس: مغالبة العلم بالحجة لا بالسلطنة»[4] ولكننا مع الإعجاب بيونس اذ يقول: إن مغالبة العلم بالحجة لا بالسلطنة نراه يفقد أعصابه في بعض المواقف كما حدث مع شُبيل الضبعي. حيث لم يملك نفسه غضباً، ووثب عليه، وجلس بين يديه مدافعاً عن رؤبة حينا تعرض له (شبيل) بالنقد.

يقول يونس «فلما خرج شبيل عاتبني أبو عمرو، وقال: ما أردت إلى

---

(١) تهذيب التهذيب ٣: ١٦٣، ١٦٤.

(٢) المزهر ١: ١٧٦.

(٣) شرح القصائد السبع الطوال ٢٩٥.

(٤) شرح ما يقع فيه التصحيف ١٢٦.

رجل شريف تأبسه، قال: إني والله ما ملكت نفسي، فقال: أما سلطت على تقويم الناس؟» (١).

وحدة لسان يونس قاسية، ولا أدل على قسوتها من هذا الخبر الذي رواه لنا أبو عبيدة قال:

«قال رجل ليونس بن حبيب: إذا أخذتم في مذاكرة الحديث وقع على النّعاس، قال: فاعلم أنك حمار في مسلاخ انسان»(٢).

ويبدو أن يونس صاحب هذا اللسان الحاد كان يملك قوة التعبير والإبانة عما في النفس في صراحة ووضوح فقد روى عنه أنه قال:

«ليس لعَيِيٍّ مروءة، ولا لمنقوص البيان بهاء، ولو حَكَّ بنافوخه أعنان السماء» (٣).

ولا يعيب عييًّا إلا فصيح، ولا يذم ناقص البيان إلا بليغ.

وقد وقعت على نص إن دل على شيء فإنما يدلّ على تملك يونس ناصية البيان، هذا التملك الذي حمله على مناظرة الأنبياء وبعض الصحابة لو أتيحت له هذه المناظرة.

ذكر السيرافي أن «يونس النحوي قال: ثلاثة والله أشتهي أن أمكّن من مناظرتهم يوم القيامة: آدم عليه السلام فأقول له: قد مكنك الله من الجنة وحرم عليك شجرة، فقصدت لها حتى ألقيتنا في هذا المكروه.

ويوسف عليه السلام أقول له: كنت بمصر وأبوك عليه السلام بكنعان بينك وبينه عشر مراحل يبكي عليك، لِمَ لم تُرسِلْ إليه: إني في عافية وتريحه مما

---

(١) سمط اللآلىء ١٩٤، ١٩٥، وقال أبو زيد: أبسته: قهرته، المرجع نفسه والصفحة.

(٢) البيان والتبيين ٢: ٢٨٤، ٢٨٥.

(٣) البيان والتبيين ١: ٥٩.

كان فيه من الحزن؟ وطلحة والزبير أقول لهما: علي بن أبي طالب عليه السلام بايعتماه بالمدينة؛ وخلعتماه بالعراق لِمَ ! أيّ شيء أحدث»؟[1].

ومن صفات يونس: أنه كان يعظّم أصدقاءهُ وزملاءهُ، ويقدر تلاميذه ويعترف لهم بالفضل والإجلال في مجال العلم والفكر.

ومن أصدقائه الذين عاصروه الخليل بن أحمد، فقد قال عنه:

«إن الخليل بن أحمد كان يستدل بالعربية على سائر اللغات ذكاء منه وفطنة»[2].

ومن تلاميذه الذين ظفروا منه بالمدح والتقدير سيبويه، فقد قال الفرّاء «دخلت البصرة فلقيت يونس وأصحابه فسمعتهم يذكرونه ـ أي سيبويه ـ بالحفظ والدراية وحسن الفطنة»[3].

وكما ظفر سيبويه بهذا التقدير ظفر تلميذه أبو زيد أيضاً بهذا التقدير، قال ابن هشام في المغني: «في فصيح ثعلب في باب المشدّد: فلان يتعهد ضيعته ـ قال ابن دُرُسْتويه: ولا يجوز عنده يتعاهد، لأنه لا يكون عند أصحابه إلا من اثنين، ولا يكون متعدّياً، ويرده قوله:

* تجاوزت أحراساً إليها ومعشرا *

وأجاز الخليل يتعاهد وهو قليل، وسأل الحكم بن قنبر أبا زيد عنها فمنعها، وسأل يونس فأجازها فجمع بينهما، وكان عنده ستة من فصحاء العرب، فسئلوا عنها فامتنعوا من يتعاهد، فقال يونس: «يا أبا زيد: كم من علم استفدناه كنت أنت سببه»[4].

---

(١) اخبار النحويين البصريين ٢٩ ، ٣٠.

(٢) طبقات الشعراء لابن المعتز ٩٧.

(٣) المزهر ١ : ٢٠٢.

(٤) المغني ٢ : ٥٧٦ ط بيروت.

ولا شك فإن هذا الاعتراف من يونس يدلّ على روح صافية وخلق جم نحو تلاميذه وطلابه وفاء لحق العلم والمعرفة.

ثقافته:

روي عن يونس أنه قال: «علمك من روحك، ومالك من بدنك»(١) وهو قول عظيم يكشف عن عقلية يونس، ويشير إلى ثقافته.

وما دامت الروح سر الحياة؛ فالعلم هو رمز هذا السر، وعنوانه لهذا، فإن يونس أقبل على العلم إقبالاً شديداً، أخذ عن الشيوخ ورحل إلى الأعراب، وجالسهم وتلقى عنهم، وصحب الشعراء، وشرب من معين شعرهم حتى أصبح راوية من رواته، وعلماً من أعلامه، يدلّ على ذلك ما ذكره ياقوت إذ يقول: قال أبو عبيدة: اختلفت إلى يونس أربعين سنة أملأ كل يوم ألواحي من حفظه، وقال أبو زيد الأنصاري: جلست إلى يونس بن حبيب عشر سنين، وجلس إليه قبلي خلف الأحمر عشرين سنة، وكان يونس عالماً بالشعر، نافذ البصر في تمييز جيده من رديئه، عارفاً بطبقات شعراء العرب، حافظاً لأشعارهم، يرجع إليه في ذلك كله»(٢).

وساعد يونس على حفظ هذا التراث العظيم ذاكرة قوية وعقل مستوعب فقد وصف أبو الخطاب زياد بن يحيى هذه الذاكرة فقال: «مثل يونس كمثل كوز ضيّق الرأس، لا يدخله شيء إلا بعسر، فإذا دخله لم يخرج منه ـ يعني أنه لا ينسى»(٣).

وكانت ثقافته لا تتوقف عند الشعر فحسب بل كان ذا بصر بقبائل العرب

---

(١) عيون الأخبار لابن قتيبة ٢: ٢٢١.

(٢) معجم الأدباء ٢٠: ٦٥.

(٣) طبقات النحويين واللغويين ٥١: ٥٥.

فقد قال: «ليس في بني أسد إلا خطيب أو شاعر أو قائف أو زاجر، أو كاهن أو فارس وقال: ليس في هذيل إلا شاعر أو رامٍ أو شديد العدو»[١].

ويونس حافظ لأنساب العرب حتى ضرب به المثل في هذا المجال فقد قال الجاحظ «ووصف الهذيل المازني مثنى بن زهير وحفظه لأنساب الحمام، فقال: والله لهو أنسب من سعيد بن المسيب وقتادة بن دعامة للناس، بل هو أنسب من أبي بكر الصديق رضي الله عنه لقد دخلت على رجل أعرف بالأمهات المنجيات من شُحيم بن حفص، وأعرف بما دخلها من الهجنة والإقراف من يونس بن حبيب»[٢].

وخبراته بالرجال، ومعرفته بقبائلهم، والسمات البشرية الخاصة التي تتميز بها قبيلة عن قبيلة، وانعكاس هذه السمات على الأفراد، كل ذلك لم يغب عن إدراك يونس لهذه الصفات الخاصة مما يدل على حسه القوي ببيئات العرب، وأثر هذه البيئات على التكوين الخلقي والنفسي، فقد قال يونس: «لم أر قرشياً قط أحمر عروق العينين إلا كان سيّداً شجاعاً»[٣].

وبعد أن وضحنا ثقافة يونس في إيجاز أرى أن نخص مصادر ثقافته بشيء من التفصيل لنقف على مكونات هذه الثقافة وأثرها في عصره من حيث اللغة والنحو.

* * *

مصادر ثقافته:

أ ـ شيوخه:

ليونس بن حبيب شيوخ أسهموا في تكوينه الفكري، وبنائه العقلي، نذكر منهم:

---

(١) البيان والتبيين ١ : ٧٧.

(٢) الحيوان للجاحظ ٣: ٢١٠، ٢١١.

(٣) الحيوان للجاحظ ٥ : ٣٣٣.

أ ـ حماد بن سلمة :

وحماد بن سلمة من الرجال المرموقين في عصرهم، وقد تفتحت عيون يونس على علمه منذ الصغر، ولازمه حتى تعلّم منه، ثم انتقل إلى غيره من الشيوخ.

يدل على ذلك ما رواه مسعود بن عمرو قال: «حدثني ابن سلام»:

قلت ليونس: «أيّما أسن، أنت أو حماد بن سلمة؟ قال: هو أسن منّي، ومنه تعلمت العربية»[1].

وحماد بن سلمة كان يضرب به المثل في الفصاحة فقد تحدث عنه الجرمي قال: «ما رأيت فقيهاً قط أفصح من عبد الوارث، وكان حمّاد بن سلمة أفصح منه»[2].

وعلم حماد بالعربية والنحو واللغة نلمحه من النص الآتي:

«حكى الأصمعي قال: دخلت على حماد بن سلمة وأنا حَدَثٌ، فقال لي كيف تنشد قول الحُطيئة:

* أولئك قوم إن بنوا أحسنوا *

ماذا؟ فقلت:

أولئك قوم إن بنوا أحسنوا البِنا وإن عاهدوا أوفوا، وإن عقدوا شدّوا

فقال: يا بني أحسنوا البُنَى يقال: بنَى ويبني بناءً في العمران، وبنَى يبنُو بُنًى: يعني في الشرف»[3].

* * *

---

(١) اخبار النحويين البصريين ٣٤.

(٢) المرجع نفسه والصفحة.

(٣) المزهر ٢ : ٣٧٧.

ب ــ عبد الله بن أبي إسحاق :

على الرغم من أن كثيراً من كتب الرواة لم تنص على أن يونس تتلمذ على ابن أبي إسحاق، وأخذ منه فمما لا شك فيه أن يونس لقيه وتتلمذ عليه، والنصوص التى أقدمها للقارىء تؤيد ما أقول، وتسند ما ادّعى

من هذه النصوص : قول يونس حينما سأله ابن سلام : هل سمعت من ابن أبي إسحاق شيئاً ؟ قال: نعم قلت له: هل يقول أحد: الصويق ؟ يعني السويق: قال نعم، عمرو بن تميم تقولها، وما تريد إلى هذا عليك بباب من النحو يطّرد وينقاس [1].

ومن هذه النصوص ما ذكره أبو عبيدة في قوله تعالى : ﴿إن قتلهم كان خِطْئاً كبيراً﴾ [2] .

هو اسم من خطأت . . . وخطأت وأخطأت لغتان، زعم يونس عن ابن أبي إسحاق قال:«أصل الكلام بناؤه على فَعْل ثم يبني آخره على عَدَد من له الفعل من المؤنث والمذكر من الواحد والاثنين والجميع»[3]. الخ .

ومن هذه النصوص أيضاً: ما تحدث به أبو عبيدة عن يونس قال: مضيت إلى عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي فقلت له: كيف تقرأ: «فإذا برق البصر»[4]:

فقال: فإذا بَرَق البصر، وفتح الراء، فقمت من عنده إلى أبي عمرو. فقال: من أين بك؟ فقلت: من عند عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي، سألته كيف تقرأ «فإذا برق البصر»؟فقال: «فإذا بَرق البصر»بفتح الراء: فقال

---

(١) طبقات النحويين واللغويين ٣٢.

(٢) الإسراء: ٣١.

(٣) مجاز القرآن ١ : ٣٥.

(٤) القيامة : ٧.

أبو عمرو:وأين يراد بـه؟ يقال: بَرَقت السمـاء، وبرَق النبت، وبـرّقت الأرض، فأمّا البصر فبَرِق، كذا سمعناه»[1] .

* * *

جـ ـ رؤبـة بن العجاج:

عـلاقة يـونس برؤبة علاقـة حب وصداقـة، ومكانـة رؤبة في نـظر يونس تـرجع إلى أنـه أشهـر راجـز في عصـره، ولـه قدسية القـدمـاء فقـد كـان «من مخضـرمي الـدولتين، ومن أعـراب البصـرة، سمـع من أبي هـريـرة رضي الله عنـه. . وعداده في التـابعين. . وتوفي في زمن المنصـور سنـة خمس وأربعين ومائة»[2] .

أمّا حبّ يونس وصداقته لرؤبة فإنه يتجلى في القصة الآتية والتي كان بطل روايتهـا الأصمعيّ إذ يقول: كنت في حلقـة أبي عمرو فجـاءه شبيل ابن عـزرة الضبيعيّ فلما دخل عليـه رفعه أبـو عمرو، وألقى إليه لِبْدَة بغلتـه، فلما جلس قال: ألا تعجبون لرؤبتكم هذا ؟ سألته عن اشتقـاق اسمه، فلم يـدر ما هـو ؟ فـوثب يونس حتى جلس بين يـديْ شُبيل، ثم قـال له: علك تـظن أن معدّ بن عدنان كان أفصح من رؤبـة؟ فأنا غلام رؤبـة:

فمـا الرُّوبـة، والرَّوبـة، والرُّوبـة، والرّوبـة، والرؤبة[3][الخامسـة مهمـوزة فقط]، قال: فغضب شبيل بن عزرة، وقـام. فقـال أبو عمرو ليونس ما أردت إلى هذا ؟ رجل شـريف قَصَدنا في مجلسنا، فـردَدْت عليه قـوله، وأحفـظته، فقال يونس ما تمالكت إذ ذكر رؤبة أن قلت ما قلـت»[4] .

من هـذه القصة نستـطيـع أن نقـرر أن صـداقـة يـونس لـرؤبـة تقـوم على

(١) مجالس العلماء / ٢٤٧. (٢) معجم الأدباء ١١ / ١٤٩، ١٥٠.

(٣) روبة الرجل: عقله، الرّوبة: الحاجة، الرّوبة: قوام العيش، الرّوبة: خميرة اللبن، الرؤبة بالهمزة: الطائفة من الليل، ومنها اشتق اسم رؤبة: انظر اللسان: «روب».

(٤) مراتب النحويين / ٢٢ وبالاضافة الى ذلك انظر اجابة يونس عن هذا السؤال في الموضع نفسـه.

الحب والإخلاص،وعنوان هذا الحب ذلك الدفاع الحار الذي دافع به عن رؤبة،وقد أحس يونس أنه تجاوز القدر المعلوم في ضبط النفس، وكظم الغيظ،فهاجم الرجل،لأنه وثب بين يديه وأخجله بسؤاله المحرج فلم يستطع شبيل الإجابة، وقام يجر أذيال الخيبة مما أثّر ذلك في نفس أبي عمرو فقال ما قال معاتبا ليونس.

أمثلة تدل على علاقة يونس برؤبة وأنه أخذ منه :

١ ــ قال سيبويه : « زعم يونس أنه سمع رؤبة يقول : ما جاءت حاجتُك فيرفع» [١] .

* * *

٢ ــ وزعم يونس أن رؤبة بن العجاج كان ينشد هذا البيت رفعاً وهو لبعض مذحج :

عجبٌ لتلك قضية وإقامتي فيكم على تلك القضية أعجب [٢]

* * *

٣ ــ زعم يونس أن رؤبة كان يقول : « ما أحسن رأسيهما » [٣] .

* * *

٤ ــ وذكر ابن هشام أن من مسوغات الابتداء بالنكرة أن تكون للتفصيل.

قال يونس :قال رؤبة :المطر شهر ثرى،وشهر ترى،وشهر مرعى » [٤].

---

(١) سيبويه ١ : ٥١ هارون.

(٢) سيبويه ١ : ٣١٩ هارون.

(٣) سيبويه ٢ : ٤٨.

(٤) المغني ٢ : ٥٢٥.

٥ ــ ويبدو أن صحبة يونس لرؤبة بدأت مبكرة منذ الصبا، لأني عثرت على نص يوضح أن والد يونس كان يبعثه لرؤبة يستفتيه في بعض ما يراه من مشكلات الشعر، هذا يدل من دون شك على أن يونس نشأ في بيئة منزلية تهتم بالعلم، وتفي بالمعرفة. وإن هذه الحقيقة تحدث يونس عنها فقال:
«أرسلني أبي إلى رؤبة أسأله: كيف ينشد هذا البيت:

أبني لبيني لستم بيدٍ   إلا يدٌ ليست لها عضُدُ

أم يداً: فقال: كيف شئت؟ [1]

* * *

٦ ــ ويظهر أن أسئلة يونس لرؤبة كثرت وتعددت مما جعل رؤبة يضيق به ذرعاً فقد قال يونس: قال لي رؤبة بن العجاج؟ حَتّام تسألني عن هذه البواطيل وأزخرفها لك: أما ترى الشيب قد بلّع في لحيتك:

قال أبو سعيد: هذا صحف فيه ابن الأعرابي فقال: بلغ: بالغين ـ وهو أحَدُ ما أُخِذ عليه، قال أبو سعيد: بلّع الشَّعَر: «إذا وقع فيه الشيب» [2].

جـ ـ أبو عمرو بن العلاء:

ومن أبرز شيوخ يونس وأعظمهم أثراً فيه أبو عمرو بن العلاء. ويكفي أنه قال فيه: «والله لو قسم علم أبي عمرو وزهده على مائة إنسان لكانوا كلهم علماء زهاداً، والله لو رآه رسول الله ﷺ لسره ما هو عليه» [3].

ويونس كان راوية لأبي عمرو فكثير من الأخبار والنوادر المنسوبة إلى أبي عمرو جاءت عن طريقه، وحتى رواة الأخبار في عصره كان يونس

---

(١) شرح ما يقع فيه التصحيف: ٣٦٣.
(٢) اخبار النحويين البصريين ٢٨.
(٣) غاية النهاية في طبقات القراء ١: ٣٩٢.

المصدر الأول لهذه الأخبار، ومن الأمثلة على ذلك ما رواه السيوطي قال: روى أبو بكر بن دريد عن أبي حاتم عن الأصمعي وأبي عبيدة وأبي زيد كلهم قالوا: «حدثنا يونس بن حبيب عن أبي عمرو قال: كانت العرب في الجاهلية تسمي الأحد: الأول، والاثنين: الأهون، وبعضهم يقول: الأهود، والثلاثاء جباراً، والأربعاء دباراً، والخميس مؤنساً، والجمعة العروبة، وبعضهم يقول عروبة فلا يعرّفها، والسبت شياراً»[1].

ويونس كان تليمذاً وصديقاً لأبي عمرو.

وأما التلمذة فقد أفاد منها يونس علماً كثيراً ومعرفة غزيرة.

وأما الصداقة فإن يونس كان مخلصاً لأبي عمرو مدافعاً عنه، مُجيباً عن أبي عمرو في بعض المسائل التي لا تسعفه ذاكرته بالإجابة عنها، وهو في هذا يريد أن ينقذ أستاذه من الإحراج، وبخاصة إذا علمنا أن أبا عمرو كان رجلاً ثقة ولا يفتي بما لم يعلم، وإذا لم يجد جوابا لما سئل عنه قال: لا أدري، وهذا شأن العلماء الثقات.

ومن آثار هذه الصداقة ما رواه معمر بن المثنّى عن يونس، قال: كنت مع أبي عمرو بن العلاء عند بيت الله الحرام، فجاءنا مقاتل بن سليمان، فجعل يسأل أبا عمرو عن تفسير القرآن، فأكثر، ثُمّ قال له: ما مَعْنى قوله تعالى: ﴿مثل الجنة التي وُعد المتقون﴾[2]؟ فقال أبو عمرو: لا أدري. قال يونس: فقلت له: أضجرت الشيخ من كثرة ما تسأل، أراد: صفة الجنة التي وعد المتقون فقال مقاتل لأبي عمرو: هو كما قال»[3]

ومن آثار هذه الصداقة الثقة في روايته لا من قبيل التعصب أو الهوى ولكنها ثقة تقوم على الفكر والإلمام بكلام العرب واستيعاب ما قال العلماء: «قال محمد ابن سلام الجُمَحِيّ:

قلت ليونس بن حبيب: إن عيسى بن عمر قال: صحف أبو عمرو بن

---

(١) المزهر١: ٨٥٨، ٤٥٩.

(٢) الرعد: ٣٥، ومحمد:١٥.

(٣) مجالس العلماء ٦٥.

العلاء في الحديث «اتقوا على أولادكم فحمة العشاء» فقال بالفاء، وانما هي بالقاف، فقال يونس: عيسى الذي صحف ليس أبا عمرو، وهي بالفاء كما قال أبو عمرو لا بالقاف كما قال عيسى[1] .

ويصوّب رأيه أيضاً في كلمة: (شواته) حيث ذكر أبو عمرو أنها سراته بالسين والراء يذكر ذلك محمد بن سلام قال: كنا عند أبي عمرو بن العلاء ومعنا خلف الأحمر فقرأ عليه رجل:

قالت أُثَيْلة ما له بعدي قد ابْيَضّتْ شواتُه

فقال له أبو عمرو: عظمت عليك الراء فظننتها واواً وإنما هي: سراته أي عاليته فقال لي خلف بالفارسية: أصابَ الرجل ووهم أبو عمرو، وشواته: جلدة رأسه..

قال أبو ذكوان: «فحدثني أمين سلام قال: سمع يونس أعرابياً وقد قال له أعرابي آخر: كبرت والله. قال: أجل، لقد طالت حياتي، وتَحَنّت قناتي وابيضت سراتي.. فقال يونس ما أرى ما كان قاله أبو عمرو إلا صواباً إذ كانت العرب تقوله»[2].

ويأخذ برأي أبي عمرو في شاهد شعري مع أنه روى على غير ما يرى أبو عمرو.

قال العسكري: عَوْض: اسم معرفة، وهو اسم الدهر يضمّ ويفتح.

البصريون يقولون بالضم، ومثله قول الأعشى:

رضيعي لبان ثَدْي أم تحالفا بأسحم داج عوض لا نتفرّق

ويروى: عَوْضَ الدهر، وقوله: عَوْضَ الدهر أي أبداً.

---

(1) المزهر ١: ٣٦٠.

(2) شرح ما يقع فيه التصحيف ٧٤، ٧٥.

حدثنا محمد بن سلام عن يونس. قال: كان أبو عمرو بن العلاء يقول: عوضُ، وروايته: عَوْضَ.

وقرأت على أبي بكر:

لا أعْرِفَنَّك إن جدّت عـدواتنـا والتُمِس النصرُ منكم عوضُ تحتمل

قرأته بالضم»[1].

* * *

وقبـل أن نختم الحديث عن شيـوخه أحب أن أبين خـطأ وقـع فيـه السيوطي إذ ذكر أن يونس أخذ عن أبي زيد، قال في كتابه(المزهر): «وقـال ثعلب في (أماليه) كـان يونس يقـول: حدثني الثقـة عن العرب، فقيـل له: من الثقة؟.

قـال أبو زيـد، قيل لـه: فلم لا تسميه؟: قـال: «هـو حي بعـد، فأنـا لا أسميه»[2]. والحقيقة أن أبا زيد تلميـذ ليونس وليس شيخـاً له، وإطـلاق الثقة على يـونس صدرت من سيبـويـه في كتـابـه إذ يقـول: «وحـدثني من أثق بعربيته» وقد تكررت هذه العبارة كثيراً في كتابه.

وقد فسر أبو زيد هذه العبارة وبين أن سيبويه يعنيـه حينما يـذكر ذلـك في كتـابه «قـال أبو حـاتم عن أبي زيد: كـان سيبويـه يأتي مَجْلسي وله ذؤابتـان. قال: فإذا سمعته يقول: «حدثني من أثق بعربيته، فإنما يريدني»[3].

وقـد تنبه إلى هـذا الخطأ الـدكتور حسين نصار إذ ذكـر روايـة السيـوطي السابقة، ثم علّق عليها بقولـه: «لكن هذا غيـر صحيح، فـالمعروف أن الـذي

---

(١) شرح ما يقع فيه التصحيف ٢٩١.

(٢) المزهر ١: ١٤٣.

(٣) مراتب النحويين ٤٢.

كان يروى عن أبي زيد الأنصاري، ويلقبه الثقة، ويكنى بذلك عنه في روايته هو سيبويه، أما يونس فلم يفعل ذلك بل كان شيخاً لأبي زيد(١).

ولهذا فإن الرواية التي تطمئن إليها النفس هي الرواية التي ساقها ابن العماد في شذراته اذ يقول: «اختلف إليه أبو عبيدة أربعين سنة وأبو زيد عشر سنين، وخلف الأحمر عشرين سنة»(٢).

* * *

٢ ـ فصحاء الأعراب:

المصدر الثاني الذي اسهم في تكوين ثقافته، وإشادة بنائه العلمي هو الأخذ عن فصحاء الأعراب.

وللأعراب خصائص، من أهمّها: «صحة الأمزجة والأجسام، وجودة الفطنة، ونقاء القريحة، ورفعة الهمة، وكبر النفس، والعزة، والأنفة، وإباء الضيم، والجرأة والشجاعة، والبأس والكرم... والقدرة على التغلب، وصراحة النسب، والحنين إلى الأوطان...

أما خصائص الأعراب في البيان، فقد كانوا أحق به وأهله: أذهان حديدة وحفظ لكل مسموع، واعتبار بكل محسوس، طباع صافية، وسلائق فصيحة، وألسنة ذليقة. إلى عارضة شديدة، وبداهة عجيبة، واستحواذ على جيد الكلام وتعيد لحر المقال، فلكلامهم السبك الحسن، والديباجة الكريمة، والرونق العجيب، والماء الجم، والطابع الفصيح، ولهم أصناف البلاغة قصيداً ورجزاً، وخطباً ومنثوراً، وسجعاً، وما يزدوج وما لا يزدوج مع إصابة الغرض، وتطبيق المفصل بديهه وارتجالا من غير معاناة، ولا إجالة فكر ولا استعانة، كأنهم ينطقون عن وحي أو إلهام (٣).

---

(١) يونس بن حبيب للدكتور حسين نصار: ٢٤.

(٢) شذرات الذهب ١: ٣٠١.

(٣) الأعرابيات لخليل مردم ٦ بتصرف.

وقد رحل إلى البادية لأخذ اللغة عن هؤلاء الأعراب الرواة ومن أشهرهم «الخليل بن احمد المتوفى ١٧٥ هـ، وخلف الأحمر المتوفى ١٨٠ هـ، ويونس بن حبيب الضبي المتوفى ١٨٣هـ، والكسائي المتوفى ١٨٩، وهو الذي انفذ خمس عشرة قنّينة من الحِبر في الكتابة عن العرب سوى ما حفظ في بوادي الحجاز، ونجد وتهامة، والنضر بن شميل المتوفى ٢٠٣ هـ وهو الذي أقام بالبادية أربعين سنة، وأبو زيد الأنصاري المتوفى ٢١٥ هـ وغيرهم»(١).

ولم يكن التقاء الرواة بالأعراب عن طريق الرحلة إلى البادية فقط بل «إن الأعراب أنفسهم كانوا يطرءون على الحضر، فتأخذ الرواة عنهم، ويتصدون للفتيافي العربية، وهم الذين يسمونهم فصحاء الأعراب كأبي خيرة، وأبي الدقيش»(٢) وكان الرواة يتبعون هؤلاء الأعراب الوافدين ليجمعوا أخبارهم، ويسجلوا كلامهم، ويقفوا منهم على غرائب اللغة ونوادرها.

ومن الأمثلة على ذلك ما رواه القالي عن أبي عبيدة عن يونس: قال: «وقف أعرابي في المسجد الجامع بالبصرة، فقال: قلّ النَّيل، ونقص الكيل، وعجفت الخيل، والله ما أصبحنا ننفخ في وضح، وما لنا في الديوان من وشْمة، وأنا لعيال جَرَبّة، فهل من معين أعانة الله يعين ابن سبيل، ونضو طريق، وفَلّ سَنة؟ فلا قليل من الأجر، ولا غني عن الله، ولا عمل بعد الموت» (٣).

ويفسر القالي راوي هذا الخبر الكلمات الغريبة فيه فيقول:

الوضح: اللبن، ومراده بالوشمة: الحظ، والجربّة،: الجماعة، والفل: القوم المنهزمون (٤).

وإلى القارىء بعض الأعراب الفصحاء الذين أخذ عنهم يونس:

---

(١) الأعرابيات: ١٧، ١٨.

(٢) المرجع نفسه والصفحة.

(٣) المزهر ٢: ٥٢٢، ٥٢٣.

(٤) المرجع نفسه والصفحة.

١ ـ أبو مهدية:

من الأعراب الفصحاء الذين أخذ عنهم يونس أبو مهدية ـ وأبو مهدية «صاحب غريب يروي عنه البصريون»[١].

وقد تميز عن غيره من الأعراب الفصحاء أنه كان يتمتع بمقدار كبير من الذكاء، وحسن التصرف.

ومن أمثلة ذكائه أنه لما اسن «ولّي جانباً من اليمامة، وكان به قوم من اليهود أهل عطاء وجدة، فأرسل اليهم فقال: ما عندكم في المسيح؟. قالوا: قتلناه، وصلبناه، فقال: فهل غَرَمْتُم ديته؟ قالوا: لا، قال: إذن والله لا تبرحوا حتى تغرموا ديته، فأرضوهُ حتى كف عنهم[٢]» ومن فصاحته وبيانه أنه لما توفي له ابن صغير فقيل له: «أبشر أبا مهدية فإنا نرجو ان يكون شفيع صدق يوم القيامة، قال: لا وكلنا الله إلى شفاعته، إذن والله يكون أعيانا لساناً، وأضعفنا حجةً، ليته المسكين كفانا نفسه»[٣].

وقيل له: «ما أصبركم معشر العرب على البدو، قال: «كيف لا يصير على البدو من طعامه الشمس، وشرابه الرّيح»[٤].

ومن أخباره مع يونس ما رواه ابن دريد في الجمهرة قال في مادة: (رزم) «ومنه قولهم: لم يرمئز من مكانه: أي لم يتحرك، وكان الأصل يَرْمأَزُّ. وقال يونس: ذهبنا إلى أبي مهدية في عقب مطر فسأله عن حاله وكان قد بنى بيتاً في ظاهر خندق البصرة، وسماه: جَنّاحاً، فقلنا له: كيف أنت يا أبا

---

(١) الأعرابيات ١٢٥.
(٢) الأعرابيات ١٢٧.
(٣) الأعرابيات ١٢٧.
(٤) المرجع نفسه ١٢٨.

مهديّة؟ فقال:

عهـدي بجنّـاح إذا مـا ارتـزّا وأذْرَت الـرّيـح تُـرابـاً نَـزّا
أن سـوف تُمضيـه ومـا ارْمـأزّا كـأنّـمـا لُـزّ بـصـخـر لَـزّا
أحسن بيت أهَـراً وبزّا

يقـال: بيت حسن الأهَرة والظّهَـرة: إذا كـان حسن المتـاع: قـال (أي يونس): وما كان في البيت إلا حصير مخرّق (١).

٢ - ابو الدقيش:

ومن الأعـراب الفصحاء الـذين أخذ عنهم يـونس أبـو الـدقيش، وغـرابـة اسمه لفتت نظر يونس، فقد «أخبرنا أبو حاتم عن الأخفش قـال: قال يـونس: سـألت أبا الـدقيش: ما الـدُّقيش؟ فقال: لا أدري، إنمـا هي أسمـاء نسمعهـا فنسمّى بها».

ويفسر أبو عبيـدة هذه الكلمـة فيقول: «الـدقشة: دويبّـة رقطاء أصغـر من القطاة قال: والدقيش: شبيه بالنقش»(٢).

٣ ــ أبو المحلم:

قـال القالي في أمـاليـه: حـدثنـا أبـو الحسن علي بن سليمـان الأخفش، حدثنا محمد بن يزيد عن أبي المحلم: «قال أنشـدت يونس أبيـاتاً من رجـز، فكتبها على ذراعه، ثم قال لي: إنك لجيّاء بالخير» (٣).

وينكر الدكتـور حسين نصار هـذه الروايـة أو هذا الأخـذ عن أبي المحلّم فيقول: «فإن كان قصد أبا المحلم الشيباني الـذي ألف كتاب الأنواء، والخيل،.

---

(١) الجمهرة ٢: ٣٢٦.
(٢) المزهر ٢: ٣١٨.
(٣) المزهر ٢: ٣٠٤.

وخَلْق الإنسان كان الخبر غير صحيح لأن ابن النديم يصرح أنه مات في سنة ٢٤٨ أي بعد وفاة تلاميذ يونس فمحال أن يروي عنه»[١].

وفي رأيي أن هذا الإنكار تعوزه الدّقة، فليست وفاة أبي المحلم بعد وفاة تلاميذ يونس دليلاً فاصلاً في هذه القضية، إننا لو نظرنا الى ما قاله أبو المحلم مؤرخاً لميلاده لعرفنا أنه عاش عمراً طويلاً وأنه عاصر يونس ولقيه. «قال أبو محلم: ولدت في السنة التي حج فيها المنصور»[٢] ومن المعروف أن المنصور حج مرات عديدة تواريخها على النحو التالي: ١٤٠ - ١٤٤ - ١٤٨ - ١٥٢، وفي سنة ١٥٨ ذهب ليؤدي الحج ولم يتمه لأنه توفي قبل أدائه[٣].

ولعل المقصود من خبر ولادته الذي تحدث عنه، وأنه كان في السنة التي حج فيها المنصور، أقول: لعل المقصود بهذه السنة هو سنة ١٤٠ هـ، لأنها أول حجة قام بها الخليفة بعد أن وطد الملك العباسي، ولشهرة هذه الحجة أرخ بها كما يتضح في نص أبي المَحلم حول تاريخ ولادته.

ولو طرحنا تاريخ سنة الميلاد وهو ١٤٠ هـ، من تاريخ وفاة يونس وهو ١٨٣ هـ لعرفنا أن سنّ المحلم عند وفاة يونس كانت ثلاثاً وأربعين سنة إذا قلنا: إن الحجة المقصودة هي التي وقعت سنة ١٤٠ هـ، وهذا ما أرجحه لأن المنصور بعد أن استقرت الخلافة له، وفرغ من أعباء تأسيس الملك اتجه إلى مكة ليؤدي فريضة الحج وكانت حجة مشهورة، لأنها جاءت بعد مرحلة من الجهاد العنيف.

وحتى إذا قلنا: إنها الحجة الأخيرة التي مات فيها المنصور ولم يؤد شعائرها وأنها اشتهرت لأنها اقترنت بوفاة مؤسس الدولة، وكانت هذه الحجة

---

(١) يونس بن حبيب ٣٠، ٣١.

(٢) الأعرابيات ٩٧.

(٣) انظر تاريخ اليعقوبي ٣٨٨ ط بيروت.

سنة ١٥٨ هـ لكانت سنه إذ ذاك خمساً وعشرين سنة ، وفي كلتا الحالتين نؤكد أن أبا محلم التقى بيونس، وقد أخذ عنه رغم صغر سنه لأنه أعرابي ولأنه راوية من رواة العرب، أقول لو كانت ولادته سنة ١٤٠ هـ لكانت مدته معاصرته ليونس ٤٣ سنة ولو كانت ولادته سنة ١٥٨ لكانت مدة معاصرته ليونس ٢٥ سنة ومن البدهي أن يكون هناك لقاء، لأنه ليس هناك حواجز زمنية تحول بين لقاء أبي المحلم وبين يونس.

وما لي أذهب بعيداً وقد وقعت على نص يؤكد ما قلت، ويثبت ما اتجهت إليه وذلك أن أبا عكرمة الضبي المتوفي ٢٥٠ هـ أي بعد وفاة أبي المحلم بعامين قد أثبت في كتابه (الأمثال) هذا اللقاء وهذا الإثبات وهي شهادة من رجل معاصر لأبي المحلم، وما أقواها شهادة، يقول أبو عكرمة الضبي في كتابه (الأمثال) معلّقاً على قوله تعالى : ﴿ أو عدل ذلك صياماً ﴾ وقال الله عز وجل : ﴿ أو عدل ذلك صياماً ﴾ (١) أي فداء ذلك. . وما يشهد لهذا القول ما حكاه أبو محلم عن يونس أنه قال : العدل بكسر العين : مثل الشيء من جنسه : هذا الفرس عِدْل هذا الفرس إذا كان مساوياً له. والعَدْل بفتح العين : قيمة الشيء من غير جنسه، يقال هذا الثوب عَدل هذه الدراهم، وهذا البرذون عَدْل هذا الفرس، فقد أبان بهذا التفسير في القرآن أن العدل الفداء (٢) .

٤ ـ أبو علي الأسواريّ :

يذكر الدكتور حسين نصار أنه أخذ عن أبي علي الأسواري: يقول : « وكان يونس بن حبيب يسمع منه أي من أبي علي الأسواري كلام العرب ويحتج به (٣).

---

(١) المائدة : ٩٥.

(٢) الأمثال ٨١، ٨٢.

(٣) يونس بن حبيب ٣١.

ويعجب الدكتور نصار لهذا الخبر، لأن يونس أخذ عن أبي علي الأسواري وهو غير عربيّ، ويزول عجب الدكتور فيقول: « ولكننا حين نطلع على إفاضة الجاحظ في الثناء عليه ووصف فصاحته يزول كثير من عجبنا »(1).

والحقيقة أن الذي أفاض الجاحظ في الثناء عليه ووصفه بالفصاحة هو موسى بن سيار الأسواري، فاختلط الأمر على الدكتور فظن أن المعني بهذا الثناء وبهذا الوصف هو أبو علي الأسواري، وعذر الدكتور في هذا الخلط أن الخبرين عن الرجلين سيقا في موضع واحد بل في قصة واحدة من كتاب البيان والتبيين.

وإني أسوق بين يدي القارىء نص الجاحظ ليقف على بينة من أمر هذا الخطأ.

قال الجاحظ: « ومن القصاص موسى بن سيار الأسواري، وكان من أعاجيب الدنيا، وكانت فصاحته بالفارسية في وزن فصاحته بالعربية، وكان يجلس في مجلسه المشهور، فتقعد العرب عن يمينه، والفرس عن يساره، فيقرأ الآية من كتاب الله ويفسرها للعرب بالعربية، ثم يحوّل وجهه إلى الفرس فيفسّرها لهم بالفارسية، فلا يدري بأي لسان هو أبين ؟ .

واللغتان إذا التقتا في اللسان الواحد أدخلت كل واحدة منهما الضيم على صاحبتها إلا ما ذكرنا من لسان موسى بن سيار الأسواري.

ولم يكن في هذه الأمة بعد أبي موسى الأشعري أقرأ في محراب من موسى بن سيار، ثم عثمان سعيد بن أسعد، ثم يونس النحوي، ثم المعلّى ثم قص في مسجده أبو علي الأسواري، وهو عمرو بن فائد نيفاً وثلاثين سنة

---

(1) المرجع نفسه والصفحة.

فابتدأ لهم في تفسير سورة البقرة فما ختم القرآن حتى مات، لأنه كان حافظاً للسير، ولوجوه التأويلات، فكان ربما يفسر آية واحدة في عدة أسابيع. . وكان هو يحفظ مما يجوز أن يلحق في ذلك من الأحاديث كثيراً، وكان يقص في فنون من القصص، ويجعل للقرآن نصيباً من ذلك.

وكان يونس بن حبيب يسمع منه كلام العرب، ويحتج به [١].

واضح إذن من هذا النص أن موسى بن سيّار هو رجل الفصاحة والعربية وأن أبا علي الأسواري كان رجلاً قصاصاً، حافظاً للسير لم يظفر من الجاحظ بكلمة واحدة منه تدل على بلاغته، وحسن فصاحته. .

٥ ــ وهناك جماعة من الأعراب لم تذكر كتب الطبقات أسماءهم وإن ذكرت أن يونس سمع منهم، وتحدث عنهم.

ففي الجمهرة في مادة (ب ذ ك)يقال : كذب عليك كذا وكذا في معنى الإغراء، أي عليك به.

وقال يونس : مر أعرابي برجل يعلف شاة فقال : كذب عليك البزر والنوى [٢] .

وقال بعض الأعراب ليونس بن حبيب وأحمد جوابه :

«قضيت لك بالفقه أي بالفطنة »[٣].

وفي الجمهرة : وفسأته بالعصا أفسؤه فسأ : إذا ضربته بها،وفسأت الثوب إذا مددته حتى يتفزر.

---

(١) البيان والتبيين ١ : ٣٦٩ هارون.

(٢) الجمهرة ١ : ٢٥١، ٢٥٢.

(٣) شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات ٢٩٥.

وأخبر الأصمعي عن يونس قال : رآني أعرابي محتبياً بطيلسان فقال : علام تفسؤه ؟.

وذكر بعض أهل اللغة أنه سمع أعرابياً يقول : تفسّأ أمر القوم : إذا تشعب [1].

٣ـ روايته للشعر العربي

من مصادر ثقافة يونس روايته للشعر العربي، فقد كان كأستاذه أبي عمرو راوياً للشعر، ملمّاً به، عارفاً بمواضع الجودة فيه، ناقداً هذا الشعر فضلاً عن علمه بالعربية، ومعرفته بأصولها،واستيعابه للغات العرب في عصره.

وهذه المنزلة التي وصل إليها يونس حملت الشعراء على الالتقاء به وعرض شعرهم عليه ليدلهم على مواطن الإحسان، ومواضع الضعف.

ومن هؤلاء الشعراء الذين جاءوا إليه ليعرضوا عليه شعرهم مروان بن أبي حفصة.

« حدثنا الأصمعي قال : كنا في حلقة يونس فجاء مروان بن أبي حفصة فقال : أيكم يونس ؟ فأومأ إليه، فجلس، فقال : أصلحك الله، إني أرى أقواماً يقولون الشعر، لأن يكشف أحدهم عن سوأته فيمشي في الطريق أحسن به من أن يظهر مثل ذلك الشعر، وقد قلت شعراً أعرضه عليك، فإن كان جيداً أظهرته، وإن كان رديئاً سترته، وأنشده :

* طرقتك زائرة فحي خيالها *

قال : فقال له : يا هذا، اذهب فاظهر هذا الشعر، فأنت والله فيه أشعر من الأعشى، يريد في قوله :

* رحلت سمية غُدوةً أجمالها *

---

(١) الجمهرة ٣ : ٢٨٦.

فقال له مروان: قد سُؤتني وسَررتني، فأما الذي سررتني به فلارتضائك الشعر، وأما الذي سُؤتني به فلتقديمك إياي على الأعشى، قال: نعم إن الأعشى قال:

فرميتُ غفلةَ عينه عن شاته ... فأصبتُ حبّة قلبها وطحالَها

والطِّحال لا يدخل في شيء إلا أفسده، وأنت لم تقل ذاك [1].

وفي رواية أخرى يسوقها صاحب (العقد الفريد) أن مروان حينما دخل المسجد الجامع قال: «تصفحت الحَلق فلم أر حلقه أعظم من حلقة يونس النحوي، فجلست إليه فقلت له: إني مدحت المهدي بشعر، وأردت ألا أرفعه حتى أعرضه على بصرائكم، وإني تصفحت الحلق فلم أر حلقة أحفل من حلقتك، فإن رأيت أن تسمعه مني فافعل، فقال: يا أخي إن ها هنا (خلفاً) ولا يمكن أحدنا أن يسمع شعراً حتى يحضر، فإذا حضر فأسمعه فجلست حتى أقبل خلف الأحمر، فلما جلست إليه قلت له ما قلت ليونس فقال: «أنشد يا ابن أخي، فأنشدته حتى أتيت على آخره، فقال لي، أنت والله كأعشى بكر. بل أنت أشعر منه» [2].

وليست هذه الرواية تنقص من قدر يونس في معرفة الشعر ولكن يونس أراد أن يأتي البيت من بابه، فخلف الأحمر تخصص في عصره في معرفة الشعر، جيده ورديئه.

ومن دون شك، فإن هذا الأدب من يونس، ومعرفته بأقدار الرجال حيث لم يُفْتِ في شعر مروان، وأمره بعرض شعره على خلف، أقول: إن هذا الأدب ليس معناه أن يونس جاهل بالشعر العربي، ، لكنه يريد أن يستأنس برأي خلف، فإنه لا مراء أستاذ عصره في مجال الشعر العربي.

وتتعدد زيارة مروان لحلقة يونس، فقد جاء إلى حلقته هذه المرة، لا

---

(١) الموشح ٧٤، ٧٥.

(٢) العقد الفريد ٥: ٢٠٦.

ليعرض عليه شعره كما فعلَ من قبل، ولكنه جاء إليه مستفسراً عن بيت لزهير، توقف في فهم كلمة منه، فقد أخبرنا العباس بن ميمون. قال: سمعت الأصمعي ـ وذكر مروان بن أبي حفصة فقال: كان مولّداً ولم يكن له علم باللغة، حضرته في حلقة يونس، وسأل يونس عن قول زهير:

فبتنا عُراة عند رأس جوادنا يُزاولنا عن نفسه ونُزاوله

قال: فقال مروان: «من (العرواء): من البرْد قال: فقلت له أخطأت، ولو كانت من (العرواء) لقال: فبتنا معرورين، إنما عني أنهم باتوا مشمرين كما يقال تجرّد فلان للأمر» (١).

ولمعرفة يونس بالشعر كانت له موازين نقدية يستطيع بها أن يفضل شاعراً على شاعر.

«قال في الجمهرة قيل ليونس: بم تعرف الشعر الجيد: فقال: بالشقلة» ويفسر صاحب الجمهرة الشقلة: قال: الشقلة: «أن تزن الدينار بإزاء الدينار لتنظر أيهما أثقل، ولا أحسبه عربياً محضاً» (٢).

وفي «التهذيب»: الشقلة: كلمة حميرية لهج بها صيارفة أهل العراق في تعيير الدنانير يقولون: قد شقلناها أي عيرناها أي وزناها ديناراً ديناراً، وليست الشقلة عربية محضة» (٤).

وبهذه الشقلة استطاع يونس أن يفضل زهيراً ويقدمه على النابغة يروي

---

(١) الموشح ٣٩١.

(٢) المزهر ١ : ٢٧٨.

(٣) المزهر ١ : ٢٧٨

(٤) اي كتاب التهذيب للأزهري ـ اللسان (شقل).

ذلك الفراء فيقول: «حضرت مجلساً والخليل فيه ويونس بن حبيب النحوي فتذاكرا الشعر، فتكلم يونس في تقديم زهير وتقريظه حتى أغرق في وصفه، وذكر الخليل النابغة الذبياني.

فقال العباس بن محمد، وكان المجلس له وللخليل: وما تذكر من حسنه؟ قال: النابغة كان أعذب على أفواه الملوك، وأوقع بقلوبهم، وأنظم لمعاني الكلم من زهير» (1).

وبهذه الشقلة أيضاً كان يونس بن حبيب يفضل شعر الفرزدق على شعر جرير، وكان يقول: «لولا شعر الفرزدق لذهب نصف أخبار الناس» (2) وقال محمد بن سلام: «قد سمعت يونس يقول: ما شهدت مشهداً قط قد ذكر فيه جرير والفرزدق فاجتمع أهل المجلس على أحدهما وكان يونس فرزدقياً» (3).

ولبصر يونس بالشعر العربي ومعرفته به، وإلمامه بمعانيه استطاع أن يكشف الغطاء عن بيت لجرير أخذ معناه من القرآن الكريم.

قال جرير:

ما زلت تحسِب كل شيء بعدَهم خيلاً تَشُدُّ عَلَيْكُمْ ورجالا

قال يونس: أخذ هذا المعنى من قول الله: ﴿ يحسبون كل صيحة عليهم هم (4) العدو (5) ﴾.

ويونس إذا أصدر حكماً في نقده للشعر لا يلقيه جزافاً، أو يرسله اعتباطاً، وإنما يتبع حكمه الدليل، ويؤيد نقده بالحجة.

---

(1) مجالس العلماء ٢٥٩.

(2) البيان والتبيين ١: ٣٢١.

(3) الأغاني ٨: ٥.

(4) المنافقون: ٦.

(5) الحيوان ٥: ٥٤٠.

قال : « ان العجاج أشعر أهل الرجز والقصيد، وقال : إنما هو كلام وأجودهم كلاماً أشعرهم، والعجاج ليس في شعره شيء يستطيع أحد أن يقول : لو كان مكانه غيره لكان أجود، وذكر أن صنع أرجوزته :

قد جبر الدين الإلّه فجبر

في نحوٍ من مائتي بيت، وهي موقوفة مقيدة، ولو أطلقت قوافيها، وساعد فيها الوزن لكانت منصوبة كلها » (١).

وينقد رؤبة وأباه، لأن رؤبة خالف يونس في مدحه لشعر النابغة الجعدي « قال يونس : كان نابغة الجعدي أوصف الناس لفرس. قال : فأنشدت رؤبة قوله :

فإن صدقوا قالوا : جواد مجرّب ضليع ومن خير الجياد ضليعُها

فقال : (٢)ما كنت أظن المرهف منها إلا أسرع، قالوا : ولم يكن رؤبة وأبوه صاحبي خيْل (٣).

ولتمرس يونس بالشعر العربي أعطاه قدرة على مدلولات الكلمات وما توحي به إشعاعاتها، وهي مقدرة لا تتأتى إلا لرجل خبر الشعر وعرفه.

قال الجاحظ : قال يونس بن حبيب في تأويل قول الأحنف بن قيس :

أنا ابن الزافرية أرضعتني بثدي لا أجدّ ولاوخيم
أنمتني فلم تنقصْ عظامي ولا صوتي إذا جدّ الخصوم

قال : إنما عنى بقوله : عظامي : أسنانه التي في فمه، وهي التي إذا تمت تمت الحروف، وإذا نقصت نقصت الحروف » (٤).

---

(١) المزهر ٢ : ٤٨٤.
(٢) اي رؤبة.
(٣) رسائل الجاحظ، كتاب البغال ٢١٩، ٢٢٠.
(٤) البيان والتبيين ١ : ٥٩.

ويونس خبير بعيوب الشعر التي تقلل من قيمته، فقد كان يقول :

« أهون عيوب الشعر الزحاف، وهو أن ينقص الجزء عن سائر الأجزاء فمنه ما نقصانه أخفى، ومنه ما هو أشنع، وهو جائز في العروض.

قال خالد بن أبي ذؤيب الهذلي :

لعلك إمّا أمُّ عمرو تبدّلتْ   سواك خليلاً شاتمي تستخيرها

وهذا مزاحف في كاف (سواك) ومن أنشده (خليلاً سواك) كان أشنع »[1] .

حلقة يونس

من الطبعي أن يكون ليونس حلقة، لأنه كما عرفنا اغترف من ثقافة عصره، وشرب من معينها ما جعله أهلاً لأن يتولى هذه الصورة، ويدير هذه الحلقة، والعلم يقوم على الأخذ والعطاء، وقد أخذ يونس الكثير، وحق له بعد هذا الأخذ أن يعلّم كما تعلّم، ويعطي كما أخذ، ويخلف أستاذه أبا عمرو في حلقته ليستمر العطاء العلمي، ويمتد الإشعاع الفكري، ويحمل الخلف عن السلف رسالة الفكر والثقافة.

ومن هذا المنطق صح لأبي زيد النحوي فيما رواه ابن سلام أن يقول:

«ما رأيت أبذل لعلم من يونس»[2].

ومعنى هذه العبارة القصيرة في ألفاظها، الكبيرة في معناها أن يونس كان العطاء العلمي يشغل وقته، ويملأ زمنه، ولا يفكر في شيء من شؤون الحياة إلا فيما كان متعلقاً بالعلم والمعرفة.

---

(١) الموشح ١٢٣ .

(٢) طبقات النحويين واللغويين ٥٢ .

وقد اعترف له بهذه الصفة إسحاق بن إبراهيم الموصلي حيث يقول عنه:

«ولم تكن له همة إلا طلب العلم، ومحادثة الرجال»[1].

* * *

رواد حلقته

من رواد هذه الحلقة:

أ ـ الكسائي

يحدثنا صاحب إنباه الرواة، فيقول: «اجتاز الكسائي بحلقة يونس بالبصرة ـ وكان شَخَص مع المهدي إليها ـ فاستند إلى أسطوانة تقرب من حلقته، فعرف يونس مكانه فقال: ما تقول في قول الفرزدق:

غداة أحلّت لابن أُصرم طعنةٌ حُصينٍ عبيطاتِ السدائفِ والخمرُ

على أي شيء رفع (الخمر) فأجاب الكسائي. فقال يونس: «أشهد أن الذين رأسوك باستحقاق» [2].

وفي رواية أخرى ذكرها الزجاج في (أماليه) أنه «ألقى عليه بعض من حضر في المجلس بيت الفرزدق:

غداة أحلت لابن أصْرمَ طعنة حصين عبيطات السدائف والخمرُ

فأنشده هكذا، فقيل للكسائي: على أي شيء رفعت؟ فقال: أضمرت فعلاً، كأنه: وحلت لي الخمر فقال يونس: ما أحسن والله ما وجهته غير أني سمعت الفرزدق ينشده:

غداة أحلت لابن اصرم ضربةً حصينٍ عبيطاتُ السدائف والخمرُ

---

(١) الفهرست ١: ٣٣ ط بيروت.

(٢) إنباه الرواة ٢: ٢٦٥.

جعل الفاعل مفعولا كما قال الحُطيئة:

فلما خَشِيت الهُونَ والعير ممسكٌ   على رَغْمه ما أمسك الحَبْلَ حافرُه

والقصيدة على الرفع جعل الفاعل مفعولاً، فقال الكسائي: «هذا على هذا وجه»(١).

وسئل الكسائي في حلقة يونس حينما سأل عن يونس ليسأله، ويتحدث ابن سلام عن هذه المسألة قال: قال الكسائي في مسجد البصرة أول دخوله: أريد أن اسأل يونس، فقال له ابن أبي عيينة: فأنا من غلمانه، افأسألك؟ قال: سل. قال: (أولق) ينصرف أو لا ينصرف: فقال: (أولق)(٢) أفعل لا ينصرف. فقال ابن عيينة: هو فوعل ينصرف فقال الكسائي: ما الدليل؟ فقال قولهم: رجل مألوق، فصحّت الهمزة، فجلس فأخذ عنه»(٣).

وفي حلقة يونس وجه مروان بن سعيد بن عباد بن حبيب بن المهلب ابن أبي صفرة سأل الكسائي بحضرة يونس: أي شيء يشبه (أي) من الكلام فقال: (ما) و(من) فقال له: فكيف تقول: لأضربن مَن في الدار؟ قال: لأضربن من في الدار. قال فكيف تقول لأركبن ما تركب؟ قال: لأركبن ما تركب. قال: فكيف تقول ضربت من في الدار، قال: ضربت من في الدار. قال: فكيف تقول: ركبت ما ركبت؟ قال: ركبت ما ركبت، قال: فكيف تقول لأضربن أيهم في الدار: قال: لأضربن أيُّهم في الدار.

قال: فكيف تقول: ضربت أيُّهم في الدار؟ قال: لا يجوز. قال: لِمَ؟ قال: أيّ كذا خلقت.

قال فغضب يونس، وقال: «تؤذون جليسنا، ومؤدب أمير المؤمنين»(٤).

---

(١) مجالس العلماء ٢١ : ٢٢.

(٢) الأولق : الجنـون.

(٣) شرح ما يقع فيه التصحيف ١٢٥، والخصائص ٣: ٢٩١، والمزهر ٢ : ٣٧٣.

(٤) أخبار النحويين البصريين ٢٧، ٢٨.

الفــراء

قال الحريري في (درة الغواص): «حكى الفراء قال: قـال أعرابي ونحن في حلقـة يونس بن حبيب بالبـصـرة: أين مسكنـك؟: فقلت: الكوفـة. فقـال لي: يا سبحان الله، هذه بنو أسـد بين ظهرَانيكم، وأنت تطلب اللغة بـالبصرة؟ قال: فاستفدت من كلامه فائدتين: أحدهمـا: أنه قـال: هذه، ولم يقل: هؤلاء، لأنـه أشار الى القبيلة فـأنث، والثانيـة: أنه قـال: ظهـرانيكم بفتـح النـون ولم يقله بكسرها»[1].

وقال أبو عكـرمة الضبي: في قـولهم «لبيك وسعـديك» حـدثني سلمة بن عاصم النحوي عن الفراء، قال: سـألت يونس بن حبيب عنـه. فقال: إلبـابٌ بـك بعد إلباب، والإلباب: اللزوم أي لـزوم لطاعتـك بعد لـزوم، وإقامـة عنـد محبتك بعد إقامة، ويقال: ألبّ الرجل بالمكان، إذا قام فيه:

قال الراجــز:

لبّ بأرضٍ لمْ توطّأها الغنمْ

ولم تتكلم العـرب في شيء من هذا بـواحد، وإنمـا جاء على التثنيـة في لبيك.

وأما (سعديك) فمأخوذ من الإسعاد، وهو الإجابـة والمطاوعـة كأنـه قال: «أجبتك إجابة بعد إجابة، وأسعدتك إسعـاداً بعد إسعاد، فـأخـرجـه مثنى أيضاً، ومن العرب من يفعل ذلك للمبالغة»[2].

* * *

٣ ـ وانضم الى هـذه الحلقة أيضـاً علمـاء رواة أمثـال أبي عبيـدة، وأبي

---

(١) درة الغواص ١٤٦، ١٤٧.

(٢) الأمثال: ٤٨، ٤٩.

زيد وخلف الأحمر، قال ابن العماد: «اختلف إليه أبو عبيدة أربعين سنة، وأبو زيد عشر سنين، وخلف الأحمر عشرين سنة»[١].

* * *

٤ ـ كما انضم إليها أيضاً بعض الأعراب الفصحاء الذين ذكرنا طرفاً من أخبارهم فيما سبق.

وبعد، فإن هذه الحلقة امتد عمرها بامتداد عمر يونس حيث عاش كما يقول ابن الجزري ٨٨ عاماً[٢].

وهي حلقة بدون شك كانت مناراً للعلم والمعرفة في هذا العصر بل كانت مدرسة عالية خرجت رجالاً حملوا شعلة العلم، ولواء الفكر حيث قدموا لنا هذا الزاد الضخم الذي عاش على موائده رجالات الفكر في مختلف العصور إلى يومنا هذا.

في الميدان اللغوي

لم يكن باع يونس طويلاً في الدراسات القرآنية كأستاذه أبي عمرو والمقارنة بين الرجلين في هذا المجال غير منطقية، فأبو عمرو من القراء السبعة، ومن المفسرين ومن الرعيل الأول في الدراسات القرآنية، ويونس تلميذ لأبي عمرو، يردّد آرءه، ويقتفي أثره، وليس له رصيد في التفسير غير بعض آراء قليلة نسبت إليه وبعض روايات تلقاها عن أستاذه أبي عمرو.

فمن الآراء التي نسبت إليه تفسيره لقراءة: «أشد وطئاً»[٣].

«قرأ أبو عمرو وابن عامر «وطاءً» بكسر الواو ممدودةً.. وهو مصدر[٤]..

---

(١) شذرات الذهب ١ : ٣٠١.

(٢) غاية النهاية ٢ : ٤٠٦.

(٣) المزمل : ١ .

(٤) حجة القراءات / ٦٥٨ .

أراد ـ والله أعلم ـ أن القراءة في الليل يُواطىء فيها قلب المصلّي لسانه وسمعه على التفهم والأداء والاستماع أكثر من النهار، لأن الليل تنقطع فيه الأشغال وتهدأ فيه الأصوات والحركات.

عن أبي عباس: «أشد وطاءً» قال: (يواطىء السمع القلب) وعن يونس: «أشد وطاءً» قال: ملاءمة وموافقة، ومن ذلك «ليواطئوا»(١) أي ليوافقوا(٢).

ومن الآراء التي نقلها عن أبي عمرو في «شواظ»(٣): قوله في نوادره: قال أبو عمرو بن العلاء: «لا يكون الشواظ إلا من النار والنحّاس جميعاً» (٤).

* * *

٢ ـ في الغريب

وليونس معرفة دقيقة بغريب اللغة، وقد احتفظت لنا كتب اللغة بطائفة من غرائب اللغة فسّرها يونس، وكشف لنا عن معناها.

من ذلك كلمة: سبخة نشاشة. «قال أبو بكر: قال الأصمعي: أحسبه يرويه عن يونس. قال: سألت بعض العرب عن السبخة النشاشة فوصفها لي ثم ظنّ أني لم أفهم فقال: التي لا يجف ثراها ولا ينبت مرعاها»(٥).

ومن ذلك كلمة: «كَنَخْبَ» قال في الجمهرة: ذكر يونس فيما زعموا أنه سمع بعض العرب يقول: ما هذه الكَنَخْبة؟ يريد الكلام المختلط من الخطأ»(٦).

---

(١) التوبة: ٣٧.

(٢) انظر اللسان «وطأ» والحجة لابن خالويه/ ٣٥٤، وتفسير الألوسي ٢٩ / ١٠٤.

(٣) الرحمن: ٣٥.

(٤) المزهر ١: ٤٥٣.

(٥) الجمهرة ١: ١٠٠.

(٦) الجمهرة ٣: ٣٠٣.

وقد ترد الكلمات الغريبة في الشعر فيوضحها، ويكشف غموضها ليتضح معنى البيت الذي وقعت فيه هذه الكلمات الغريبة.

من ذلك الكلمة: «الحِبّ» وهو القُرْط وقد وردت في بيت الراعي يصف صائداً:

تبيت الحيّة النضناض منه مكان الحِبّ يستمع السِّرارا

قال أبو بكر: النضناض: التي تحرك لسانها.

وقال يونس: الحِب: «هو القرط»[1].

* * *

ونرى يونس في كثير من الأحيان يستدل لمعنى الكلمة الغريبة بالشعر ليؤيد هذا المعنى، ويقوي هذا التفسير.

ـ من ذلك كلمة (كارز) قال يونس: كارز الرجل إلى المكان: إذا اختبأ فيه، وأنشد للشمّاخ يصف حميراً:

فلما رأين الماء قد حال دونه ذُعافٌ إلى جَنْب الشريعة كارز[2]

وسرق الشيء: إذا خفى، هكذا قال يونس وأنشد:

وتبيتُ منتبذ القذور كأنما سَرِقت بيوتك أن تزورا المَرقدا

كأنما سرقت أي خفيت، والمرقد: الموضع الذي يرقد فيه والقذور: التي لا تبارك الإبل، ولا تبيت مُعها[3].

ـ ويونس في كشفه معاني الغريب والاستدلال عليه بالشعر يستدل أحياناً بشعر الرجز، ذلك لأن الرجاز «جميعاً كانوا أعراباً بداة، نظموا أراجيزهم بلغتهم الفصيحة الصحيحة، أي لغة البادية، المعروفة بصحة التركيب، وشدّة الأسر، وتمثل هذه اللغة التي صيغت بها هذه الأراجيز لغة

(١) الجمهرة ١: ٢٥.

(٢) الجمهرة ٢: ٣٢٥.

(٣) الجمهرة ٢: ٣٣٤، ٣٣٥.

البادية في الجاهلية وصدر الإسلام في ألفاظها وأساليبها خير تمثيل، ولذلك كانت هذه الأراجيز معيناً لا ينضب لعلماء اللغة الذين ألفوا كتب اللغة، ووضعوا معجماتها إذا استقوا منها الشواهد والأمثلة لتوثيق ألفاظ اللغة ومعانيها وصحتها من أقدم العصور إلى يومنا هذا، ويكفينا أن نذكرها هنا للدلالة على قيمة الأراجيز في هذا المجال أن ابن منظور الإفريقي قد استشهد بأراجيز العجاج في أكثر من ستمائة موضع من معجمه الكبير الموسوم بلسان العرب»(1).

ومن استدلال يونس بالعجاج في مجال الغريب ما حدثنا به محمد بن سلام قال: «سمعت يونس يقول: جبأ من خوف الأسد: أي جبن وأنشد للعجاج:

* حتى إذا أشرف في جَوْفٍ جبا *

وقال: «ترك الهمز»(2).

* * *

ويستدل يونس بشعر عنترة على أن (ويك) بمعنى (ألم تر؟) قال عنترة:

ولقد شفى نفسي وأبرأ سقمها ... قيل الفوارس ويك عنتر أقدم

قال يعقوب بن السكيت: أنشدني هذا البيت محمد بن سلّام الجمحي عن يونس، وقال: «معناه: ألم تر؟»(3).

٣ ـ في الاشتقاق

قال الأستاذ عباس حسن: «فأما الاشتقاق فالحاجة اليه شديدة في مختلف العصور وبين سائر الطبقات.. لأنه يسعفها بوابل من الكلمات

---

(1) مقدمة ديوان العجاج للدكتور عزة حسن ص ٢٥.

(2) شرح ما يقع فيه التصحيف ١٣٣.

(3) شرح القصائد السبع الطوال ٣٥٩، ٣٦٠.

المختصرة الرشيقة السهلة التناول يضرب كل نوع منها في ناحية معنوية جليلة»[1].

والاشتقاق قسمان: «أكبر، وأصغر، وتسمية الاشتقاق بالأكبر والأصغر تسمية متأخرة تمت على يد ابن جني ،ولأن ابن جني أول من أطلق هذه التسمية على الاشتقاق افتخر بهذه التسمية ومدحها ويتضح ذلك في الباب الذي عقده بعنوان (الاشتقاق الأكبر) حيث يقول:

«هذا موضع لم نسمعه أحد من أصحابنا غير أن أبا علي ـ رحمه الله كان ـ يستعين به، ويخلد إليه، مع إعواز الاشتقاق الأصغر، لكنه مع هذا لم يسمّه وإنما كان يعتاده عند الضرورة، ويستروح إليه،ويتعلل به، وإنما هذا التقليب لنا نحن، وستراه فتعلم أنه لقب مستحسن»[2].

وبعد هذا الافتخار بالتسمية أو بالتقليب على حد قوله يمضي ابن جني مسترسلا في الحديث عن الاشتقاق وتقسيمه فيقول:

«الاشتقاق عندي على ضربين، كبير وصغير، فالصغير ما في أيدي الناس وكتبهم كان تأخذ أصلاً من الأصول فتتقرّاه، فتجمع بين معانيه، وان اختلفت صيغه ومبانيه، وذلك كتركيب «س ل م» فانك تأخذ منه معنى السلامة في تصرفه نحو سلم ويسلم وسالم وسلمان والسلامة والسليم. . . فهذا الاشتقاق الأصغر. . وأما الاشتقاق الأكبر فهو أن تأخذ اصلا من الأصول الثلاثية فتَعْقِد عليه وعلى تقاليبه الستة معنى واحداً. . . نحو (ك ل م) (ك م ل) (م ك ل) (م ل ك) (ل ك م) (ل م ك)[3]. . ثم يختم ابن جني حديثه عن الاشتقاق الأكبر فيقول معلقاً: «وإنما ذلك، لأنها مادة واحدة شكلت على صور مختلفة، فكأنها لفظة واحدة».

---

(١) اللغة والنحو ٢٤٠.

(٢) الخصائص ٢ : ١٣٣.

(٣) الخصائص: ٢ : ١٣٤.

وقلت مرة للمتنبىء: أراك تستعمل في شعرك ذا، وتا، وذي كثيراً، ففكر شيئاً ثم قال: إن هـذا الشعر لم يعمـل كله في وقت واحد، فقلت لـه: أجل، لكن المادة واحدة فأمسك البتة.

والشيء يـذكـر لنظيره، فإن المعاني وان اختلفت معيّناتها آوبـة إلى مضجع غير مقض، وآخذ بعضها برقاب بعض[1].

* * *

بعض صورة الاشتقاق عند يونس

اصطلاح الاشتقاق الأكبر والأصغر اصطلاح متأخر كما قلت، لأن ابن جني أول من استعمل هذا الاصطلاح، أما اصطلاح الاشتقاق فقد كان معروفاً قبل ابن جني بل كان يعرفه اللغويون والنحويون من رجالات هذه الحلقة ولا أدل على ذلك من قول ابن دريد في الجمهرة:

«يقال حبرت أسنانه: إذا اصفرّت صفرة غليظة» [1].

قال أبو الزحف الكليبي:

تضحك عن أبيضَ لم يُثلَّم ... صاف من الحَبر لذيذ المَبْسم

وقال يونس: من هذا اشتقاق الحِبر الذي يكتب به؛ وأنشد:

ولست بسعديٍّ على فيه حَبْرَةٌ ... ولست بعبديٍّ حقيبتُه للتَّمْرِ [2].

أما بعض صور الاشتقاق التي رويت عن يونس فإليك بيانها.

١ ــ صيغة التفضيل:

قال ابن دريد «وضيعة الرجل تكون مهنته، وتكون عقاره، والجمع: ضياع[3].

---

(١) المرجع نفسه ١٣٩.

(٢) الجمهرة ١: ٢١٩.

(٣) الجمهـرة ٣: ٩٥.

قال يونس: «وتقول العرب فلان أضيع من فلان أي أكثر ضياعاً منه، ولم يقله غيره»[1].

* * *

٢ ـ المصدر:

قال ابن دريد:

«الفَيل معروف، ورجل فيِّل الرأي، وفائل الرأي، وفي رأيه فَيالة أي ضعف. وقال يونس: قال لي رؤبة: ما كنت أحب أن أرى في رأيك فَيالة أي ضعفاً»[2].

٣ ـ الاشتقاق في فعل ممات:

قال في الجمهرة: «الزّعك: فعل ممات. ومنه استقاق قولهم: رجل عَكيّ وهو الدميم.

وذكر يونس أنه سمع: رجل زُعْكوك: «قصير مجتمع الخلق» [3].

* * *

٤ ـ اختلاف المعنى في الكلمة الواحدة باختلاف الحركات:

قال الجاحظ: «يقال: سرب نساء، وسرب قطا، وسرب ظباء، كل ذلك بكسر السين وإسكان الراء، فإذا كان من الطريق والمذهب قال: خلَّ سَرْبه، وفلان خَلي السَّرب بفتح السين وهذا عن يونس بن حبيب» [4].

٥ ـ اختلاف المعنى بزيادة بعض حروف في الكلمة:

في قصة سابقة عرضت موقف يونس من شبيل بن عزرة الضبعي، فقد

---

(١) الجمهرة ٣: ٩٥.

(٢) الجمهرة ٣: ١٦٠.

(٣) الجمهرة ٣: ٦.

(٤) الحيوان ٥: ٥٧٩.

هاجم شبيل رؤبة لأنه سأله عن اسمه فما عرفه، ولما سمع يونس هذا النقد وثب وجلس بين يديه وقال: ألرؤبة تقول هذا؟ لهو والله أفصح من معدّ، ثم سأله يونس قائلاً: أتعرف أنت الروبة والروبة والروبة والرّوبة والرؤبة: فسكت فما أجاب بحرف. ثم سأل من في المجلس يونس بن حبيب عن المعاني التي تدل عليها الكلمة الواحدة المكررة وهي الروبة، والكلمة المهموزة وهي الرؤبة.

فقال يونس: «الروبة الحاجة غير مهموز، يقال: فلان لا يقوم بروبة أهله والروبة: ساعة من الليل، والروبة جمام ماء الفحل، يقال: أطرقني روبة جملك وفحلك، والروبة: خميرة تلقى في اللبن ليروب؛ وهذه الأربع غير مهموزات، والرؤبة بالهمز: قطعة يرأب بها الشيء المكسور أي يشد وفي دعاء بعضهم: «اللهم ارأب صدعنا»[1].

* * *

٦ ــ اشتقاق الفعل من الأسماء:

قال يونس: يقال: «قد امتني القوم إذا نزلوا منىً » [2] .

* * *

٤ ــ في النــوادر

النوادر كلمات غير شائعة أو معروفة فقد جاء في اللسان (ندر) ما نصه: «ونوادر الكلام، وهي ما شذ وخرج عن الجمهور، وذلك لظهوره»

ويعرف السيوطي النادر في كتابه (المزهر) فيقول: «والنوادر: جمع نادرة، وقال في الصحاح: ندر الشيء يندر ندوراً: سقط وشذ،ومنه النوادر»

---

(١) مجالس العلماء ٣٠٣، ٣٠٤.

(٢) شرح القصائد السبع ٥٣٥.

ثم يعقب على ذلك بفائدة لابن هشام في معنى النادر فيقول: «قال ابن هشام: انهم يستعملون غالباً وكثيراً ونادراً وقليلاً ومطرداً، فالمطرد لا يتخلف، والغالب أكثر الأشياء ولكنه يتخلف، والكثير دونه، والقليل دون الكثير، والنادر أقل من القليل فالعشرون بالنسبة إلى ثلاثة وعشرين غالباً، والخمسة عشر بالنسبة إليها كثير لا غالب، والثلاثة قليل، والواحد نادر، فعلم بهذا مراتب ما يقال في ذلك»[1].

وليونس في النوادر كتاب مؤلف رواية محمد بن سلام الجمحي.

وكتاب النوادر هذا قال عنه السيوطي ما نصه: «وهذا الكتاب لم أقف عليه إلا أني وقفت على منتقى منه بخط الشيخ تاج الدين بن مكتوم النحوي. وقال إنه كتاب كثير الفائدة قليل الوجود».

ويسوق السيوطي في كتابه المزهر جملة من هذه النوادر، من ذلك.

ـ المرفق بكسر الميم وفتح الفاء، والمرفق بفتح الميم وكسر الفاء.

قال يونس في قوله تعالى: ﴿ويُهيّىء لكم مِنْ أَمْرِكم مرفقاً﴾ [2] الذي أختار (المَرفِق) بفتح الميم وكسر الفاء): في الأمر و(المِرفَق) بكسر الميم وفتح الفاء): اليد.

ـ وقال يونس في قوله تعالى: ﴿ فَرُهن مقبوضة ﴾ [3] قال أبو عمرو بن العلاء الرُّهُن والرِّهان عربيتان، والرُّهُن في الرَّهن أكثر والرِّهان في الخيل أكثر [4].

ومن نوادره في المزهر أيضاً: «فاكه من الفاكهة، مثل: لابن وتامر» [5].

---

(١) المزهر ١: ٢٣٤.

(٢) الكهف: ١٦.

(٣) البقرة: ٢٨٣.

(٤) انظر في هذه النماذج المزهر ٢: ٢٨٩.

(٥) المزهر ٢: ٢٧٤.

ويبدو أن كتاب النوادر ليونس لم يكن موقوفاً على الأسماء أو الأفعال لأن السيوطي يذكرلنا نوعاً آخر من النوادر التي جاءت في كتاب يونس، وهي نوادر تتعلق بالاختلاف القبلي في نطق الكلمات من حيث الحركات والظواهر الصوتية.

من ذلك قول يونس :

أهل الحجاز يقولون خمس عَشْرة خفيفة لا يحركون الشّين، وتميم تثقل وتكسر الشّين ومنهم من يفتحها [1].

أهل الحجاز يبطِش، وتميم يبطُش، تميم هيهات، وأهل الحجاز أيهات، أهل الحجاز الحِجّ، وتميم الحَج، أهل الحجاز: رِضوان وتميم : رُضوان . السخ [2] .

ويسجل ابن دريد في جمهرته طائفة من النوادر التي نسبت إلى يونس من ذلك قول يونس :

ــ حفصْتُ الشيء بالصَاد غير معجمة : إذا ألقيته من يدي ،وحفضته بالضاد المعجمة إذا عطفته.

ــ ذفّفه بالسيف، وذافه، وذفّه : إذا أجهز عليه .

ــ وقال : تزوج فلان في شرْية نساء، يريد حياً تلد نساؤهم الإناث، وتزوج في عرارة نساء يريد حيًّا تلد نساؤهم الذكور.

ــ ويقال : رجع الأمر على قرواه أي رجع على مسلكه الأوّل.

ــ وقال : الراتلة أن يمشي الرجل متكفئاً على جانبيه، كأنه متكسر العظام.

---

(١) المزهر ٢ : ٢٧٥، ٢٧٦ .

(٢) المزهر ٢ : ٢٧٥، ٢٧٦ .

ـ الشريطة : إذا وضعت الناقة ولداً شرطوا أذنه فإن خرج منه دم أكلوه، وإن لم يخرج دم تركوه.

ـ وقال : رجل دَخْشَنٌ: غليظ خشن، وأنشـد :

أصبحتُ يـا عمـر كمثـل الـشَّنّ   أمـري ضروسـاً كعصف الدَّخْشـنٌ

ـ وقال : جاء فلان مضرفطاً بالحبال أي موثقاً.

ـ وقال : تقول العـرب : فطر نـاب البعير وشَقَأ نابـه، وشقّ نابـه وبقل، وبزع وصبأ بمعنى واحد (١).

٥ ـ الإفراد

يعرفه السيوطي فيقول :

« وهوما انفرد بروايته واحد من أهل اللغة، ولم ينقله أحد غيره.

وحكمـه :القبـول إن كـان المتفـرد من أهـل الضبط والإتقـان كـأبي زيـد، والخليل والأصمعي، وأبي حاتم، وأبي عبيدة وأضرابهم.

وشرطه : ألا يخالفه فيه من هو أكثر عدداً منه » (٢).

ـ ومن إفـراد يونس بن حبيب الضبي : الصِّنتيت بمعنى الصنـديـد هكـذا يقول يونس ولم يقله غيره (٣).

قـال ابن جني :ولم يأت فيمـا عينـه ولامه من مـوضـع واحـد (فَعُلْت) إلا حرفان فيما علمت وهما : (لَبُبْت فأنت لبيب) حكاها يونس قال لي أبو علي : قال أبـو إسحاق: سـألت عنها تعلبـاً فلم يعـرفهـا » وحكـى قـطرب: شَـرُرْتُ في الشّر (٤) .

---

(١) الجمهرة ٣: ٤٥٩، ٤٦٠.

(٢) المزهر ١ : ١٢٩.

(٣) المزهر ١ : ١٣١.

(٤) المنصف ١ : ٢٤٠.

ـ وقال ابن دريد : قال يونس : وتقول العرب : فلان أضيع من فلان أي أكثر ضياعاً منه « ولم يقله غيره » (١)

الأمثال

ينص ياقوت على أن يونس بن حبيب له (كتاب الأمثال) (٢) .

وقد استطعت أن أضع يدي على طائفة من الأمثال تناولها يونس من الوجهة اللغوية.

من هذه الأمثال:

ـ «لبيك وسعديك» :

قال الضبي : حدثني سلمة بن عاصم النحوي عن الفراء، قال :

سألت يونس بن حبيب عنه، فقال: «إلباب بك بعد إلباب». والألباب : اللزوم، أي لزوم لطاعتك بعد لزوم، وإقامة عند محبتك بعد إقامة، ويقال : ألب الرجل بالمكان إذا أقام فيه، قال الراجز :

لَبَّ بأرض لم توطّأها الغَنم

ولم تتكلم العرب في شيء من هذا بواحد، إنما جاء على التثنية في لبيك.

وأما (سعديك) فمأخوذ من الإسعاد، وهو الإجابة والمطاوعة كأنه قال : أجبتك إجابة بعد إجابة، وأسعدتك إسعاداً بعد إسعاد، فأخرجه مثنى أيضاً، ومن العرب من يفعل ذلك للمبالغة قال طرفة بن العبد :

أبا منذر أفنيْت فاستبق بعضَنا حنانيْك بعض الشر أهون من بعض (٣)

---

(١) الجمهرة ٣: ١٦٠ .

(٢) الجمهرة ٢٠ : ٦٧ .

(٣) الأمثال لأبي عكرمة الضبي ٤٨ .

ـ «أجن الله جباله».

قال يونس: جباله: سادات قومه ورؤساؤهم أي أماتهم الله حتى يذل ويبقى بلا عضد ولا ناصر ورؤساء القوم يشبهون بالجبال.

وقال الفرزدق في مرثية وكيع بن أبي سود:

إن الذي لاقى وكيعاً فناله ... تناول صِدِّيق النّبي أبا بكر
وعاش ولم يُوتر ومات ولم يدع ... من الناس إلا قد أباتَ على وتر
وإنّا على أمثاله من جبالنا ... لأصبر حيٍّ من معدٍّ على الدهر(1)

ـ«لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً»:

قال محمد بن سلام الجمحي: قلت ليونس بن حبيب النحوي:

فقال: الصرف والعدل: الفريضة والتطوع، قاله من هو خير من الحسن بن أبي الحسن. قيل ليونس: أتعرفه في كلام العرب؟ قال: لا.

ـ «الهياط والمياط»:

قال الضبّي: «سألت أبا محلم عن قول العرب: الهياط والمياط، فقال سألت يونس عنه، فقال: تتكلم به العرب في الشدّة، فسألت عن اشتقاقه، فقال: هكذا قال يونس»(2).

ـ قال أبو عبيد البكري:

أورد يونس هذا المثل: «فُرارة قد سفهت فُراراً».

والفرار: صنف من الضأن، وذلك أن الفرار إذا رأى الغنم قصد إليها فتبعتها البقية(3).

---

(1) الأمثال للضبي ٧٥ ـ ٧٦.

(2) الأمثال للضبي ٨٠.

(3) فصل المقال / ٣٢١.

ـ قال أبو العلاء المعري : « وذكر ابن حبيب أنه يقال في المثل : (أحير من ضَب) وذلك أنه إذا أخرج من بيته، فأبعد لا يهتدي أن يرجع إليه » (١).

ـ «يشوب ولا يروب»:

قال أبو عبيد البكري : إنما قال الأصمعي في الأمثال : هو يشوب ولا يروب وهو صحيح معناه : يخلط ولا يخلص لأن الشّوب : الخَلط ومزج اللبن بالماء، والروب مصدر : راب اللبن يروب روباً : إذا خثر.

وما ذكره أبو عبيد (٢) صحيح على ما عقد عليه الباب، معناه يشوب ويمذق مرة، ويأتي بالصريح الخالص مرة. . .

قال يونس : لا يقال : شوب إلا أن يكونوا من قبائل شتى (٣).

٧ ـ في اختلاف اللغات

ومن جهود يونس اللغوية معرفته باللهجات العربية، وإلمامه بلغات القبائل، وهي مقدرة لا تتسنّى إلا لرجل عاشر هذه القبائل واستمع إلى لغاتها، ومن ثم سجل الظواهر اللغوية الخاصة بهذه القبائل.

وقد أورد لنا ابن السكيت في كتابه (إصلاح المنطق) جمهرة من الكلمات والعبارات المنسوبة لبعض القبائل العربية مروية عن يونس، وإليك نماذج منها :

---

(١) رسالة الملائكة ٥١.

(٢) ابو عبيد : القاسم بن سلام صاحب الأمثال وذلك انه ذكر المثل بصورة (يشوب ويروب).

(٣) فصل المقال ٤٦، ٤٧.

ـ الوتر :

قال يونس : أهل العالية يقولون : الوَتْر في العدد، والوِتر في الذَّحل، وتميم تقول: الوِتر في العدد وفي الذَّحْل سواء [1] .

ـ (تمّ) يعني تمام الكلام :

قال يونس: لقائلها ثلاث لغات: تِمًّا، وتَمًّا، وتُمًّا. ثلاث لغات، يعني تمام الكلام [2] .

ـ السم والشهد :

قال يونس : أهل العالية يقولون : السُّم والشُّهد، وتميم تقول : السَّم والشَّهد.

ـ عرض :

أبو عبيدة عن يونس قال : يقول ناس من العرب : رأيته في عَرْض الناس، يعنون : عُرْض الناس [4].

ـ جرج :

قال يونس : ناس من العرب يقولون : ليس في هذا الأمر جِرْج، يعنون : ليس فيه حَرَج [5] .

---

(١) اصلاح المنطق ٣٠ والذَّحل : الثأر.

(٢) المرجع نفسه ٨٦.

(٣) المرجع نفسه ٩١.

(٤) اصلاح المنطق ٩٣.

(٥) المرجع نفسه ٩٨.

في ميدان الدراسات الصرفية والنحوية

أولاً : الدراسات الصرفية

لم تقتصر دراسة يونس على الظواهر اللغوية التي قدمنا صوراً منها بل أسهم إسهاماً فعالاً في ميدان آخر من ميدان اللغة وهو الصرف.

وقد تحدثت فيما سبق عن الظواهر الصرفية، ومتى نشأت هذه الظواهر؟ ودور أبي عمرو فيها.

والظواهر الصرفية التي عالجها يونس كثيرة عديدة تطالعك بوجهها في كتاب سيبويه وفي غيره من كتب النحو والصرف.

ولا نستطيع في هذا المجال الضيق أن نخص هذه الظواهر أو نستوعب هذه المسائل لأنها تحتاج إلى دراسة خاصة تبين دور يونس في الدراسات الصرفية، ونكتفي في هذا المجال بعرض نماذج منها لتلقي الضوء على مكانة يونس حيث أنه شغل نفسه بزاويا اللغة المختلفة وجوانبها المتعدّدة، ولم يألُ جُهداً في عَرْض ألوان الدراسة التي تساعد على تطور اللغة ونموها وازدهارها.

نماذج من الدراسات الصرفية عند يونس

١ ـ في القلب

ـ قال ابن دريد : وورخت الكتاب وأرخته، ومتى أرخ كتابك وورخ ؟ أي متى كتب ؟ ذكر عن يونس وأبي مالك أنهما سمعاه من العرب [١].

٢ ـ في التصغير

أ ـ رد المحذوف :

ليونس في تصغير الكلمات التي حذف بعض حروفها مذهب، وهو رد المحذوف.

وقد أخذ بهذا المذهب أبو عثمان المازني، يحدثنا عن ذلك ابن جني فيقول : « هذا الباب نذكر فيه كيف تتركب المذاهب إذا ضممت بعضها إلى بعض، وانتجت بين ذلك مذهباً » .

وذلك أن أبا عثمان كان يعتقد مذهب يونس في رد المحذوف في التحقير، وإن غني المثال عنه فيقول في تصغير هائر: هُوَيْئر وفي «بضع» اسم رجل: يُوَيْضع وفي بالة من قولك: ما باليت به بالة: بُوَيْلِيَة.

وسيبويه إذا استوفى التحقير مثاله لم يردُدْ ما كان قبل ذلك محذوفاً فيقول : هُوير، وبُضِيع، وبُوَيله :

وكان أبو عثمان يرى رأي سيبويه في صرف نحو جوارٍ علماً وإجرائه بعد العلمية على ما كان قبلها، فيقول في رجل أو امرأة اسمها جوار أو غواش

---

(١) الجمهرة ٢ : ٢١٦ .

بالصرف في الرفع والجر على حاله قبل نقله، ويونس لا يصرف ذلك ونحوه عَلماً، ويجريه مجرى الصحيح في ترك الصرف.

فقد تحصل إذاً لأبي عثمان هنا مذهب مركّب من مذهبي الرجلين،وهو الصرف على مذهب سيبويه، والرد على مذهب يونس فتقول على قول أبي عثمان في تحقير اسم رجل سميته بيري : هذا يُرَيْءٍ (كُيَرِيع) فترد الهمزة على قول يونس، وتصرف على قول سيبويه، ويونس يقول في هذا : يُرَيْئِي (بوزن يُرَيْعِي) فلا يصرف، وقياس قول سيبويه يُرَيٌّ فلا يرد [١].

ب ـ تصغير سراويل:

قال يونس : إن من العرب من يقول في تصغير (سراويل) (سُرَيِّيلات) اعتقاداً منه أنها سِروالة، لأن هذه صيغة مختصة بالجمع، فجعل كل قطعة منها سِروالة.

عليه من اللؤم سروالة

ومن جعلها مفرداً وهو الأولى ـ قال : سُرَيِّيل أو سُرَيْوِيل [٢] .

ج ـ التعويض في التصغير :

قال الرضي : « قوله : ويجوز التعويض عن حذف الزائد »

قال سيبويه : التعويض قول يونس، فكل ما حذف في التصغير سواء كان أصلياً كما في سفرجل أو زائداً كما في «مُقدّم» يجوز لك التعويض منه ياء ساكنة قبل الآخر إن لم يكن في المكبر حرف علة في ذلك الموضع، وإن كان كما في «احرنجام» فلا تقدر على التعويض لاشتغال المحل بمثله» [٣] .

---

(١) الخصائص ٣: ٧١، ٧٢ وشرح الشافية ٢٢٤، ٢٢٥ .

(٢) شرح الشافية ١ : ٢٧٠ .

(٣) شرح الشافية ١ : ٢٦٤ .

د ــ رد تاء التأنيث في التصغير :

قال الرضي : إذا سميت مذكراً بمؤنث مجرد عن التاء كأُذْن وعَيْن لم تلحق به التاء في التصغير لأنه ـ كما ذكرنا ـ وضع مستأنف ويونس يدخل التاء فيه فيقول: أُذَينَة وعُيَيْنة استدلالاً بـأُذَيْنة وعُيَيْنة على رجلين، وهذان عند النحاة إنما سمي المذكران بهما بعد التصغير، فلا حجة فيه (١).

هـ ــ حذف الهمزة :

قال أبو عثمان: وكان يونس يقول في تصغير (خُطائط : خُطَيِّط) فيحذف الهمزة، ويثبت الألف، فهو يلزمه في تكسير هذا أن يقول : (جِيَايا، وسوايا) لأنه إذا حذف الهمزة التي كانت بعد الألف في الواحد بقيت الألف ثالثة كألف (رسالة) وواو (عجوز) وياء (خطيئة).

قال أبو الفتح : إذا كان يونس يقول في تحقير (حطائط : حطيط)فيحذف الهمزة، ويقر الألف فقياسه أن يحذف الهمزة من (جُياء وسُواء) فإذا حذفها رجعت الهمزة التي هي لام الفعل التي كانت أبدلت لوقوع همزة (فعائل) قبلها ،فتصير في التقدير(جُياءٍ وسُواء) بوزن(فُعال) .

فإذا جمع (فُعال) على فعائل لزم أن تنقلب الألف همزة كما تنقلب في جمع (رسالة) إذا قلت: (رسائل) فيصير التقدير (جيائي، وسوائي) فتلتقي همزتان، فتبدل الثانية ياءً، كما فعلت في (خطائىء) لما أصرتها إلى (خطاءٍ) فيصير في التقدير (جُياء وسُواء) فيلزم تغيير هذه الهمزة، لأنها عرضت في جمع، وإنما هي بدل من ألف (جُياء، وسُواء) بعد أن قدّرتهما على فُعال فتنقلهما إلى جياءاً وسواءاً، ثم تبدل الهمزة ياء كما فعلت في (خطايا) فتقول: (جيايا وسوايا) فإن قال قائل: فهلا كُره وقوع الألف بين ياءين في (جَيايا) وبين واو وياء في (سَوايا) كما تقدم من القول في غير موضع ؟

(١) شرح الشافية ١ : ٢٤٠.

قيل : إنما هذه الياء بعد الألف في (جيايا ، وسوايا) بدل من الهمزة المقدرة في جياءا، وسواءا فلو ذهبت تقلبها لوجب قلبها همزة، فكنت ترجع إلى ما منه هَرَبت. فتقول: جياءا وسواءا، فتترك لغير ذلك لذلك.

وإنما ذهب يونس إلى حذف همزة (حطائط) في التحقير لأنها أقرب إلى الطرف فضعفت فحذفها، والألف وإن كانت ساكنة فهي أسبق منها فقويت عنده بالتقدم فأقرها [(1)] .

هذا والظواهر الصرفية في مجال التصغير أكثر منها يونس ونقلها عنه سيبويه فقد نقل عنه فصلين من التصغير، فقال : وجميع ما ذكرت لك في هذا الباب، وما أذكر لك في الباب الذي يليه قول يونس [(2)].

٣ ـ في الجمع

أ ـ في جمع أخ :

قال ابن جني : ويكون (أخاً) اسماً مقصوراً تاماً غير مضاف كقولك : لا عصاً لك.

ويدل على صحة هذا القول أنهم قد كسّروه على أفعال، وفاؤه مفتوحة فهو إذاً فَعلٌ، وذلك قولهم : أخ وآخاء فيما حكاه يونس، وقال بعض آل الملهب:

وجدتم بنيكم دوننا إذْ نَسَبْتم   وأيُّ بني الآخاء تبنو مناسبه

---

(1) المنصف ٢ : ٨٣ ـ ٨٤ .

(2) نشأة النحو ٦٧.

فغير منكرٍ أن يخرج واحدها على أصله، كما خرج واحد الآباء على أصله،وذلك قولهم : هذا أباً ، ورأيت أباً، ومررت بأباً (١).

ب ـ في جمع بَغاث :

البغاث : طائر أبغث إلى الغبرة، دوين الرَّخمة، بطيء الطيران.

قال يونس : فمن جعل البَغاث واحداً فجمعه بغثان.

ومن قال للذكر والأنثى بَغاثة، فالجمع بَغاث، مثل نَعام، ونَعامة، يكون النعامُ الذكرَ والأنثى (٢) .

٣ ـ في النسب

أ ـ في النسب إلى بنت وأخت :

قال ابن جني : أصل هذين الاسمين عندنا: فَعَلٌ: بَنَوٌ وأَخَوٌ بدلالة تكسيرهم إياهما على أفعال في قولهم : أبناء وآخاء، قال بشر بن المهلب:

وجدتم بنيكم دوننا إذا نُسِبتم   وأي بني الآخاء تنبو مناسبه

فلما عُدلاً عن فَعَلٍ إلى فِعْل وفُعْل، وأبدلت لاماً هما تاء فصارتا : بنتاً وأختاً كان هذا العمل، وهذه الصيغة علماً لتأنيثهما، ألا تراك إذا فارقت هذا الموضع من التأنيث رفضت هذه الصيغة البتّة،فقلت في الإضافة إليهما: بَنَوِيّ وأخوي،كما أنك إذا أضفت إلى ما فيه علامة تأنيث أزلتها البتة، نحو: حمراويّ وطلْحِي، وحُبلويّ.

فأما قول يونس : بنتيّ وأختيّ فمردود عند سيبويه، وليس هذا الموضوع موضوعاً للحكم بينهما، وإن كان لقول يونس أصول تجتذبه وتسوّغه (٣) .

---

(١) الخصائص ١ : ٣٣٨ ـ ٣٣٩ .

(٢) اصلاح المنطق ٣٧٤.

(٣) الخصائص ١ : ٢٠١ .

ب ــ في النسب إلى مائــة :

من ذلك قولهم في الإضافة إلى (مائة) في قول سيبويه ويونس جميعاً فيمن رد اللام: مِئويّ كـ«مِعَويّ»، فيتوافى اللفظان على أصلين مختلفين.

ووجه ذلك أن مائة أصلها عند الجماعة : مِئْية، ساكنة العين فلما حذفت اللام تخفيفاً جاورت العين تاء التأنيث، فانفتحت على العادة والعرف في ذلك، فقيل : مئة.

فإذا رددت اللام فمذهب سيبويه أن يقرّ العين كحالها متحركة، وقد كانت قبل الرد مفتوحة فتقلب لها اللام ألفاً فيصير تقديرها: مِئا كـ « مِعي»، فإذا أضفت إليها أبدلت الألف واواً فقلت: مِئوي كِثَنَويّ.

وأما مذهب يونس فإنه كان إذا نسب إلى فَعْلة أو فِعْلة مما لأمه ياء أجراه مجرى ما أصله فَعِله أو فِعِلة إلا تراه كيف كان يقول في الإضافة إلى ظَبية : ظَبَوِيّ.

ويحتج بقول العرب في النسب إلى بِطْية: بِطَوي، وإلى زِنْيه : زِنَويّ، فقياس هذا أن تجري مائة ـ وإن كانت فِعلة ـ مجرى فِعِلة ، فتقول فيها: مِئَويّ فيتفق اللفظان من أصلين مختلفين (١) .

٤ ــ في حروف الزيادة

أ ــ زيادة أحد المثلين :

قال ابن جني :

مذهب الخليل في ذلك أن الأول منهما هو الزائد.

ومذهب يونس ـ وإياه كان يعتمد أبو بكر ـ أن الثاني منهما هو الزائد.

وقد وجدنا لكل من القولين مذهباً، واستوسعنا بحمد الله مضطرباً.

فجعل الخليل الطاء الأول من قطّع ونحوه كواو (حوقل) وياء (بيطر) وجعل يونس الثانية منه كواو جَهْور، ودَهْور، وجعل الخليل ياء جلبب الأولى كواو جهور، ودَهْور وجعل يونس الثانية كياء (سلقيت) و(جعبيت).

---

(١) الخصائص ٢ : ١٠٦.

وهذا قدر من الحجاج مختصر، وليس بقاطع، وإنما فيه الأنس بالنظير، لا القطع باليقين، ولكن من أحسن ما يقال في ذلك ما كان أبو علي ـ رحمه الله -يحتج به لكون الثاني هو الزائد قولهم : اقعنسس، واسحنكك.

قال ووجه الدلالة من ذلك أن نون افعنلل بابها إذا وقعت في ذوات الأربعة أن تكون بين أصلين نحو : احرنجم واخرنطم.

واقعنسس ملحق بذلك: فيجب أن يحتذى به طريق ما أُلْحق بمثاله فلتكن السين الأولى أصلاً كما أن الطاء المقابلة لها من (اخرنطم) أصل.

وإذا كانت السين الأولى من اقعنسس أصلاً كانت الثانية الزائدة من غير ارتياب، ولا شبهة.

وهذا في معناه سديد حسن جارٍ على أحكام هذه الصناعة [1].

من هذا النص نتبين أن مذهب يونس وجد له من النحاة المتأخرين من تولى الدفاع عنه بما يقدم من حجج، وما يسوق من براهين.

ب ـ إلحاق النون الخفيفة للتوكيد في التثنية :

قال ابن جني : ومما نحن بسبيله مذهب يونس في إلحاقه النون الخفيفة للتوكيد في التثنية وجماعة النساء، وجمعه بين ساكنين في الوصل نحو قوله : اضربانْ زيداً، واضربنان عمراً، وليس ذلك ـ وإن كان في الإدراج ـ بالممتنع في الحس، وإن كان غيره أسوغ فيه منه من قِبَل أن الألف ـ إذا أشبع مدّها صار ذلك كالحركة فيها، ألا ترى إلى اطراد نحو : شابة، ودابة، وادهامّت والضالين [2] .

---

(١) الخصائص ٢ : ٦١، ٦٢.

(٢) الخصائص ١ : ٩٢.

٥ ــ الإدغام

أ ــ إجراء المدغم مجرى الحرف الواحد :

قال ابن جني : «إدغام الحرف في الحرف أخف عليهم من إظهار الحرفين ألا ترى أن اللسان ينبو عنهما معاً نبوةً واحدة نحو قولك : شدّ، وقطع، وسلّم ولذلك ما حقّقت الهمزتان إذا كانتا عينين نحو : سآل ورآس. ولم تصحّا في الكلمة الواحدة غيرعينين، ألا ترى إلى قولهم : آمن، وآدم، وجاءٍ وشاءٍ ونحو ذلك، فلأجل هذا ما قال يونس في الإضافة إلى مُثَنّى : مُثَنَّوِيّ، فأجرى المدغم مجرى الحرف الواحد نحو نون مَثْنى إذا قلت : مَثْنَوِيّ، قال الشاعر :

* حلفت يميناً غير ذي مَثْنَوِيَّةٍ * (1)

٦ ــ الميزان الصرفي

وينقل يونس نصًّا لأستاذه ابن أبي إسحاق في الأصل الذي بني عليه الكلام، وما زيد على هذا الأصل :

قال أبو عبيدة : « زعم يونس عن ابن أبي إسحاق، قال : أصل الكلام بناؤه على فَعْل، ثم يبنى آخره على عدد من له الفعل من المؤنث والمذكر من الواحد والاثنين والجمع كقولك : فعلتُ وفعلنا وفَعَلْن، وفعلا، وفعلوا.

ويزاد في أوله ما ليس من بنائه فيزيدون الألف كقولك :

أعطيت إنما أصلها : عطوت ، ثم يقولون : معطِي فيزيدون الميم بدلاً من الألف، وإنما أصلها : عاطي.

ويزيدون في أوساط فَعَل : افتعل، وانفعل، واستفعل، ونحو هذا،

---

(1) الخصائص ٢ : ٢٢٧، ٢٢٨.

والأصـل: فَعَل إنمـا أعادوا هـذه الزوائـد إلى الأصل، فمن ذلـك في القرآن: ﴿وأرسلنا الرياح لواقح﴾ (١).

وإنما يريد ملقحة، فأعادوه إلى الأصل.

ومنـه قولهـم:

* طوحتني الطوائح *

وانما هي المطاوح، لأنها المطوِّحة- ومن ذلك قول العجاج:

يكشـف عن جمّاته دلـو الـدّال

وهي من أدلى دلوه، وكذلك قول رؤبـة:

يخرُجن من أجواز ليلٍ غاضـي

وهي من أغضى الليل أيْ سكن (٢).

٧ ـ إسقاط الحرف لالتقاء الساكنين

حكي عن يـونس بن حبيب النحوي: استخـرت: استفعلت من الخيـر أي سألته أن يوفق لي خير الأشياء التي أقصدها.

قـال: وكان الأصـل: استخيْرت الله، فـأسقـطت اليـاء وألقيت حـركتهـا على الخاء، لأن اليـاء سـاكنـة، وبعـدهـا الـراء سـاكنـة فـأسقـطت لاجتمـاع الساكنين (٣).

٨ ـ تخفيف الهمزة

الهمزتان إن كانتا في كلمتين نحو: اقرأ آية، وأقرِىء أباك، وليقرأ أبوك، فعنـد أكثر العـرب على ما ذهب إليـه يونس والخليـل يجب تخفيف الهمزة.

---

(١) الحجر: ٢٢.

(٢) مجاز القرآن ١/ ٣٧٦، ٣٧٧.

(٣) الفاخر لأبي طالب المفضل بن سلمة ٢٧٧، ٢٧٨.

فـلا يلتقي همزتـان. وزعموا أن ابن أبي إسحـاق كان يحقق الهمـزتين وأناس معه ،قال سيبويه: وهي رديئة [1]

٩ ــ في الصرف وعدم الصرف

قال الزجاجيّ :

لمـا دخـل الكسـائي البصـرة أول دخلة جلس في حلقــة يـونس ينتــظر خـروجه، فسـألـه ابن أبي عيينـة عن «أولق» ينصـرف أو لا ينصـرف فقــال: أولق أفعـل لا ينصــرف.

قال ابن عيينـة : خطأ والله .

وخـرج يونس فسئـل عن أولق، فقال : هـو فـوعـل، وليس بـأفعل،لأن الهمـزة فاء الفعـل، لأنك تقـول : رجل مـألوق فتثبت الهمزة، وكـذلـك أرنب ينصـرف لأنه فـوعـل لأنـك تقـول : أرض مؤرنبـة، فتثبت الهمـزة والمـألـوق: المجنون [2].

بعد هذا العرض للظواهر الصرفية التي عـالجها يـونس بن حبيب نستطيـع أن نقول : إن يونس تناول هذه الـظواهر في ضـوء الدراسـة والبحث، ورائده في هذه الدراسة :

١ ــ السماع من العرب كظاهـرة القلب في أرخ وورخ [3].

٢ ـ وليـونس مـذهب خـاص في رد المحـذوف في التصغيــر وقـد أخــذ بمذهبه أبو عثمان المازني لأن له وجهاً من القياس كما بينه ابن جني .

٣ ــ ويونس يحتج لبعض الـظواهر الصـرفية بـالشعر ليقـوي رأيه ويـدعم رأيه .

---

(١) شرح شافية ابن الحاجب ٣: ٢٣٦ .

(٢) مجالس العلماء للزجاجي ٢٥٤ .

(٣) انظر ٣١٩.

٤ ــ وقد فتحت هذه الدراسات الصرفية باب النقاش والمحاورة لدى النحاة المتأخرين.

ــ ففي ظاهرة حذف الهمزة نرى ابن جني يفتح باب الحوار في «المنصف» عن طريق السؤال والجواب ثم ينتهي بعد عرض الأمثلة المؤيدة إلى تقوية هذا الحذف عند يونس.

ــ وفي ظاهرة النسب إلى بنت وأخت نجد ابن جني أيضاً يفتح باب المناقشة بين رأي يونس وبين رأي سيبويه، وبعد مناقشة الرأيين يتجنب الحكم على هذين الرأيين وأيهما الصواب ؟.

وإن كان يميل إلى رأي يونس حيث يقول: «وإن كان لقول يونس أصول تجتذبه وتسوّغه» (١) .

ــ ونرى هذا الخلاف أيضاً بين يونس وسيبويه في النصب إلى مائة، ويوفق ابن جني بين الرأيين، ويبين أن اللفظين متفقان من أصلين مختلفين.

ــ وكما فتح ابن جنيّ باب الحوار بين سيبويه ويونس كذلك فتح هذا الباب بين الخليل ويونس، مبيناً مذهبهما في زيادة أحد المثلين، ويؤيد ابن جني مذهب يونس لأن استاذه أبا علي كان يتجه إليه، ويميل إلى الأخذ به.

٥ ــ ويونس له يصر بأصول الكلمات والرجوع إلى المشتقات لتوضيح هذه الأصول، وفي ضوئها يقرر قاعدته، ويبني حكمه والمثال على ذلك: حينما سئل عن أولق هل يمنع من الصرف لأنه على وزن أفعل؟ فقال: هو فوعل وليس بأفعل، لأن الهمزة فاء الفعل لأنك تقول رجل مألوق فتثبت الهمزة.

---

(١) انظر ٣٢٣ .

ثانياً: الدراسات النحوية

لأستاذنا الفاضل الدكتور شوقي ضيف رأي في نحو يونس، وذلك لأنه نظر في كتاب سيبويه ليعثر على آراء يونس التي احتواها «الكتاب» فرأى أن «سيبويه - على ما يبدو - لم كن يعجب بتلك الآراء، وكان الخليل قد استولى عليه، فلم يكد يترك فيه بقية لغيره، وخاصة في قواعد النحو وأقيسته»[1].

وفي موضع آخر يقول بعد أن عرض لآراء يونس التي خالف فيها سيبويه والخليل: «وعلى هذا النحو وقع يونس بعيداً عن تطور نظرية النحو على شاكلة ما انتهت إليه في الكتاب عند سيبويه، والنحاة الذين يوضَعون بحق في تطورها هم ابن أبي إسحاق وعيسى بن عمر، ثم الخليل بن أحمد وسيبويه»[2].

والحقيقة أن رأي الدكتور شوقي فيه نظر ويحتاج إلى نقاش طويل فيونس من كبار النحاة الذين أسهموا في النحو العربي، وتعاونوا على بناء كتاب سيبويه، والنصوص التي ساقها الدكتور شوقي تمثل ناحية الخلاف الفكري فقط بين سيبويه ويونس، اما ناحية الوفاق الفكري، والدفاع عن آراء يونس فهي كثيرة، منتشرة في أبواب الكتاب ومسائله، وسوف نتعرض لها فيها بعد.

ومقدرة يونس في النحو العربي وإسهامه فيه قضية اعترف بها معاصروه فإنكارها ظلم للرجل، وإنقاص لقدره.

ومن معاصريه وتلاميذه أبو عبيدة وأبو زيد ، أما أبو عبيدة فقد

---

(١) المدارس النحوية ٢٨.

(٢) المرجع نفسه ص ٢٩.

قال عنه: «اختلفت إلى يونس أربعين سنة أملأ كل يوم ألواحي من حفظه».

وأما أبو زيد الأنصاري فقد قال عنه: «جلست إلى يونس بن حبيب عشر سنين وجلس إليه قبلي خلف الأحمر عشرين سنة»(١).

ألا يدل ذلك على أن يونس كان تراثاً لغوياً ونحويًّا استقى منه أعلام عصره وتلاميذه مما كان له أكبر الأثر في تأليف الكتاب حيث استفاد سيبويه من هذا التراث، وظهر جليًّا واضحاً فيما نقله عن يونس.

ومالي أذهب بعيداً وأستاذنا الدكتور شوقي عاود نفسه فيما قال إذ يقول في موضع آخر عن يونس: «وبذلك غدا يونس في نحوه وما وضعه من أقيسه أمة وحده، وتنبه إلى ذلك القدماء فقالوا: «كانت ليونس مذاهب وأقيسة تفرّد بها» (٢).

وتفرد يونس بالقياس أول دليل على أن يونس كان نحويًّا ضليعاً، لأن النحو العربي في معظم قضاياه يقوم على القياس والمنطق.

بعد هذه المقدمة التي دافعت فيها عن يونس في مجال النحو، وأنه في هذا الميدان لا يقل عن الأعلام الذين سبقوه - إن لم يزد - وذلك لصفات ومميزات انفرد بها يونس، وقد ذكرت طرفاً منها فيما سبق سنعرض نحو يونس في ميادينه المختلفة ومجالاته المتعددة، لنثبت أن يونس أسهم في النحو العربي إسهاماً ما بعده إسهام من ناحية، وقد اعتمد سيبويه على كثير من آرائه في بناء كتابه من ناحية أخرى.

---

(١) معجم الأدباء ٢٠ : ٦٥.

(٢) المدارس النحوية ٢٨.

منهج يونس في الدراسات النحوية

أ ــ في مجال القرآن والقراءات

١ ــ اختــلاف اللّغــات

ــ ﴿ ممّا في بُطونـه ﴾ [١].

في تناول يـونس للظواهـر النحـويـة في القـرآن الكـريم والقـراءات نـراه يعتمد أحياناً على اختلاف اللغات في تفسير هذه الظواهر ، يقول مكي :

«الهاء تعود على (الأنعـام) لأنها تـذكر وتؤنث، يقـال، هو الأنعـام، وهي الأنعـام، فجـرى هـذا الحـرف على لغـة من يـذكـر، والـذي في سـورة (المؤمـنيـن)[٢] على لـغـة من يـؤنث، حـكى هـذا عـن يـونس بن حـبيـب البصري»[٣].

* * *

ب ــ الحمل على المعنى

ــ ﴿ماذا أنزل ربكم قالوا أساطير الأولين﴾[٤].

قد يأتي الجواب على اللفظ ويعدل بـه الى المعنى، وقد مثـل الزجـاجي

(١) النحل :٦٦.

(٢) المؤمنـون ٢١ وهي : ﴿وإن لكم في الأنعـام لعبـرة نسقيكم ممـا في بطونها﴾ .

(٣) مشكل إعراب للقرآن ١٧ .

(٤) النحل : ٢٤ .

لذلك يقول الشاعر:

وقال القائلون: لمن حَفَرْتم   فقال المخبرون لهم: وزيرُ

فرفع، وكان سبيله أن يقول: لوزير، ولكنه حمل الكلام على المعنى فكأنه قال: المحفور له وزير.

قال يونس بن حبيب: ومثله قول الله عز وجل: ﴿ وإذا قيل لهم ماذا أنزل ربكم قالوا: أساطير الأولين﴾ لأنهم لم يقرّوا أن الله أنزله. فعدلوا عن الجواب عنه فقالوا أساطير الأولين. تقديره: هذه أساطير الأولين. ألا ترى أن المُقِرِّين نصبوا الجواب فقالوا:

«وقيل للذين اتقوا: ماذا أنزل ربكم قالوا خيراً»[1] حملوا الجواب على اللفظ كأنهم قالوا: أنزل خيراً.

وقد يجوز رفع مثل هذا في الكلام، وإن ثبتت به قراءة كان وجهاً جيّداً»[2].

* * *

جـ ـ ترك الإخبار عن الأول وتحويل الخبر إلى الثاني

هذه الظاهرة رواها يونس عن أبي عمرو في قوله تعالى:

﴿فظلت أعناقهم لها خاضعين﴾[3] وقد استدل يونس لهذه الظاهرة بالشعر العربي ليؤيد تفسير أبي عمرو، وتأويله النحوي.

قال أبو عبيدة: «زعم يونس عن أبي عمرو: أن (خاضعين) ليس من صفة (الأعناق) وإنما هي من صفة الكناية عن القوم التي في آخر (الأعناق)

---

(١) النحل: ٣٠.

(٢) اللامات ٤٩، ٥٠.

(٣) الشعراء: ٤.

فكأنه في التمثيل: فظلت أعناق القوم في موضع (هم) والعرب قد تترك الخبر عن الأول، وتجعل الخبر للآخر منهما. قال:

طوال الليالي أسرعت في نقضي طوين طولي، وطوين عرضي

فترك طول الليالي، وحوّل الخبر إلى الليالي، فقال: أسرعت، ثم قال: طوين، وقال جرير:

رأتْ مرّ السنين أخذن مني كما أخذ السّرار من الهلال

رجع إلى السنين، وترك (مر)، وقال الفرزدق:

نرى أرباقهم متقلديها إذا صدىء الحديد على الكماة

فلم يجعل الخبر للأرباق، ولكنه جعله للذين في آخرها من كفايتهم، ولو كان للأرباق لقال (متقلدات) ولكن مجازه: «تراهم متقلدين أرباقهم»[1].

د ـ في إنابة الحروف بعضها عن بعض

ـ ﴿ينظرون من طرف خفي﴾[2].

قال يونس: أي بطرف خفيّ، كما تقول العرب: ضربته من السيف أي بالسيف»[3]. ويعلل الزركشي لقيام (مِن)، مقام (الباء) بقوله: «وإنما قال: (من طرف) لأنه لا يصح عنه، وإنما نظره ببعضها، وجعل منه ابن أبان ﴿يحفظونه من أمر الله﴾ [4] أي بأمر الله.

وقوله: ﴿من كُلّ أمر. سلام[5]﴾[6].

* * *

(١) المجاز ٢: ٨٤.

(٢) الشورى: ٤٥.

(٣) الجني الداني ٣١٤.

(٤) الرعد: ١١.

(٥) القدر: ٤، ٥.

(٦) البرهان في علوم القرآن ٤: ٤٢٠.

هـ ـ في إعراب أوائل السور

ليونس رأي في إعراب أوائل السور، فقد قال في قول الكميت:

وجدنا لكم في آل حاميم آية   تأولها منا تقي ومعرب

قال: «ومن قال هذا القول فهو منكسر عليه، لأن السورة حمٓ ساكنة الحروف، فخرجت مخرج التهجي، وهذه أسماء سور خرجن متحركات، وإذا سميت سورة بشيء من هذه الأحرف المجزومة دخله الإعراب»(١).

* * *

و ـ في القراءات

١ ـ النصب على التعظيم أو المدح:

قال سيبويه: «وأما الصفة فإن كثيراً من العرب يجعلونه صفة فيُتبعونه الأول فيقولون: أهل الحَمْد والحميد هو(٢) وكذلك الحمد لله أهلِهِ، وإن شئت جررت وإن شئت نصبت، وإن شئت ابتدأت» ـ ثم قال سيبويه «وسمعنا بعض العرب يقول: «الحمد لله ربَّ العالمين» (بنصب رب) فسألت عنها يونس، فزعم أنها عربيّة»(٣).

ويؤيد سيبويه هذا النصب بقراءة قرآنية في آية أخرى فيقول:

«ومثل ذلك قول الله عز وجل: ﴿لكن الراسخون في العلم منهم والمؤمنون يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك والمقيمين الصلاة والمؤتون الزكاة﴾(٤)فلو كان كله رفعاً كان جيّداً»(٥).

---

(١) مجاز القرآن ٢: ١٩٣ ـ ١٩٤.

(٢) في قولهم الحمد لله اهل الحمد.

(٣) الكتاب ٢: ٦٢ (هارون).

(٤) النساء: ١٦٢.

(٥) الكتاب ٢: ٦٣. (هارون).

وتمثيل سيبويه بهذه الآية شاهد على صحة ما قاله يونس حيث نصب (رب) من قوله تعالى: « الحمد لله رب العالمين ».

وذلك ان القراء السبعة قرأوا (والمقيمين) بالياء، وهي قراءة لا غبار عليها من الوجهة النحوية لأن يونس زعم أنها عربية.

وقد أيد سيبويه هذه القراءة السبعية بالشعر العربي إذ قال:

ونظير هذا النصب من الشعر قول الخِرْنق:

لا يبعدن قومي الذين هم سمّ العداة وآفة الجزر
النازلين بكل مُعْترك والطّيبّون معاقد الأزر

فرفع (الطيبين) كرفع (المؤتين)[1].

* * *

٢ ـ في العطف على الضمير المخفوض من دون إعادة الخافض:

في قوله تعالى: ﴿وصد عن سبيل الله وكفر به والمسجد الحرام﴾[2]

تناول (السفاقسي) في كتابه (المجيد في إعراب القرآن المجيد)[3] هذه القراءة جرّ (المسجد الحرام) فقال:

«قال الحوفي: «والمسجد» قراءة الجمهور بالخفض، فقال المبرد وتبعه ابن عطيّة والزمخشري معطوف على سبيل الله.

ورد بأنه حينئذ يكون متعلّقاً بـ(صد) أي وصد عن سبيل الله وعن المسجد، فيلزم الفصل بين المصدر وهو (صدّ) وبين معموله وهو (المسجد) بأجنبي وهو (كفر به)، ولا يجوز.

---

(١) الكتاب ٢: ٦٤ هارون.

(٢) البقرة: ٢١٧.

(٣) مخطوط رقم ٣١٦. تفسير دار الكتب المصرية

وقيل: معطوف على (الشهر الحرام) أي يسألونك عن الشهر الحرام وعن المسجد الحرام.

وضعف بأنهم لم يسألوا عن الشهر الحرام، إذ لم يشكّوا في تعظيمه، وإنما سألوا عن القتال في المسجد الحرام، لأنه وقع منهم، ولم يشعروا بدخوله، فخافوا من الإثم.

وقال أبو البقاء: متعلّق بفعل محذوف دلّ عليه (الصد) أي ويصدون عن المسجد.

ورد بأن فيه بقاء الجر مع حذف الحرف وهو (عن) ولا يجوز إلا ضرورة كقوله:

* أشارت كليبٍ بالأكف الأصابعُ *

* * *

أي إلى كليب:

وقيل: معطوف على ضمير (به) أي وكفر به وبالمسجد.

وردّ بأن فيه العطف على الضمير المجرور من غير إعادة الجار، ولا يجوز عند البصريين، وفي العطف عليه مذاهب:

إحداها: أنه لا يجوز إلا بإعادة الجار إلا في الضرورة، وعليه جمهور البصريين.

الثاني أنه يجوز في الكلام وقال به الكوفيون ويونس.

الثالث: أنه يجوز في الكلام إن أكد الضمير نحو: «مررت بك نفسك وزيد، وإلا فلا، وقال به الجرمي»[1].

وجواز هذا العطف عند الكوفيين ويونس أسلوب عربي سليم وله من الشواهد العربية ما يؤيده ويقويه.

---

(١) المجيد في اعراب القرآن المجيد ورقة ٥٥.

فمن النثر ما روي من قول العرب، «ما فيها غيره وفرسه».

ومن الشعر قوله:

نعلّق في مثل السواري سيوفنا ... وما بينها والكعبِ غَوْطٌ نفانفُ

أي وبين الكعب.

وقوله:

إذا أوقدوا ناراً لحرب عدوهمْ ... فقد خاب من يصلى بها وسعيرِها

أي وبسعيرها[1].

* * *

٣ ـ في أي الموصلة

﴿أيهم أشد على الرحمن عتيًّا﴾[2].

حدثنا هارون الأعور أن ناساً وهم الكوفيون ينصبون (أيّهم) لتعمل فيها (لنزعن)، وقال سيبويه عن هذه القراءة: هي لغة جيدة، نصبوها كما جرّوها حين قالوا: امرُر على أيّهم أفضل، فأجراها هؤلاء مجرى الذين إذا قلت: «اضرب الذي أفضل، لأنك تنزل (أيّا) ومَنْ منزلة الذي في غير الجزاء والاستفهام»[3].

وقرأ غير هؤلاء برفع (أيهم).

وظاهرة الرفع اختلف فيها النحاة الأوائل، فالرفع في (أيّهم) عند الخليل على الحكاية.. فهو ابتداء، وخبره (أشد) تقديره: ثم لننزعن من كل شيعة الذي من أجل عتوه يقال:

---

(١) المجيد في إعراب القرآن المجيد ورقة ٥٥.

(٢) مريم: ٦٩.

(٣) الكتاب ٢: ٣٩٩ (هارون).

أيّ هؤلاء أشد عتياً. وهو كقول الشاعر:

* فأبيت لا حرِجٌ ولا محروم *

أي بمنزلة الذي يقال له: لا حرج ولا محروم.

قال مكي: ومن جعله حكاية جعل الجملة المحكية خبر (بات) والهاء في (له) المقدرة عائدة عليه.

والرفع عند يونس بالابتداء لا على الحكاية، وتعلّق الفعل وهو (لننزعَنّ) فلا يعمله في اللفظ.

وعند سيبويه (أيّ) مبنية على الضم، لأنها عنده بمنزلة (الذي) و(ما)، لكن خالفتهما في جواز الإضافة فيها، فأعربت لما جاز فيها الإضافة، فلما حذف من صلتها، ما يعود عليها لم تقو، فرجعت إلى أصلها وهو البناء كـ(الذي) و(ما) ولو أظهرت الضمير لم يجز البناء عنده.

وتقدير الكلام عنده: «ثم لننزعنّ من كل شيعة أيهم هو أشد كما تقول: لننزعنّ الذي هو أشد»[1] .

* * *

٤ ـ في القراءات الشاذة

﴿ هؤلاء بناتي هن أطهرَ لكم﴾ [2] .

قراءة النصب لا يؤيدها يونس وينكرها، لأنه زعم أن أبا عمرو رآه لحناً، وقال: احتبى ابن مروان في ذه باللحن[3].

ومعنى هذا أن يونس كان يتوقف إزاء القراءات التي تخرج عن الأصول

---

(١) مشكل إعراب القرآن ١: ٦٠، ٦١.

(٢) هود: ٧٨.

(٣) الكتاب ٢: ٣٩٦، ٣٩٧ (هارون).

النحوية على الرغم من أن هذه القراءة قراءة أهل المدينة وقرأ بها «الحسن، وزيد بن علي، وسعيد بن جبير، ومحمد بن مروان السدي. والحسن مولى الأنصار مدني، وزيد بن علي بن الحسين مدني، وعيسى بن عمر «ثقفي»، وسعيد بن جبير من أزد قريش، أما محمد بن مروان فكوفي» (١) وقد قدمت سابقاً أن ابن جني في المحتسب دافع عن هذه القراءة وبين أنها غير خارجة عن الأصول العربية.

ولست أدري لم وقف أبو عمرو وتلميذه يونس من هذه القراءة مع علمهم أن معظم قرائها من أهل المدينة؟.

ز ـ التأويل والتخريج

يونس لا يرى لغة (أكلوني البراغيث) فعلى الرغم من أن هذه اللغة وردت في كلام العرب نثراً وشعراً، فإن يونس كان لا يعتد بها في مجال القرآن الكريم.

أما ورودها في كلام العرب فاستمع إلى ما يقوله سيبويه:

« واعلم أنّ من العرب من يقول: ضربوني قومُك، وضرباني أخواك، فشبهوا هذا بالتاء التي يظهرونها في (قالت فلانة) وكأنهم أرادوا أن يجعلوا للجمع علامة كما جعلوا للمؤنث، وهي قليلة، وقال الشاعر وهو الفرزدق:

ولكن ديافِيٌّ أبوه وأمه ... بحوران يَعْصِرن السليط أقاربه » (٢)

وأما تأويل يونس وتخريجه لما ورد من ذلك في القرآن الكريم ليبعد هذه اللغة عن لغة القرآن فاستمع إلى ما قاله سيبويه أيضاً:

«وأما قوله جل ثناؤه ﴿وأسرّوا النّجوى الذين ظلموا﴾(٣) فإنما يجيء على

---

(١) هامش الكتاب للمحقق ٣: ٣٩٦ (هارون).

(٢) الكتاب ٢: ٤٠.

(٣) الأنبياء: ٣.

البدل،وكأنه قال: انطلقوا، فقيل له: مَنْ، فقال: بنو فلان فقوله جل وعز: ﴿وأسرُّوا النجوى الذين ظلموا﴾ على هذا فيما زعم يونس»[1].

* * *

ح ـ وضع الجمع موضع المثنى

قال سيبويه: زعم يونس: أنهم يقولون: ضع رِحالهما وغلمانهما، وإنما هما اثنان.

قال الله عز وجل: ﴿وهل أتاك نبأ الخصم إذْ تسوروا المحراب. إذ دخلوا على داود ففزع منهم قالوا لا تخف خصمان﴾[2].

وقال: ﴿كلاّ فاذهبا بآياتنا إنا معكم مستمعون﴾[3] [4].

ط ـ في الوقف

ـ ﴿ هُوَ جَازٍ﴾[5] .

قال مكي: مذهب سيبويه والخليل أن تقف على (جاز) ونظيره بغير ياء ليعرف انه كان في الوصل كذلك.

وحكى يونس أن بعض العرب تقف بالياء لزوال التنوين الذي من أجله حذفت الياء[6].

وبعد، فأكتفي بهذا القدر من نحو يونس في الميدان القرآني، وقد عرفنا من هذه النصوص التي سقناها ان ليونس آراء، واتجاهات، وكانت آراؤه واتجاهاته تعتمد على معرفته الكاملة باللغة من حيث الاختلاف في

---

(١) الكتاب ٢ : ٤١ .

(٢) ص ٢١، ٢٢ .

(٣) الشعراء: ١٥ .

(٤) الكتاب ٣: ٦٢٢ .

(٥) لقمان: ٣٣ .

(٦) مشكل إعراب القرآن ٢ : ١٨٥ .

اللهجات ومن حيث استيعاب كلام العرب، ومن حيث معرفته بمواقع الكلمات، ومن حيث مقدرته على التخريج والتأويل حينما تغيب القاعدة، ويضعف القياس.

* * *

٢ - في الشواهد الشعرية

صلة يونس بالشعر العربي صلة مبكرة بدأت منذ الصغر وقد تحدث يونس نفسه عن هذه الصلة فقال: «أرسلني أبي الى رؤبة أسأله كيف ينشد هذا البيت:

ابني لبيني لستم بيد   إلّا يد ليست لها عضد

أم يداً؟ فقال: «كيف شئت»(١).

ولما نضج يونس في ميدان اللغو والنحو، والأدب والرواية كانت له حلقة مشهورة يفد اليها الشعراء ليعرضوا أشعارهم على يونس، ومن هؤلاء الشعراء مروان بن أبي حفصة الذي قال له:

«إني أرى أقواماً يقولون الشعر، لأن يكشف أحدهم عن سوءته، فيمشي في لطريق أحسن به من أن يظهر مثل ذلك الشعر، وقد قلت شعراً أعرضه عليك، فإن كان جيداً أظهرته، وإن كان رديئاً سترته وأنشده:

* طرقتك زائره فحيّ خيالها *

قال: فقال له: «يا هذا اذهب فاظهر هذا الشعر فأنت والله أشعر من الأعشى»(٢).

وكما قلت سابقاً: إن يونس كان ناقداً للشعر يعرف جيده ويميز

---

(١) شرح ما وقع فيه التصحيف ٣٦٣.
(٢) الموشح ٧٤.

محاسنه، ويدرك معانيه فعندما قال جرير:

ما زلت تحسب كل شيء بعدهم   خيلاً تشدّ عليكم ورجالاً

قال يونس: أخذ هذا المعنى من قول الله: ﴿يحسبون كل صيحة عليهم هم العدو[1]﴾[2].

وعندما قال الأحنف بن قيس:

أنا ابن الزامرية أرضعتني   بثَدْيٍ لا أجُدّ ولا وخيم

أتمتني فلم تنقص عظامي   ولا صوتي إذا جدّ الخصوم

قال يونس إنما عنى بقوله (عظامي): «أسنانه التي في فمه، وهي التي إذا تمت تمت الحروف، وإذا نقصت نقصت الحروف»[3].

ومواقع الكلمات في الشعر من الوجهة الإعرابية كان يونس خبيراً بها ملمًّا بأسرارها التي لا يعرفها إلا قليل ممن خبروا اللغة، وتعمقوا في التراكيب الشعرية، وقد حملته هذه المعرفة إلى أن يسأل شيخ الكوفة الكسائي في بعض هذه التراكيب ليعرف قدره، ويكشف مكانته في مضمار الدراسة النحوية.

ذكر ذلك القفطي فقال: «اجتاز الكسائي بحلقة يونس بالبصرة ـ وكان شخص مع المهدي إليها ـ فاستند إلى اسطوانة تقرب من حلقته، فعرف يونس مكانه فقال: ما تقول في قول الفرزدق:

غداة أحلت لابن أصرم طعنة   حصين عبيطات السدائف والخمر

على أي شيء رفع (الخمر): فأجاب الكسائي، فقال يونس: أشهد أن الذين رأسوك رأسوك باستحقاق[5].

---

(١) المنافقون: ٤.

(٢) الحيوان ٥: ٥٤٠.

(٣) البيان والتبيين ١: ٥٩.

(٤) إنباه الرواة ٢: ٣٦٥.

نماذج من الشواهد الشعرية في بناء القواعد النحوية

١ ـ ما يرتفع من الظروف المكانية:

قال سيبويه: «وأما قول العرب: أنت مني مرأى ومَسْمَعٌ، فإنما رفعوه، لأنهم جعلوه هو الأول، حتى صار بمنزلة قولهم: أنت مني قريبٌ، وزعم يونس أن ناساً من العرب يقولون:

أَنُصْبٌ للمنيّة تعتريهم   رجالي أم هُمُ دَرَج السُّيولِ

فجعلهم هم الدّرج، كما تقول: زيد قصدُك إذا جعلت القصد زيداً، وكما يجوز لك أن تقول عبد الله خلفُك إذا جعلته هو الخَلْف» (١).

٢ ـ في إضمار الفعل:

قال سيبويه: «وذلك قولك: الناس مجزيّون بأعمالهم إن خيراً فخير، وإن شراً فشر». ثم قال: «وإن شئت أظهرت الفعل فقلت: وإن كان شراً فشر».

ويرى سيبويه أن اضمار الناصب أحسن من إضمار الرافع، «لأنك إذا أضمرت الرافع أضمرت له أيضاً خبراً أو شيئاً يكون في موضع خبره، فكلما كثر الإضمار كان أضعف».

---

(١) الكتاب ١: ٤١٥، ٤١٦ (هارون).

وليس إضمار الرافع عند سيبويه خطأ في العربية لأنه قال:

«وإن أضمرت الرافع كما أضمرت الناصب فهو عربي حسن، وذلك قولك: إن خيرٌ فخيرٌ وإن خنجرٌ فخنجرٌ كأنه قال: إن كان معه خنجرٌ حيث قتل فالذي يقتل به خنجر، وإن كان في أعمالهم خير فالذي يجزون به خير.

ويجوز أن تجعل إنْ كان خير على: إنْ وقع خير، كأنه قال: إن كان خير فالذي يجزون به خير.

وزعم يونس أن العرب تنشد هذا البيت لهُدبة بن خَشْرم.

فإن تكُ في أموالنا لا نضِقْ بها ذراعاً وإن صبرٌ فنصبر للصبر

والنصب فيه جيد بالغ على التفسير الأول، والرفع على قوله: وإن وقع صبر أو إن كان فينا صبر فإنا نصبر[1].

٣ ـ تذكير الحروف وتأنيثها

قال سيبويه: فالعرب تختلف فيها، يؤنثها بعض، ويذكّرها بعض، كما أن اللسان يذكر ويؤنث، زعم ذلك يونس وأنشدنا قول الراجز:

* كافاً وميمين وسيناً طاسما *

فذكّر ولم يقل: طاسمة. وقال الراعي:

* كما بُيِّنَتْ كافٌ تلوح وميمُها *

فقال: «بيِّنت فأنث»[2].

* * *

---

(١) الكتاب ١: ٢٥٨ ـ ٢٦٠ (هارون).

(٢) الكتاب ٣: ٢٥٩، ٢٦٠ (هارون).

٤ ــ ما جاء على الأصل

قال سيبويه: «وسألناه عن بيت أنشدنا يونس:

قَـد عجبتْ منّي ومن يُـعَيْـلِيـا ... لـمـا رأتنِـي خَـلَقـاً مُـقْـلولِـيـا

فقال: هذا بمنزلة قوله:

* ولكن عبد الله مولى مواليا *

وكما قال:

* سماء الإلّه فوق سبع سمائيا *

فجاء به على الأصل»[1].

٥ ــ جواز الترخيم في غير النداء

قال سيبويه: «الترخيم يجوز في الشعر في غير النداء فلما رخّم جعل الاسم ليس فيه هاء[2] وقال رؤبة:

إمّـا تـرَيْـني الـيـوم أمّ حَـمْـزِ ... قـاربْـتُ بيـن عَنَـقِي وجَـمْـزي

وإنما أراد أم حمـزة.

وأما قـول ذي الرمـة:

ديـارَ ميّـة إذ ميّ تـسـاعفـنـا ... ولا يَـرى مثلَهـا عُجْم ولا عـربُ

فزعم يونس أنه كان يسميها مرة ميّة ومرة ميًّا، ويجعل كل واحد من الاسمين اسماً لها في النداء، وفي غيره.

وعلى هذا المثال قال بعض العرب إذا رخموا: يا طلحُ، ويا عنترُ.

وقد يكون قولهم «يدعون عنترُ» بمنزلة مَيّ لأن ناساً من العرب يسمونه عنتراً في كل موضع ويكون أن تجعله بمنزلة

---

(١) الكتاب ٣: ٣١٤، ٣١٥.

(٢) يقصد البيت الذي قبل هذا النص وهو: * يدعون عنتر والرماح كأنها * الخ..

(ميّ) بعدما حذفتَ منه؛ وقد يكون ميّ أيضاً كذلك يجعلها بمنزلة ما ليس فيه هاء بعدما تحذف الهاء»[1].

* * *

٦ ـ رفع بعض المصادر المتروك إظهار فعلها

قال سيبويه: في باب ما ينتصب على إضمار الفعل المتروك إظهاره.

«وقد جاء بعض هذا رفعاً يبتدأ، ثم يبنى عليه.

وزعم يونس أن رؤبة بن العجاج كان ينشد هذا البيت رفعاً، وهو لبعض مَذْحِج:

عَجَبٌ لتلك قضية وإقامتي ... فيكم على تلك القضية أعجب[2]

٧ ـ في المصادر

في باب ما يختار فيه الرفع اذا ذكرتَ المصدر الذي يكون علاجاً.

قال سيبويه: «ومثل ذلك: له صوت أيّما صوت...».

فكأنك قلت: له صوت حسن جدًا، فالرفع في هذا أحسن،لأنك ذكرت اسماً يحسن أن يكون هذا الكلام منه يحمل عليه كقولك... هذا رجل حسن، وهذا رجل أيّما رجل... وإن قلت: له صوت أيّما صوت، أوله صوت صوتاً حسناً، جاز، زعم ذلك الخليلَ رحمه الله.

ويقوي ذلك أن يونس وعيسى جميعاً زعما أن رؤبة كان ينشد هذا البيت نصباً:

* فيها ازدهافٌ أيّما ازدهافِ *[2]

* * *

(١) الكتاب ٢: ٢٤٧، ٢٤٨. (هارون).

(٢) الكتاب ٣١٨/١ ـ ٣١٩.

(٣) الكتاب ١: ٣٦٣، ٣٦٤ بتصرف (هارون).

٨ ـ ما ينتصب على التعظيم والمدح :

أ ـ قال سيبويه بعد أن عرض لبعض الأمثلة من القرآن الكريم وكلام العرب: «ونظير هذا في النصب من الشعر قوله الخرنق:

لا يبعدَنْ قومي الذين هم سم العداة وآفة الجُزُر
النازلين بكل معترك والطيبون معا قد الأزر

ثم قال: وزعم يونس أن من العرب من يقول: النازلون بكل معترك والطيبين»[1].

* * *

ب ـ ومن ذلك قول سيبويه: وزعم يونس انه سمع رؤبة يقول:

أنا ابن سعدٍ أكرم السّعدينا

نصبه على الفَخْـر[2].

* * *

٩ ـ النصب على الاختصاص:

قال سيبويه: وسألت الخليل رحمه الله ويونس عن نضب قول الصَّلَتان العبديّ:

يا شاعراً لا شاعر اليوم مثلَه جريرٌ ولكنْ في كليب تواضُعُ

فزعما أنه غير منادى، وإنما انتصب على إضمار كأنه قال:

«يا قائل الشعر شاعراً، وفيه معنى حسبك به شاعراً»[3].

---

(١) الكتاب ٢ : ٦٤، ٦٥.
(٢) الكتاب: ٢ : ١٥٣.
(٣) الكتاب ٢ : ٢٣٧.

١٠ ــ نصب خبر «ما» مع دخول إلاّ عليه:

قـال السيوطي: جـوز يونس والشلوبين النصب مـع إلاّ مطلقـاً لوروده في قوله:

ومـا الـدهــر إلا مَنْجَنونــاً بـأهله وما صاحب الحـاجات إلا معـذباً

وقوله:

ومــا حـق الـــذي يعشــو نهــاراً ويـســرق ليلَـه إلا نَكـالا [١]

١١ ــ توجيه شاهد مشكل:

قال النابغة:

أقـارعُ عَـوْفٍ لا أُحـاول غيـرهــا وجــوهَ قــرود تبتـغي مَـن تُجــادع

قـال الرمـاني: توجيـه إعرابـه:أنـه نصب (وجـوهـاً) على الشتم بـإضمـار (أعني) وهـو فعل لا يـظهر إلى اللفظ بحال، لأنـه لا يقصد بـه ان يعرفـك مـا تنكـره، وليس عندك، ولكنـه شتمه بـذلك، وأخبرك بما أنت بـه عالم. ومثله قوله سبحـانه: ﴿وامـرأته حمـالةَ الحـطب﴾[٢]فنصب حمالـة في قراءة عـاصم على الشتم والـذم، كأنـه يريـد: اذكر حمـالـة الحـطب، أو (أعني)، أو نحـو ذلك، ومثلــه قول عروة الصعاليــك:

سقــوني الخمــر ثم تكـنفــوني عــداة الله مــن كــذب وزور

فنصب (عداة) على (اذكر) أو(أعني)أو (أقصـد) ونحو ذلـك مما يرتّـب له الشيء بعينه شتماً له وذمًّا، وكذلك المدح والترحم على هذا.

وزعم يـونس بن حبيب أنك لـو شئت رفعت مـا نصبتـه على أن تضمـر في نفسـك شيئاً لـو أظهرتـه لم يكن ما بعـده إلا رفعـاً كـأنـك قلت: «لهم وجـوه

(١) الهمع ٢: ١١١ تحقيق المؤلف.

(٢) المسـد/ ٤.

قرود» و«هم عداة الله» كما قال الآخر:

إذا لقي الأعـداء كـان خَـلاتَهُمْ   وكلبٌ على الأعداء والجار نـابح

أي وهو كلب[1].

١٢ ـ ألا للتمـني:

قال الهروي: «تكون استفهامـاً كقولـك: ألا تخرج؟ ألا تقوم؟ ألا رجلَ في الدار؟ ألا مالَ لك؟.

قال حسان بن ثابت:

حارِ بنَ كعب ألا أحلام تزجُرُكُم   عنّا وأنتم من الجُوف الجماخير»[2].

وتكـون تمنيًّا كقولـك: «ألا ماء أشـربـه» «ألا طعـام آكله» وينصب مـا بعـد ألا في الاستفهام، وفي التمني بـلا تنـوين كمـا تفعـل ذلـك بعـد (لا) في النفي في قولك: لا مال لزيد، فأما قول الشاعر:

ألا رجلاً جزاه الله خيراً   يدلّ على مُحَصِّلةٍ تبيتُ

فزعم الخليل ـ رحمه الله ـ أنه ليس منصوباً بألاَ على التمني.

وإنمـا هو منصـوب بإضمـار فعل، أراد: ألا أجـد رجلاً، ألا تُرونني رجلاً فلذلك نوّن.

وقال يونس والأخفش: إنه تمنّ، ولكنه نون مضطراً كما قيل:

* سلام الله يا مطر عليها *

فنون النداء المفرد العلم اضطراراً[3].

---

(١) توجيه إعراب أبيات ملغزة ١٩٧، ١٩٨ وانظر الكتاب ٢: ٦٨.

(٢) في هامش التحقيق الجوف: جمع أجوف وهـو الذي لا رأي لـه ولا حزم وواحد الجماخير: جمخور، وهو الضعيف العقل.

(٣) الأزهية ١٧٢، ١٧٣.

٣ ـ في الشواهد النثرية

وإلى جانب هذه الشواهد الشعرية كانت هناك شواهد نثرية استخدمها يونس في بناء القواعد، وتقرير الأساليب، وسلامة العبارات.

وفي ضوء هذا الاستخدام العربيّ لهذه التراكيب بنى سيبويه كتابه وشيد بناءه، فكثير من الأساليب النثرية التي رواها سيبويه عن يونس كانت دعامة في بناء النحو العربي.

والنصوص التي سمعها يونس كان ينسبها إلى العرب.

ومجموعة من هذه النصوص سمعها من رؤبة، لأن رؤبة كما قلنا سابقاً كان يعتز به يونس، وكان مصدراً من المصادر التي استقى منها يونس العربية.

وقبل أن نعرض نماذج لهذه النصوص التي سمعها من العرب نعرض بعض النصوص التي سمعها من رؤبة ورواها عنه.

* * *

نصوص نثرية رويت عن رؤبة

١ ـ في التذكير والتأنيث

أ ـ قال سيبويه: «ومثل قولهم (من كان أخاك) قول العرب: (ماجاءتْ حاجتَكَ) كأنه قال: ما صارت حاجتَك، ولكنه أدخل التأنيث على (ما) حيث كانت الحاجة، كما قال بعض العرب: (من كانت أمُّك) حيث أوقع (مَنْ) على مؤنث، ثم قال سيبويه: «ومن يقول من العرب: ماجاءت حاجتُك كثير كما يقول: من كانت أمُّك، ولم يقولوا ما جاء حاجتَك كما قالوا: من كان أمَّك، لأنه بمنزلة المثل، فألزموه التّاء.

وزعم يونس أنه سمع رؤبة يقول: ما جاءت حاجتُك فيرفع»[1].

ب ــ زعم يونس عن رؤبة أنه قال (ثلاثُ أنفس) على تأنيث النفس، كما يقال: ثلاث أعين للعين من الناس، وكما قالوا ثلاث أشْخُصٍ في النساء، قال الشاعر، وهو رجل من بني كلاب:

وإن كلاباً هذه عشر أبطُن وأنت بريء من قبائلها العشرِ[2]

٢ ــ في التثنية

قال سيبويه: «وقد يثنّون ما يكون بعضاً لشيء».

زعم يونس أن رؤبة كان يقول: ما أحسن رأسَيْهِما: قال الراجز، وهو خِطام:

ظهراهما مثلُ «ظهور التُّرسيْين» [3]

٣ ــ التفصيل من مسوغات الابتداء بالنكرة

قال ابن هشام:

من المسوغات قولهم: (شهر ثرى، وشهر ترى، وشهر مرعى).

ويرى ابن هشام احتمال (شهر) الأول الخبرية، والتقدير: أشهر الأرض الممطورة شهر ذو ترى أي ذو تراب ندٍ، وشهر ترى فيه الزرع، وشهر ذو مرعى.

ثم قال ابن هشام مستدلاً: قال يونس: قال رؤبة:

«المطر شهر ثرى الخ وهذا دليل على أنه خبر، ولا بد من تقدير مضاف قبل المبتدأ لتصحيح الأخبار عنه بالزمان»[4].

* * *

---

(١) الكتاب ١: ٥٠، ٥١ (هارون).

(٢) الكتاب ٣: ٥٦٥ (هارون).

(٣) الكتاب ٢: ٤٨ (هارون).

(٤) المغني ٢: ٥٢٥ ط بيروت.

نماذج للنصوص نثرية رويت عن العرب

١ ـ حذف المبتدأ:

ـ قال سيبويه: «زعم يونس أن من العرب من يقول عائذ بالله يريد: أنا عائذ بالله، كأنه أمر قد وقع بمنزله: الحمدُ لله وما أشبهه»(١).

* * *

٢ ـ اجراء الأسماء مجرى المصادر:

زعم يونس أن قوماً من العرب يقولون: «أما العبيدَ فذو عبيد، وأما العبدَ فذو عبد، يُجرونه مجرى المصدر سواء» (٢).

٣ ـ تقديم المستثنى على المستثنى منه:

قال سيبويه: «حدثنا يونس أن بعض العرب الموثوق بهم يقولون: مالي إلا أبوكَ أحد، فيجعلون (أحد) بدلاً كما قالوا ما ممرت بمثله أحد، فجعلوه بدلاً»(٣).

٤ ـ في الإضمار الذي جرى مجرى الفعل:

قال سيبويه: «وذلك: إنّ ولعل وليت وأخواتها، ورُويد، ورُويدك، وعليك،وهلمّ، وماأشبه ذلك، فعلامات الإضمار حالهن ها هنا كحالهن في الفعل، ولا تقوى أن تقول: عليك إياه ولا رويد إياه، لأنك قد تقدر على الهاء، تقول: عَلَيْكَهُ ورويدَه ولا تقول: عليك إياي، لأنك قد تقدر على: (نى).

---

(١) الكتاب ٢: ٣٤٧ (هارون).

(٢) الكتاب ١: ٣٨٩ (هارون).

(٣) الكتاب ٢: ٣٣٧.

وحدثنا يونس أنه سمع من العرب من يقول: عَلَيْكَنى من غير تلقين»[1].

* * *

٥ ـ في الحكـايـة:

حـدثنا يـونس: أنا نـاساً يقـولون أبـداً: منَا ومَنِى، وَمَنُـو عينت واحـداً أو اثنين أو جميعاً في الوقف[2].

٦ ـ تجرد (أم) من تـاء التأنيث:

قـال سيبويـه: زعم الخليل رحمـه الله أنـه سمـع من العرب من يقـول: يا أُمَّه لا تفعلي، ويدلـك على أن الهاء بمنـزلة الهـاء في عمّة وخالة: أنـك تقول في الوقت: يا أمّه... كما تقول: يا خالَهْ.

ثم قال سيبويه:

وحـدثنا يـونس أن بعض العرب يقـول: «يا أمَّ لاتفعلي،جعلوا هـذا الهاء بمنزلة (هاء) طَلْحة إذ قالوا: يـا طَلْحَ أقبل، لأنهم رأوهـا متحركـة بمنزلـة هـاء طلحـة فحذفوهـا»[3].

* * *

٧ ـ (لا) وما عملت فيه في موضع ابتداء:

قـال سيبويـه: واعلم أن (لا) وما عملت فيـه في موضـع ابتداء كمـا أنك إذا قلت: هـل من رجل فـالكلام بمنـزلة اسم مـرفوع مبتدأ، وكذلك: مـا من رجل، وما من شيء.

ثم قـال سيبويـه: «وأخبرنـا يونس أن من العـرب من يقول: مـا من رجلٍ

---

(١) الكتاب ٢: ٣٦٠، ٣٦١.

(٢) الكتاب ٢: ٤١٠.

(٣) الكتاب ٢: ٢١١، ٢١٢ . ٢١٣ .

أفضلُ منك، وهل من رجل خيرٌ منك» كأنه قال: «ما رجلٌ أفضلُ منك، وهل رجلٌ خيرٌ منك» (١) .

* * *

٨ ـ وضع الجمع موضع المثنى :

زعم يونس أنهم يقولون: ضع رحالهما وعلمانهما، وإنما هما اثنان: قال الله عز وجل ﴿وهل أتاك نبأ الخصم إذ تسوروا المحراب إذ دخلوا على داود ففزع منهم قالوا لا تخف خصمان﴾(٢).

* * *

٩ ـ عمل لكن مخففة عمل أن :

عند الجمهور إذا خففت الغيثُ لأنه غير مسموع، قال المرادي: «وقد حكى عن يونس انه حكاه عن العرب»(٣).

* * *

من هذه النصوص يتضح لنا أن يونس أقام كثيراً من القواعد النحوية على مسموعات نثرية سمعها من رؤبة أو من العرب.

على ان هناك عبارات وضعت للتمثيل لتوضيح قاعدة أو بيان حكم، وهذا الأمثلة فاضت بها كتب النحو العربي والكثير منها مستمد مما وضعه النحاة الأقدمون أمثال يونس والخليل.

وسنذكر طرفاً من هذه الأمثلة التعليمية عند يونس.

* * *

(١) الكتاب ٢ : ٢٧٥ ـ ٢٧٦ .

(٢) ص: ٢١، ٢٢ وانظر الكتاب ٣ : ٦٢٢ (هارون).

(٣) اي حكى الأعمال ـ انظر الجني الداني ٥٨٦.

٤ ـ الأمثلة التعليمية

لا شك أن هذه الأمثلة التعليمية التي رواها سيبويه عن يونس تدل على أن الرجل كان معلماً، وأن دوره في النحو لم يكن دوراً وضعيفاً يروي الشعر، ويسوق الشواهد ويسجل الظواهر بل كان دوره أكبر من ذلك لأنه يحول القاعدة إلى تطبيق، والنص إلى مثال يحتذى بما ينسج في ضوئه من الاستعمالات اللغوية، وكأنّ يونس بهذه الأمثلة لمس الهدف الكبير من دراسة الظواهر النحوية ليحولها إلى الاستعمال الصحيح، لتؤدي اللغة دورها في طريق الحياة متكاملة البناء، تقوى على الصمود أمام ما يعترض طريقها من صعاب وأشواك.

أما هذه الأمثلة التعلمية فإليك نماذج منها لتكون دليلاً على ما أقول:

نماذج من الأمثلة التعليمية

١ ـ في النعت:

أ ـ قال سيبويه: ومن النعت أيضاً: مررت برجل مثلك فـ(مثلِك) نعت على أنك قلت: هو رجلٌ كما أنك رجل..

ويونس يقول: هذا مثلُك مقبلاً وهذا زيد مِثلَك،إذا قدمه جعله معرفة، وإذا أخره جعله نكرة»[1].

ب ـ وفي موضع آخر يقول:

وزعم يونس أنه يقول: مررت بزيدٍ مِثلِك، إذا أرادوا:

مررت بزيد المعروف بشبهك، فتجعلَ (مثلك) معرفة.

---

(١) الكتاب ١: ٤٢٣.

(٢) الكتاب ١: ٤٢٣.

ويدلك على ذلك قوله: هذا مثلُك قائماً، كأنه قال هذا أخوك قائماً، إلّا حسن الوجه فإنه بمنزلة رجل لا يكون معرفة، وذاك أنه يجوز لك أن تقول:

هذا الحسنُ الوجهِ، فيصير معرفة بالألف واللام، كما يصير الرجل معرفة بالألف واللام ولا يكون معرفة إلا بهما (١).

* * *

٢ ـ ما يجيء على الابتداء، وعلى الصفة والبدل:

قال سيبويه:

ومنه أيضاً: مررت بثلاثة نَفَر: رجلين مسلميْن ورجل كافرٍ جمعت الاسم وفصّلت العدة، ثم نعتّه وفسرته، وإن شئت أجريته مجرى الأول في الابتداء فترفعه، وفي البدل فتجرّه. ثم قال: ولو قلت مررت برجل مسلم وثلاثة رجالٍ مسلمين لم يحسن فيه إلا الجر، لأنك جعلت الكلام اسماً واحداً حتى صار كأنك قلت: مررت بقائم، ومررت برجال مسلمين.

وهذا قول يونس (٢).

* * *

٣ ـ في البـدل:

قال سيبويه: وأمّا مررت برجل فكيف امرأة، فزعم يونس أن الجر خطأ، وقال: وهو بمنزلة (أيـن).

ومن جر هذا فهو ينبغي له أن يقول: ما مررتَ بعبدالله فلِمَ أخيه، وما لقيت

---

(١) الكتاب ١: ٤٢٨.

(٢) الكتاب ١: ٤٣٢، ٤٣٣.

زيداً مرة فكم أبا عمرٍو؟ تريد: فلِمَ مررت بأخيه؟ وفكم لقيتَ أبا عمرو؟[1].

* * *

٤ ـ في إضمار الفعل:

قال يونس: امرر على أيّهم أفضل، إن زيدٍ وإن عمروٍ يعني: إن مررتَ بزيد أو مررت بعمرو.

قال سيبويه: «واعلم أنه لا ينتصب شيء بعد (إنْ) ولا يرتفع إلا بفعل لأن (إنْ) من الحروف التي يبني عليها الفعل وهي (إن) المجازاة، وليست من الحروف التي يبتدأ بعدها الأسماء ليبنى عليها الأسماء، فإنما أراد بقوله: إن زيدٍ، وإن عمروٍ إن مررت بزيد أو مررت بعمرو، فجرى الكلام على فعل آخر، وانجرّ الاسم بالباء، لأنه لا يصل إليه الفعل إلا بالباء»[2].

* * *

٥ ـ القياس والتعليل:

يذكر (بروكلمان) أن ليونس كتاباً في القياس، فقد قال:

«وقيل: إنه صنف كتاب: (القياس في النحو)[3].

وينكر الدكتور حسين نصار أن يكون ليونس كتاباً في النحو بهذا الاسم إذ يقول معلّقاً على (بروكلمان): «ولكنه لم يذكر المصدر الذي اعتمد عليه في هذا القول، ولم أعثر أنا على من أشار إلى ذلك، واعتقد ان التأليف في القياس في عصر يونس غريب، وغير متوقع، فقد تنبه الناس إلى القياس وأكثروا من التحدث عنه في الجيل الثاني ليونس أي جيل تلاميذه بعدما وقع

---

(١) الكتاب ١: ٤٤١.

(٢) الكتاب ١: ٢٦٣.

(٣) تاريخ الأدب العربي ٢: ١٣٠.

الخلاف بين العلماء من البصرة والكوفة، وأخذ الناس يحسّون أن كلاًّ من الفريقين يختلف عن الآخر في منحاه، ونهجه[1].

وفي هذا التعليق نظر، لأننا عرفنا سابقاً أن شيوخ يونس أمثال عبد الله ابن أبي إسحاق، وأبي عمرو بن العلاء، وعيسى بن عمر قد تكلموا في القياس، ونظروا إليه حينما أسسوا القواعد، وبنوا الأصول فعبد الله بن أبي إسحاق يذكر الرواة والمؤرخون عنه: أنه كان أشد تجريداً للقياس من أبي عمرو»[2].

ومعنى هذه العبارة أن كلا الرجلين اشتغل بالقياس، ونظر إليه في مرحلة البناء النحوي، ولكن ابن أبي إسحاق كان أكثر تناولا للقياس من أبي عمرو، لأنه كما يقول عنه الزبيدي: «أول من بعج النحو، ومدّ القياس، وشرح العلل، وكان مائلاً إلى القياس في النحو»[3].

وقد ذكرت سابقاً أنه ليس من العدل إنكار القياس في هذه المرحلة وهي مرحلة أسبق من مرحلة يونس ـ لأن اللغة حينما جمعت من أفواه العرب بفعل هؤلاء الرواد من الرواة الأوائل لا بد من ملاحظتها في دقة لاستخراج الظواهر النحوية في إطارات محددة ومقنّنة ليمكن أن تكون هذه الإطارات نقطة الانطلاق في البناء النحوي، ولن يأتي هذا إلا باتخاذها نموذجاً يحتذى عند تركيب الكلام، وبناء الأساليب.

وهذا هو القياس إنه اشبه بالمحور الذي يدور حوله الكلام.

ولولا القياس لاضطربت اللغة، واهتزت الأساليب، واختلطت التراكيب.

وكان دفاعي عن القياس في هذه المرحلة قائماً على نصوص تثبت أن القياس أقدم من مرحلة جامعي اللغة، إذ ظهر على يد الصحابة لأنهم تكلموا

---

(١) يونس بن حبيب: ٦٣.

(٢) نزهة الألباء ١٢.

(٣) طبقات النحويين واللغويين ٣٢.

في القياس والعلل، وقد قدمت بعض هذه النصوص عند حديثي عن القياس حين تعرضت لنحو عبد الله بن أبي اسحاق، فضلا عن النصوص التي رواها لنا العلماء في هذه المرحلة حول القياس والالتجاء إليه في تقعيد القواعد، وأوضح نص في هذا ما ذكره ابن سلام إذ يقول: «قلت انا ليونس: هل سمعت من ابن أبي إسحاق شيئاً؟ قال نعم، قلت له: هل يقول أحد الصويق؟: ـ يعني السويق ـ قال نعم، عمرو بن تميم تقولها، وما تريد إلى هذا، عليك بباب من النحو يطرد وينقاس»[1]. ونترك ابن أبي اسحاق إلى عيسى بن عمر فنجد أن الرجل تكلم في القياس، وفي ضوئه ألف كتاباً في اللغة والنحو، وقد قال له أحد العلماء: «أخبرني عن هذا الذي وضعته في كتابك أيدخل فيه كلام العرب كله؟ قال: لا، قلت: فمن تكلم خلافك واحتذى ما كانت العرب تتكلم به تراه مخطئاً؟ قال: لا، قلت: فما ينفع كتابك»[2].

ويفسر القفطي هذه الإجابة بقوله: «إن عيسى بن عمر وضع كتابه في الأكثر، وبوبه وهذبه، وسمى ما شذ عن الأكثر لغات»[3].

ومعنى هذا أن عيسى بن عمر وضع في كتابه جملة من المقاييس النحوية واللغوية ليبني في ضوئها الكلام، وتنسج الأساليب، أما ما شذّ عن هذه المقاييس فيعتبر في نظره لغات.

وكما ألف عيسى بن عمر كتابه في ضوء المقاييس، صنع ذلك الصنيع أبوعمرو بن العلاء فقد قال ابن نوفل: «سمعت أبي يقول لأبي عمرو بن العلاء: أخبرني عما وضعت مما سميته عربية: أيدخل فيه كلام العرب كله؟

---

(١) طبقات النحويين واللغويين ٣٢.

(٢) إنباه الرواة ٢: ٣٧٥.

(٣) إنباه الرواة ٢: ٣٧٥.

فقال: لا، فقلت: كيف تصنع فيما خالفتك فيه العرب وهم حجة: فقال: أعمل على الأكثر وأسمّي ما خالفني لغات»[1].

* * *

بعد هذه النصوص التي قدمتها لست في حاجة إلى القول بأن إنكار تأليف يونس لكتاب في موضوع القياس يعتبر ظلماً للتاريخ، لأن حركة القياس مبكرة كما قلت وظُلْماً للتراث، لأن نصوص التراث تثبت في وضوح أن ممارسة القياس كانت من منهج شيوخ يونس.

وإذا كان الأمر كذلك فإني أعتقد أن يونس هاضم ثقافة عصره ليس أقل شأناً من شيوخه الذين سبقوه، وتحدّثوا في القياس، وألفوا فيه.

أقول بعد هذا الذي قدمت: لاغرو في أن يؤلف يونس في القياس النحوي، ولاعجب أن تكون مسائله النحوية قائمة على هذا القياس.

وقد لمح هذا الاتجاه القياسيّ عند يونس الأستاذ الدكتور شوقي ضيف إذ يقول: «وبذلك غدا يونس في نحوه، وما وضعه من أقيسة أمة وحده، وتنبه إلى ذلك القدماء فقالوا: كانت ليونس مذاهب وأقيسة تفرّد بها»[2].

نماذج من أقيسة يونس وتعليلاته

١ ـ مجرى النعت على المنعوت :

في هذا الباب ذكر سيبويه ما نصه:

«واعلم أن بـل، ولا بلْ، ولكن، يُشْرِكن بين النعتين فيُجْرَيان على المنعوت كما أشركتْ بينهما الواو، والفاء وثم، وأو، ولا، وإما، وما أشبه ذلك.

---

(١) طبقات النحويين: ٣٩.

(٢) المدارس النحوية: ٢٨.

وتقول: ما مررت برجل مسلمٍ فكيف رجلٌ «راغب» في الصدقة، بمنزلة: فأين راغبٌ في الصدقة؟.

وزعم يونس أن الجر خطأ، لأن أين، ونحوها يبتدأ بهن، ولا يضمر بعدهن شيء، كقولك: فهلّا ديناراً إلّا انهما مما يكون بعدهما الفعل، ألا ترى أنك لو قلت: رأيت زيداً، فأين عمراً؟ أو فهل بشراً؟ لم يجز.

وقد بيّن ترك إضمار الفعل فيما مضى، ولكن، وبل لا يبتدآن، ولا يكونان إلا على كلام، فشبهن بإما وأو، ونحوهما»[1].

٢ ــ مَنْ إذا كنت مستفهماً عن نكرة:

قال سيبويه:

«وحدثنا يونس أن ناساً يقولون أبداً: منَا ومني، ومنُو عينت واحداً أو اثنين أو جميعاً في الوقف.

فمن قال هذا قال: أيًا، وأيٍّ، وأيٌّ اذا عَنى واحداً أو جميعاً أو اثنين، فإن وصل نوّن أيًا، وإنما فعلوا ذلك بـ (مَنْ) لأنهم يقولون: من قال ذاك؟، فيعَنون ما شاءوا من العدد، وكذلك (أيٌّ) نقول: أيٌّ يقول ذاك؟ فتعني بها جميعاً، وإن شاء عن اثنين.

وأما يونس فإنه كان يقيس مَنْهْ على أيَّةٍ، فيقول: مَنَةٌ، ومنةً، ومَنَةٍ، إذا قال يا فتى»[2].

٣ ــ ترك النون في الإضافة مع الفصل:

قال سيبويه: وترك النون في لا يَدَيْ بها لك قولُ يونس.

واحتجّ بأن الكلام لا يستغني إذا قلت: كم بها رجلٍ، والذي يستغنى

---

(١) الكتاب ١: ٤٣٥، ٤٣٦.

(٢) الكتاب ٢: ٤١٠.

بـه الكلام، ومـا لا يستغنى به قبحُهمـا واحد إذا فصلت بكـل واحـد منهمـا بين الجـار والمجرور، ألا تـرى أن قبح: كمـا بها رجـلٍ مصابٍ كقبـح: رُبَّ فيها رجـلٍ، فلو حسن بالـذي لا يستغنى به الكـلام لَحَسُن بـالذي يستغنى بـه، كما أن كـل مكان حسن لـك أن تفصل فيـه بين العامـل والمعمول فيـه بما يَحسن عليه السكوت حسن لك أن تفصل فيه بينهما بما يقبح عليه السكوت(١) .

* * *

٤ ـ تسمية المؤنث بالمذكر :

قـال سيبويـه : فإن سميت المؤنث بعمـرو أو زيـد لم يجـز الصـرف، هذا قول ابن أبي إسحاق وأبي عمرو فيما حـدّثنا يـونس وهو القيـاس، لأن المؤنث أشـد ملاءمـة للمؤنث، والأصل عنـدهم أن يسمى المؤنث بـالمؤنث، كمـا أن أصل تسمية المذكر بالمذكر(٢)

* * *

٥ ـ تصغـر أحْـوى:

قال سيبويه : وأما عيسى فكان يقول: أُحَيّ ويصـرف وهو خـطأ، لـو جـاز ذا لصرفْتَ: أُصَيْمٌ لأنه أخف من أحمر، وصرفت: أرأس، إذا سميت بـه، ولم تهمز، فقلت أرَسَ .

وأما أبو عمـرو فكان يقـول: أُحَيٍّ ، ولو جـاز ذا لقلت فى عطاء: عُـطَيٍّ، لأنهـا ياء كهـذه الياء، وهي بعـد ياء مكسـورة، ولقلت في سِقايـة: سُقَيِّـة، وشاو: شُوَيٍّ .

وأما يونس فقول: هذا أُحَيٌّ كما ترى، وهو القياس والصواب(٣).

* * *

(١) الكتاب ٢ : ٢٨٠ ، ٢٨١ .

(٢) الكتاب ٢ : ٢٤٢ .

(٣) الكتاب ٣ : ٤٧٢ .

٦ ـ قياس في الجمع :

قال سيبويه :

وزعم يونس أن من العرب من يقول: صَيُود وصِيد، وبَيُوض «وبيض» وهو على قياس من قال في الرُّسُل: رُسْل [١] .

* * *

من هذه النصوص التي ساقها سيبويه يتضح لنا أن يونس من منهجه النحوي استعمال القياس، ولا أبالغ إذا قلت: إن أقيسة يونس كانت الأساس الأول لنحو سيبويه بخاصة، وللنحو البصري بعامة.

---

(١) الكتاب ٣: ٦٠٢.

الخلافات النحوية

عرفنا فيما سبق أن الخلافات النحوية بدأت مبكرة مع نشأة النحو العربي وقد بينا أن هذه الخلافات أخذت في التطور والنمو مسايرة لتطور النحو ونموه وقد ذكرنا من أمثلة الخلافات النحوية بين النحويين نماذج متعدّدة كالخلافات التي كانت بين ابن أبي إسحاق وأبي عمرو، والخلافات التي كانت بين عيسى بن عمر وأبي عمرو.

وقد ضمَّ كتاب مجالس العلماء للزجاجي صوراً متعدّدة من المناظرات المبكرة التي كانت بين النحاة الأقدمين، وقد تعرضت لها فيما سبق.

وأهم الخلافات النحوية في عصر يونس تلك الخلافات التي كانت بينه وبين الخليل، وقد احتفظ لنا كتاب سيبويه بنماذج عديدة من هذه الخلافات.

على ان يونس والخليل لم يكونا دائماً طرفي نقيض لا يلتقيان لأنه على الرغم من الخلافات النحوية بينهما فقد التقيا في جملة من المسائل النحوية.

وهذا الخلاف إن دلّ على شيء فإنما يدل على أن النظرة إلى المسائل النحوية لم تكن نظرة سطحية، وإنما كانت نظرة ملؤها الدقة والعمق، والفهم والاستنباط، والدليل والحجة.

وهذا من دون شك ساعد على تطور النحو ونموه في هذه الفترة من التاريخ.

أ ــ نماذج من الخلافات النحوية مع الخليل

١ ــ في النصب بعد لا النافية الداخلة عليها همزة الاستفهام:

قال سيبويه: وسألت الخليل رحمه الله عن قوله:

ألا رجلاً جزاه الله خيراً   يدل على محصلة تبيت

فزعم أنه ليس على التمني، ولكنه بمنزلة قول الرجل: فهلّا خيراً من ذلك، كأنه قال: ألا تروني رجلاً جزاه الله خيراً.

وأما يونس فرغم أنه نوّن مضطراً وزعم أن قوله:

* لا نسب اليوم ولا خلة *

على الاضطرار، وأما غيره فوجهه على ما ذكرت لك، والذي قال مذهب[1].

* * *

٢ ــ الحاق الصفة الألف في الندبة:

قال سيبويه: «وأما يونس فيلحق الصفة الألف فيقول: وازيدُ الظريفاه، واجُمْجُمَتَيَّ الشّامِيَّتَيْناهْ[2]. وزعم الخليل رحمه الله أن هذا خطأ»[3].

* * *

٣ ــ في المنفى المضاف بلام الإضافة:

قال سيبويه: اعلم أن التنوين يقع من المنفي في هذا الموضع إذا

---

(١) الكتاب ٢: ٣٠٨، ٣٠٩ (هارون).

(٢) في هامش الكتاب الجمجمة: هي القدح وان انسانا ضاعت له قدحان فندبهما.

(٣) الكتاب ٢: ٢٢٦ (هارون).

قلت: لا غلامَ لك كما يقع من المضاف إلى اسم، وذلك إذا قلت: لا مِثْلَ زيد، والدليل على ذلك قول العرب: لا أبا لك، ولا غلامَيْ لك، ولا مُسْلِمَيْ لك.

ثم قال: وإنما ذهبت النون في: لا مسلِمِيّ لك على هذا المثال: جعلوه بمنزلة ما لو حُذفت بعده اللام كان مضافاً إلى اسم، وكان في معناه، إذا ثبتت بعده اللام، وذلك قولك: لا أباك.

ثم قال: وتقول: لا يدين بها لك، ولا يدي اليوم لك، اثبات النون احسن وهو الوجه.

ثم قال: وترك النون في: لا يَدَيّ بها لك قول يونس.

واحتج بأن الكلام لا يستغنى اذا قلت: كم بها رجلٍ.

والذي يستغنى به الكلام وما لا يستغنى به قبحهما واحد إذا فصلت بكل واحد منهما بين الجار والمجرور.

ثم قال: وإثبات النون قول الخليل رحمه الله[1].

* * *

٤ ـ الاختلاف في مشاهد شعري :

قال سيبويه: وسألت الخليل عن قول الأعشى:

إن تركبوا فركوب الخيل عادتنا أو تنزلون فإنا معشر نُزُل

فقال: الكلام ها هنا على قولك: يكون كذا أو يكون كذا لمّا كان موضعُها لو قال فيه: أتركبون لم ينقض المعنى، صار بمنزلة قولك: ولا سابق شيئاً.

وأما يونس فقال: أرفعه على الابتداء، كأنه قال: أو أنتم نازلون. . ثم قال سيبويه: وقول يونس أسهل، وأما الخليل فجعله بمنزلة قول زهير:

---

(١) الكتاب ٢ : ٢٧٦ ـ ٢٨١ ـ هارون):

بدا لي أني لست مدرك ما مضى   ولا سابق شيئاً إذا كان جائيا

والإشراك على هذا التوهم بعيد كبعد: ولا سابق شيئاً [1]

* * *

٥ ـ إجراء الظروف مجرى الأسماء المتمكنة:

قال سيبويه: وسألته[2] عن قوله: من دونٍ ومن فوقٍ ومن تحتٍ، ومن قبلٍ، ومن بعدٍ، ومن دبرٍ، ومن خلفٍ، فقال: أجروا هذا مجرى الأسماء المتمكنة لأنها تضاف وتستعمل غير ظرف.

ثم قال: وزعم الخليل أنهن نكرات كقول أبي النجم:

يأتي لها من أيْمُنٍ وأشمل

وزعم أنهن نكراتٍ إذا لم يضفن إلى معرفة، كما يكون أيمنُ وأشمُل نكرة.

وسألنا العرب فوجدناهم يوافقونه، ويجعلونه كقولك:

من يَمْنةٍ وشَأمةٍ، وكما جعلت: ضحْوةٌ نكرة، وبكرةُ معرفة.

وأما يونس فكان يقول: من قُدّامَ، ويجعلها معرفة وزعم أنه منعه من الصرف أنها مؤنثة.

ثم قال سيبويه: وهذا مذهب، إلاّ انه ليس يقوله أحد من العرب[3]

* * *

---

(١) الكتاب ٣: ٥٠، ٥١. (هارون).

(٢) اي الخليل.

(٣) الكتاب ٣: ٢٨٩ ـ ٢٩١. (هارون)

ب ـ نماذج من اتفاق الخليل مع يونس

١ ـ غير ومثل :

قال سيبويه: وزعم ـ رحمه الله ـ أنه لا يجوز في: ما يحسن بالرجل شبيهٍ بك، الجرّ، لأنك تقدّر فيه على الألف واللام.

وقال: وأما قولهم: مررت بغيرك مثلك، وبغيرك خيرٍ منك فهو بمنزلة: مررت برجل غيرك خيرٍ منك، لان غيرك ومثلك وأخواتها يكن نكرة.

ومن جعلها معرفة قال: مررت بمثلِك خيراً منك وإن شاء خيرٍ منك على البدل، وهذا قول يونس والخليل رحمهما الله [١] .

* * *

٢ ـ لولا وإلحاق الضمائر بها :

قال سيبويه: وذلك لولاك ولولاي، إذا أضمرت الاسم فيه جر، وإذا أظهرت رفع.

ولو جاءت علامة الإضمار على القياس لقلت: لولا أنت كما قال سبحانه: ﴿لولا أنتم لكنا مؤمنين﴾[٢] ولكنهم جعلوه مضمراً مجروراً.

والدليل على ذلك أن الياء والكاف لا تكونان علامة مضمر مرفوع.

قال يزيد بن الحكم:

وكم موطن لولايَ طحتَ كما هوى ... بأجرامه من قُلّة النِّيق منهوى

وهذا قول الخليل رحمه الله ويونس [٣].

---

(١) الكتاب٢: ١٣ ـ ١٤ .

(٢) سبأ: ٣١.

(٣) الكتاب: ٢: ٣٧٣، ٣٧٤.

٣ ــ تكرار الاسم في حال الإضافة :

وذلك قولك: يا زيدَ زيدَ عمرو، ويا زيدَ زيدَ أخينا، ويا زيدَ زيدَنا.

زعم الخليل رحمه الله ويونس ان هذا كله سواء، وهي لغة للعرب جيدة، وقال جرير:

يـا يتيمَ يتمَ عـديّ لا أبـالكُـمُ لا يُلْقِينّكم في سـوءة عُـمـرُ [1]

* * *

١ ــ إلحاق اللام في خبر إن :

قال سيبويه: وسألت الخليل عن قوله: أحقًّا إنك لذاهب، فقال: لا يجوز كما لا يجوز: يوم الجمعة إنه لذاهب.

وزعم الخليل ويونس أنه لا تلحق هذه اللام مع كل فعل، ألا ترى أنك لا تقول: وعدتك أنك لخارج، إنما يجوز هذا في العلم والظن ونحوه. . .

فإن لم تذكر اللام قلت: قد علمت أنه منطلق، لا تبتدئه، وتحمله على الفعل[2].

* * *

أثر يونس في سيبويه

أ ــ يونس همزةُ الوصل بين سيبويه وبين أبي عمرو:

الناظر لكتاب سيبويه يرى أن سيبويه أفاد من يونس ،لأنه كان همزة الوصل بينه وبين أبي عمرو، من ناحية، وتلقى عنه كثيراً من قضايا النحو ومسائله من ناحية أخرى.

---

(١) الكتاب ٢: ٢٠٥ (هارون)

(٢) الكتاب ٣: ١٤٩.

والدليل على أن سيبويه في كتابه أحاط علماً بالمرحلة النحوية التي قبل يونس، تلك المسائل التي سجلها سيبويه في كتابه عن أبي عمرو وكان طريقها يونس، والى القارىء نماذج منها.

نماذج

١ ـ في الظرف:

زعم يونس أن أبا عمرو كان يقول: داري من خلف دارك فرسخان، فشبهه بقولك دارك مني فرسخان، لأن «خلف» ها هنا اسم، تجعل (مِن) فيها بمنزلتها في الاسم وهذا مذهب قوي[١].

* * *

٢ ـ وفي موضع آخر يقول سيبويه:

وقالوا: منازلهم يميناً ويساراً وشمالاً. قال الشاعر وهو عمرو بن كلثوم:

صددت الكأس عنا أمَّ عمرو   وكان الكأس مجراها اليمينا

أي على ذات اليمين، حدثنا بذلك يونس عن أبي عمرو، وهو رأيه[٢].

* * *

٣ ـ في باب من المعرفة يكون فيه الاسم الخاص شائعاً في الأمّة:

قال سيبويه: «وابنِ عِرس يراد به معنى واحد، كما أريد بأبي الحارث، وبزيد معنى واحد، واستغنى به».

ثم قال: «ويدلك على أن ابي عِرس، وأم حُبَيْن، وسامّ أبرصَ، وابن مطرٍ معرفة: أنك لا تدخل في الذي أُضِفْن إليه الألف واللام، فصار بمنزلة زيد وعمرو.

---

(١) الكتاب ١: ٤١٧.

(٢) الكتاب ١: ٤٠٤ ـ ٤٠٥.

ألا ترى أنك لا تقول أبو الجُخادب:

وهو قول أبي عمرو. حدثنا به يونس عن أبي عمرو[1].

* * *

٤ ــ المستثنى البـدل:

قال سيبويه: «وحدثني يونس أن أبا عمرو كان يقول:

الوجـه ما أتاني القومُ إلا عبدُ الله، ولو كان هذا بمنزلة: أتاني القوم لما جاز أن تقول: ما أتاني أحــد، كما أنه لا يجوز أتـاني أحد، ولكن المستثنى في هـذا الموضـع مبدل من الاسم الأول»[2].

* * *

ولا استـطيع في هذا المجال الضيق أن أعدد المسائـل التي سجلها سيبـويه لأبي عمـرو عن طريق يـونس لأنها كثيـرة[3] وأكتفي منهـا بهـذا القـدر ليكـون دليلاً على ما أقول.

ب ــ الأخذ عن يونس مباشرة.

نقل سيبويه عن يونس كثيـراً من الآراء ممّا يـدل على أن يونس كـان ركناً من أركان كتابه، ودعامة من دعائمه.

ولعـل كثرة هـذا النقل تشيـر إلى حقيقة مؤداهـا ثقة سيبـويـه بيـونس تلك الثقـة التي دعته إلى أن ينقـل أبوابـا برمتهـا، فيضعها في كتـابه، قـال الشيـخ محمد الطنطاوي مشيراً الى هذه الحقيقة ما نصه:

---

(١) الكتاب ٢: ٩٦.

(٢) الكتاب ٢: ٣١١، ٣١٢.

(٣) انـظر مـثـلا ٢: ١١٣، ١٦١، ١٨٥، ٣١١، ٣: ٢٤٢، ٢٩٣، ٣٤٧، ٣٦١.

«وكثر نقله عن يونس حتى نقل عنه أبواباً برمّتها، فقد نقل عنه فصلين من التصغير فقال: «وجميع ما ذكرت لك في هذا الباب، وما أذكره لك في الباب الذي يليه قول يونس «لأنه كان يطمئن إليه، فكثيراً ما كان يسأله للتثبت عما سمعه من غيره»[1].

وقد اختلفت العبارات التي تشير إلى هذا الأخذ، فمرة ينسب إلى يونس الحديث فيقول: حدّثنا، ومرة ثانية ينسب إليه الإخبار، فيقول: أخبرنا ومرة ثالثة ينسب إليه الزعم، فيقول: زعم، ومرة رابعة: يوجه إليه أسئلة فيقول: وسألته.

وقد لاحظت أن عبارات حدثنا ـ وأخبرنا تدور في الغالب حول غرض واحد، وهو الحديث عن العرب أو عن شيوخه والإخبار عنهم.

ومن الأمثلة التي توضح ذلك ما يأتي:

أ ــ عبارة: حدثنا:

ــ النقل عن شيوخه بعبارة: (حدثنا):

ــ في موضوع: هذا باب من المعرفة يقول: وبذلك على أن ابن عِرس وأم حُبين وسامّ أبرصَ وابن مطر معرفة أنك لا تدخل في الذي أضفن إليه الألف واللام... ثم يقول: وهو قول أبي عمرو حدثنا به يونس عن أبي عمرو...[2].

* * *

ــ وفي باب الإضافة إلى ما فيه الزوائد من بنات الحرفين يقول: وحدثنا يونس أن أبا عمرو كان يقوله[3].

* * *

---

(١) نشأة النحو: ٦٨.

(٢) الكتاب ١: ٩٦.

(٣) الكتاب ٣: ٣٦١.

ـ وفي باب تسمية المؤنث يقول: « هذا قول ابن أبي إسحاق وأبي عمرو فيما حدثنا يونس، وهو القياس »[1].

ـ النقل عن العرب بعبارة: (حدثنا):

ـ وفي باب النصب فيما يكون مستثنى مبدلاً يقول:

حدثنا بذلك يونس وعيسى جميعاً أن بعض العرب الموثوق بعربيته يقول: «ما مررت بأحد إلاّ زيداً»[2].

ـ وفي باب ما يقدم فيه المستثنى يقول:

وحدثنا يونس أن بعض العرب الموثوق بهم يقولون:

ما لي إلا أبوك أحد فيجعلون (أحداً) بدلا [3].

* * *

ـ وفي باب ما يضاف إلى الأفعال من الأسماء يقول:

وسألته: عن قوله في الأزمنة كان ذاك زَمَنَ زيدٌ أميرٌ؟ فقال: لمّا كانت في معنى «إذا» أضافوها إلى ما قد عمل بعضُه في بعض كما يدخلون (إذ) على ما قد عمل بعضه في بعض ولا يغيرونه، فشبهوا هذا بذلك...

ثم قال: «حدثنا بذلك يونس عن العرب»[4].

* * *

ب ـ عبارة: أخبرنا:

ـ النقل عن شيوخه بعبارة (أخبرنا):

---

(١) الكتاب ٣: ٢٤٢.
(٢) الكتاب ٢: ٣١٩.
(٣) الكتاب ٢: ٣٣٧.
(٤) ٣: ١١٩.

ـ في باب كم قال سيبويه:

واعلم أن كم في الخبر لا تعمل إلا فيما تعمل فيه (رُب)، لأن المعنى واحد إلا أن كم اسم، وربّ غير اسم بمنزلة (مِن) والدليل عليه أن العرب تقول: كم رجلٍ أفضلُ منك تجعله خبر (كم) أخبرناه يونس عن أبي عمرو[1].

ـ النقل عن العرب بعبارة (أخبرنا):

ـ في باب النفي بلا قال سيبويه: وأخبرنا يونس أن من العرب من يقول: ما من رجل أفضلُ «منك» وهل من رجلٍ خيرٌ منك، كأنه قال: ما رجلٌ أفضلُ منك، وهل رجلٌ خيرٌ منك [2].

ـ وفي باب تسميتك الحروف بالظروف وغيرها من الأسماء قال سيبويه: «وأما «أمام» فكل العرب تذكره، أخبرنا بذلك يونس» [3].

* * *

ـ وقد رأيت في الكتاب عبارة (أخبرني) فلاحظت أن هذه العبارة لم يقصد بها سيبويه الرواية عن العرب أو الشيوخ ولكنه قصد بها التفسير والتوضيح وهي في باب التعليم والإرشاد ألصق ـ قال سيبويه في باب ما ذهبت عينه: أخبرني يونس: أن الذي لا يهمز بقول: سِلْته فأنا أسأل، وهو مَسول، «إذا أراد المفعول» [4].

* * *

جـ ـ عبارة (زعم)

لاحظت ان هذه العبارة في الغالب يسوقها سيبويه وراء المسائل النحوية

---

(١) الكتاب ٢ : ١٦١.

(٢) الكتاب ٢ : ٢٧٦.

(٣) الكتاب ٣ : ٢٦٧.

(٤) الكتاب ٣ : ٤٥٠.

التي لا تطمئن إليها نفسه، لأنه قد يرى غيرها ولا يقول بها، والناظر إلى القضايا النحوية التي ساقها سيبويه في إطار (زعم يونس) يلمس هذا الأمر في وضوح.

إلا أن سيبويه لم يأخذ نحو هذه المسائل اتّجاهاً واحداً، لأننا نراه مرة يصرح بعدم الأخذ بهذه المسائل، ويصفها بالقبح أو الضعف، ومرة أخرى تلمس منه الإنكار، والأمثلة على ذلك ما يأتي:

* * *

ـ الوصف بالقبح والضعف:

في باب ما يضمر فيه الفعل المستعمل إظهاره بعد حرف، قال سيبويه:

وزعم يونس أن من العرب من يقول: «إن لا صالحٍ فطالحٍ على إن لا أكن مررت بصالح فبطالح، وهذا قبيح ضعيف»(١).

ـ وفي باب ما يختار فيه الرفع، ويكون فيه الوجه في جميع اللغات قال سيبويه: «وزعم يونس أن قوماً من العرب يقولون: أما العبدَ فذو عبيد وأما العبدَ فذو عبدٍ يجرونه مجرى المصدر سواء، وهو قليل خبيث»(٢).

* * *

ـ الإنكار:

قال سيبويه في باب ما يجيء من المصادر مثنى منتصباً على إضمار الفعل المتروك إظهاره: «وذلك قولك حنانيْك كأنه قال: تحنّناً بعد تحنن».

ثم قال: ومثل ذلك لبّيك وسعديك... ومثل ذلك حذاريْك، كأنه قال: ليكون منك حذرٌ بعد حذَر، كما أنه أراد بقوله: لبيك وسعديك إجابة بعد إجابة...

---

(١) الكتاب ١: ٢٦٢.

(٢) الكتاب ١: ٣٨٩.

ثم قال: «وزعم يونس أن لبيك اسم واحد، ولكنه جاء على هذا اللفظ في الإضافة كقول: عليك»(١).

* * *

ـ ومن الآراء التي أنكرها سيبويه قوله في باب ما يجري من الشتم مجرى التفطيم وما أشبهه:

«وأما يونس فزعم أنه ليس يَرفع شيئاً من الترّحم على إضمار شيء، يرفع، ولكنه إن قال: ضربته لم يقل أبداً إلا المسكينَ، يَحْمِلُه على الفعل، وإن قال: ضرباني، قال: المسكينان، حمله أيضاً على الفعل، وكذلك: مررت به المسكِين يحمل الرفع على الرفع، والجر على الجر، والنصب على النصب. ويزعم أن الرفع الذي فسرنا خطأ، وهو قول الخليل رحمه الله وابن أبي إسحاق (٢).

* * *

ـ ومن ذلك قوله في باب ما ينتصب، لأنه ليس من اسم ما قبله ولا هو هو: «ومثل ذلك هو عشرون مراراً، وهذه عشرون أضعافاً».

وزعم يونس أن قوما يقولون: «هذه عشرون أضعافُها وهذه عشرون أضعافٌ أي مضاعفة، والنّصبُ أكثر» (٢).

* * *

د ـ عبارة: وسألته:

من البدهي أن نقول: إن هذه العبارة تقتضي وجود مسائل نحوية غاب توجيهها عن سيبويه، أو عجز عن إدراك معناها، أو التبس عليه الأمر في تخريجها وفهمها.

---

(١) الكتاب ١ : ٣٤٨ ـ ٣٥١.
(٢) الكتاب ٢ : ٧٧.
(٣) الكتاب ٢/١١٩.

وهو يريد من يونس بهذه الأسئلة التي وجهها إليه الإجابة الصريحة التي تزيل الغموض، وتبدد الحيرة، وتكشف الحقيقة.

ومن هذه الاسئلة:

ـ في باب ما ينتصب على التعظيم والمدح قال سيبويه: «وسمعنا بعض العرب يقول: الحمد لله ربَّ العالمين فسألت عنها يونس، فزعم أنها عربية»(١).

* * *

ـ وفي باب اختلاف العرب في الاسم المعروف الغالب إذا استفهمت عنه بـ (مَنْ) قال سيبويه: «وسألت يونس عن رأيتُ زيدَ بنَ عمرو، فقال: أقول: مَنْ زيدَ بنَ عمرو، لأنه بمنزلة اسم واحد» (٢).

* * *

ـ وفي باب الإضافة إلى كل اسم كان آخرهُ ألفاً وكان على خمسة أحرف قال سيبويه: «وسألت يونس عن مرامًى فقال: مُرامِيٌّ، جعلها بمنزلة الزيادة، وقال: لو قلت: «مُرامَوِيٌّ لقلت: حُبارَوِيٌّ، كما أجازوا في حبلى: حُبْلَوِيٌّ (٣).

وبعد، فمن هذه النصوص نؤكد بما لا يدع مجالاً للشك أن يونس أثر في سيبويه وأنه كان مصدراً نحويًا في كتابه الخالد.

آراء يونس في ميزان سيبويه

قلت: إن سيبويه أفاد من يونس لأنه نقل كثيراً من الآراء عنه وقد تكرر

---

(١) الكتاب: ٦٣.

(٢) الكتاب ٢: ٤١٤.

(٣) الكتاب ٣: ٣٥٥.

ذكر اسمه في الكتاب فبلغ مائتي مرة [1] وإني أميل إلى الاتجاه الذي أخذ به الدكتور حسين نصار، إذ كان يرى أن هذه المرات « ليست ممثلة لجهد يونس النحوي كله، لأن من الطّبعيّ ألا يشير سيبويه إلى اسمه إلا حين يشذ أو يخالف غيره أو ينفرد أو يأتي بأمر يستحق التنويه » [2].

ومعنى ذلك أن الكثير من قضايا الكتاب ومسائله منقول عن يونس، وإن لم يصرح بهذا النقل سيبويه اللهم إلا في الحالات الخاصة التي يرى سيبويه من الواجب ذكر اسمه فيها، لأن هذه الحالات فيها شذوذ أو مخالفة أو انفراد.

على أنه من الحق أن نقول : إن موقف سيبويه من هذه الآراء لم يكن موقف الناقل فقط، لأن له شخصية مستقلة إزاء هذه الآراء التي نقلها عن يونس، كان يرمي بعضها بالخبث أو الضعف، لأن دليلها في نظره فيه من الضعف ما يحمله على نقد هذه الآراء، ورميها بأقذع العبارات، وليس هناك أقذع من عبارات : الخبث والقبح والضعف.

أما الآراء التي استقام دليلها، وقويت حجتها، فإن سيبويه كان يأخذ بها، ويتجه إليها بل إنّه في بعض الأحيان يرى سيبويه رأياً ولا يجد تقوية له أو دعماً إلا بما رواه يونس وقاله.

ومن الأمثلة على ذلك ما يأتي :

ـ من الآراء التي نقدها سيبويه :

ـ قال سيبويه : وزعم يونس أن قوماً من العرب يقولون :

---

(١) سيبويه إمام النحاة : لعلي النجدي ناصف : ٩٠.

(٢) يونس بن حبيب ١٣١، ١٣٢.

أما العبيد فذو عبيد، وأما العبد فذو عبد، يجرونه مجرى المصدر سواء وهو قليل خبيث [1] .

ـ وقال سيبويه أيضاً : وأما يونس فيقول : إن تأتي آتيك، وهذا قبيح يكره في الجزاء، وإن كان في الاستفهام [2].

ـ ومن ذلك أيضاً قوله : « وأما يونس فإنه كان يقيس «مَنَـهْ» على أيّةٍ، فيقول : منةٌ ومنةً، ومنةٍ إذا قال : يا فتى، وكذلك ينبغي له أن يقول إذا أثر أنْ لا يغيرها في الصلة، وهذا بعيد، وإنما يجوز هذا على قول شاعر قاله مرة في شعر ثُمّ لم يسمع بعد.

أتوا ناري فقلت منون أنتم   فقالوا الجن قلت عِموا ظلاماً [3]

ـ من الآراء التي دافع عنها، وأشاد بها قوله :

وإن قلت: له صوتٌ أيّما صوتٍ أو مثلَ صوتِ الحمار، أوله صوتٌ صوتاً حسناً جاز. زعم ذلك الخليل ويقوي ذلك أن يونس وعيسى زعما أن رؤبة كان ينشد هذا البيت نصباً جميعاً :

* فيها ازدهاف أيّما ازدهاف *

يحمله على الفعل الذي ينصب صوت حمار، لأن ذلك الفعل لو ظهر نصب ما كان صفة وما كان غير صفة، لأنه ليس باسم تُحمل عليه الصفات [4] .

ويصف رأيه بالسهولة في قوله :

وسألت الخليل عن قول الأعشى :

إن تركبوا فركوب الخيل عادتنا   أو تنزلون فإنا معشر نزل

---

(١) الكتاب ١ : ٣٨٩

(٢) الكتاب ٣ : ٨٣.

(٣) الكتاب ٢ : ٤١٠.

(٤) الكتاب ٣٦٤/١ .

فقال : الكلام ها هنا على قولك : يكون كذا،أو يكون كذا لمّا كان موضعها لو قال فيه : أتركبون لم ينقض المعنى صار بمنزلة قولك ولا سابقٍ شيئاً.

وأما يونس فقال : أرفعه على الابتداء كأنه قال : أو أنتم تنزلون، ثم قال : وقول يونس أسهل » (١).

ويصف رأيه بالقوة فيقول : « ومما يقوي ذلك أن يونس زعم أن بعض العرب يقول : هذه تميمٌ بنتُ مُرٍّ » (٢) .

ومن هذا العرض نستنتج ما يأتي :

١ ــ سيبويه أثر فيه يونس تأثيراً كبيراً، لأن كثيراً من قضاياه النحوية منقولة عن يونس.

٢ ــ يونس كان همزة الوصل في نقل آراء القدماء والعرب لسيبويه، وكانت آراؤهم وأخبارهم مادة بنى منها كتابه.

٣ ــ آراء يونس كان يلجأ إليها سيبويه لدعم رأي أو تقوية دليل.

٤ ــ سيبويه لم يكن آلة تحكي آراء غيره، بل كان شخصية مستقلة في مجال هذه الآراء ينقد في مواضع النقد، ويشيد في مواضع الإشادة، وهو في كل ذلك يجري وراء الدليل بنظر ثاقب، وفكر صائب.

من آراء يونس

آراء يونس بن حبيب ضمّها كتاب سيبويه وقد انتقلت هذه الآراء إلى الكتب النحوية التي تلت كتاب سيبويه للاستشهاد بها أو مناقشتها أو عرضها في مجال الخلافات التي تدور بين النحاة ويبدو أن يونس قد راجع هذه الآراء المنقولة عنه في الكتاب وأقرها، واعترف بصدق نقلها.

---

(١) الكتاب: ٣: ٥٠، ٥١.

(٢) الكتاب ٣: ٢٤٩.

قال الزبيدي : « ولما مات سيبويه قيل ليونس : إن سيبويه ألف كتاباً من ألف ورقة في علم الخليل، فقال يونس : ومتى سمع سيبويه من الخليل هذا كله ؟ جيئوني بكتابه، فلما نظر في كتابه، ورأى ما حكى قال : يجب أن يكون هذا الرجل قد صدق عن الخليل فيما حكاه، كما صدق فيما حكى عني (١) » .

هذا، وآراء يونس التي تحدثنا عن الكثير منها فيما سبق ليست تقليداً لآراء غيره أو تكراراً لما قال شيوخه، لأنها آراء نابعة من فكره، وصادرة من عقله، ومستخرجة من نظره الدقيق وتعمقه في كلام العرب، وخبرته بتراكيبه وأساليبه.

حقاً إن هناك آراء ردّدها سيبويه في كتابه لأستاذه يونس، لأن يونس قد حدثه بهذه الآراء وأخبره بهذه الأفكار، ولكننا حينما ننظر إليها نرى أن يونس قد ساقها في معرض التأييد لها أو معارضتها ونقدها، لأن يونس كان شخصية مستقلة في تناوله لمسائل النحو.

وكيف يكون يونس مردّداً لآراء أساتذته ، وقد وقف منهم في بعض القضايا موقف المخالف الناقد، ولا أدل على ذلك من مخالفته لعبد الله بن أبي إسحاق حينما نقد الفرزدق في مدحه ليزيد بن عبد الملك :

مستقبلين شمال الشام تضربُنا ... بحاصب كنديف القطن منثورِ
على عمائمنا تُلْقى وارحلُنا ... على حَرَاجِف تزجي مخُّهارِيرِ

قال له عبد الله بن أبي إسحاق : أسأت، إنما هو (ريرُ) وكذلك قياس النحو في هذا الموضوع.

قال يونس : والذي قال : جائز حسن (٢).

---

(١) طبقات النحويين واللغويين ٥٢.

(٢) الموشح ١٥٦، ١٥٧.

ويعلق الدكتور حسين نصار على هذه الإجابة من يونس بقوله :

« ذهب يونس إلى وقوع تقديم وتأخير، والترتيب الطبيعي للعبارة ريرمخها [1] » .

وكما خالف شيخه عبد الله بن أبي إسحاق خالف أستاذه عيسى بن عمر في باب ما يجري عليه صفة ما كان من سببه.

قال سيبويه : « وإنما ذكرنا هذا، لأن ناساً من النحويين يفرقون بين التنوين وغير التنوين، ويفرقون إذا لم ينونوا بين العمل الثابت الذي ليس فيه علاج يرونه نحو : الآخذ، واللازم، والمخالط وما أشبهه، وبين ما كان علاجاً يرونه، نحو الضارب والكاسر فيجعلون هذا رفعاً على كل حال، ويجعلون اللازم وما أشبهه نصباً إذا كان واقعاً، ويُجرونه على الأول إذا كان غير واقع ، وبعضهم يجعله نصباً إذا كان واقعاً ويجعله على كل حال رفعاً إذا كان غير واقع، وهذا قول يونس، والأول قول عيسى [2] » .

وكذلك نراه يخالف عميد عصره في اللغة والنحو، وشيخ الشيوخ أبا عمرو بن العلاء، سجل هذا الخلاف سيبويه فقال:

« حدثنا يونس أن أبا عمرو كان يقول في ظبية (عند النسب إليها) : «ظَبْيِيٌّ » ثم قال: «وأما يونس فكان يقول في ظبيه: ظَبوِيّ [3] » .

من هذه النصوص إذاً نؤكد أن يونس كان شخصية مستقلة في آرائه ، ولست أول من قرر هذه الحقيقة وأكد هذا الرأي فالسيرافي قد أكد هذه الحقيقة قبلي إذ يقول : « وقد روى عنه سيبويه وأكثر، وله قياس في النحو، ومذاهب يتفرد بها [4] ».

بعد هذا العرض علينا أن نقدم النماذج المختلفة لتأييد هذه الحقيقة، ودعم هذه الفكرة.

---

(١) يونس بن حبيب ١٣٧ .

(٢) الكتاب ٢ : ٢١ .

(٣) الكتاب ٣ : ٣٤٧

(٤) اخبار النحويين البصريين ٢٧ .

نماذج من آراء يونس

١ ـ جواز وقوع الحال معرفة :

قال مكي : أجاز يونس مررت به المسكينَ، نصب (المسكين) على الحال، ولا يقاس عليه لشذوذه، وخروجه عن القياس [١] ».

٢ ـ في الظروف :

في باب الظروف المبهمة غير المتمكنة يقول سيبويه :

«وأما يونس فكان يقول: من قُـدّامَ ويجعلها معرفة، وزعم أنه منعه من الصرف أنها مؤنثة [٢] » .

٣ ـ في تركيب الظروف :

قال سيبويه : وأما يومَ يومَ، وصباحَ مساءَ، وبيتَ بيتَ وبينَ بَيْنَ فإن العرب تختلف في ذلك، يجعله بعضهم بمنزلة اسم واحد، وبعضهم يضيف الأول إلى الآخر ولا يجعله اسماً واحداً.

ثم قال سيبويه : وهذا قول جميع من نثق بعلمه وروايته عن العرب. ولا أعلمه إلا قول الخليل.

وزعم يونس أن كفَّةَ كفَّةَ كذلك، تقول : لقيته كفَّةَ كفةٍ وكفَةَ كفَّةَ [٣] ».

٤ ـ إما ليست عاطفة :

إما « حرف من حروف العطف عند أكثر النحويين، هكذا نقل ابن

---

(١) مشكل إعراب القرآن ٢ : ٣٨١ وانظر الكتاب ٢ : ٧٦.
(٢) الكتاب ٣: ٢٩١ .
(٣) الكتاب ٣ : ٣٠٣، ٣٠٤.

مالك عنهم. ونقل يونس، وأبي علي وابن كيسان أنها ليست بعاطفة [1] ».

ومن البدهي أن هذا الرأي ليونس وحده، لأنه أسبق من أبي علي وابن كيسان، ووضعهما معه في النص معناه أنهما وافقا على رأيه وأخذا به.

وبرأي يونس أخذ ابن مالك إذ يقول: « وبه أقول تخلّصاً من دخول عاطف على عاطف ولأن وقوعها بعد الواو مسبوقة بمثلها شبيه بوقوع (لا) بعد الواو مسبوقة بمثلها في مثل: لا زيد ولا عمرو فيها و (لا) هذه غير عاطفة بإجماع فلتكن (إما) كذلك [2] »

٥ ـ لكن المخففة النون تعمل عمل إن:

يونس والأخفش أجازا ذلك، وقد حكي عن يونس أنه حكاه عن العرب [3].

٦ ـ لعل تنصب المبتدأ والخبر:

قال ابن هشام: زعم يونس أن ذلك لغة لبعض العرب وحكى: لعل أباك منطلقاً [4] ».

أثر يونس في النحو الكوفي

هناك آراء نسبت ليونس، أخذ بها الكوفيون، وبذلك يكون يونس مصدراً من مصادر النحو الكوفي.

فمن الآراء التي أخذها الكوفيون عن يونس الآراء الآتية:

---

(١) الجني الداني ٥٢٩.
(٢) الجني الداني ٥٢٨، ٥٢٩.
(٣) الجني الداني ٥٨٦.
(٤) المغني ١: ٣١٧ (بيروت).

١ ــ وقوع النون الخفيفة بعد الألف الفاصلة :

قال في الجنى الداني : وتنفرد النون الثقيلة بوقوعها بعد ألف الاثنين، والألف الفاصلة إثر نون الإناث، ولا تقع الخفيفة بعد الألف عند البصريين، وأجاز ذلك يونس والكوفيون [١] ».

٢ ــ في العطف على الضمير المخفوض بدون إعادة الخافض :

قال السفاقسي. يجوز في الكلام، وقال به الكوفيون ويونس [٢].

٣ ــ ومن أئمة الكوفيين الذين أخذوا برأي يونس الإمام الفراء

فقد كان يقول بحرفيّة اسم الموصول (الذي) :

قال في الجنى الداني : «وقال بعضهم: إن الذي تكون حرفاً على مذهب يونس والفراء، لأنها تكون عندهما مصدرية، لا تحتاج إلى عائد» [٣] .

أثر يونس في الأخفش الأوسط

من أئمة نحاة البصرة أبو الحسن سعيد بن مسعدة الأخفش كان معاصراً ليونس، وكان أسن من سيبويه، وقد أخذ النحو عنه، ولعلمه بالكتاب قالوا عنه : « وهو الذي تكلم على كتاب سيبويه وشرحه، وبينه، وهو مُعظَّم عند البصريين والكوفيين »[٤].

وقال عنه الكسائي : لم يكن في القوم - يعني البصريين - أعلم من

---

(١) الجنى الداني ١٤٣ .

(٢) إعراب القرآن للسفاقسي ورقة ٥٥ .

(٣) الجنى الداني ٦٢١ .

(٤) مراتب النحويين ٦٨ .

الأخفش، نبّههم على عوار الكتاب وتركهم، يعني كتاب سيبويه [1]، وإذا كان الأخفش بهذه المنزلة فإنه بدون شك كان نجماً من نجوم عصره في النحو واللغة.

أما أثر يونس في الأخفش فقد كان الأخفش ناقلاً عنه بعض الآراء ذكر ذلك الأزهري في التصريح حيث يقول في موافقة «مِن» معنى الباء:

« موافقة الباء عند بعض البصريين، وقيل: بعض الكوفيين نحو: ينظرون من طرف خفي[2]« أي بطرف خفي نقله الأخفش عن يونس [3] ».

ومن الآراء التي وافق فيها الأخفش يونس ما يأتي:

١ ـ حركة (مع) إذا نونت:

قال المرادي: واختلف في حركة (مع) إذا نونت، فذهب الخليل وسيبويه: إلى أنها فتحة إعراب، والكلمة ثنائية حالة الإفراد، كما كانت حالة الإضافة.

وذهب يونس والأخفش إلى أن الفتحة فيها كفتحة تاء (فتى) لأنها حين أفردت ردت إليها لامها المحذوفة، فصارت اسماً مقصوراً.

ويؤيد ابن مالك رأي يونس والأخفش فيقول: « وهو الصحيح لقولهم: الزيدان معاً، والزيدون معاً، فيوقعون (معاً) في موضع رفع، كما توقع الأسماء المقصورة نحو: فتى، وهم عِدىً [4] ».

---

(١) مراتب النحويّين: ٦٨.
(٢) الشّورى / ٤٥.
(٣) التصريح ١: ١٠.
(٤) الجني الداني ٣٠٧.

٢ ــ زيادة الفاء :

في حديث : « قوموا فلأصل لكم » قال السهيلي : « وأما من رواه : «لأصلي لكم، ففي الرواية بعدُ إلا على مذهب من رأى زيادة الفاء، وهو قول الأخفش ويونس، فإذا كانت كذلك كانت الفاء ملغاة على قولهما، أي : قوماً لأصلي (١) » .

ألا التي تقع للتمني :

قال الهروي : فأما قول الشاعر :

ألا رجلا جزاه الله خيراً يدل على محصلة تبيت

فزعم الخليل ـ رحمه الله ـ أنه ليس منصوباً بـ«ألاّ» على التمني، وإنما هو منصوب بإضمار فعل أراد : ألا أجد رجلاً، ألا ترونني رجلاً فلذلك نون.

وقال يونس والأخفش إنه تمنّ، ولكنه نوّن مضطراً كما قيل :

* سلام الله يا مطرٌ عليها *

فنون النداء المفرد العلم اضطراراً (١) .

وبعد، فلعلي بعد هذا العرض ليونس بن حبيب أكون قد وفيت الرجل حقه في عرض جهوده النحوية التي أثمرت وأينعت في كتاب سيبويه بفضل ما قام به سيبويه، إذ خصّها بمزيد من البحث والدراسة، وبفضل ما قام به خلفاء سيبويه إذ زادوا في بحثها، وأقاموا الشروح حولها، وبذلك يكون يونس قد أسهم في بناء صرح النحوي البصري، ولا أبالغ إذا قلت: إن آراء يونس، تلقفها نحاة الكوفة وكانت نقطة البداية في النحو الكوفي الذي اشتد عوده فيما بعد حتى وصل الذروة، ووقف على قدميه أمام النحو البصري وظهر ما يسمى الخلاف بين البصريين والكوفيين.

---

(١) امالي السهيلي : ٩٤، ٩٥.

(٢) الأزهية ١٧٢، ١٧٣ .

أقول: إن يونس يحتاج إلى دراسة متخصصة تعرض نحوه، وتنظر إليه من خلال كتاب سيبويه، والكتب النحوية الأخرى بصرية أو كوفية.

وأحب أن أشير في هذا المقام إلى أن كتاب سيبويه ليس هو المصدر الوحيد لآراء يونس كما يعتقد النحاة الدارسون فقد عثرت على مسألة نحوية منسوبة إلى يونس، وليس لها ذكر في الكتاب وهي مسألة إعمال (ما) في الخبر الموجب بإلا ذكر ذلك صاحب (الجني الداني) إذ قال :

«ويروى عن يونس من غير طريق سيبويه إعمال (ما) في الخبر الموجب بإلا، واستشهد على ذلك بعض النحويين بقول مغلّس :

وما حق الّذي يعثو نهاراً ويسرِق ليله إلا نَكالا

ويقول الآخر الذي :

وما الدهر إلا منجنوناً بأهله وما صاحب الحاجات إلا معذبا

ووافق ابن مالك يونس على إجازة ذلك [1] ».

وأقول مرة أخرى: إن يونس جدير بالدراسة المتعمقة لإضافة جديد إلى النحو العربي، وما فعلته ما هو إلا خطوط عريضة تدل على الطريق، وتدعو إلى البحث.

على أنه من الحق أن نقول: إن تِرْب يونس وهو الخليل

كان يشاركه هذا الجهد، بل كان للخليل جولات متعددة في الدراسات اللغوية والنحوية لم يصل إليها يونس، ولكن حسب يونس ما قاله ياقوت عنه : إمام نحاة البصرة في عصره، ومرجع الأدباء والنحويين في المشكلات[2] .

---

(١) الأزهية ١٧٢، ١٧٣.
(٢) الجني الداني ٣٢٥.
(٣) معجم الأدباء ٢٠، ٦٤.

القســـم الثانـــي

رجالٌ أسَّسُوا بُنيـان النحّو الكوفيّ

القسم الثاني: النحو الكوفي

الفصـــل السادس:
الجذور الأولى للنحو الكوفيّ

بعد هذه الجولة التي قمت بها في محيط نحو البصرة المتمثل في رجـالها العظماء الذين أسسوا بنيان النحو العربي ابتداء من أبي الأسود الدؤلـي، وانتهاء بيونس بن حبيب الذي سلّم قيادة النحو العربي إلى معاصر له مشهور هو الخليل ابن أحمد.

والخليل بن أحمد مدرسة نحوية قائمة بذاتها تخرج فيها رجال على رأسهم سيبويه الذي وضع أصول النحو العـربي، وأتم بنيانـه على أسس مشيدة بقيت حتى يومنا هذا قوية مُحْكمة لم تعبث بها يد الزمان كما عبثت بكثير من البنيان حتى تداعى، وأصبح أثـراً بعـد عيــن.

أقــول: بعد هذه الجولة أوجّه قلمي نحو جولة أخرى في النحو الكوفيّ الذي أعلن عن وجوده، وأفصح عن نفسه في فترة ما قبل سيبويه.

ومعظم المؤرخين يقررون أن الجذور الأولى للنحو الكوفي ظهرت على يد أبي جعفر الرؤاسي شيخ الكوفيين.

فالزبيديّ يذكر أن أبا جعفر: «كان أستاذ أهل الكوفة في النحو، وكان أخذ

عن عيسى بن عمر، وله كتاب في الجمع والإفراد»[1].

وينقل السيّوطيّ في البغية هذا النص الذي اقتبسه من الزّبيدي[2].

على أن أبا الطيّب اللغوي يقرّر أن أستاذه الذي تلقى عنه هو أبو عمرو بن العلاء قال ما نصــــه:

«وممن أخذ عن أبي عمرو أبو جعفر الرؤاسي عالم أهل الكوفة»[3].

وتكاد تجمع الروايات على أنه أخذ نَحْوَه من علماء البصرة وشيوخهم، ومن أهم هؤلاء الشيوخ: عيسى بن عمر، وأبي عمرو بن العلاء.

وتكاد تجمع أيضاً على أنه أستاذ الكوفيين جميعاً، وأنه المؤسس الأول للنحو الكوفي،وأنه أول من وضع للكوفيين كتاباً، ولا أدلّ على ذلك من شهادة تلميذه الفراء، والتلميذ دائماً على معرفة تامّة بأستاذه حيث يعرف من سيرته الذاتية كلّ صغيرة وكبيرة.

فاتصاله بأبي عمرو بن العلاء أمر أكّده الفراء في تفسيره «معاني القرآني» حيث نص على ذلك بقوله: «حدثني أبو جعفر الرؤاسي عن أبي عمرو بن العلاء قال: مرّ الفرزدق بعبد الله بن أبي إسحاق الحضرميّ النحويّ فأنشده هذه القصيدة:

* عَزَفْتَ بأعشاشٍ وما كِدْتَ تَعزف *

حتى انتهى إلى هذا البيت:

وعضّ زمان يا بنَ مَرْوان لم يدع ... من المال إلا مُسْحتٌ أو مجلَّفُ

(١) طبقات النحويين واللغويين/ ١٢٥.

(٢) البغية ١ / ٨٣.

(٣) مراتب النحويين / ٣٤.

فقال عبد الله للفرزدق: علام رفعت؟ فقال له الفرزدق على ما يسوءك [1] ».

وفي رأيي أن أبا عمرو، وعيسى بن عمر كلاهما تتلمذ على عبد الله بن أبي إسحاق وهذان الشيخان ـ كما ذكرت سابقاً في ترجمتها ـ أسْهما بجهد كبير في تطور الدراسة النحوية في عصرهما، هذا التطور الذي آتى أُكُلَه، وأثمر ثمره على يد تلاميذهما يونس والخليل، وأبي جعفر الرؤاسي والكسائي.

وقد التقط سيبويه هذه الدرر النحوّية واللغوية، فزيّن بها كتابه مما جعله عُمْدة النّحو العربي، ومصدره الأول.

وقد ثبت أن أبا جعفر دخل البصرة مرّتين.

«قال سلمة: سُئِل الفرّاء عن الرؤاسي فأثنى عليه، وقال: قد كان دخل البصرة دخلتين»[2].

وعلى الرغم من أن بعض الباحثين ينكر أن يكون أبو جعفر هو المؤسس الأول للمذهب الكوفي، ويثبت هذا التأسيس للكسائي، فإن هذا الإنكار ليس قائماً على أدلة مقنعة، فإن أبا جعفر كان معاصراً لشيوخ بصريين على رأسهم أبو عمرو وعيسى بن عمر، ومن دون شك فإن علم البصرة أخذ في هذه الفترة ينتشر في الكوفة مما جعل أهل الكوفة من العلماء والمفكرين يهاجرون إلى البصرة لِيَتَلَقَّوْا عن رجالها، وعلى رأس هؤلاء الذين وفدوا إلى البصرة أكثر من مرة أبو جعفر الرؤاسي.

على أنني لا أبالغ إذا قلت: إن النحو الكوفي غرست بذوره الأولى في

---

(١) معاني القرآن ١/١٨٢ - ١٨٣.

(٢) معجم الأدباء ٨ / ١٢٣.

مرحلة سابقة لمرحلة عيسى بن عمر وأبي عمرو بن العلاء، بل إنها تجاوزت مرحلة عبد الله بن أبي إسحاق إلى مرحلة أبي الأسود الدؤلي نفسه وذلك ما نعرضه في النقطة التاليــة:

ـ أثر أبي الأسود الدؤلي في النحو الكوفيّ:

وفد إلى البصرة رجال من الكوفة أخذوا العلم عن أبي الأسود الدؤلي، ولما رجعوا إلى الكوفة نشروا ما تعلموا في الكوفة، وكان هؤلاء الرجال النواة الأولى أو بعبارة أخرى الجذور الأولى للنحو الكوفيّ، فَمَنْ هؤلاء؟

** .. ** .. ** .. **

هؤلاء هم:

١ ـ سعد بن شداد الكوفي النحويّ:

قال عنه السيّوطيّ في البغية: «يعرف بسعد الرّابية بموضع كان يعلّم فيه النحوّ»، وذكر السّيوطيّ في صراحة ووضوح أنه تتلمذ على أبي الأسود حيث قال ما نصه: «أخذ عن أبي الأسود الدؤلي».

ومما لا شك فيه أن أبا الأسود كما بيّنا هو شيخ النحاة، ومبتدع النحو فليس من الغرابة أن يأخذ عنه سعد بن شداد النحو، ثم يقوم بدوره لتعليمه بعد أن أخذ من أستاذه ما أخذ، فرابية سعد كانت مَعْلَماً من معالم النحو في الكوفة.

أمّا سعد هذا فقد وصفه السّيوطي بقوله: «وكان مزّاحاً مضحكاً، ومن مزاحه أنه «اختلفت «بنو راسب» و«الطفّاوة»[1]، إلى زياد بن أبيه في مولود، فقال

---

(١) بنو راسب والطفاوة: قبيلتان عربيتان.

سعد: أيها الأمير، يُلْقى هذا المولود في الماء، فإن رسب فهو من راسب، وإن طفا فهو من طفاوة، فأخذ زياد نعْله وقام ضاحكاً، وقال: ألم أنهك عن الهزل في مجلسي»[1] ؟

** .. ** .. ** .. **

٢ ـ حرّ بن عبد الرحمن النحّوي:

ذكره السّيوطيّ في البغية، وترجم له بما لا يزيد على سطر واحد، ولكن في هذا السطر دليل واضح على أنه «سمع أبا الأسود، وعنه طلب إعراب القرآن أربعين سنة»[2].

ويغلب على ظني أن الحرّ النحويّ كوفيّ لا بصري، لأن مؤلفي كتب الطبقات لم يترجموا له، ولو كان من البصريين المرموقين أمثال عبد الله بن أبي إسحاق، ونصْر بن عاصم، وميمون الأقرن وعنبسة الفيل لضمّوه إلى جماعتهم، ونظموه في عِقْدهم، وكيف لا، وقد طلب إعراب القرآن أربعين سنة؟.

أكبر الظن أنه تعلم إعراب القرآن من أبي الأسود، ومن المعروف أن أبا الأسود قام بمجهود كبير في عصره وهو تنقيط المصحف تنقيط إعراب، ولا يمكن أن ينقط المصحف اعتباطاً إلا إذا كانت هناك أسس إعرابيّة لهذا التنقيط يبدو ـ والله أعلم ـ أنه بعد أن تعلّم إعراب القرآن رجع إلى الكوفة لينشر ما تعلم.

** .. ** .. ** .. **

---

(١) انظر هذه النصوص في البغية ١ / ٥٧٩.

(٢) البغيـــة ١ / ٤٩٢.

٣ ــ حُمران بن أعْين الطائي المقرىء النحْويّ:

قال القفطي في كتابه: «الإنباه» ما نصه: «من علماء الكوفة حُمران بن أعين سِنْبس مولى الطّائيين، يكنى: أبا عبد الله».

ووصفه الفرّاء فقال: «وابن حمران من موالي جعفر قارىء نحويّ، حسن الصّوْت شاعر».

ويسوق صاحب «الإنباه» رواية أخرى تدل على أنه كان ضعيفاً في النحو مستدلاً بقول عبد الله بن جعفر أنه كان «ضعيفاً في النحو، والقراءة والرواية».

ويسوق صاحب «الإنباه» خبراً نستدل منه على أنه قرأ على أبي الأسود فيقول: «قرأ حُمران على أبي الأسود، وقرأ أبو الأسود على عليّ ـ كرم الله وجهه ـ»[1].

ومن دون شك أن قراءة حمران على أبي الأسود تشير إلى أنه تعلّم منه النحو والعربيّة، فعلى منهج النحو وحركات الإعراب نقط أبو الأسود المصحف تنقيط إعراب كما ذكرنا سابقاً.

** .. ** .. ** .. **

وكما أخذ عبد الله بن أبي إسحاق وأبو عمرو بن العلاء عن تلامذة أبي الأسود أخذت طبقة كوفية أخرى النحو عن تلامذة أبي الأسود وأصحابه.

وبفضل هذه الطبقة نما النحو الكوفي الذي استقى من معينه رجال أسهموا في بنيانه، ومن هؤلاء الرجال:

---

(١) انظر هذه النصوص في الإنباه ١/ ٣٧٤ ـ ٣٧٥ ـ طبع دار الفكر بالقاهرة.

١ ــ زهيــر الفرقبي:

قـال عنـه القفطـي في «الإنبـاه»: «زهيــر بن ميمـون الفُـرْقُبيّ النحـويّ الكوفيّ . . . كان من أهل الكوفة.

وقال أبو بكر بن عيّاش، قلت لزهير الفرقبي بمكة: أنّى لك النحو؟ قـال: سمعته من أصحاب أبي الأسود فأخذناه».

وقال الهيثم بن عديّ: رأيت زهيراً الفرقبي، وقد اجتمع عليه الناس يسألونه عن القراءات والعربيّة، وهو يجيبهم، ويحتجّ على ما يقول بأشعار العرب، وكان يروي كثيراً عن ميمون الأقرن، وكان أبو جعفر الرؤاسي يأخذ عنـه وتوفي سنـة خمس وخمسين ومائة»(١).

٢ ــ توبــة الملائــــي:

ذكره ابن مجاهد عرضاً في كتابه «السبعة في القراءات» حينما تـرجم لأبي بكر عاصم بن أبي النجود، وذكر في ترجمته حديثاً لابن شاكر نصّ فيه عَرَضـاً على توبة الملائي ووصفه بأنه كوفي نحوي، فقال:

«حدثني ابن شاكر، قال: حدثنا يحيى بن آدم، ! قال حدثني ابن أبي زائدة عن توبة الملائي، وكان من أعلم أهل الكوفة بالنحو»(٢) الخ.

ومعنى ذلك أن ابن أبي زائدة المتوفى سنة ١٨٤ هـ يحدّث عن شيخ كوفي

---

(١) إنباه الرّواة ٢ / ١٨ ـ ١٩.

(٢) انـظر كتاب السبعـة في القـراءات / ٧٠، وفي هـامشـه أن ابن أبي زائـدة تـوفي سنـة ١٨٤ هـ.

من أعلم أهل الكوفة بالنحو في مرحلة سابقة معاصرة لمرحلة النحاة الأول البصريين أمثال أبي عمرو وأصحابه.

٣ ـ شيبان بن عبد الرحمن التميميّ النحوي أبو معاوية:

قال ابن الأنباري عنه «كان قارئاً محدّثاً نحويّاً من مقدّمي النحويين، سكن الكوفة، زماناً، وانتقل عنها إلى بغداد».

وتوفى ببغداد سنة ١٦٤ هـ في خلافة المهديّ، وقيل: توفي سنة سبعين ومائة في خلافة الهادي»(١).

فهذا نحويّ كوفيّ من معاصري عيسى بن عمر وأبي عمرو بن العلاء.

٤ ـ العلاء بن سيابة:

أغفلته كتب الطبقات، فلم تشر إليه أدنى إشارة ولولا الفراء في كتابه «المعاني» لما وقفنا على معرفة الرجل الذي علّم معاذ الهراء وأصحابه النحو. قال الفراء ما نصه: «وكان شيخ لنا يقال له: العلاء بن سيّابة ـ وهو الذي علم معاذاً الهراء وأصحابه ـ يقول: لا أَنْصِبُ بالفاء جواباً للأمر». معنى ذلك أن هذا الشيخ صاحب مدرسة لأنه تخرّج فيها معاذ الهراء وأصحابه، والفراء أيضاً.

ومعنى هذا مرّة أخرى أن الخلافات النحوية، والاتجاهات الإعرابية والأصول التركيبيّة أعلنت عن نفسها في حقل النحو العربي قبل أن يظهر سيبويه وكتابه.

**. . ** . . **

(١) نزهة الألباء / ٣٠ ـ ٣١.

(٢) معاني القرآن، ٢/ ٧٩.

ـ رأي نحوي للعلاء بن سيابة:

من حسن الحظ أن السيّوطيّ نقل في كتابيه الأشباه والنظائر والهمع بعض الآراء النحوية للعلاء بن سيابة:

ففي الأشباه في موضوع نصب الفعل في جواب الأمر يقول ما نصه: «قال أبو حيان: لا نعلم خلافاً في نصب الفعل جواباً للأمر إلّا ما نقل عن العلاء بن سيابة، قالوا ـ وهو معلم الفراء ـ أنه كان لا يجيز ذلك»(١).

ومن الهمع ينقل السّيوطي رأي أبي حيان حيث يناقشه مناقشة دقيقة فيقول: «قال أبو حيان، ولا نعلم خلافاً في نصب الفعل جواباً للأمر إلّا ما نقل عن العلاء بن سيابة، قالوا ـ وهو معلّم الفراء ـ أنه كان لا يجيز ذلك وهو محجوج بثبوته عن العرب، وأنشد سيبويه لأبي النّجم:

يا ناق سيري عنقاً فسيحا   إلى سليمان فنستريحا

إلّا أن يتأوّله ابن سيّابة على أنه من النصب في الشعر، فيكون مثل قوله:

سأترك منزلي لبني تميم   وألحق بالحجاز فأستريحا

قال: ولا يبعد هذا التأويل.

ولمنعه ـ [أي لمنع النصب في جواب الأمر] ـ وجه من القياس، وهو إجراء الأمر مجرى الواجب، فكما لا يجوز ذلك في الواجب كذلك لا يجوز في الأمر»(٢).

** .. ** .. ** .. ** .. **

---

(١) الأشباه والنظائر ٥/٢٣ بتحقيقي.

(٢) همع الهوامع / ٤: ١١٨ ـ ١١٩.

هؤلاء هم النحاة الأوائل الذين كانوا الجذور الأولى للنحو الكوفي الذي أثمر ثمره، وأعطى محصوله، وقدم نتاجه لتلميذين لهما دويٌّ كبير في تطوير النحو الكوفي وإشادة بنيانه، وهما الكسائي، والفراء كما أثمر النحو البصريّ وأعطى عطاءه، وقدّم نتاجه لتلميذين عظيمين لهما مكانة عظمى في تطوير النحو البصري، ورفعة بنيانه وهما الخليل وسيبويه.

على أن هناك حركة لغوية أخرى ظهرت بواكيرها في الكوفة على يد حماد بن هرمز المشهور بحماد الراوية، فالشعر الذي رواه حماد الراوية كان منطلقاً كبيراً لدعم قواعد النحو الكوفي، وسنداً قوياً لبناء أساليبه، ونسج تراكيبه، وقد سمّى الزّبيديّ في طبقاته حمادَ الرّاوية باسم حمّاد بن هرمز، ووضعه هو وأبا البلاد الأعمى في الطبقة الأولى من اللغويين الكوفيين:

١ ــ حماد الراوية:

قال عنه أبو الطيِّب في «المراتب» كان من أوسع الكوفيين رواية وقد أخذ عنه أهل المصرين وخلف الأحمر خاصة، وروى عنه الأصمعيّ شيئاً من الشعر، والدليل على ذلك ما ذكره الأصمعيّ حيث قال:

«كل شيء في أيدينا من شعر امرىء القيس فهو عن حمّاد الراوية إلّا نتفاً سمعتها من الأعراب وأبي عمرو بن العلاء»[1].

ــ حماد الراوية في ميزان البصريين:

البصريون كانوا يرمون حماد وجماعته من أهل الكوفة بالكذب والافتراء على العرب، وصناعة الشعر، ونسبته إلى الشعراء الكبار، وهم في رواياتهم ليسوا على ثقة، ولا يطمئن من جهتهم على أخذ الشعر العربي عنهم.

---

(١) مراتب النحويين / ٧٢.

قال أبو الطيب: «وحماد الراوية مع ذلك عند البصريين غير ثقة ولا مأمون.

أخبرنا جعفر بن محمد قال: أخبرنا إبراهيم من حُميد، قال: قال أبو حاتم: كان بالكوفة جماعة من رواة الشعر مثل حماد الراوية وغيره، وكانوا يَصْنَعُون الشِّعر، ويقتفون المصنوع منه، وينسبونه إلى غير أهله».

ويضيف أبو الطيب واقعة من وقائع الكذب، وحادثة من حوادث الافتراء، فيقول:

قال سعيد بن هُرَيم البُرجميّ قال: حدثني من أثق به أنه كان عند حماد حتى جاء أعرابي فأنشده قصيدة لم تعرف، ولم يُدْرَ لمن هي؟ فقال حماد: اكتبوها، فلما كتبوها وقام الأعرابيّ قال: لمن تروْن أن نجعلها؟ فقالوا أقوالاً، فقال حماد: اجعلوها لطرفة».

وعلى الرغم من شهادة الأصمعيّ بأن شعر امرىء القيس ليس له راوية إلاّ حمّاد فإنه مع ذلك كان لا يثق برواية حماد لأنه كما قال: «جالست حمّاداً فلم أجد عنده ثلاثمائة حرف، ولم أرض روايته وكان قديماً»[1].

ويتحدث عنه ياقوت في معجم الأدباء، فيسميّه: حماد بن ميسرة بن المبارك الكوفيّ المعروف بالرّاوية.

ويسوق أخباره العلميّة فيقول: «كان من أعلم الناس بأيام العرب، وأخبارها وأشعارها، وأنسابها ولغاتها».

ووصف حمّاد الراوية نفسه حينما سأله الوليد بن يزيد: «بم استحققت هذا اللقب، فقيل لك الراوية؟ فقال: بأني أروي لكل شاعر تعرفه يا أمير المؤمنين أو

(١) انظر هذه النصوص في مراتب النحويين/٧٢، ٧٣، والمزهر٢/٤٠٦.

سمعت به، ثم أروي لأكثر منهم ممّن أعرف أنك لم تعرفه، ولم تسمع به، ثم لا أنشد شعراً لقديم ولا محدث إلّا ميّزت القديم منه والمحدث.

فقال: إن هذا لَعِلْم وأبيك كبير، فكم مقدار ما تحفظ من الشعر؟ قال: كثيراً،ولكني أنشدك على كل حرف من حروف المعجم مائة قصيدة كبيرة سوى المقطّعات من شعر الجاهلية، دون شعر الإسلام»[1].

وقد توفي حماد سنة خمس وخمسين ومائة، وولادته كانت في سنة خمس وتسعين»[2].

ورثاه ابن كِناسة الشاعر بقوله:

لو كان يُنجي من الرّدي حذر نجّاك ممّا أصابك الحذرُ
يرحَمكَ الله من أخي ثقة لم يك في صَفْوودّه كدرُ
فهكذا يَفْسُد لزمان ويفـ ـنى العلم فيه ويَدرُس الأثرُ[3]

** .. ** .. ** .. **

٢ ــ أبو البلاد الأعمى:

هكذا ذكره الزبيدي في الطبقة الأولى من اللغويين والكوفيين، ولم يذكر له ترجمة على أن ابن قتيبة في كتابه «المعارف» ذكر له ترجمة موجزة جدًّا، فقال: «كان من أروى أهل الكوفة وأعلمهم، وكان أعمى جيد اللسان، وهو مولى لعبد الله بن غطفان وكان في زمن جرير والفرزدق»[4].

---

(١) معجم الأدباء/١٠: ٢٥٨- ٢٥٩.
(٢) معجم الأدباء/ ١٠: ٢٦٦.
(٣) معجم الأدباء / ١٠: ٢٦٦.
(٤) المعارف / ٢٣٥ لابن قتيبة تصحيح محمد إسماعيل الصاوي،طبعة ثانية ١٩٧٠ ـ طبع دار إحياء التراث ـ بيروت ـ لبنان.

هؤلاء هم الرّعيل الأول في النحو الكوفي، وقد عرفنا أن منهم من أخذ النحو عن أبي الأسود مباشرة مثل الحرّ النحوي الكوفي، وسعد بن شداد الكوفيّ، ومنهم من أخذ النحو عن أصحاب أبي الأسود وتلاميذه مثل زهير الفرقبيّ المتوفى سنة خمس وخمسين ومائة، كما أشرت إلى ذلك في ترجمته ومن أهم تلاميذ زهير هذا هو أبو جعفر الرؤاسي الذي أعتبره بحق من أهم النحويين الكوفيين، وأبرزهم في وضع الجذور الأولى للنحو الكوفيّ.

لهذا فإنني اعتبره مرحلة قائمة بذاتها من مراحل النحو الكوفي الذي وضحت معالمه، وظهرت أسسه على يد أبي جعفر، ثم نما هذا النحو وتطور على يد الكسائي الذي نضجت أصول النحو الكوفي في مدرسته وأصبح لها طابعها المنهجيّ المعيّن مما حدا ببعض المؤرخين إلى أن يغفل المراحل السابقة للنحو الكوفي قبل الكسائي، ولا يعترف بالنحو الكوفي إلاّ من خلال مدرسة الكسائي فإنه شيخها وعميدها، وإمامها، وحامل لوائها.

على أنه من الحق أن نقرر أن الفروع لا تنبت إلا من الجذور، فالكسائي انتفع بالجذور الأولى النحوية التي سبقت عصره، فأخذ ينمّيها ويرويها حتى ازدهرت على يده، وأتت ثمرها بفضله، وسنتناول شخصية أبي جعفر في الفصل الآتـي.

الفصـــل السابــع
أبو جعفر الرؤاسي

أبو جعفر الرؤاسي ترجم له ابن النديم في الفهرست بقوله:

«قرأت بخط أبي الطيّب أخي الشافعيّ قال: اسم الرؤاسي: محمد بن أبي سارة ويكنى أبا جعفر»(١).

والفيروزآباديّ في «البُلْغَة» ورد ذكره بـاسم «حازم أبي جعفـر الرؤاسي» ، وبهـذا الاسم سمّاه السّيـوطي في البغية(٣) وفي حـرف الميم من البغيـة ذكـره السّيوطي باسم: محمد بن الحسن بن أبي سارة الرؤاسي النّيليّ»(٤).

وفي طبقات النحويين للزبيدي ذكره بكنيته فقط فقال: «هو أبو جعفر»(٥)، وأغفل اسمه.

وفي نزهة الألباء ذكر باسم أبي جعفر محمد بن أبي سارة(٦).

وفي معجم الأدباء : ذكر باسم محمد بن الحسن بن أبي سارة الرؤاسي،

---

(١) الفهرست / ٦٤

(٢) البلغة / ٤٩.

(٣) البلغـــة ١ / ٤٩٢.

(٤) البلغـــة ١ , ٨٢ .

(٥) طبقات النحويين / ١٢٥.

(٦) نزهة الألباء / ٥٤.

يُكنى أبا جعفر[1].

والناظر إلى هذه المصادر التي سجلت اسمه نجد أن معظمها مُتّفق على أن اسمه محمد بن الحسن بن أبي سارة، وانفرد بتسميته حازماً السّيوطيّ في رواية من روايتيه، ولعلّ السّيوطيّ نقل هذه التسمية عن الفيروزآبادي في البلغة.

ـ لقبـــــه :

ولقب أبو جعفر بالرؤاسي لأنه كان كبير الرأس أو عظيم الرأس، ؛ لهذا السبب سمّي الرؤاسي، وتكاد تجمع كل كتب الطبقات على سبب هذه التسمية ما عدا أبا حيان الأندلسي فإنه في كتابه «تذكرة النحاة» يبيّن لنا سبباً آخر غير كبر الرأس، وهو منقول عن الإمام ثعلب الذي ينتمي إلى المدرسة الكوفية بل يعتبر رأساً من رؤوسها، فماذا قال ثعلب؟

قـــال : «الرؤاسي منسوب إلى قبيلة من العرب يقال لها: رواس، سمّيت بهذا الاسم لكثرة أكلها، والرّوس: الأكل الكثير»[2].

ولقّب أيضاً بالنّيلي، وهذا اللقب ذكره ياقوت في معجم الأدباء لأنه ـ كما يقول ـ كان ينزل النّيل، فقل له: النّيليّ»[3].

** .. ** .. ** .. **

---

(1) معجم الأدباء /18 : 121.

(2) تذكرة النحاة / 590.

(3)معجم الأدباء 18/ 122.

ــ طبقتـــــــه :

جعلهُ الزّبيدي من الطبقة الأولى النحوية الكوفية[1].

ــ شيوخــــــه :

١ ــ عيسى بن عمـــر :

تشير معظم كتب الطبقات على أن عيسى بن عمـر كان شيخـاً لأبي جعفر الرؤاسي ففي طبقات الزبيدي، والبغية للسّيوطيّ، والبلغـة للفيروزآبـاديّ، أنه أخذ النحو عن عيسى بن عمر[2]، وعيسى بن عمر قدّمنا له ترجمـة وافية فيمـا سبق.

٢ ــ أبو عمرو بن العلاء:

ومن شيـوخ أبي جعفر أبـو عمرو بن العـلاء شيخ النحـاة البصريين. ففي معجم الأدباء: «وممن أخذ عن أبي عمرو بن العلاء من أهل الكوفة أبو جعفـر الرؤاسي عالم أهل الكوفة»[3].

وينص السّيـوطيّ في البغية على أن أبـا عمرو الدّاني ذكر أبـا جعفـر في طبقات القُرّاء، قال: وروى الحروف عن أبي عمـرو، وهو معـدود في المقلّين عنـه، وسمع الأعمش، وهـو من جملة الكـوفيين، ولـه اختيـارات في القـراءة تروى[4].

** .. ** .. ** .. **

---

(١) طبقات النحويين/١٢٥.
(٢) طبقات النحويين / ١٢٥، والبلغة / ٥٠، والبغية ١/٨٣.
(٣) معجم الأدباء ١٨/ ١٢٤، ومراتب النحويين/٢٤.
(٤) بغية الوعاة ١ / ٨٣.

تلاميـــــــذه :

تجمع كتب الطبقات على أن الكسائي والفراء أخذا عنه، وتلقيّا:

ففي البغية : «وروى عنه الكسائي والفرّاء»، والمراد رويا القراءة، وفي البغية أيضاً، «وهو أستاذ الكسائي والفراء. . . والمراد بالأستاذية أستاذية النحو[1].

وفي معجم الأدباء: «كان الرؤاسي أستاذ عليّ بن حمزة الكسائي، والفراء»[2]. ومثل ذلك في الفهرست، ونزهة الألباء، وغير ذلك من كتب التراجم.

** .. ** .. ** .. **

ـ أخلاقـــــــه :

يصفه السّيوطيّ في البغية بأنه «كان رجلاً صالحاً»[3]، وكذلك وصفه قبل السّيوطيّ بهذه الصفة ياقوت في معجم الأدباء[4].

وفي معجم الأدباء أيضاً أن سلمة قال: «سئل الفراء عن الرؤاسي فأثنى عليه»[5]. ومما يدلّ على صلاحه أنه كان يستشير ذوي الرأي من الصالحين والحكماء، يدل على ذلك هذا الخبر الذي ساقه ياقوت في معجمه فقال:

«حدّث محمد بن جعفر الأشعبيّ عن الرؤاسيّ قال: قلت لأبي جعفر محمد

---

(١) بغية الوعاة ١ / ٨٣ ـ ٨٤.

(٢) معجم الأدباء ١٨/١٢٢، وانظر أيضاً الفهرست /٦٤، ونزهة الألباء/٥٤ .

(٣) البغية ١ / ٨٢.

(٤) معجم الأدباء ١٨ / ١٢٢ .

(٥) معجم الأدباء ١٨ / ١٢٣ .

ابن علي: إنّ لي تجارة بالنيل، أفأشتري بالنيل داراً؟ فقال: اشتر ما ينفعك قُرب عـزلة كـانت داعية خيـر، وإياك[1] وجميـع ما يعنيـك، فأمـا مـا لا يعنيك فـإيّـاك وإيّاه»[2].

ومما يصوّر أخلاق أبي جعفر الرؤاسي أحسن تصوير قصيدته التي أورد منها ياقوت في معجمه بعض الأبيات، وهي تدل دلالة واضحة على أنه رجل زاهد، وأن الدنيا ليست أكبر همه، ولا مبلغ علمه فما هذه الأبيات؟

قال ياقوت: ولأبي جعفر الرؤاسي قصيدة منها:

ألا يـا نفس هـل لـك في صِيام عـن الـدّنيـا لـعلّك تـهـتـديـنـا
يكـون الفِـطْرُ وَقْتَ المـوْتَ منها لـعـلـك عـنـده تَسْتَبْـشِـريـنـا
أجـيـبـيـنـي هـديـتِ وأسْـعِـفيـنـي لعلّك فـي الجِـنـان تخلّدينـا[3]

** .. ** .. ** .. **

حياتـــه الاجتماعيّـــة:

يبدو أن أبا جعفر كان لا يحب الاستقرار في مكان، لأنه على ما يظهر كان يميـل إلى الترحـال، والانتقـال من بلد إلى بلد، وبين أيـدينـا نصـوص تؤيـد ذلـــك.

فمن هذه النصوص: «قول الفراء أنه: دخل البصرة دخلتين»[4] أي مرتين وقول آخر معزوٌّ للفراء أيضاً: «أنه قـلّ مقامـه بالكوفة، فلذلـك قلّ أخـذ الناس

(1) في هامش معجم الأدباء أن إياك وجميع ما يعنيك إغراء أي الزمه.
(2) معجم الأدباء ١٨ / ١٢٣.
(3) معجم الأدبـاء ١٨ / ١٢٤.
(4) معـجم الأدبـاء ١٨ / ١٢٣.

عنه»[1]. وحينما دخل البصرة مرّتين لم يمكث فيها طويلاً، لأن المبرّد قال عنه: «ما عُرف الرؤاسي بالبصرة»[2].

وفي معجم الأدباء ما يشير إلى أنه تزوج امرأة من أهل النيّل[3]، وانتقلت إليه بشروط اشترطتها، ولنترك تلميذه الكسائي يحدّثنا عن قصة زواجه.

«عن الكسائي قال: «كان للرؤاسي امرأة من أهل النيل تزوّجها بالكوفة وانتقلت إليه من النيّل، وشرطت عليه أنّها تُلِمّ بأهلها في كل مدّة فكانت لا تقيم عنده إلا القليل، ثم يحتاج إلى إخراجها وردّها، فملّ ذلك منها وفارقها، وقال فيها:

بانت لمن تهوى حُمولُ	فأسِفْتُ في أثر الحُمولِ
أتبعْتُهم عيناً عليـ	ـهِمْ ما تُفيقُ من الهُمُولِ
ثم ارْعَوَيْتُ كما ارْعَوَى	عنها المُسائِلُ للطّلولِ
لاحت مخائِلُ خُلْقِها	وخِلافُها دون القبولِ
ملت وأبدت جفوةً	لا تركنَنّ إلى مَلولِ[4]

** .. ** .. ** .. **

مؤلفاته:

١ ـ الفيصل:

ذكر ياقوت في معجمه أن ثعلب: «زعم أن أوّل من وضع من الكوفيين كتاباً

---

(١) معجم الأدباء ١٨/١٢٣.

(٢) معجم الأدباء ١٨/ ١٢٣.

(٣) نيل العراق وليس نيل مصر.

(٤) معجم الأدباء ١٨ / ١٢٤.

في النحو أبو جعفر الرؤاسي»[1].

ويبدو أن هذا الكتاب كان موضع تقدير عند الكوفيين وهو الذي أشار إليه ثعلب بقوله: «وكان له كتابٌ معروف عندهم يقدّمونه»[2].

على أن المبرّد لم يكن على عِلْم تام بهذا الكتاب، فلم يره، وإنما سمع عنه يدلّ على ذلك قوله: «وقد زعم بعض الناس أنه صنف كتاباً في النحو، فدخل البصرة ليعرضه على أصحابنا، فلم يلتفت إليه، أولم يجرؤعلى إظهاره لمّا سمع كلامهم»[3].

وإنكار المبرّد لكتاب الفيصل ليس دليلاً واضحاً على أن الرؤاسي لم يؤلف هذا الكتاب لأن ابن النديم في «الفهرست» أكّد أن هذا الكتاب «رواه جماعة»[4].

ويروي محمد بن إسحاق في الكتاب الذي ألفه في سنة ٣٧٧ هـ رواية تقول: «كتاب الفيصل رواه جماعة وهو يروى إلى اليوم»[5].

ـ هل أفاد الخليل من كتاب الفيْصل؟

هذه قضيّة أثارتها الزميلة الفاضلة الدكتورة خديجة الحديثي في كتابها «المدارس النحوية» حيث نقلت نص ابن النديم في الفهرست الذي يبيّن أن أبا جعفر الرؤاسي قال: «بعث إليّ الخليل يطلب كتابي، فبعثت به إليه، فقرأ

---

(١) معجم الأدباء ١٨ / ١٢٢.

(٢) المصدر نفسه / ١٢٣.

(٣) المصدر نفسه والصفحة.

(٤) الفهرست / ٦٤.

(٥) معجم الأدباء ١٨/ ١٢٥.

ووضع كتابه»[1].

وجوهر هذه القضيّة أن الدكتورة خديجة تنفي أن يكون الخليل أفاد من كتاب الفيصل، لأن كتب الرّواة والتراجم لم توضح اسم هذا الكتاب الذي بعثه أبو جعفر إلى الخليل من ناحية، ومن ناحية أخرى فهناك رواية تسوقها للمرزبانيّ عن الرؤاسي في طلب الخليل هذا الكتاب، وهي: «فبعث به إليه فوضع كتاب العين، وإذا قال في كتابه: قال الكوفيّ كذا فإنما يعني به الرؤاسي».

وتعلق الدكتورة الباحثة على هذه الرّواية بقولها:

«وهذا أول نص يورده المترجمون للرؤاسي يشار فيه إلى أن الكتاب الذي وضعه الخليل على كتاب الرؤاسي، وأشار إليه بقوله، قال الكوفيّ: هو كتاب العين، يعني أن الكتاب الذي استفاد منه الخليل كتاب لغة......

وتؤيد الباحثة وجهة نظرها بأن الرواية لم تقل «إنه كتاب الفيصل كما لم تنص على أنه قال: «كتاب في النحو مثلاً».

ومعنى هذا أنه قد يكون للرؤاسي كتاب في النحو هو الفيصل إلاّ أن له كتباً لغوية أخرى، وأن الخليل أخذ عنه أحد كتبه، ووضع عليه كتابه «العين» ولم يذكر أحدٌ أن للخليل كتاباً معروفاً في النحو، فالنّص على كتابه يعني «العين»، فيما أذهب إليه، يعني أن الخليل هو المستفيد»[2].

وفي رأيي أن هذا الاستنتاج الذي توصلت إليه الباحثة استنتاج تنقصه الأدلة، وتعوزه النصوص، وذلك للأمور الآتية:

---

(١) الفهرست / ٦٤.

(٢) المدارس النحوية / ١٥٩.

أولاً : « قضّية تأليف الخليل «العين» ما زالت قضيّة غامضة في التاريخ فكثير من الرّواة ينكرون نسبة كتاب العين للخليل بأدلة متعدّدة لا يستوعبها هذا البحث.

ثانيـاً : لو فرض أن الخليل أفاد من المؤلفات اللغوية للرؤاسي من حقنا أن نتساءل: ما المؤلفات اللغوية التي ألّفها الرؤاسي؟

مؤلفاته التي سنسردها فيما بعد ليس فيها كتاب ينسب إلى اللغة إلا كتاب التصغير الذي نَصّت عليه المصادر المتعددة.

فكيف إذاً تفترض الدكتورة خديجة أن له كتباً في اللغة أفاد منها الخليل في كتاب العيـن؟

ثالثـاً : الظنون أو الفروض في مجال الدراسة والبحث لا يطلق لها العنان، لأن كـل الذيـن ترجموا لأبي جعفر لم ينصوا على أن له كتاباً لغويًّا واحداً في معجم اللغة، والخليل بن أحمد ليس في حاجة إلى معونة لغويّة يقدّمها له أبو جعفر، لأن الخليل: إن صح أن كتاب العين له ـ استوعب شعر العرب فاستخرج موازينه، وابتكر بحوره، فليس في حاجة إلى أن نمد يده إلى أن يأخذ مما سمعه أبو جعفر «من الأعراب والشعراء واللغويين» كما تقول الدكتورة خديجة[1].

رابعـاً : تنفي الدكتورة خديجة أن يكون للخليل كتاب معروف في النحو حينما نصّت على ذلك بقولها: «ولم يذكر أحدٌ أن للخليل كتاباً معروفاً في النحو»[2].

وفات الدكتورة خديجة حينما نصّت على ذلك لتجهز على قضية أخذ الخليل النحو من أبي جعفر عن طريق الرؤاسي، ولتثبت بعد إبطال هذه القضية

---

(١) المدارس النحوية /١٥٩.

(٢) المرجع نفسه والصفحة.

أن الذي أخذه الخليل هو اللغة التي أفاد منها في كتابه العين لا النحـــو.

أقــول: فات الدكتورة خديجة أن تستوعب المصادر اللغوية في مناقشة هذه القضية، وإلاّ لتوقفت طويلاً عن إصدار الحكم في أن الخليل لم ينسب له أحد من اللغويين أو المؤرخين كتاباً نحـويًا.

فالمصادر التي ترجمت للخليل نصت على أن للخليل كتاباً يسمّى الجمل: وهو من أول وهلة تتبادر إلى الذهن موضوعه النحو لا اللغة، لأن النحو تراكيب أساسها الجمل كذلك نصّ النحويون أن له كتاباً يسمّى : «العوامل».

وعلى الرغم من أن بعض اللغويين والمؤرخين القدماء شكّوا في نسبة كتاب الجمل إلى الخليل أمثال ياقوت في معجم الأدباء[1] كما شكوا في نسبة كتاب العوامل الذي ينص القفطي على أنه ليس للخليل بل هو منحول عليه[2] أمثال القفطي في الإنباه.

أقول على الرغم من ذلك فإن نفي التأليف النحوي عن الخليل لا يميل إليه العقـل، لأن معظم كتـاب سيبويـه قائم على آراء الخليـل، وليس من المقبول منطقيًا أن الخليل كان يملي من ذاكرته في مجال النحو، لأن الذاكرة مهما قويت فلن تستطيع أن تستوعب هذه الآراء التي فاضت بها صفحات كتاب سيبويه، مما يؤيد وجهة نظري في أن الخليل كان يملي من صحائف، وما في الصحائف اراء مسجلة وصل إليها الخليل بعد طول النّظر، ودوام البحث، وتقليب الأراء، وما الصفحات إلا تأليف يعتمد عليه الخليل في إصدار الأراء، وإعلان الأحكام.

وهناك كتاب ثالث للخليل نصّ يـاقوت في معجم الأدبـاء عليه، وبيّن أنـه يسمّى كتاب: «الشواهد»[3].

---

(١) معجم الأدباء ٣ / ١١.

(٢) الإنباه ١ / ٣٤٦.

(٣) معجم الأدباء ١١ / ٧٤.

ولا ندري هل كتاب الشواهد هذا أهو في شواهد اللغة أو في شواهد النحو أو في كليهما؟

ويبدو لي أن الخليل كان على صلة بالبادية بالأعراب أو العرب ينقل ما أخذ عنهم، وهذا النقل يصعب أن تسجله الذاكرة على صفحاتها، لأن كلام العرب وأشعارها في هذه الفترة من التاريخ سجلت على صفحات القراطيس خوفاً من ضياعها لو سجلت على صفحات الذاكرة.

يدل على ذلك أن أستاذ المدرسة البصرية عيسى بن عمر كان يسجل الشعر، ويؤلف الكتب مع أنه قد سبق الخليل بمرحلة زمنية، قال أبو عبيدة: قال عيسى: كنت وأنا شاب أقعد بالليل فأكتب حتى ينقطع سوائي» أي وسطي[1].

وفي رأيي أن كتاب الشواهد هذا من تأليف الخليل، وليس عدم وجوده ينفي وجوده، فإن كثيراً من كتب التراث بدّدها الزمن، وضيعتها الأحداث، وما بقي من تراثنا قليل بالنسبة لما ضاع.

وفي غالب ظني أن كتاب الشواهد هذا في اللغة والنحو معاً، لأن التفرقة بين اللغة والنحو في هذه الفترة من التاريخ لم يكن لها وجود، فالظواهر اللغوية والنحوية متشابكة في مؤلفات رجال هذا العصر.

خامساً: مما لا شك فيه أن شهرة أبي جعفر الرؤاسي هي في كتاب: «الفيصل» فكل الذين ترجموا ا لأبي جعفر أجمعوا على أن له هذا الكتاب الذي نص ثعلب على أن الكوفيين كانوا معجبين بهذا الكتاب ويقدّمونه كما أشرت إلى ذلك سابقاً.

وإن ثقة أبي جعفر بكتابه دعته إلى أن يدخل به البصرة ليعرضه على رجالاتها اللغويين والنحويين، ولما عرف أن زاد أهل البصرة من اللغة والنحو

---

(١) طبقات النحويين واللغويين/ ٤٢.

أكثر مما كان يعتقد طوى كتابه ولم يجسر على إظهاره كما ذكر ذلك المبرد في حديث سابق أشرت إليه.

وقد امتدت الحياة بهذا الكتاب فقد رواه جماعة وظل يؤدي رسالته قرابة قرنين من الزمان أي إلى سنة ٣٧٧ هـ، حيث ألف محمد بن إسحاق كتاباً في هذا التاريخ ذكر فيه أن كتاب الفيصل رواه جماعة وهو يروى إلى اليوم كما سجلت ذلك فيما سبق.

معنى هذا أن الخليل كان على معرفة تامة بهذا الكتاب لأنه ربما عرفه بالبصرة حينما دخلها أبو جعفر مرتين، أو عرفه عن رواية اللغويين والنحويين له مما جعله يبعث إلى أبي جعفر يطلب منه الكتاب، فقرأه.

واللبس الذي وقعت فيه الدكتورة خديجة هو أن الخليل لم يصرِّح باسم الكتاب حين طلبه، ولم تبين الرواية أي كتاب وضعه الخليل حينما قرأ كتاب أبي جعفر؟ فأنكرت أن يكون الكتاب الفيصل، ورجحت أن يكون كتاباً آخر لغوياً، لأن الخليل وضع كتابه، وفسّرتْ كتاب الخليل الذي وضعه هو العين، وهذا في نظري احتمال بعيد، لأن أبا جعفر حينما أضاف الكتاب إلى نفسه بقوله: كتابي تشعرنا هذه الإضافة باعتزاز أبي جعفر بكتابه من ناحية، وتشعرنا أن الكتاب معروف مشهور وأن التصريح باسمه إطناب غير مفيد من ناحية أخرى وليس لأبي جعفر كتاب اشتهر به، ونسب إليه، وأجمع الرواة على هذه النسبة غير كتاب «الفيْصل».

ولو كان لأبي جعفر كتاب لغوي كما ترى الدكتورة خديجة لما أغفله الرّواة؛ وكيف يغفله الرّواة وقد كان هذا الكتاب نواة لأعظم معجم لغوي ظهر على يد الخليل، وهو كتاب العين.

وليس من المنهجية العلمية أن تُثْبت أن كتاب العين المشهور استقى الخليل

أصوله من كتاب مجهول لم ينص عليه أحد من الرّواة كما تدعي الدكتورة خديجة، بأنه ربما يكون هذا الكتاب «الذي استفاد منه الخليل كتاب لغة»[1].

على أية حال كانت فإن ما عرضته الدكتورة خديجة من آراء في هذه القضية لا نسلم بها، لأنها آراء قامت على فروض لم تؤيدها رواية، ولم يدعمها دليل والأقرب إلى الحقيقة أن نقول: إن الكتاب الذي طلبه الخليل هو الفيصل، وأنه وضع كتابه عليه ليس المقصود به «العين» فلا علاقة بين العين والفيصل، وإنما المقصود به من وجهة نظري أي كتاب من الكتب النحوية التي ألفها الخليل في النحو، قد يكون الجمل، وقد يكون العوامل، وقد يكون الشواهد، وقد أشرنا إلى هذه الكتب من قبل.

وإنكار بعض الرّواة هذه الكتب ليس معناه أن هذا الإنكار قاطع في عدم نسبتها إلى الخليل، لأن كثيراً من الرّواة، لم ينف هذه الكتب عن الخليل فالخليل الذي ألّف في اللغة العين، وجمع أوزان الشعر العربي في كتاب العروض، ووضع كتاب النّغم، وكتاب النقط والشكل[2] لا يصعب عليه أن يؤلف في النحو وأن يفيد مما كتب فيه، وأن يأخذ من أبي جعفر كتاب الفيصل، ليقرأه ويفيد منه في مؤلفاته النحوية.

** .. ** .. ** .. **

٢ ـ كتاب الجمع والإفراد:

نص على نسبة هذا الكتاب إلى أبي جعفر الزبيديّ في «طبقات اللغويين والنحويين»[3].

---

(١) المدارس النحوية / ١٥٩.

(٢) معجم الأدباء ١١/ ٧٤.

(٣) طبقات النحويين واللغويين/ ١٢٥.

٣ ـ ولم يردْ ذكر كتاب «الجمع والإفراد» في معجم الأدباء لياقوت مع أنه أوْرد له كتباً أخرى وهي:

أ ـ كتاب معاني القرآن.

ب ـ كتاب التصغيـر.

جـ ـ كتاب الوقف والابتداء الكبيـر.

د ـ كتاب الوقف والابتداء الصّغير[1]،

هذا وقد أثبت له ابن النديم في الفهرست وابن الأنباري في «نزهة الألباء» كتاب «التصغير»، وكتاب «معاني القرآن» وذكر أنه يروى إلى اليوم، كما أثبت له أيضاً كتابي: «الوقف والابتداء الكبير» وكتاب «الوقف والابتداء الصغير»[2].

** .. ** .. ** .. **

وهناك كتاب لم يرد في المصادر التاريخية وهو:

٤ ـ كتاب النوادر: فقد اختص بذكره، والنقل منه أبو هلال العسكري في كتابه «شرح الفصيح» فقد نقل منه: «قدرت على الشيء أقدر»[3].

** .. ** .. ** .. **

ـ منزلة أبي جعفر بين النحاة:

بيّنا سابقاً أن أبا جعفر الرؤاسي أخذ النحو عن أبي عمرو، وأنه دخل البصرة مرتين وأخذ عن أهلها، وله من الكتب النحوية إلى جانب الكتب الأخرى ما يدلّ على أنه أفاد كثيراً من علماء عصره، واستقى منهم ما جعله شخصيّة لها وزنهـا

---

(١) معجم الأدباء ١٨ / ١٢٥.

(٢) الفهرست / ٦٤ ، ونزهة الألباء/ ٥٥.

(٣) انظر: ابن درستويه / ١٨١ للأستاذ عبد الله الجبوري، مطبعة العاني ببغداد/ ١٨١.

الكبير في المجال العلميّ.

وهذه المنزلة التي وصل إليها جعلته بحقّ المؤسس الأول للمذهب الكوفيّ ولا أدلّ على ذلك من كتابه «الفيْصل» الذي أومأنا إليه فيما سبق، وبيّنا أن الخليل بن أحمد أفاد منه بعد أن بعث به إلى أبو جعفر.

وعلى الرغم من إنكار الدكتورة خديجة هذه القضية قضية أخذ الخليل عن أبي جعفر في مجال النحو، وترجيحها أن الأخذ هو في مجال اللغة.

أقول على الرغم من ذلك فإن معظم الرّواة أشاروا بوضوح: «أن كل ما في كتاب سيبويه: «وقال الكوفيّ كذا» إنما عنَى به الرؤاسي هذا»(١).

ولنا أن نسأل من أين أتى سيبويه بهذه الآراء الكوفية، ومن أي مصدر أخذها؟ الحق أن سيبويه أخذها من الخليل، لأن الخليل يطل بوجهه العلمي في كل صفحة من صفحات كتاب سيبويه، فما الذي يمنع أن تكون هذه الآراء التي وضعت تحت عبارة «وقال الكوفي» هي آراء أبي جعفر الرؤاسي تلقاها عن الخليل الذي تلقاها بدوره عن أبي جعفر.

وقد أنكرت فيما سبق أن تكون الآراء التي أخذها الخليل عن أبي جعفر هي الآراء اللغوية التي حاولت أن تثبتها الدكتورة خديجة لأن هناك رواية مؤداها أنه بعد أن أخذ الخليل عن أبي جعفر وضع كتاب «العين» لأن أبا جعفر الرؤاسي كما قلت ليس له مؤلفات لغوية غير كتاب التصغير والجمع والإفراد وعنوانهما بعيد عن عنوان كتاب العين الذي يسجل المفردات اللغوية ويرتبها ترتيباً خاصاً، وينسقها تنسيقاً دقيقاً على منهج علمي لم يعهد من قبل مما يدلّ على أنه ابتكره ابتكاراً وابتدعه الخليل ابتداعاً.

وإن رجلاً يأخذ عنه الخليل وهو مَن هو كتاب الفيصل الذي اتفقت معظم

---

(١) المزهر ٢ / ٤٠٠.

الروايات التاريخية على أخذ الخليل منه ليدل دلالة واضحة عى أن أبا جعفر الرؤاسي رأس في النحو كبير، وعلم من أعلامه البارزين.

على أن العظماء دائماً لا يسلمون من ألسنة الحاقدين، وذمّ الحاسدين ومن هؤلاء الحاسدين أبو حاتم فقد قال: «كان بالكوفة نحويّ يقال له أبو جعفر الرؤاسي، وهو مطروح العلم ليس بشيء وأهل الكوفة يعظمون من شأنه، ويزعمون أن كثيراً من علومهم وقراءاتهم مأخوذ عنه» (١) .

ورواية أبي حاتم إذا وضعناها في ميزان النقد نجد أنها تدلّ على التعصب المذهبيّ فليس أبو جعفر مطروح العلم كما قال، لأنه لو كان مطروح العلم ما أخذ عنه الخليل، وما طلب منه إرسال كتابه الفيْصل إليه،ولو كان مطروح العلم لما ذكره سيبويه في كتابه بقوله: «وقال الكوفيّ» ونسبته إلى الكوفة دليل على عظمته، وعلى طول باعه في الدراسات النحوية، لأن هذه النسبة، تعني أنه لا كوفيّ غيره.

وهناك رواية أخرى تثبت أن الأخفش وهو من هو في النحو العربيّ قد ذكره في كتابه المسائل، وسجّل آراءه وردّ عليه.

«قال ابن درستويه: وزعم جماعة من البصريين أن الكوفيّ الذي يذكره الأخفش في آخر كتاب «المسائل» ويردّ عليه هو الرؤاسي»(٢).

ومعنى هذا النصّ أنّ البصريين أنفسهم هم الذين خصّوا الرؤاسي بهذا الفضل لأن شيخاً من شيوخهم يذكر آراءه، ويسلّط عليها أضواء النقد، والنقد لا يسلط إلاّ على آراء لها وزنها العلميّ، وقيمتها الفكرية.

وعلى الرّغم من أن الكسائي تتلمذ على أبي جعفر الرؤاسي فقد كان له موقف علميّ من أستاذه، وكان أبو جعفر يشعر بأن هذا التلميذ برع في النحو،

---

(١) المزهر ٢ / ٤٠٠.

(٢) معجم الأدباء ١٨ / ١٢٣.

ونبغ في حقله، واستقلّ بآرائه ممّا جعله ينقد أستاذه ويقف منه موقف النّدّ للند، وقد جرت واقعة تؤكّد هذه الاستقلالية في الرأي، ومخالفة أستاذه في المسائل النحوية.

ويصوّر هذه الواقعة الإمام ثعلب فيقول:

«كان الرؤاسي أستاذ عليّ بن حمزة الكسائي، والفرّاء. قال الفراء: فلما خرج الكسائي إلى بغداد، قال لي الرؤاسيّ: قد خرج الكسائيّ، وأنت أسنّ منه، فجئت إلى بغداد، فرأيت الكسائيّ، فسألته عن مسائل الرؤاسي، فأجابني بخلاف ما عندي، فغمزت عليه قوماً كوفيين كانوا معي فرآني، فقال لي: ما لك قد أنكرت؟ لعلّك من أهل الكوفة، قلت: نعم. قال الرؤاسيّ يقول: كذا وكذا، وليس صواباً. وسمعت العرب تقول: كذا وكذا حتى أتى على مسائلي فلزمتُهُ»(١).

من هذا النّص يتّضح لنا أن أبا جعفر طلب من تلميذه الفراء أن يذهب إلى بغداد لينشر علم أستاذه الرؤاسي في حلقاتها ومجالسها ليقطع الطريق على الكسائي، ويحول بينه وبين رئاسة النحو في بغداد.

وكانت المواجهة الصّعبة بين الفراء والكسائي حيث سأل الفراء الكسائي في مسائل نحوية اشتهر بها أبو جعفر، وإجابة هذه المسائل كان الفراء على علم بها، ولذلك أنكر إجابة الكسائي حينما سئل عنها، وأحسّ الكسائي أنه كوفيّ من أهل الكوفة جاء إلى بغداد ليحرج الكسائي، ويظهره في صورة الضعيف العاجز في النحو العربي، وسرعان ما أوقفه على الحقيقة ليبين له أن إجابات هذه المسائل الرؤاسية التي في ذهن الفراء إجابات خاطئة، وأنّها ليست صواباً لمخالفتها كلام العرب واستوعب مسائل الرؤاسي وإجاباتها ناقداً لها، خبيراً

---

(١) معجم الأدباء ١٨ / ١٢٢.

بأجوبة أبي جعفر عنها يصوّر ذلك قوله: «قال الرؤاسي يقول: كذا وكذا، وليس صواباً،وسمعت العرب تقول وكذا»، قال الفرّاء: «حتى أتى على مسائلي فلزمته» وكانت هذه الملازمة البداية الأولى لتلمذة الفراء على الكسائي حتى أصبح الفراء فيما بعد حامل علمه، ووارث فكره، وناشر مذهبه.

**.. **.. **.. **

ومع هذه المنافسة الشديدة بين أبي جعفر والكسائي، فإن الكسائي يعرف لأستاذه قدره ومنزلته، فقد روي أن الكسائي قال: «ما وجدت بالكوفة أحداً أعلم بالنحو من أبي جعفر الرؤاسي»، وقال مرة أخرى عنه:

«كنت آخذ المسائل فأقدّمها وأؤخّرها، فلا يحسنها أحد إلّا الرؤاسي»(١).

وقبل أن ننتهي من هذه النقطة أحب أن أشير إلى أن الدكتورة خديجة نسبت إلى ابن الأنباري قولاً لم أجده في كتاب «نزهة الألباء» الذي اعتمدت عليه في هذا القول، وهذا القول هو: أن ابن الأنباري حكى أن الفراء ذهب إلى بغداد بتحريض من الرؤاسي الذي لم يكن يريد بقاء الفراء في الكوفة منافساً له(٢).

لا أدري هل هو استنتاج أو حكاية عن ابن الأنباري؟ أما كونه حكاية عن ابن الأنباري فلم يرد في نزهة الألباء ما يفيد أنه ذهب بتحريض من أبي جعفر لأنه لا يريد البقاء منافساً له في البصـــرة.

وأما كونه استنتاجاً فإني لا أميل إليه، لأن ذهاب الفراء من وجهة نظري إلى بغداد هو مطاردة فكرية للكسائي الذي بدأ نجمه يسطع، وعلمه يبزغ، وآراؤه تتردّد وتنشر، وذلك لتعقبه وهزيمته حتى يأفل نجمه، وكانت المحاورة المشهورة

---

(١) انظر المدارس النحوية / ١٥٨ للدكتورة خديجة الحديثي.
(٢) المدارس النحوية / ١٦٠.

التي بينه وبين الكسائي، تلك المحاورة التي اعترف فيها الفراء بفضل الكسائي ومنزلته مما جعله ينتسب إلى مدرسته، ويحمل لواءها من بعده.

** .. ** .. ** .. **

ـ أبو جعفر الرؤاسي في مجال تأسيس المذهب الكوفيّ:

في ضوء ما كتبته عن أبي جعفر الرؤاسي أستطيع أن أقرر أن أبا جعفر هو المؤسس الأول للمذهب، وأن المذهب الكوفي عرف بفضله، ونشر بجهده، ونما بمؤلفاته وبحوثه، وذلك للأمور الآتيـــة:

١ ـ لقد اعترف القدماء، واتفقت كتب الطبقات على أنه أول من وضع من الكوفيين كتاباً في النحو هـو «الفيصل» وهـو الكتاب المعـروف عند الكـوفيين والذي كانوا يقدمونه[١].

وهذا الكتاب قال عنه ابن النديم: رواه جماعة[٢]، وذكره محمـد بن أبي إسحاق في كتابه الذي ألّفه في سنة ٣٧٧ هـ حيث نصّ على أنه يروى إلى اليوم[٣] أي أن كتاب الفيصل استمر يؤدي رسالته النحوية إلى سنة ٣٧٧ هـ . ومن يدري فقد استمر إلى ما بعد ذلك على حين نجد أن الكسائي الذي كـان ينافسه في تأسيس المذهب الكوفي ليس له إلا كتاب مختصر في النحو كما نص على ذلك ابن النـديم في «الفهرست»[٤]، حقاً فقـد نسب إليـه كتـاب «العــدد» وكتـاب «الحروف» وكتاب في«المصادر»، وهي مؤلفات في موضوعات خاصة من النحو وليست النحـو كلـه.

(١) انظر ماسبق من البحث.

(٢) انظر ماسبق من البحث.

(٣) انظر ماسبق من البحث.

(٤) الفهرست / ١٦٥.

لهذا لا أبالغ إذا قلت: إن كتاب «الفيصل» في النحو الكوفي هو الأساس الأول في بناء النحو الكوفيّ:

٢ ــ لقد نسب الرّواة إلى الكسائي الفساد، لأنه «صار إلى بغداد فلقي أعراب الحُطميّة، فأخذ عنهم الفساد من الخطأ واللحن، فأفسد بذلك ما كان آخذه بالبصرة كله»(١).

٣ ــ ضعف الكسائي في النحو فقد «قال أبو العباس: حدّثني سلمة قال: قال الفرّاء: مات الكسائي، وهو لا يحسن حدّ نعم وبئس، ولا حدّ أن المفتوحة، ولا حدّ الحكاية»(٢).

٤ ــ وعلى الرغم من منزلة الخليل اللغوية والنحوية، فقد استعان بنحو أبي جعفر حينما طلب منه إرسال كتابه «الفَيْصل» إليه، على حين لم يطلب ذلك من الكسائي مع أن له كتاباً في النحو وهو مختصر مما يدلّ على أنه كتاب صغير ليس فيه ما يدعو إلى الأخذ منه.

٥ ــ مسائل أبي جعفر التي أشرت إليها سابقاً تدلّ على أن له باعاً طويلاً في النحو يؤهله لأن يكون المؤسس الأول للمدرسة الكوفية.

** .. ** .. ** .. **

ــ آراء بعض المحدثين من النحويين في قضيّة تأسس المذهب الكوفيّ:

١ ــ رأي المرحوم الأستاذ أحمد أمين:

يرى الأستاذ أحمد أمين أن مؤسس المدرسة الكوفية ليس الرؤاسي وحده

---

(١) معجم الأدباء ١٣ / ١٨٣.

(٢) المصدر نفسه / ١٨٥.

ولا الكسائيّ وحده، ولا الفرّاء وحده، وإنما قام التأسيس بجهود هؤلاء الرجال الثلاثة معاً بدون تفرقة بين جهد وجهد، فالكل كانوا كوفيين وبتعاونهم وجهودهم في الدراسات النحوية تأسست المدرسة الكوفية يقول:

«ونشأت بالكوفة مدرسة على رأسها أبو جعفر الرؤاسي وتلميذاه الكسائيّ والفراء»(١). إلى أن يقول: «وبدأت من ذلك الحين مدرسة الكوفة تناظر مدرسة البصرة ثم بدأ الخلاف هادئاً بين الرؤاسي في الكوفة، والخليل في البصرة ثم اشتد بين الكسائي في الكوفة، وسيبويه في البصرة»(٢).

** .. ** .. ** .. **

٢ ـ رأي الدكتور شوقي ضيـف:

يرى أستاذنا الدكتـور شوقي ضيف أن أبـا جعفر الـرؤاسي مطروح العلم، وليس بشيء(٣) مردّداً هذه العبارة التي قالها أبو حـاتم عن أبي جعفر الـرؤاسي ومن العجب أنني لم أجد رواية أخرى تضاف إلى رواية أبي حاتم في التقليل من شأن الرؤّاسي مما يدلّ على أن المنفرد بهذا الاتهام الموجه إلى الرؤاسي هـو شخص واحد ذلك المسمى أبا حاتم، وهي رواية منشؤها التعصب للبصريين، ونقد من لمع من الكوفيين، أمثال أبي جعفر، ورواية كهذه الروّاية لا تقبل في مجال العلم، لأنها رواية شخص واحد لا يشـاركه أحد فيها من رجالات عصـره.

وقد دافعت عن الرؤاسي فيما سبق مفنّـداً هذا الاتهام.

وما ذكره أستاذنا الفاضل عن أبي جعفر حينما قال عنه ما نصه:

«ومن المؤكد أنه لم يدل في النحو بآراء ذات قيمة بدليل أن اسمه لم يَرِدْ

---

(١) ضحى الإسلام ٢ / ٢٩٤.

(٢) المرجع نفسه والصفحة.

(٣) المدارس النحوية للدكتور شوقي ضيف / ١٥٤.

في كتب النحاة التالية لعصره»[1] ـ أقول : ما ذكره أستاذنا الفاضل لا أسلّم به لأنّ لأبي جعفر الرؤاسي آراء نحوية وردت في كتب النحاة الذين جاءوا بعده، وسنعرض هذه الكتب التي احتوت آراء أبي جعفر الرؤاسي حينما نتعرّض لآرائه النحوية واللغوية فيما بعد إن شاء الله.

على أن أستاذنا الفاضل يؤكّد أن النحو الكوفي بدأ بالكسائي وتلميذه الفرّاء منكراً أن يكون هذا البدء على يد أبي جعفر، لأنه مطروح العلم من ناحية، ولأنه لم يدل في النحو بآراء ذات قيمة تداولها النحاة فيما بعد من ناحية أخرى يقول ما نصه:

«وإنما يبدأ النحو الكوفي بدءاً حقيقياً بالكسائي وتلميذه الفراء، فهما اللذان رسما صورة هذا النحو، ووضعا أسسه وأصوله، وأعدّاه بحذقهما وفطنتهما لتكون له خواصّه التي يستقل بها عن النحو البصري مُرَتِّبين لمقدّماته، ومدققين في قواعده، ومتخذين له الأسباب التي ترفع بنيانه»[2].

هذه وجهة نظر أستاذنا، ونحن نخالفه فيها لأن تلميذي أبي جعفر وهما الكسائي والفراء تعلّما على يد شيخهما، وشربا من معينه، وانتفعا بمؤلفاته، فهو الأساس الأول أو البادىء الحقيقي للنحو الكوفيّ، وإني اتفق مع الدكتورة خديجة الحديثي في أن النحو الكوفي رسمت معالمه بخطوط عريضة على يد أبي جعفر ومن سبقه، وعلى أسس هذه الخطوط قام البناء النحوي الكوفي وارتفع حتى تكامل شكله وتم بنيانه على يد تلميذيه الكسائي والفراء، تقول ما نصه:

«فقول الدكتور شوقي ضيف والدكتور مهدي المخزومي بأن الكسائي شيخ المدرسة الكوفية لا يعني أنه لم يكن هناك نحاة قبله، فقد رأينا عدداً من

---

(١) المدارس النحوية للدكتور شوقي ضيف/ ١٥٤.
(٢) المدارس النحوية / ١٥٤.

الدّارسين سمّي كل منهم نحوّياً كوفيًّا، ولم تصل إلينا آراؤهم إلاّ أن بعضهم أخذ عن بعض حتى اتصلت حلقتهم بمعاذ الهراء وأبي جعفر الرؤاسي اللذين كانا أول من نقل عن القدماء عدّهم إيّاهما من مؤسسي المدرسة الكوفية،واتضحت للرؤاسي آراء،وقراءات،وأقوال نحوية وصرفيّة إلاّ أننا نعدّ الكسائي والفرّاء قمة النضج والتكامل في النحو الكوفي كما كان الخليل قمة نضج النحو البصري، وشيخ المدرسة البصرية، فقط طوّر هذان الكوفيّان النحو البصري، وجدّدا في منهج درسه، وفي كثير من مصطلحاته»[1].

** .. ** .. ** .. **

ـ أبو جعفر الرؤاسي في حقل القراءات القرآنيّة:

كان أبو جعفر تلميذاً لأبي عمرو بن العلاء، وعلم أبي عمرو بالقراءات أشهر من نار على علم، لأنه أحد القرّاء السبعة الذين نشروا القراءات، وأقاموا عليها الدراسات التي فاضت بها المكتبة العربيّة ولا أبالغ إذا قلت: إن أبا عمرو وهبه الله في هذا الميدان ما لم يهب غيره، لأن الأصمعي يخبرنا أن أبا عمرو قال له: «لو يهيأ لي أن أفرغ ما في صدري في صدرك لفعلت، لقد حفظت في علم القرآن أشياء، لو كتبت ما قدر الأعمش على حملها، ولولا أن ليس لي أن أقرأ إلاّ بما قرىء لقرأت كذا وكذا، وكذا وكذا، وذكر حروفاً»[2].

ومن الطبيعي جدًّا أن يتأثر الرؤاسي بشيخه في مجال القراءات، فقد كان له قراءات منسُوبة إليه، وشهر بها في علم القراءات، ونذكر من هذه القراءات القراءات الآتية:

---

(١) المدارس النحوية / ١٦٣ للدكتورة خديجة الحديثي.

(٢) غاية النهاية في طبقات القراء ١ / ٢٩٠.

١ ـ ﴿آلمّ الله﴾ :

قال الفراء في معانيه :«قـرأت القُرّاء»«آلَمَ اللهُ(١)»في [آل عمـران] ففتحوا الميم، لأن الميم كانت مجزومة لنيّة الوقف عليها، وإذا كان الحـرف ينوى بـه الوقوف نوى بما بعده الاستئناف، فكانت القراءات: «ا ل مَ اللهُ» فتركت العرب همزة الألف من: «الله» فصارت فتحتهـا في الميم لسكونهـا، ولو كـانت الميم جزماً مستحقًّا للجزم لكسرت، كما في ﴿قيل ادخلِ الجنة﴾(٢).

وقد قرأها رجل من النحويين ـ وهو أبو جعفر الرؤاسي، وكان رجلاً صالحاً ـ ﴿آلمْ أللهُ﴾ بقطع الألف، والقراءة يطرح الهمزة»(٣).

** .. ** .. ** .. **

٢ ـ ﴿وعُبِد الطّاغوتُ﴾(٤):

قراءة الجماعة، وحفص عن عاصم: «وعَبَد الطاغوتَ» ولأبي جعفر قـراءة نسبت إليه، ونصّ عليها القرطبي وغيره من المفسّـرين والقُراء. وهي: «وعُبِـد الطاغوتُ» بضم العين للبناء على المفعول، وجعل «الطاغوت» نائب فاعل.

قال القرطبيّ: «وقـرأ أبو جعفـر الرؤاسيّ: وعُبِـد الطاغـوتُ على المفعول والتقدير: «وعُبِد الطاغوتُ فيهمْ»(٥).

وقـال الطبـرسي: «وقرأ أبـو جعفر الـرؤاسي النحوي: «وعُبِـد الطاغـوتُ»

---

(١) ال عمران /١ـ ٢.

(٢) يونس / ٢٦.

(٣) معاني القرآن للفراء ٩/١.

(٤) المائدة / ٦٠.

(٥) الجامع لأحكام القرآن ٦ / ٢٣٦.

كقولك: ضُرِب زيد لم يسمَّ فاعله»[1].

** .. ** .. ** .. **

٣ ــ ﴿ أن تأتِيَهُم بغتـةً ﴾[2].

قراءة الجماعة: «أن تأتِيَهُـم».

وقرأ أبو جعفرُ: «إنْ تأتِهمْ»، وهذه القراءة لم تنسب لأحد من القراء غير أبي عمرو بن العلاء، وأبي جعفر الرؤاسي، فقد نسبت إليهما دون غيرهما هذه القراءة.

ومما يدلّ على علاقة أبي جعفر الرؤاسي، واتصاله به، وأخذه عنه في مجال القراءات ما ذكره الطبري في تفسيره حيث قال: عند تعرّضه لقراءة أبي عمرو والرؤاسي «إن تأْتِهم» مع أنها مخالفة لقراءة الجماعة وأهل الكوفة: «أن تـأتِيَهم»: وعلى فتح الألف من «أن» ونصب: «تـأتِيَهـم» قـراءة أهـل الكـوفـة وقد حدثت عن الفراء قال: حدثني أبو جعفر الرؤاسي قال: قلت لأبي عمرو بن العلاء: ما هذه الفاء التي في قوله: «فقد جاء أشراطها»[3] ؟

قال: جواب الجزاء قال: قلت: إنها «أن تأتيهم» قال: فقال: معاذ الله، إنما هي: «إن تأتهم»، قال الفراء: فظننت أنه أخذها عن أهل مكة، لأنه عليهم قرأ.

قال الفراء: وهي أيضاً في بعض مصاحف الكوفيين بِسِنّة واحدَة: «تأتهم» ولم يقرأ بها أحد منهم.

قال الفراء: وتأويل الكلام على قراءة من قرأ ذلك بكسر ألف إنْ وجزم «تأتهم»: فهل ينظرون إلا الساعة، فيجعل الخبر عن انتظار هؤلاء الكفار الساعة

---

(١) مجمع البيان للطبرسيّ ٣ / ٢١٥.

(٢) سورة محمد / ١٨.

(٣) تكملة الآية: ﴿أن تأتيهم بغتة فقد جاء أشراطها﴾.

متناهياً عند قوله : إلا الساعة، ثم يُبْتَدَأ الكلام فيقال: إن تأتهم الساعة بغتة فقد جاء أشراطها، فتكون الفاء من قوله: فقد جاء بجواب الجزاء»[1].

ومن نص الطبري نستخلص أن أبا جعفر كان يحاور أستاذه في مجال النحو وبخاصة فيما يتعلق بالقراءات، ومع أن الكوفيين لايقرأون بها، وإن كانت في بعض مصاحفهم بسنة واحدة، فإن أبا جعفر الرؤاسي وهو رأس الكوفيين خالف قومه اتباعاً لقراءة أبي عمرو، وقوة موافقتها لمقاييس النحو.

ـ أثر أبي جعفر الرؤاسي في الدراسات النّحويّة:

لأبي عمرو آراء في مجال الدراسات النحوية انفرد بها، وكانت نقطة الانطلاق في تكوين المدرسة الكوفيــة.

حقًّا إنها آراء قليلة، ولكن لها دلالتها في هذه الفترة من التاريخ النحوي لأنها تشير إلى المنهج ،وترسم الطريق إلى المذهب، والبداية دائماً طريق إلى النهايــة.

ولا نستطيع أن نقول: إن النحو نضج على يده، وتم بنيانه على أساس مذهبه، لأن هذا مخالف لطبائع الأشياء، فكل مولود صغير إلى أن يكبر، وكل بداية قليلة إلى أن تكثر، فما هي إذاً الآراء النحوية لأبي جعفر التي كانت سبباً في وضع أسس المذهب الكوفيّ؟

من الممكن أن نحصر هذه الآراء في النقاط الاتيــة:

أ ـ آراء مصدرها الحكايات:

١ ـ «أنْ» المفتوحة الهمزة تجزم الفعل المضارع:

---

(١) جامع البيان في تفسير القرآن للطبري ٢٦ / ٣٣.

قال السّيوطيّ في الهمع: «لا يجوز الجزم بـ «أنْ» عند الجمهور. وجوّزه بعض الكوفيين.

قال الرؤاسي من الكوفيين: فصحاء العرب ينصبون بـ «أن» وأخواتها الفعل. ودونهم قوم يرفعون بها. ودونهم قوم يجزمون بها. وأنشد على الجزم:

* أحاذِرُ أنْ تعلَمْ بها فتردّها * (١)

٢ ـ «نِعْم» اسم وليست فعلاً:

قال السّيوطيّ في الهمع متحدّثاً عن نِعم وبئس:

«وعن الفراء أنهما اسمان لدخول حرف الجرّ عليهما في قوله: والله ما هي بنعم الولد، وقولهم: نعم السير على بئس العير.

والإضافة في قوله:

* بنعم طيْرٍ وشباب فاخِرِ *(٢)

والنداء في قولهم، يا نعم المولى، ويا نعم النصير.

والإخبار عنهما فيما حكى الرؤاسي: «فيك نِعْم الخَصلة»(٣).

** .. ** .. ** .. **

(١) لجميل بن معمر العذري، ديوانه / ٢٩٩، وعجزه.

* فأتركها ثقلاً عليّ كما هيا *

وانظر همع الهوامع ٤ / ٩١.

(٢) قائله مجهول، وصدره:

* صبحك الله بخير باكر *

(٣) همع الهوامع ٥ / ٢٧.

ب ـ في التذكير والتأنيث:

١ ـ في باب ما لا ينصرف:

قال ابن الأنباري: «اعلم أن أسماء المؤنث كلها لا تُجْرى[١] إلا يسيراً من أسمائهم نحو هنْد ودعْد، وجُمْل، ونُعْم، وما لا يجرى لا يدخله تنوين ولا خفض، لأن إعرابه مُشبَّهُ بإعراب المستقبل، فمنعوه التنوين كما منعوا المستقبل. من ذلك قولهم: قامت زينبُ ونوارُ، وأكرمت زينبَ ونوارَ، ومررت بزينبَ ونوارَ، وهما في موضع خفض، لأن ما لا يجري لا يدخله الخفض.

قال البصريون: «مُنِع الخفض كما مُنِع المستقبل الخفضَ».

وقال الفراء: كان الحكم عليه أن يُخْفض، لأنه لا يمنع بشبهه الفعل كلّ ما يجب له من حقّ الأسماء، فكرهوا أن يخفضوه فيقولوا: مررت بزينبٍ ونوارٍ فيشبه المضاف إلى المتكلم كقولك مررت بغلامِ يا رجلُ، ونظرت إلى دار يا فتى.

وهذا الذي ذهب إليه الفراء هو مذهب أبي جعفر الرؤاسي[٢]».

** .. ** .. ** .. **

ج ـ السماع:

ليست اللغة قياساً مطّرداً، لأن اللغة متطوّرة حيّة يعتريها ما يعتري الأحياء من التغيير والتبديل، ومن هنا تستطيع أن تقول: إن اللغة كائن حيّ، لا يخضع للقوالب الجامدة، والأشكال الثابتة، فالقياس بالنسبة لها لا يتفق مع طبيعتها، ولا يتلاءم مع تكوينها، ولذلك يقول النحويون: «إن الاستعمال إذا ورد بشيء أخذ به، وترك القياس، لأن السماع يبطل القياس.

---

(١) أي لا تنصرف.

(٢) المذكر والمؤنث / ١٢٣ ـ ١٢٤.

قال أبو عليّ : لأن الغرض فيما ندوّن من هذه الدواوين، ونقنّنه من هـذه القوانين إنما هو ليلحق من ليس من أهل اللغـة بأهلها، ويستوي من ليس بفصيح ومن هو فصيح، فإذا ورد السّماع بشيء لم يبق غرضٌ مطلوب وعدل عن القياس السماع»[1].

١ ـ وأبو جعفر الرؤاسي يثبت بالسماع تثنية : جُنُب في قولهم: قَوْمٌ جُنُب وهي قضية عرضها ابن الأنباري في كتابه «المذكر والمؤنث».

قال ما نصه : «وقال الفراء: رأيت العرب لا تجمع وإن كانوا يُثَنّون قال الله جلّ ثناؤه في التثنية: ﴿أنؤمن لِبَشَرَيْن مِثْلِنَـا﴾[2].

وقال في الجمع : «﴿ما أنتم إلا بشرٌ مثلنا﴾[3].

قـال : وقد زعم الـرؤاسي أنه سمـع: مررت بِجُنُبَيْن، يعني بقـوم جنُب، فحَسُن الجمع ها هنا، لأن القوم قد حذفوا ها هنا فلم يؤدّ الجُنبُ إذا أفرد عن المعنى. قال: وإنما ثنّت العرب في الاثنين، وتركـوا الجمع غيـر مجموع،لأن الاثنين يؤدّيان عن أنفسهما عددهما، وليس شيء من الجمـاع يؤدي اسمه عن نفسه، ألا ترى أنك إذا قلت: عندي درهمان لم تحتج إلى أن تقول: اثنان فإذا قلت: عندي دراهم لم يعلم عددها حتى تقول: ثلاثة أو أربعة»[4]؟

٢ ـ الأهالي جمع لأهليـن:

قال ابن الأنباري : «قال الفراء: «آل» واحدٌ لا جمع له، قال: ونرى أن أصله: أهل، ثم استثقلت الهاء، وكثرت في الكلام، فبدّلت ألفاً. قـال: وإن

---

(١) خزانة الأدب للبغدادي ٣ / ٥٥١.
(٢) المؤمنون / ٤٣.
(٣) يسٓ / ١٥ .
(٤) المذكر والمؤنث / ٢٥٥.

شئت «جعلته مسمّى بالآل» الذي هو الشخص. قال: والعرب تصغّره: أُويل، وأُهيل، وقد قال الله عز وجل: ﴿يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم ناراً﴾(١) فجمع الأهل، ثم يجمع الجمع.

وزعم الرؤاسي أنه سمع: «الأهالي» جمعاً، فكأنه بني على «أهلين» ثم جمع الجمع كما قالت العرب: لا عُشَارى لك، وهو جمع العشرين وهو ما شذ من كلام العرب»(٢).

** .. ** .. ** .. **

د ـ الاستشهاد بالشعر:

والرؤاسي يستشهد بالشعر العربي في بناء القواعد النحوية وذلك في الاكتفاء بإضافة الثاني من إضافة الأول:

قال ابن الأنباري، قال الفراء: أنشدني الرؤاسي:

يا من يرى عارضاً أكفكِفُهُ ... بين ذراعَيْ وجبهة الأسدِ(٣)

أراد بين ذراعي الأسد، وجبهة الأسد، فاكتفي بإضافة الثاني من إضافة الأوّل، ومن أجاز هذا لم يُجِزْ بين ذراعي وجبهته، لأنه إذا كان المعنى بين ذراعه وجبهته لم يحسن حذف الهاء»(٤).

** .. ** .. ** .. **

هـ ـ آراء خاصة لأبي جعفر:

ولأبي جعفر آراء خاصة انفردبها،ونسبها النحويون إليه لا لغيره.

---

(١) التحريم / ٦.

(٢) المذكر والمؤنث / ٤٣٥.

(٣) من شواهد سيبويه ١ / ٩٢.

(٤) المذكر والمؤنث / ٥٩٧.

من هذه الآراء:

١ ـ إبّوْل : مفرد أبابيل:

قال السيّوطيّ في المزهر: قال ابن مجاهد عن السمري عن الفرّاء قال: كان أبو جعفر الرؤاسي يقول: واحد الأبابيل: إِبَّوْل مثل عِجَّوْل وعجاجيل »[١] .

** .. ** .. ** .. **

٢ ـ رمضان لا يجمع :

قال أبو حيان في التذكرة: رمضان: رمضانات وأرمضة ورماض:

قال الكسائيّ: كان الرؤاسي يأبى أن يجمع رمضان، ويقول: «هو اسم من أسماء الله تعالى»[٢].

** .. ** .. ** .. **

وبعد فهذه شخصية أبي جعفر في مجال الدراسات النحوية، وفي مجال تأسيسه المدرسة الكوفيّة.

وقد تبين لنا من خلال هذه الدراسة أنه كان شخصية لها وزنها العلمي، وقد نقل عنه تلميذاه الفراء والكسائي كثيراً من الآراء النحوية واللغوية.

وقد حفظت لنا هذه الآراء في كثير من المصادر التراثية التي جاءت من بعده وهذا يوضح بدون شك أن الذين وصفوه بأنه مطروح العلم ظلموه في هذا الوصف، كما تشير هذه المصادر التي ذكرنا بعضها إلى أن آراءه ظلت حيّة من بعده تداولها النحاة في كتبهم، والمفسرون في مصادرهم مما لا يتفق مع رأي

---

(١) المزهر ٢ / ١٩٨.

(٢) تذكرة النحاة لأبي حيان الأندلسي / ٥٩٠.

أستاذنا الدكتور شوقي ضيف بأنه ليس له آراء في النحو تحتفظ بها الكتب التراثية التي جاءت من بعده، وقد وضعنا أيدينا على كثير من هذه الآراء في كثير من كتب التراث.

** .. ** .. ** .. **

ـ وفاتــــــه:

لم تذكر كتب المصادر تاريخ وفاته، وإن ذكر بعضها أنه توفي في خلافة الرشيد[1].

** .. ** .. ** .. **

---

(١) معجم الأدباء ١٨ / ١٢٢.

الفهـــارس

فهرس الآيات القرآنية الكريمة

الآيـــــة	رقمها	رقم الصفحة
[البقـــــرة]		
ـ ﴿وما هم بمؤمنين . . ﴾	٨	٦٠
ـ ﴿وما يخدعـــون . . ﴾	٩	١٢٢
ـ ﴿ بما كانوا يكذبون . . ﴾	١٠	٦٠
ـ ﴿ وإذا قيـــل لهــــم . . ﴾	١١	٦٢
ـ ﴿ وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم إنما نحـــن مستهزئـــون﴾.	١٤	٦٠
ـ ﴿فتلقى آدم من ربّه كلمـات . . . ﴾	٣٧	٦٢
ـ ﴿تبع هـــداي . . . ﴾	٣٨	١٢٦
ـ ﴿ ما سألتـــم . . . ﴾	٦١	٩٤
ـ ﴿ومنهم أميّون لا يعلمون الكتاب إلاّ أمانيّ﴾	٧٨	١٦
ـ ﴿وجبريـل وميكـال . . . ﴾	٩٨	٩٥
ـ ﴿ولا تُسأل عن أصحاب الجحيم﴾.	١١٩	١٢٢
ـ ﴿فأمتعـــه . . . ﴾.	١٢٦	٥٩
ـ ﴿وإله آبائـــك . . ﴾.	١٣٣	٩٠
ـ ﴿ليـــس البرّ . . . ﴾.	١٧٧	١٢٢
ـ ﴿فلا رفث ولا فســـوق . . . ﴾.	١٩٧	١٢٣
ـ ﴿حتى يقول الرسول . . ﴾.	٢١٤	٦٥ ـ ١٢٤

الآيـــة	رقمها	رقم الصفحة
ـ ﴿ وصدّ عن سبيل الله وكفر به والمسجد الحرام﴾.	٢١٧	٣٣٦
ـ ﴿فرهـان مقبوضـة . .﴾ .	٢٨٣	٣١١

* . * . * . * . *

[آل عمــران]

الآيـــة	رقمها	رقم الصفحة
ـ ﴿الٓمٓ * الله . .﴾	١ ـ ٢	٤٣٠
ـ ﴿وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم . . .﴾ .	٧	٢٠٤
ـ ﴿وقل للذين أوتوا الكتاب والأميين أأسلمتم . .﴾ .	٢٠	١٦
ـ ﴿ذلك بأنهم قالوا ليس علينا في الأميين سبيل . . .﴾	٧٥	١٦
ـ ﴿ لمـا ءاتيتكم . .﴾ .	٨١	٦٩
ـ ﴿ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم . . .﴾ .	١٤٢	٧٠

* . * . * . *

[النســاء]

الآيـــة	رقمها	رقم الصفحة
ـ ﴿ألا تقسطـوا . .﴾ .	٣	٩٥
ـ ﴿فواحــدة . . .﴾ .	٣	٧٢
ـ ﴿اللاتي أرضعتكــم . .﴾ .	٢٣	٦٨
ـ ﴿ما فعلـوه إلا قليل منهم . .﴾ .	٦٦	١٥٦
ـ ﴿يراءون الناس . . . .﴾ .	١٤٢	١٢٨
ـ ﴿إلا من ظُلــم . .﴾ .	١٤٨	٢٣٩
ـ ﴿ لكن الراسخون في العلم منهم والمؤمنون يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك والمقيمين الصلاة والمؤتون الزكاة . . .﴾ .	١٦٢	٣٣٥

* . * . * . *

[المــائــدة]

الآيـــة	رقمها	رقم الصفحة
ـ ﴿والسارق والسارقة . .﴾	٣٨	١٤٥ ـ ١٧٣
ـ ﴿أفحكم الجاهليّة يبغـون﴾ . .	٥٠	٥٧

الآيــــة	رقمها	رقم الصفحة
ـ ﴿وعبـد الطاغوت . . .﴾ .	٦٠	٤٣٠

* . * . * . *

[الأنعــــام]

الآيــــة	رقمها	رقم الصفحة
ـ ﴿يا ليتنا نردّ ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين﴾ .	٢٧	١١٩
ـ ﴿ولا رطب ولا يابس . .﴾ .	٥٩	١٢١
ـ ﴿ولم يلبسوا إيمانهم بظلم . . .﴾ .	٨٢	٢٠٣
ـ ﴿وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه . .﴾ .	٨٣	
ـ ﴿إلى قوله تعالى : ﴿وزكريا ويحيى وعيسى . . .﴾ .	٨٤	٨٥
ـ ﴿لقـد تقطع بينكـم . .﴾ .	٨٥	٢٥١
ـ ﴿وما يشعركم أنها إذا جاءت لا يؤمنون . . .﴾ .	١٠٩	٩٦
ـ ﴿ما أشركنـا ولا آباؤنا . .﴾ .	١٤٨	١٧٤
ـ ﴿تماماً على الذي أحسن . . .﴾ .	١٥٤	٩٣
ـ ﴿فمن أظلم ممنّ كذب بآيات الله . . .﴾ .	١٥٧	٩٣

* . * . * . * . *

[الأعــــراف]

الآيــــة	رقمها	رقم الصفحة
ـ ﴿ ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار أن قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقاً فهل وجدتم ما وعد ربكم حقاً قالوا نعم . . .﴾ .	٤٤	٢٠٧
﴿ويذرك وآلهتـك . . .﴾ .	١٢٧	٢٣٩
ـ ﴿بعـذاب بئيـس . . .﴾ .	١٦٥	٨١
ـ ﴿فمـرت بـه . . .﴾	١٨٩	٩٢

* . * . * . * . *

[الأنفـــــال]

الآيــــة	رقمها	رقم الصفحة
ـ ﴿يحول بيـن المرء وقلبـه . .﴾ .	٢٤	٢٤٨

* . * . * . * . *

الآيــة	رقمها	رقم الصفحة
[التوبــة]		
ـ ﴿أن الله بريء من المشركين ورسوله . . .﴾ .	٣	١٢ ـ ١٧٤
ـ ﴿ويتوب الله . . .﴾	١٥	١٢٨
ـ ﴿قل إن كان آباؤكم . . .﴾ .	٢٤	٨٦
ـ ﴿فليضحكوا قليلاً وليبكوا كثيراً . . .﴾ .	٨٢	١٤١
ـ ﴿ على تقوى من الله . . .﴾ .	١٠٩	١٤٩
* . * . * . * . *		
[يونــس]		
ـ ﴿فأجمعوا أمركم وشركاءكم . . .﴾ .	٧١	١٧٧
* . * . * . *		
[هــود]		
ـ ﴿يمتعكم متاعاً حسنا . . .﴾ .	٣	٦٠
ـ ﴿يثنون صدورهم . . .﴾ .	٥	٣٤
ـ ﴿باديَ الرأي . . .﴾ .	٢٧	٤٣٤
ـ ﴿تمتعوا في داركم . . .﴾ .	٦٥	٦٠
ـ ﴿هؤلاء بناتي هن أطهر لكم . . .﴾ .	٧٨	١٢٦ ـ ١٤٥
* . * . * . * . *		
[يوسـف]		
ـ ﴿ يا بشـرى . . .﴾ .	١٩	١٢١
ـ ﴿وقالت هيـت لك . . .﴾ .	٢٣	٢٠٨
ـ ﴿ من قُبُـل . . .﴾ .	٢٦	٩١ ـ ١٢٧
ـ ﴿ من دبـر . . .﴾ .	٢٧	٩١ ـ ١٢٧
ـ ﴿ ردت إلينـا . . .﴾ .	٦٥	٩٦
ـ ﴿ واسأل القرية التي كنا فيها . . .﴾ .	٨٢	١٩٩
ـ ﴿وتفصيل كل شيء وهدى ورحمـة . . .﴾ .	١١١	١٧٨
* . * . * . * . *		

الآيـــة	رقمها	رقم الصفحة
[الرعـــد]		
ـ ﴿ يحفظونه من أمر الله . . . ﴾ .	١١	٤٣٤
ـ ﴿طوبى لهم وحسن مآب . . . ﴾ .	٢٩	١٥٧
ـ ﴿مثل الجنة التي وعد المتقون . . . ﴾ .	٣٥	٢٠٦ ـ ٢٨٣
* . * . * . *		
[النحـــل]		
ـ ﴿ ماذا أنزل ربكم قالوا أساطير الأولين . . . ﴾ .	٢٤	٣٣٢
ـ ﴿ وقيـل للذين اتقوا ماذا أنزل ربكم قالوا خيراً . . . ﴾ .	٣٠	٣٣٣
ـ ﴿ مما في بطونـه . . . ﴾ .	٦٦	٣٣٢
* . * . * . * . *		
[الإســراء]		
ـ ﴿ إن قتلهم كان خطئاً كبيـــراً . . . ﴾ .	٣١	٢٧٩
ـ ﴿ وقالوا لن نؤمن لكم حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعاً . ﴾ .	٩١	١٦
ـ ﴿ إلى قوله تعالى : بشــراً رسولاً﴾ .	٩٣	
* . * . * . *		
[الكهـــف]		
ـ ﴿لاتخـذت عليه أجراً . . . ﴾ .	٧٧	٥٦
* . * . * . *		
[مريـم]		
ـ ﴿ يرثني ويرث من آل يعقوب . . . ﴾ .	٦	٩١
ـ ﴿ يا زكريا إنا نبشرك بغـلام . . . ﴾ .	٧	٢٣٤
ـ ﴿ أيُّهم أشد على الرحمن عِتيًّا . . . ﴾ .	٦٩	٣٣٨
ـ ﴿ تؤزهم أزاً . . . ﴾ .	٨٣	٢٢٨
** . . ** . . **		
[طــه]		
ـ ﴿ إنْ هذان لساحران . . . ﴾ .	٦٣	٨٤

الآيـــة	رقمها	رقم الصفحة
ـ ﴿ بملكنـا . . . ﴾ .	٨٧	١١١ ـ ٢٥١
ـ ﴿ يا بن أم لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي . . . ﴾ .	٩٤	٢٤٠
ـ ﴿ ظلت عليه عاكفاً . . . ﴾ .	٩٧	٩٢
ـ ﴿ اتبع هـداي . . . ﴾ .	١٢٣	٢١

* . * . * . * . *

[الأنبيـــاء]

ـ ﴿ وأسرّوا النجوى الذين ظلموا . . . ﴾ .	٣	٣٤٠
ـ ﴿ هذا ذكر من معي وذكر من قبلي . . . ﴾ .	٢٤	٩٠
ـ ﴿ يدعوننا رغباً ورهبـاً . . . ﴾ .	٩٠	٢٤١

* . * . * . * . *

[الحـجّ]

ـ ﴿ ثم ليقطـع . . . ﴾ .	١٥	٢٤١
ـ ﴿ لن ينال الله لحومها ولا دماؤها . . . ﴾ .	٣٧	٢٠٧ ـ ٢٠٩

* . * . * . * . *

[المؤمنـــون]

ـ ﴿ تنبت بالدهــن . . . ﴾ .	٢٠	٦٧
ـ ﴿ أنؤمن لِبَشَرَيْنِ مثلنـا . . . ﴾ .	٤٧	٤٣٥
ـ ﴿ كل حزب بما لديهم فرحون . . . ﴾ .	٥٣	٤١

* . * . * . * . *

[النـــور]

ـ ﴿ الزانية والزاني . . . ﴾ .	٢	١٤٥
ـ ﴿ أن لعنة الله . . . ﴾ .	٧	٦٧
ـ ﴿ أن غضـب الله . . . ﴾ .	٩	٦٧

* . * . * . * . *

[الفرقـــان]

ـ ﴿ وقالوا أساطير الأولين اكتتبهـا . . ﴾ .	٥	١٦

الآيــة	رقمهـا	رقم الصفحة
ـ ﴿ فما تستطيعون صرفاً ولا نصراً . . . ﴾ .	١٩	٢١٥
* . * . * . * . *		
[الشعــراء]		
ـ ﴿ فظلت أعناقهم لها خاضعين . . . ﴾ .	٤	٣٣٣
ـ ﴿ كلا فاذهبا بآياتنا إنا معكم مستمعون ﴾ .	١٥	٣٤١
* . * . * . * . *		
[النمــل]		
ـ ﴿ ألا يسجدوا لله الذي يخرج الخبء في السموات . . ﴾ .	٢٥	١٦٦ ـ ١٦٨
* . * . * . * . *		
[القصص]		
ـ ﴿ ولما توجه تلقاء مدين . . . ﴾ .	٢٢	٧٠
* . * . * . * . *		
[الــروم]		
ـ ﴿ لله الأمر من قبل ومن بعد . . . ﴾ .	٤	٩١ ـ ١٢٧
* . * . * . * . *		
[لقمــان]		
ـ ﴿ إن الشرك لظلم عظيم . . . ﴾ .	١٣	٢٠٣
ـ ﴿ هو جاز . . ﴾ . . . ﴾ .	٣٣	٣٤١
* . * . * . * . *		
[الأحــزاب]		
ـ ﴿ وقرْن في بيوتكن . . . ﴾ .	٣٣	٩٢
* . * . * . * . *		
[سبــأ]		
ـ ﴿ يا جبال أوبي معه والطير . . . ﴾ .	١٠	٧٢ ـ ١٤٥ ـ ١٥١
ـ ﴿ لولا أنتم لكنا مؤمنين ﴾ .	٣١	٣٦٩

الآيــة	رقمها	رقم الصفحة
ـ ﴿ قل إن ربي يقذف بالحقّ علام الغيوب . . . ﴾.	٤٨	١٧٥

* . * . * . * . *

[فاطــر]

ـ ﴿ إنما يخشى الله من عباده العلماء . . . ﴾.	٢٨	١٣٤

* . * . * . * . *

[يسٓ]

ـ ﴿ فعززنا بثالث . . . ﴾.	١٤	٢٠٨
ـ ﴿ ما أنتم إلا بشر مثلنا . . . ﴾.	١٥	٤٣٥
ـ ﴿ قيل ادخل الجنة . . . ﴾.	٢٦	٤٣٠
ـ ﴿ يا حسـرة﴾ . . . ﴾.	٣٠	٦٨
ـ ﴿ سـلام قولاً . . . ﴾.	٥٨	١٧٧

* . * . * . * . *

[الصافـات]

ـ ﴿ ألفـوا آباءهـم ضالين . . ﴾.	٦٩	٣٩

* . * . * . * . *

[صٓ]

ـ ﴿ صٓ﴾.		
ـ ﴿ وهل أتاك نبؤا الخصم إذ تسوروا المحراب إذ دخلوا على. . . ﴾	١	١٢١
﴿ داوود ففزع منهم قالوا لا تخف خصمان﴾.	٢٢	

* . * . * . * . *

[الزمـر]

ـ ﴿ والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم . . . ﴾.	٣	١٦٤
ـ ﴿ تمتع بكفرك . . . ﴾.	٨	٦٠
ـ ﴿ يا عباد فاتقون . . . ﴾.	١٦	٢٥٩
ـ ﴿ والذي جاء بالصدق وصدّق . . . ﴾.	٣٣	

* . * . * . * . * . *

الآيـة	رقمها	رقم الصفحة
[فصلت]		
ـ ﴿ لهم فيها دار الخلد . . . ﴾ .	٢٨	٩١
ـ ﴿ إن الذين كفروا بالذكر . . . ﴾ .	٤١	٢٦٨
* . * . * . * . *		
[الشـورى]		
ـ ﴿ ينظـرون من طـرف خفيّ . . ﴾ .	٤٥	٤٣٤
* . * . * . * . *		
[الزخـرف]		
ـ ﴿ وما ظلمناهم ولكن كانوا هم الظالمين . . ﴾ .	٧٦	٢٥٩
ـ ﴿ وقيلـه . . . ﴾ .	٨٨	٧٣ ـ ٢٦٨
* . * . * . * . *		
[الجاثيـة]		
ـ ﴿ إن نظنّ إلا ظنًّا . . . ﴾ .	٣٢	١٥٦
* . * . * . * . * . *		
[الأحقـاف]		
ـ ﴿ من نهار بـلاغٌ . . . ﴾ .	٣٥	١٧٨
* . * . * . * . *		
[محمـد]		
ـ ﴿ أن تأتيهم بغتـةً . . . ﴾ .	١٨	٤٣١
ـ ﴿ فقد جاء أشراطها . . . ﴾ .	١٨	٢٣٤ ـ ٤٣١
ـ ﴿ ولتعرفنّهم في لحن القـول . . . ﴾ .	٣٠	٢٨
* . * . * . * . *		
[ق]		
ـ ﴿ ومن الليل فسبّحه وأدبار السجود ﴾ .	٤٠	٢٢٨
* . * . * . * . *		

الآيــة	رقمها	رقم الصفحة
[الطوّر]		
ـ ﴿ ومن الليل فسبّحه وإدبار النجوم . . . ﴾ .	٤٩	٩٢
* . * . * . * . *		
[القمـــر]		
ـ ﴿ فدعا ربه أني مغلوب فانتصر﴾ .	١٠	١٦٣
ـ ﴿ نجيّناهــم بسحــر . . . ﴾ .	٣٤	٢٦٧
ـ ﴿ وكل شيء فعلوه في الـزبـــر . . . ﴾ .	٥٢	٤١
** . . ** . . **		
[الرحمن]		
ـ ﴿ ذواتا افنان . . . ﴾ ٤٨ ـ ٨٩		
* . * . * . * . *		
[الواقعـــة]		
ـ ﴿ خافضــة رافعــة . . . ﴾ .	٣	١٧٨
ـ ﴿ وحــور عيــن . . . ﴾ .	٢٢	٢٤٠
* . * . * . * . * . *		
[الحديــد]		
ـ ﴿ لئـلا يعلم أهل الكتاب . . ﴾ .	٢٩	٩٦
* . * . * . * . *		
[الحشـــر]		
ـ ﴿ كي لا يكون دولة بين الأغنياء منكم و مـا آتاكم الرسول فخذوه . . . ﴾ .	٧	١٢٦ـ٢٥
* . * . * . * . *		
[الجمعـــة]		
ـ ﴿ هو الذي بعث في الأمّيين رسولاً . . . ﴾ .	٢	١٦
* . ** . * . * . *		
[المنافقـــون]		
ـ ﴿ يحسبون كل صيحة عليهم هم العدو . . . ﴾ .	٤	٣٤٣ـ٢٩٧
ـ ﴿ وأكن من الصالحين . . . ﴾ .	١٠	٢٤٠
* . * . * . * . * . *		

الآيــة	رقمها	رقم الصفحة
[التحريــــم]		
ـ ﴿ يأيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم ناراً. . .﴾.	٦	٤٣٦
* . * . * . * . *		
[القلــــم]		
ـ ﴿ خاشعـة أبصارهـم. . .﴾.	٤٣	٢٥٩
ـ ﴿ لولا أن تداركـه . . .﴾.	٤٩	٧٠
* . * . * . * . *		
[الحاقــــة]		
ـ ﴿ يا ليتني لم أوت كتابيه، ولم أدر ما حسابيه﴾.	٢٦	٢١٠
	٢٧	
ـ ﴿ ما أغنى عني ماليه، هلك عنّي سلطانيه﴾.	٢٨	٢١٠ ـ ٢٣٨
	٢٩	
ـ ﴿ لا يأكله إلا الخاطئـون﴾.	٣٧	١١
* . * . * . * . * . *		
[المزمّل]		
ـ ﴿ أشدّ وطئاً . . .﴾.	٦	٣١٣
* . * . * . * . *		
[المدثــــر]		
ـ ﴿ كل نفس بما كسبت رهينـة . . .﴾.	٣٨	٤١
* . * . * . * . *		
[القيامــــة]		
ـ ﴿ فإذا بـرق البصـر . . .﴾.	٧	١١٢ ـ ٢١٩
* . * . * . * . *		
[الإنســــان]		
ـ ﴿ قوارير، قواريـر. . .﴾.	١٥-٢٦	١١٥
* . * . * . * . *		

الآيـــة	رقمها	رقم الصفحة
[المرســـلات]		
وإذا الرســـل أقتت . . .﴾.	١١	٢٣١
* . * . * . * . *		
[الضحـــى]		
.﴿ ما ودعك ربك وما قلى . . .﴾.	٣	٣٥ - ٣٦
* . * . * . * . *		
[العلـــق]		
﴿ بالناصيـة ناصية كاذبة . . .﴾.	١٥	
	١٦	١٦٢
* . * . * . * . *		
[القـــــدر]		
﴿ من كل أمـــر سلام . . .﴾.		
* . * . * . * . *		
[الإخلاص]		
	٤ ـ ٥	٤٣٤
﴿ قل هو الله أحد * الله الصمـــد . . .﴾.	١ - ٢	٧٧ - ٢٣٣
* . * . * . * . *		

الشواهد الشعرية

الشاهد		رقمه
ما إن رأيت ولا أرى في مدتي	كجواري يلعبن بالصحراء	١٥١
وما الدهر إلا مجنوناً بأهله	وما صاحب الحاجات إلاّ معذبا	٣٤٩ - ٣٨٩
إيّاك إياكِ المراء فإنه	إلى الشرّ دعّاء وللشرّ جالِب	١١٨
ديار مية إذ ميّ تساعُفنا	ولا يرى مثلها عجم ولا عرب	٣٤٦
عجب لتلك قضية وإقامتي	فيكم على تلك القضية أعجب	٢٨١
ولكن ديافيٌّ أبوه وأمه	بحوران يعصرن السليط أقاربه	٣٤٠
لم أر مثل الفتيان في غبن الـ	أيام ينسون ما عواقبها	٩٤
حسين قالوا بحبّها قلت بهراً	عدد القطر والحصى والتراب	٢٤٤
وقد لحنت لكم لكيما تفقهوا	ووحيت وحياليس بالمرتاب	٢٨
وما كل ذي لب بمؤتيك نصحه	وما كل مؤت نصحه بلبيب	٤٢

* . * . * . * . *

ألا رجلاً جزاه الله خيراً	يدلّ على محصّلة تبيتُ	٣٥٠ - ٣٦٦-٣٨٨
ترى أرباقهم متقلديها	إذا صدىء الحديد على الكماة	٤٣٤
يطاعن قبل الخيل وهو أمامها	ويطعن عن أدبارها إن تولّت	٩٢ - ١٢٧

* . * . * . * . *

متى تأتنا تلمم بنا في ديارنا	تجد حطباً جزلاً وناراً تأجّجا	٢٤٩

* . * . * . * . *

الشاهد		رقمه
سأترك منزلي لبني تميم	وألحق بالحجاز فأستريحا	٤٠١
بعيد الغزاة فما إن يزا	ل مضطمراً طرّتاه طليحا	٢٥٩
إذا لَقِي الأعداء كان خلاتهم	وكلب على الأعداء والجار نابح	٣٥٠
غباره في إثره ساطع	مثل رشاء الخلب الأجردا	١٩٢
تزوّد مثل زاد أبيك فينا	فنعم الزاد زاد أبيك زادا	٢٦٥
فزججتها بمزجة	زج القلوص أبى مزاده	١٤١
وقامت ترائيك مُغدودنا	إذا ما تنوء به آدها	٣٤
أبنى لبيني لستم بيد	إلاّ يد ليست لها عضد	٣٤٢
فلاقى ابن انثى يبتغي مثل ما ابتغى	من القوم مسقيّ السمام حدائده	٢٦٠
فلما مضى عامين بعد انفصاله	عن الضرع واحلولي ماثاً يرودها	٣٤
إذا ما دعوا كيسان كانت كهولهم	إلى الغَدْر أدنى من شبابهم المرد	١٩٣
ألم يأتيك والأنباء تنمي	بما لاقت لبون بني زياد	٩٣
مقذوفة بدخيس النحصة بازلها	له صريف صريف القعو بالمسد	١٩٦
مستحن بها الرياح فما يجـ	ـتابها في الظّلام كل هجود	٢٥٩
يا من رأى عارضاً أكفكفه	بين ذراعي وجبهة الأسد	٤٣٦
* . * . * . * . *		
جلاها الصيقلون فأخلصوها	خفّاقا كلها يتقي بأثر	١٣٨
إني وأسطار سطرن سطرا	لقائل يا نصر نصراً نصرا	٢٦١
ألا ليس إلاّ ما قضى الله كائن	وما يستطيع المرء نفعاً ولا ضرا	١٥٥
وما ألوم البيض ألا تسخرا	إذا رأين الشمط القفندرا	٩٦
حراجيج ما تنفك إلاّ مناخةً	على الخسف أو ترمي بهابلداً قفرا	٢٤٥
سلع ما ومثل عشر ما	عائل ما وعالت البيقورا	١٣٩
غداة أحلت لابن أصْرَمَ طعنة	حصين عبيطات السدائف والخمرُ	٣٤٣
وقال القائلون عن حفرتم	فقال المخبرون لهم وزير	٣٣٣

الشاهد		رقمه
يـا يتيم يتم عـدي لا أبالكـم	لا يلقينكم في سـوءة عمـر	٣٧٠
تبكي على لبنى وأنت تـركتها	وكنت عليها بالملا أنت أقدر	٢٥٨
وعينان قال الله فيهما كونافكانتا	فعولان بالألباب ما تفعل الخمر	١١١
كـأن رمـاحنـا أشطان بئـر	بعيـد بين جـاليهـا جـرور	٢٥١
إذا أوقدوا ناراً الحرب عدوّهم	فقد خاب من يصلي بها وسعيرها	٣٣٨
وإنا على أمثاله من جبالنا	لأصبر حيّ من معدٍّ على الدهر	٣١٥
لا يبعـدن قومي الـذين هـم	سـمّ العـداة وآفـة الـجـزر	
النـازلين بكـل مـعـترك	والطيّبـون معـاقـد الأزر	٣٣٦ - ٣٤٨
سقوني الخمـر ثم تكنفـوني	عـداة الله مـن كـذب وزور	٣٤٩
بنعم طير وشباب فاخر		٤٣٣
وانهمّ هاقوم السديف الواري		١٣٧
إمّـا تـريني اليـوم أم حمـز	قـاربت بين عنقي وجمـزي	٣٤٦
* . * . * . * . *		
خلا أن العتاق من المطايا	أحَسْن بـه فهن إليه شُوسُ	٩٣
أجد إذا ضمرت تغرز لحمها	وإذا تشـدّ بنسفهـا لا تَنْبِسُ	٢٠٨
كم دون ميّة من مُسْتَعْمَلٍ قذف	ومن فلاة بها تستودع العيس	١٩٣
يـا صـاح ذا الضـامـر العنس	والرحل ذي الإجلاب والحلس	٢٤٦
* . * . * . * . *		
أبا منذر أفنيت فاستبق بعضنا	حنانيك بعض الشرّ أهون من بعض	٣١٤
طول الليالي أسرعت في نقضي	طوين طولي، وطوين عرضي	٣٣٤
* . * . * . * . *		
وأنكرتني وما كان الذي نكرت	من الحوادث إلا الشيب والصلَعا	١٩٤
ليت شعري عن خليلي ما الذي	غـالـه في الحب حتى ودعـه	٣٥ - ٣٧
يعثرن في حد الظُّبات كأنما	كُسِيَتْ برود بني يزيـد الأذرع	٦٨
يا شاعراً لا شاعر اليوم قبله	جرير ولكن في كليب تواضع	٣٤٨
سبقوا هوى وأعنقوا لهواهم	فتخرّموا ولكل جنب مصرع	١٢٦

الشاهد		رقمه
فيت كـأني ســاورتني ضئيـلة	من الرقش في أنيابها السّم نافع	١٤٢
* أشارت كليب مالا كف الأصابع *		٣٣٧
* فيا للناس للواشي المطاع *		٢٦٠
فيهـا ازدهـاف أيّمـا ازدهـافْ		٣٤٧ - ٣٨٠
نعلق في مثل السواري سيوفنا	وما بينها والكعب غُوطٌ نفانفُ	٣٣٨
وعض زمان يا بن مروان لم يدع	من المـال إلاّ مسحتاً أو مجلّف	١٠٩ - ١١٢ - ٢٤٣ - ٣٩٤

* . * . * . * . *

ولا أقول لِقِدْرِ القوم قد غليت	ولا أقـول لبـاب الـدار مغلوق	٣٧ - ٣٨
إذا جئت بـوابالـه قـال مـرحبـا	ألا مـرحب واديـك غيـر مضيّق	
هـل أنت باعث دينـار لحاجتنـا	أو عبد رب أخان عون بن مخراق	١٦٥

* . * . * . * . *

جزى ربه عني عـديّ بن حاتم	جزاء الكلاب العاويات وقد فعل	٤٣ - ٤٤
فـإن تقتلونـا يـوم حـرّة واقم	فلسنا على الإسلام أول من قُتل	٧١
ما زلت تحسب كل شيء بعدهم	خيـلاً تشـدّ عليكـم ورجـالا	٣٤٣
سـواءٌ كأسنان الحمار فلا ترى	لذي شيبة منهم على ناشيء فضلاً	٢١٧
دنا البين من ميّ فردّت جمالها	وهاج الهوى تقويضها واحتمالها	٩٦
فـألفيتـه غيـر مستعتـب	ولا ذاكـر الله إلا قـليـلا	٣٨ - ١٤١ - ١٦٥
وذمّوا لنا الدنيا وهم يرضعونها	أفـاويق حتى ما يـدرّ لهـا ثعـل	١٣٨
بنـزوة لص بعد مـا مـرّ مصعب	بأشعـث لا يفلى ولا هـو يقمـل	٩١
أخول على أهلي وأكفي عشيرتي	أموري والاصلاح للمال أفضل	٢١٤
في فتية كسيوف الهند قد علموا	أن هالك كل من يحض وينتعل	٦٧
على ذات لوث أو بأهوج شوشو	صنيع نبال يمـلأ الرحـل كاهله	٤٠
إن تركبوا فركوب الخيل عادتنـا	أو تنـزلـون فـإنـا معشـر نـزل	٣٦٧ - ٣٨٠
رأيت مـرّ السنين أخـذن مني	كمـا أخذ السدار من الهـلال	٣٧٤

الشاهد		رقمه
انصب للمنية تعتريهم	رجالي أم هم درج السّيول	٣٤٤
ربما تجزع النفوس من الأمـ	ـدله فرجة كحلّ العقال	١٨٧
لو كنت تعطي حين تسأل سامحت	لك النفس واحلولاك كل خليل	٣٤
جاءوا بجيش لو قيس معرسه	ما كان إلا كمعرّس الدئل	٤٦
نطعنهم سلكي ومخلوجة	كرّك لامين على نابل	١٣٨
يأتي لهم النجم من إيمن وأشمل		٣٦٨
يكشف عن جمّاته دلْو الدال		٣٢٧
ويُشرق بين الليت منها إلى الصّقل		٢٥١
وكنت إذا كنت يا إلهي وحدكا	لم يك شيء يا إلهي قبلكا	٢٥٩
* . * . * . * . *		
كتوم لرغاء إذا هجّرت	وكانت بقية ذود كتم	١٩٧
لبّ بأرض لم توطأها الغنمْ		٣٠٢ ـ ٣١٤
لنا الجفنات الغر يلمعن في الضحى	وأسيافنا يقطرن من نجدة دما	٢٥
أتوا ناري فقلت منون أنتم	فقالوا الجن قلت عموا ظلاما	٣٨٠
كناز البضيع جمالية	إذا ما بَغَمْن تراها كتوما	١٩٧
كافاً وميماً وسيناً طاسما		٣٤٥
سلام الله يا مطر عليها	وليس عليك يا مطر السلام	١٦٣
لا تنه عن خلق وتأتي مثله	عار عليك إذا فعلت عظيم	٤٤
* كما بيّنت كاف تلوح وميمها *		٣٤٥
جادت عليه كل عين ثرة	فتركن كل قرارة كالدرهم	٤٢
* غير ثلاث في المحل صيتم *		١٤٢
ظهراهما مثل ظهور الترسين		٣٥٢
صددت الكأس عنا أم عمرو	وكان الكأس مجراها اليمينا	٣٧١
أنا ابن سعيد أكرم السّعدينا		٣٤٨
وكل رفيقي كل رحل وإن هما	تعاطى القنا قوما هما أخوان	٤١
كيف ينفع ما تعطى العلوق به	رئمان أنف إذا ما ضن باللبن	٩٣

الشاهـــد		رقمـــه
أنـا ابن جـلا وطـلاع الثنـايـا	متى أضـع العمـامـة تعـرفـوني	٢٦٤
وكم موطنٍ لولاي طحت كما هوى	بـأجرامـه من قُنّة النّيق منهـوى	٣٢ ـ ٣٦٩
فـإن يـك حبهم رشـداً أصبـه	ولست بمخطىء إن كـان غيّا	٢٢
فلو كان عبد الله مـولى هجوتـه	ولكن عبـد الله مـولى مـواليـا	١١٣
بدا لي أني لست مدرك ما مضى	ولا سـابق شيئاً إذا كـان جـائيـا	٣٦٨
قـد عجبت مني ومن يـعليـا	لـمـا رأتني خلقاً مـقلوليـا	٣٤٦
سمـاء الإلـه فـوق سبع سمـائيـا		٣٤٦

* . * . * . * . *

أجـزاء أبيـات

* أحـاذر أن تعلم بهـا فتـردّهـا *	٤٧٣
* إن عـمّـي الـلّذا *	٦٩
* سـلام الله يـا مـطر عليهـا *	٣٥٠ ـ ٣٨٨
* عـليـه من الـلؤم سـروالـة *	٣٢٠
* لا نـسـب الـيـوم ولا خـلـة *	٣٦٦
* وكـأنهـا تفـاحـة مـطيـوبـة *	٢٣٠

* . * . * . * . *

أرقام صفحات المصادر
والمراجع التي وردت في الكتاب

[الهمزة]

ـ أخبار النحويين والبصريين للسيرافي : ١٦٧ .
ـ الأزهية للهروي: ١٣٩ .
ـ الأشباه والنظائر في النحو للسيوطي : ٤٠١.
ـ الأشموني : ٤٥ .
ـ إصلاح المنطق لابن السكيت : ١٣٦ ـ ٣١٦.
ـ إعراب ثلاثين سورة لابن خالويه : ١٧٢ .
ـ الأغاني للأصبهاني : ٢٣ ـ ٤٦ ـ ٤٧ ـ ٤٩ ـ ١٠٣.
ـ أقيسة النبيّ المصطفى صلى الله عليه وسلم : ١٠٥. .
ـ الإكمال لعيسى بن عمر: ١٥٨ ـ ١٥٩.
ـ أمالي ثعلب: ٢٨٥.
ـ أمالي الزجاجيّ: ١٥٠ ـ ١٥٣ ـ ١٩٨ ـ ٢١٠. ٣٠٠.
ـ أمالي ابن الشجري: ٣٢.
ـ أمالي القالي: ٢٨٩.
ـ الأمالي للمرتضى: ١٣٤ .
ـ الأمثال لأبي عكرمة الضبي: ٢٩١ .
ـ إنباه الرّواة للقفطي: ١٠٠ ـ ١٥٩ ـ ٣٠٠ ـ ٣٩٨ ـ ٣٩٩.
ـ الأنواء والخيل لأبي المحلم الشيباني: ٣٨٩.
ـ الإيضاح للزجّاجيّ: ٢٦ .

[الباء]

ـ بغية الوعاة للسيوطيّ: ٤٦ ـ ٧٥ ـ ٧٦ ـ ١٦٧ ـ ٣٩٤ ـ ٣٩٧ ـ ٤٠٧ ـ ٤١٠ .
ـ البيان والتبيين للجاحظ: ١٨ .

[التاء]

ـ تاريخ الفلسفة الإسلامية: ت . ج ـ دي يور : ١٠٨.
ـ تذكرة النحاة لأبي حيان: ٤٠٨ ـ ٤٣٧ .
ـ التصحيف للعسكري: ٧٩ .
ـ التصريح للأزهري: ٣٨٧.
ـ التصريف للمازني: ٢٣٠ .
ـ التصغير للرؤاسي: ٤٢٠ ـ ٤٢١ .

ـ تفسير الطبري : ٤٣١ .

[ج]

ـ الجمع والإفراد للرؤاسي : ٣٩٤ ـ ٤١٩ ـ ٤٢٠ ـ ٤٢١ .

ـ الجميل للخليل : ٤١٦ .

ـ الجمهرة لابن دريد : ٢٨٨ ـ ٢٩٣ ـ ٢٩٦ ـ ٣٠٩ ـ ٣١٢ .

ـ الجني الداني لابن أم قاسم : ٣٨٩ .

[ح]

ـ الحجّة لابن خالويه : ٦٦ .

ـ الحجّة لأبي علي الفارسي : ٦٦ .

ـ الحروف للكسائي : ٤٢٥ .

[خ]

ـ الخزانة للبغدادي : ٤٠ ـ ٤٤ .

ـ الخصائص لابن جني : ٣٥ ـ ٤٠ ـ ٤٣ ـ ١٤٥ .

ـ خلق الإنسان لأبي محلم الشيباني : ٢٩٠ .

[ش]

ـ شذرات الذهب لابن العماد : ١٥٨ ـ ٢٨٦ .

ـ شرح شذور الذهب : ٤٤ .

ـ الشواهد للخليل : ٤١٦ ـ ٤١٧ .

[ص]

ـ الصحاح للجوهري : ٢٦٧ ـ ٢٩٨ ـ ٣١٠ .

[ط]

ـ طبقات النحويين واللغويين للزبيدي : ٥٥ ـ ٥٦ ـ ٧٤ ـ ٧٥ ـ ٨٢ ـ ١٣١ ـ ٤٠٢ ـ ٤٠٩ ـ ٤١٩ .

ـ طبقات القرّاء للذهبيّ : ١٨٠ .

[ع]

ـ العدد للكسائي : ٤٢٥ .

ـ العروض للخليل : ٤١٩ .

ـ العقد الفريد : ٢١ ـ ٨٥ ـ ٢٩٥ .

ـ العين للخليل : ٤١٤ ـ ٤١٦ ـ ٤١٨ ـ ٤٢١ .

ـ العوامل للخليل : ٤١٦ .

[غ]

ـ غاية النهاية لابن الجزري : ٢٧١ .

[ف]

ـ فصيح ثعلب : ٢٧٥ .

ـ الفهرست لابن النديم : ١٣ ـ ٤٠٧ ـ ٤١٠ ـ ٤١٣ .

ـ الفيصل للرؤاسي : ٤١٢ ـ ٤١٣ ـ ٤١٨ ـ ٤١٩ ـ ٤٢١ ـ ٤٢٢ ـ ٤٢٥ ـ ٤٢٦ ـ ٤٣٧ .

[ك]

ـ الكامل للمبرد : ١٤٣ .

ـ كتاب سيبويه : ٣١ ـ ١٣٠ ـ ١٥٩ ـ ١٦٢ ـ ٣١٨ ـ ٣٣٠ ـ ٣٦٥ ـ ٣٨١ ـ ٣٨٨ ـ ٣٨٩ .

ـ الكشف عن وجوه القراءات السبع لمكي ابن أبي طالب : ٦٦ ـ ١٧٦ .

ـ لسان العرب لابن منظور: ٣٨ ـ ٢٩٦ ـ ٣١٠ .

[م]

ـ مجالس العلماء للزجاجي: ٢٢٩ ـ ٢٥٠ ـ ٣٦٥ .

ـ المجيد في إعراب القرآن المجيد للسفاقسيّ: ٣٣٦.

ـ المحتسب لابن جني: ٣٤ ـ ٥٧ ـ ٦٧ ـ ١٢٥ ـ ١٢٦ ـ ١٤٧ ـ ١٧٦ .

ـ المدارس النحوية للدكتورة خديجة الحديثي: ٤١٣ .

ـ المذكر والمؤنث لابن الانباري: ٤٣٥.

ـ مراتب النحويين لأبي الطيّب: ٤٠٢.

ـ المزهر للسيوطيّ: ٢٥٧ ـ ٣١٠ ـ ٣١١ ـ ٤٣٧ .

ـ المصادر للكسائي: ٤٢٥ .

ـ المعارف لابن قتيبة: ٤٤ .

ـ معاني الشعر لابن قتيبة: ١٣٩ .

ـ معاني القرآن للرؤاسي: ٤٢٠ .

ـ معاني القرآن للفراء: ٤١٠ ـ ٤٣٠ .

ـ معجم الأدباء: ٧٦ ـ ١٦٧ ـ ١٦٩ ـ ١٨٠ ـ ٢٧٠ ـ ٤٠٧ ـ ٤٠٨ ـ ٤٠٩ ـ ٤١٢ ـ ٤١٦ ـ ٤٢٠ .

ـ مغني اللبيب لابن هشام: ٧٥ ـ ١٣٩ ـ ١٤٠ ـ ١٥٥ ـ ٢٧٥ .

ـ مفتاح السعادة لطاش كبرى زادة: ٥٤ ـ ١٣٢ .

ـ المقتضب للمبرّد: ١٢٠ ـ ١٤٢ ـ ١٥١ ـ ١٥٢ .

ـ مقدمة ابن خلدون: ٢٠٣ ـ ٢٠٤ .

ـ المُمْتع لابن عصفور: ٢٥٦ .

ـ المنصف لابن جني: ٣٨ ـ ٣٢٩ .

[ن]

ـ نزهة الألباء لابن الأنباري: ١٣١ ـ ١٦٧ ـ ٤٠٧ ـ ٤١٠ ـ ٤١٩ ـ ٤٢٠ ـ ٤٢٤ .

[هـ]

ـ الهمزة لابن أبي إسحاق: ١١٦ .

ـ همع الهوامع للسيوطي: ٤٢ ـ ٤٠١ ـ ٤٢٠ ـ ٤٣٣ ـ ٤٥٠ .

[و]

ـ الوقف والابتداء الصغير للرؤاسي: ٤٢٠ .

** .. ** .. **

فهرس الأعلام

[الهمزة]

ـ ابن أبان: ٤٣٤.
ـ إبراهيم بن إسحاق الحرين: ١٨٣ - ٢٧٣.
ـ إبراهيم السامّرائي: ١٠٤.
ـ إبراهيم مصطفى: ١٤ - ١٥ - ٣١ - ١١٧.

*. *. *. *

ـ الأثرم: ٢٥٤.
ـ أحمد أمين: ١٤ - ٤٢٦.
ـ أحمد مكي الأنصاري: ١٦٨.
ـ الأحنف بن قيس: ٢٩٨ - ٣٤٣.
ـ الأخفش: ٣٣ - ١٤١ - ١٦٧ - ١٨٧ - ٢٣١ - ٢٨٩ - ٣٨٥ - ٣٨٦ - ٣٨٧ - ٣٨٨ - ٤٢٢.
ـ الأخطل: ٤٥ - ٩١ - ١٠١ - ١٤٠.
ـ أرسطو: ١٠٤.
ـ الأزهري: ٣٨٧.
ـ ابن أبي إسحاق: ١٠٨ - ١١٨ - ١١٩ - ١٢٠ - ١٢١ - ١٢٣ - ١٢٤ - ١٢٦ - ١٢٨ - ١٢٩ - ١٤٠ - ١٧٦ - ١٨٢ - ٢٤٣ - ٢٥١ - ٣٢٦ - ٣٢٨ - ٣٣٠ - ٣٦٣ - ٣٦٥ - ٣٧٣ - ٣٧٤ - ٣٧٧ - ٣٨٢ - ٣٨٣ - ٣٩٤ - ٣٩٥ - ٣٩٦ - ٣٩٨.
ـ اسحاق بن مرار الشيباني: ٢٦٧.
ـ أسد اليزيدي: ١٨٠.
ـ إسماعيل القاضي: ٢٣٦.
ـ أبو الأسود الدؤلي: ١١ - ١٣ - ١٩ - ٢٠ - ٢١ - ٢٣ - ٢٤ - ٢٦ - ٢٩ - ٣١ - ٣٢ - ٣٤ - ٣٥ - ٣٨ - ٣٩ - ٤٠ - ٤٢ - ٤٤ - ٤٥ - ٤٦ - ٤٧ - ٤٨ - ٤٩ - ٥٠ - ٥١ - ٥٧ - ٧٥ - ٧٨ - ٧٩ - ٨٠ - ٨٤ - ٨٥ - ٨٦ - ٩٨ - ١٠٠ - ١٠١ - ١١٧ - ٣٩٣ - ٣٩٦ - ٣٩٨ - ٣٩٩ - ٤٠٥.

ـ الأصـمـعـيّ: ٥٦ ـ ١٣٧ ـ ١٣٨ ـ ١٣٩ ـ ١٤٢ ـ ١٨١ ـ ١٨٣ ـ ١٨٣ ـ ١٨٤ ـ ١٨٥ ـ ١٨٦ ـ ١٨٧ ـ ١٩٠ ـ ١٩٢ ـ ١٩٤ ـ ١٩٦ ـ ١٩٧ ـ ١٩٨ ـ ١٩٩ ـ ٢٠١ ـ ٢٠٥ ـ ٢٠٦ ـ ٢٠٨ ـ ٢١٤ ـ ٢١٥ ـ ٢١٧ ـ ٢١٩ ـ ٢٢١ ـ ٢٢٢ ـ ٢٢٣ ـ ٢٢٤ ـ ٢٣٠ ـ ٢٣٧ ـ ٢٤٢ ـ ٢٤٥ ـ ٢٤٩ ـ ٢٥١ ـ ٢٥٢ ـ ٢٦٧ ـ ٢٦٩ ـ ٢٧٣ ـ ٢٧٨ ـ ٢٨٠ ـ ٢٨٣ ـ ٢٩٤ ـ ٢٩٦ ـ ٣٠٤ ـ ٣١٣ ـ ٣١٦ ـ ٤٠٢ ـ ٤٢٩ ـ ٤٥٤ .

ـ ابن الأعرابي: ١٥٤ .

ـ الأعـرج : ٦١ ـ ٦٢ ـ ٦٥ ـ ٦٦ ـ ٦٧ ـ ٧٠ ـ ٧١ ـ ٧٢ ـ ٧٣ ـ ١٧٦ .

ـ الأعشى: ٩١ ـ ١٩٤ ـ ١٩٧ ـ ١٩٨ ـ ٢٩٥ .

ـ الأعـمـش: ٩٥ ـ ٢٣٧ ـ ٤٠٩ ـ ٤٢٩ .

ـ افلاطون: ١٠٤ .

ـ الياس بن مضر: ١٨٠ .

ـ امرؤ القيس: ١٣٨ ـ ٢٢٣ ـ ٤٠٢ .

ـ ابن الأنباري: ٢٧ ـ ٤٠ ـ ٥٦ ـ ٨٤ ـ ٨٩ ـ ٩٨ ـ ١٠٢ ـ ١٣١ ـ ١٣٢ ـ ١٨٤ ـ ٢٠١ ـ ٢١٩ ـ ٢٣٩ ـ ٢٤٠ ـ ٢٦٩ ـ ٤٠٠ ـ ٤٢٤ ـ ٤٣٤ ـ ٤٣٥ .

ـ أنس بن مالك: ١٨٢ ـ ٢١٢ ـ ٢٣٦ .

*. *. *. *. *

[البـــاء]

ـ ابن بابشاذ : ١٧٣ .

ـ ابن الباذش : ١٨١ .

ـ أبو بجـدة : : ٢٥٤ .

ـ بروكلمـان: ٢٦٠ ـ ٣٥٨ .

ـ بشر بن المهلب: ٣٢٣ .

ـ البغدادي: ٤٤ .

ـ أبو البقاء العكبري: ٣٣٧ .

ـ أبو بكر (خليفة المسلمين): ٢٧ .

ـ بكـر بن حبيب السهمي: ١٢٩ ـ ١٣٦ ـ ١٣٧ .

ـ أبو بكر بن عياش: ٣٩٩ .

ـ أبو بكر بن كلاب: ٩٩ .

ـ أبو بكر الهذلي: ٤٨ .

ـ أبو البلاد الأعمى: ٤٠٢ ـ ٤٠٤ .

ـ بـلال بن أبي بـردة: ١١١ ـ ١١٣ ـ ١١٦ ـ ١٥٣ ـ ٢٤٤ ـ ٢٤٦ ـ ٢٥١ .

*. *. *. *

[التـــاء]

ـ ت . ج ـ دي بور : ١٠٨ .

ـ توبـة الملائي : ٣٩٩.

* . * . * . * . *

[الثـــاء]

ـ ثابت : ٢١٣.

ـ ثعلب : ٦٩ ـ ١٣٧ ـ ١٩٧ ـ ٢٢٦ ـ ٢٥٣ ـ ٤٠٨ ـ ٤١٧ ـ ٤٢٣ .

* . * . * . * . *

[الجيـــم]

ـ الجاحظ : ١٩٢ ـ ٢٧٧ ـ ٢٩٢ .

ـ جرجي زيدان : ٧٩ .

ـ الـجـرمي : ١٤١ ـ ١٥٠ ـ ١٥١ ـ ١٥٢ ـ ٢١٢ ـ ٢١٨ ـ ٢٧٨ .

ـ جريـر : ٩٩ ـ ١٠١ ـ ١٤٠ ـ ١٩٣ ـ ١٩٥ ـ ٢٤٢ ـ ٢٤٣ ـ ٢٩٧ .

ـ ابـن جنّـي : ١٩ ـ ٣٤ ـ ٣٥ ـ ٣٦ ـ ٣٨ ـ ٤٣ ـ ٤٤ ـ ٥٧ ـ ٧٠ ـ ٨١ ـ ٩٠ ـ ٩١ ـ ٩٣ ـ ٩٤ ـ ٩٥ ـ ٩٦ ـ ١٢٤ ـ ١٢٥ ـ ١٢٧ ـ ١٢٨ ـ ١٤٦ ـ ١٥٠ ـ ١٥٧ ـ ١٧٧ ـ ١٧٨ ـ ١٩١ ـ ١٩٤ ـ ٢٢٥ ـ ٢٣٠ ـ ٢٣٢ ـ ٢٣٨ ـ ٢٦٣ ـ ٢٦٤ ـ ٢٦٥ .

ـ جويـدي : ١٨ .

* . * . * . *

[الحـــاء]

ـ أبو حاتم : ٦١ ـ ٦٢ ـ ٧٠ ـ ٨٢ ـ ٨٩ ـ ١٣٢ ـ ١٥٧ ـ ١٨٥ ـ ١٩٢ ـ ٢٨٥ ـ ٤٠٣ ـ ٤٢٢ ـ ٤٢٧ .

ـ الحارثي : ١٩٩ ـ ٢٤٤ .

ـ الحجاج بن يوسف : ٥٢ ـ ٧٨ ـ ٧٩ ـ ٨٢ ـ ٨٣ ـ ٨٥ ـ ٨٨ ـ ٨٦ ـ ٨٧ ـ ٩٧ ـ ٢١٦ ـ ٢٧٣ ـ ٢٧٥ .

ـ أبو حرب بن أبي الأسود : ٣١ ـ ٩١ ـ ١٠٣ .

ـ حرّ بن عبد الرحمن النحوي : ٣٩٧ ـ ٤١٥ .

ـ أبو حرمي (ابن يونس) : ٢٧١ .

ـ الحريري : ٢٤١ .

ـ حسان بن ثابت : ٢٥ ـ ٣٥ .

ـ الحسن البصري : ٦٧ ـ ٧٨ ـ ٨٣ ـ ٨٤ ـ ١٢١ ـ ١٨٤ ـ ١٨٧ ـ ٢٣٦ ـ ٣١٥ ـ ٣٤٠ .

ـ الحسن بن علي (أبو عبد الله) : ١٥٣ .

ـ الحسن بن قحطبة : ١٣٧ .

ـ الحسن (مولى الأنصار) : ٣٤٠ .

ـ الحسين بن علي : ٨٥ .

ـ حسين نصار : ٢٨٥ ـ ٢٨٩ ـ ٢٩١ ـ ٢٩٢ ـ ٣٥٨ ـ ٣٧٩ ـ ٣٨٣ .

ـ الحطيئـة : ٢٢٣ ـ ٢٧٨ .

ـ حفص : ١٢٢ ـ ٤٣٠ .

ـ حفني ناصف : ٥٣ .
ـ أبو حمدون الطبيب : ٢٥٤ .
ـ حمران بن أيمن الطائي : ٣٩٨ .
ـ حمزة بن حبيب : ١٢٢ ـ ١٢٥ ـ ١٣١ ـ ١٣٨ ـ ٢٣٥ .
ـ حمّاد الراوية : ٢٧٣ ـ ٤٠٢ ـ ٤٠٣ ـ ٤٠٤ .
ـ حماد بن زيد : ٢١٣ .
ـ حماد بن سلمة : ٢١٢ ـ ٢٧٨ .
ـ حمّاد بن هرمز : ٤٠٢ .
ـ حميد بن ثور : ٣٤ .
ـ ابن الحنبليّ : ١٠٥ .
ـ أبو حنيفة : ٢٥٢ .
ـ الحوفي : ٣٣٦ .
ـ أبو حيوة : ٣٦ .
ـ أبو حيّان الأندلسّي : ٣٦ ـ ٤٢ ـ ٢٣٦ ـ ٢٥٠ ـ ٤٠١ .
ـ أبو حيّان التوحيدي : ٢٧١ .

*. *. *. *. *

[الخاء]

ـ خالد الأزهري : ١٧٣ .
ـ خالد الحذاء : ٧٧ ـ ٨٣ .
ـ خالد بن ذؤيب الهذلي : ٢٩٩ .
ـ خالد بن الوليد المخزومي : ١٣١ .
ـ ابن خالويه : ٦٦ ـ ٨٤ ـ ٢٤٠ .
ـ خديجة الحديثي : ٤١٣ ـ ٤٢٤ ـ ٤٢٨ .
ـ خطام (من الرجاز) : ٣٥٢ .
ـ الخطيب : ١٦٩ .
ـ ابن خلدون : ٢٠٣ .
ـ خلف الأحمر : ١٥٤ ـ ٢٤٢ ـ ٢٧٦ ـ ٢٨٤ ـ ٢٨٦ ـ ٢٨٧ ـ ٢٩٥ ـ ٣٠٣ ـ ٣٣١ ـ ٤٠٢ .
ـ ابن خلكان : ٧٩ ـ ٨٠ ـ ١٥٠ ـ ٢٥٤ .
ـ خلاد بن يزيد الأرقط : ٢٥٢ .
ـ الخليل : ٢٤ ـ ٣٨ ـ ٩٨ ـ ٩٩ ـ ١٠٠ ـ ١١٨ ـ ١١٩ ـ ١٣٠ ـ ١٣٥ ـ ١٥٠ ـ ١٥١ ـ ١٥٩ ـ ١٦٤ ـ ١٦٥ ـ ١٦٧ ـ ١٧٠ ـ ١٧٥ ـ ١٨٣ ـ ١٨٤ ـ ٢٤٩ ـ ٢٧٣ ـ ٢٧٥ ـ ٢٨٧ ـ ٣١٣ ـ ٣٢٤ ـ ٣٢٩ ـ ٣٣٨ ـ ٣٤٨ ـ ٣٥٤ ـ ٣٥٥ ـ ٣٦٥ ـ ٣٦٦ ـ ٣٦٧ ـ ٣٦٨ ـ ٣٦٩ ـ ٣٧٠ ـ ٣٧٧ ـ ٣٨٠ ـ ٣٨٢ ـ ٣٨٤ ـ ٣٨٧ ـ ٣٨٨ ـ ٣٨٩ ـ ٣٩٣ ـ ٣٩٥ ـ ٤٠٢ ـ ٤١٣ ـ ٤١٤ ـ ٤١٥ ـ ٤١٦ ـ ٤١٧ ـ ٤١٨ ـ ٤٢١ ـ ٤٢٢ ـ ٤٢٦ ـ ٤٢٩ .
ـ أبو خيرة : ٢٦٥ ـ ٢٨٧ .

[الــدال]
ـ أبو الدرداء : ١٨ .
ـ ابن دريـد : ٣٩ ـ ٨٩ ـ ١٩٢ ـ ٢٢٠ ـ ٢٨٣ ـ ٢٨٧ ـ ٣٠٨ ـ ٣٠٩ ـ ٣١٤ ـ ٣١٩ .
ـ ابن درستويـة : ٢٧٥ ـ ٤٢٢ .
ـ أبو الدقيش (أعرابي) : ٢٨٧ .
*. *. *. *
[الــذال]
أبو ذر الغفـاري : ٨٤ .
[الرّاء]
ـ الراعي : ٣٤٥ .
ـ الرّبعيّ : ١٠٢ .
ـ ربيعة بن مقروم : ١٩٦ ـ ١٩٧ .
ـ الرشيد (الخليفة) : ١٧٠ .
ـ الرضّي : ٣٢٠ ـ ٣٢١ .
ـ الرقاشي : ٣٢٣ .
ـ الرّماني : ١٤١ ـ ٣٤٩ .
ـ ذو الرّمّة : ٩٦ ـ ١٣٥ ـ ١٥٨ ـ ١٦٥ ـ ٢٠١ ـ ٢١٤ ـ ٢٤٢ ـ ٢٤٤ ـ ٢٤٦ .
ـ الرؤاسي (أبو جعفر) : ١٣٠ ـ ٢٤٣ ـ ٣٩٣ ـ ٣٩٤ ـ ٣٩٥ ـ ٣٩٩ ـ ٤٠٥ ـ ٤٠٧ ـ ٤٠٨ ـ ٤٠٩ ـ ٤١٠ ـ ٤١١ ـ ٤١٢ ـ ٣١٣ ـ ٤١٤ ـ ٤١٥ ـ ٤١٨ ـ ٤٢٢ ـ ٤٢٣ ـ ٤٢٤ ـ ٤٢٥ ـ ٤٢٦ ـ ٤٢٨ ـ ٤٢٩ ـ ٤٣٠ ـ ٤٣١ ـ ٤٣٢ ـ ٤٣٣ ـ ٤٣٤ ـ ٤٣٥ ـ ٤٣٦ ـ ٤٣٧ .
رؤبـة : ٣٣ ـ ١٤٢ ـ ٢٥٨ ـ ٢٦٠ ـ ٢٧٢ ـ ٢٨٠ ـ ٢٨١ ـ ٢٨٢ ـ ٢٩٨ ـ ٣٢٧ ـ ٣٤٦ ـ ٣٤٧ ـ ٣٥٢ ـ ٣٨٠ .
ـ الرياحـي : ٢٢٣ .
*. *. *. *
[الــزّاي]
ـ ابن أبي زائدة : ٣٩٩ .
ـ الزبيـدي : ٣٦ ـ ٥٥ ـ ٥٦ ـ ٧٤ ـ ٧٦ ـ ٨٣ ـ ١٠٠ ـ ١٠٤ ـ ١٨٠ ـ ١٨٢ ـ ١٨٤ ـ ١٨٦ ـ ٢١٩ ـ ٢٢٨ ـ ٢٥٩ ـ ٢٦٦ ـ ٢٧٥ ـ ٣٥٩ ـ ٣٩٣ ـ ٣٩٤ ـ ٤٠٤ ـ ٤٠٩ .
ـ الزجاجي (أبـو القاسم) : ٢٦ ـ ٧٦ ـ ١٥١ ـ ٢١٠ ـ ٢٢١ ـ ٢٢٩ ـ ٢٤٠ ـ ٣٢٨ ـ ٣٣٢ .
ـ الزركشي : ٤٣٤ .
ـ الـزمـخشـري : ٢١ ـ ٩٧ ـ ٢٣٢ ـ ٣٣٦ .
ـ الزهـري : ٦٧ ـ ٧٦ ـ ٢١٣ .
ـ زهير بن أبي سلمى : ٢٠٠ ـ ٢٩٦ ـ ٣٦٧ .

ـ زهير الفرقبي : ٣٩٩ ـ ٤٠٥ .
ـ زيـاد بن أبيـه : ١١ ـ ١٦ ـ ٣٩٦ ـ ٣٩٧ .
ـ زياد بن يحيى (أبو الخطاب) ٢٧٦ .
ـ أبـو زيـد الأنصـاري : ٩٣ ـ ١٢٨ ـ ٢٠٠ ـ ٢٢٣ ـ ٢٥٤ ـ ٢٧٥ ـ ٢٧٦ ـ ٢٨٣ ـ ٢٨٥ ـ ٢٨٧ ـ ٢٩٦ ـ ٢٩٩ ـ ٣٠٣ ـ ٣١٣ ـ ٣٣٠ ـ ٣٣١ .
ـ زيـد بن ثابت : ١٧ .
ـ زيد بن علي بن الحسين : ٣٤٠ .

*. *. *. *

[السّيـن]

ـ سبـط الخياط : ٥٤ .
ـ السجستاني : ٢٣٦ .
ـ سحيم بن وثيل : ١٦٤ .
ـ سعد بن شداد : ٣٩٦ ـ ٣٩٧ ـ ٤٠٥ .
ـ سعيد بن جبيـر : ١٨٢ ـ ٢٣٦ .
ـ أبو سعيد الخدري : ١٧ .
ـ سعيد بن العاص : ١٧ .
ـ سعيد بن هريم البرجمي : ٤٠٣ .
ـ السفاقسيّ : ٣٣٦ ـ ٣٨٦ .
ـ سفيان الثوري : ٢١٤ .
ـ أبو سفيان بن العلاء : ١٨٢ .
ـ سفيان بن عيينـة : ٢٣٧ .
ـ سقراط : ١٠٤ .
ـ ابن السّكيت : ٤٦ ـ ١٣٨ .
ـ ابـن سـلام : ٧٤ ـ ١٠٩ ـ ١٣٦ ـ ١٤٩ ـ ٢١٢ ـ ٢٧٨ ـ ٢٧٩ ـ ٢٨٣ ـ ٢٨٤ ـ ٣٠١ ـ ٣٠٢ ـ ٣١١ ـ ٣٦٠ .
ـ السهيلـي : ٣٨٨ .
ـ أبو سوار الغنوي : ٢٤٥ .
ـ سويرس سيبوخست : ١٤ .
ـ سيبـويـه : ٣٢ ـ ٣٣ ـ ٣٨ ـ ٩٤ ـ ١٠٥ ـ ١١٧ ـ ١١٩ ـ ١١٩ ـ ١٢٦ ـ ١٢٧ ـ ١٣٠ ـ ١٤١ ـ ١٤٢ ـ ١٤٧ ـ ١٤٩ ـ ١٥٠ ـ ١٥٩ ـ ١٦١ ـ ١٦٢ ـ ١٦٦ ـ ١٧٢ ـ ١٧٣ ـ ١٧٥ ـ ١٨٤ ـ ٢٤٩ ـ ٢٥٤ ـ ٢٥٥ ـ ٢٦٠ ـ ٢٦٥ ـ ٢٦٦ ـ ٢٧٥ ـ ٢٨١ ـ ٢٨٤ ـ ٢٨٥ ـ ٣١٩ ـ ٣٢٠ ـ ٣٢٣ ـ ٣٢٨ ـ ٣٢٩ ـ ٣٣٤ ـ ٣٣٥ ـ ٣٣٨ ـ ٣٤٠ ـ ٣٤١ ـ ٣٤٤ ـ ٣٤٥ ـ ٣٤٦ ـ ٣٤٧ ـ ٣٤٨ ـ ٣٥٣ ـ ٣٥٥ ـ ٣٥٦ ـ ٣٥٧ ـ ٣٥٨ ـ ٣٦١ ـ ٣٦٣ ـ ٣٦٤ ـ ٣٦٨ ـ ٣٦٩ ـ ٣٧٠ ـ ٣٧١ ـ ٣٧٢ ـ ٣٧٥ ـ ٣٧٦ ـ ٣٧٧ ـ ٣٨٨ ـ ٣٧٩ ـ ٣٨٠ ـ ٣٨١ ـ ٣٨٢ ـ ٣٨٤ ـ ٣٨٦ ـ

٣٨٧ - ٣٩٣ - ٣٩٥ - ٤٠٠ - ٤٠١ - ٤٠٢ - ٤٢١ - ٤٢٢ - ٤٢٧ .

ـ ابن السّيـد : ١٧٣ .

ـ السيرافي : ٣٩ - ٩٨ - ١٣١ - ١٦١ - ٢٢٥ - ٢٧٤ - ٣٨٣ .

ـ السيوطي : ٤٢ - ٤٦ - ٩٧ - ١١٦ - ١٣٥ - ١٨١ - ٢٢٧ - ٢٢٨ - ٢٤٩ - ٢٥٧ - ٢٦٧ - ٢٦٨ - ٢٨٣ - ٢٨٥ - ٣١٢ - ٣١٣ - ٣٩٤ - ٤٠٨.

ـ ابن سيريـن : ٨٣ - ١١٤ .

*. *. *. *

[الشيـن]

ـ ابن شاكر : ٣٩٩.

ـ الشافعيّ : ١٣٤ .

ـ شبـل : ٦٠ - ٢٧٣ - ٢٨٠ - ٣٠٩ - ٣١٠ .

ـ ابن الشجري : ٣٢ - ٣٣ - ٣٩ - ٤٣ - ١٣٩ - ١٥٧ .

ـ الشرداني : ٢٧٣ .

ـ شعبـة : ١٨٣ .

ـ شعبة بن ناصـح : ٢٣٦ - ٢٣٧ - ٢٥٣ .

ـ الشعبـي : ٥٠ .

ـ الشلوبين : ٣٤٩.

ـ شوقي حنيف : ٣٣٠ - ٣٦١ - ٤٢٧ - ٤٣٨ .

ـ شيبان بن عبد الرحمن التميمي : ٤٠٠.

*. *. *. *

[الضـاد]

ـ الضبـي : ٣١٤.

ـ ضرار : ٣١.

*. *. *. *

[الطـاء]

ـ طاش كبري زادة : ٧٤ .

ـ أبو طاهـر : ٦٢.

ـ الطبرسي: ٤٣٠ .

ـ الطبري (أبو جعفر): ٢٣٦ - ٤٣١ - ٤٣٢ .

ـ طرفـة : ٣١٤.

ـ الطرماح : ٢٠١ .

ـ طلحة : ٢٧٥ .

ـ أبو الطيب : ١٠٣ - ١٠٤ - ١٨٤ - ٢١٤ - ٣٩٤ - ٤٠٣ .

*. *. *. *. *

[العيـن]

ـ عائشة (أم المؤمنين): ٨٤.

ـ عاصم الجحـدري: ٧٨.

ـ عاصم بن أبي النجود: ١٢٥ - ٢٣٥ - ٢٣٦ - ٢٤٩ - ٣٩٩ - ٤٣٠ .

ـ أبو العالية (رفيع بن مهران) قارىء: ٧٨ ـ ٢٣٦ .
ـ ابن عباس: ٣١ ـ ٤٦ ـ ٦٠ ـ ٧٢ ـ ٨٣ ـ ١٠٦ .
ـ أبو العباس: ١٢٥ ـ ١٣٧ ـ ١٤١ ـ ٢٣١ .
ـ عباس حسن : ٣٠٦ .
ـ العباس بن الفضل : ٤٨ .
ـ العباس بن محمد : ٢٩٧ .
ـ العباس بن ميمون : ٢٩٦ .
ـ عبد الله بن جعفر : ٣٩٨ .
ـ عبد الله بن الزبير : ١٧ .
ـ عبد الله بن عامر : ٤٧ ـ ٩٨ ـ ٢٣٥ ـ ٣٠٣ .
ـ عبد الله بن عبد الأعلى القرشي : ٢٥٩ .
ـ عبد الله بن عمرو : ١٧ .
ـ عبد الله بن غطفان: ٤٠٤ .
ـ عبد الله بن الفضل: ٥٥ .
ـ عبد الله بن المبارك: ١٨٤ .
ـ عبد الله بن مسعود : ٢٧ .
ـ عبد الله اليزيدي : ١٥٣ .
ـ ابن عبد ربه : ١٩٣ ـ ١٩٨ .
ـ عبد الرحمن بن الحارث بن هشام : ١٧ .
ـ عبد اللطيف البغدادي : ١١٦ .
ـ عبد الملك بن مروان : ٧٩ .
ـ عبد الوارث (فقيه): ١٣٧ ـ ٢٧٨ .
ـ أبو عبيد البكري: ٢١٧ ـ ٢١٨ ـ ٣١٦ .
ـ أبو عبيد القاسم بن سلام: ٤٥ ـ ٦٣ ـ ٢١٦ ـ ٢٢٦ ـ ٢٣٦ ـ ٢٥٧ .
ـ أبو عبيدة (معمر بن المثنى): ٢٨ ـ ٩٨ ـ ٩٩ ـ ١٠٠ ـ ١٤٠ ـ ١٥٨ ـ ١٨٤ ـ ١٩٩ ـ ٢٠٨ ـ ٢١٨ ـ ٢٣١ ـ ٢٤٤ ـ ٢٤٦ ـ ٢٥٤ ـ ٢٧٤ ـ ٢٧٦ ـ ٢٧٩ ـ ٢٨٣ ـ ٢٨٦ ـ ٢٨٧ ـ ٢٨٩ ـ ٣٠٢ ـ ٣٠٣ ـ ٣١٣ ـ ٣١٧ ـ ٣٢٦ ـ ٣٢٨ ـ ٣٣٣ ـ ٤١٧ .
ـ عثمان (أمير المؤمنين): ١٧ ـ ٧٩ ـ ٨٤ .
ـ عثمان (سعيد بن سعد) : ٢٩٢ .
ـ العجّاج بن رؤبة : ١٣٤ ـ ١٤٢ ـ ٣٢٧ .
ـ عجل بن لجيم: ٢٤٥ .
ـ عدي بن حاتم: ٤٤ .
ـ عدي بن زيد: ١٩٧ ـ ٢٤٢ .
ـ عروة : ٣٦ .
ـ عروة الصعاليك : ٣٤٩ .
ـ العسكري: ٢٨٤ .
ـ ابن عصفور: ٤٢ ـ ٢٢٦ ـ ٢٢٧ ـ ٢٢٩ .

ـ ابن عطيـة: ٨٣ ـ ٣٣٦.
ـ عكرمـة: ٨٩ ـ ١٨٢ ـ ٢٩١ ـ ٣٠٢ ـ ٣١٦ ـ ٤٠٠ ـ ٤٠١.
ـ عـلاء اليماني: ١٨٩.
ـ أبو علقمـة: ٢١.
ـ علقمة بن عاصم: ٣١٤.
ـ علي الأحمر: ٢٢٩ ـ ٢٣٠ ـ ٢٦٢.
ـ أبو علي الأسواري: ٢٩١ ـ ٢٩٢.
ـ علي (كرّم الله وجهه): ١١ ـ ١٩ ـ ٢٠ ـ ٢١ ـ ٢٩ ـ ٣١ ـ ٤٦ ـ ٤٧ ـ ٤٨ ـ ٧٧ ـ ٨٦ ـ ٢٧٥ ـ ٣٩٨.
علي أبو المكارم: ١١٠ ـ ١٤٥.
علي بن نصر الجهضمي: ١٨٣ ـ ١٩٠ ـ ٢٠٧ ـ ٢١٠.
ـ ابن العماد: ١٥٩ ـ ١٦٠.
ـ ابن عمر: ٨٣ ـ ١٠٧.
ـ عمر بن الخطاب: ١٢ ـ ١٩ ـ ٢٧ ـ ٣١ ـ ٤٦ ـ ١٠٥.
ـ عمر بن أبي ربيعة: ٢٤٣.
ـ أبو عمرو بن العلاء: ٥٦ ـ ٦٤ ـ ٧٠ ـ ١٠١ ـ ١٠٤ ـ ١٠٩ ـ ١١١ ـ ١١٢ ـ ١١٣ ـ ١٢٣ ـ ١٢٥ ـ ١٣٠ ـ ١٣٣ ـ ١٣٥ ـ ١٣٦. ١٤٦ ـ ١٥٠ ـ ١٥١ ـ ١٥٢ ـ ١٥٣ ـ ١٥٤ ـ ١٥٨ ـ ١٦٤ ـ ١٨٠ ـ ١٨١ ـ ١٨٢ ـ ١٨٣ ـ ١٨٤ ـ ١٨٥ ـ ١٨٦ ـ ١٨٧ ـ ١٨٨ ـ ١٨٩ ـ ١٩٠ ـ ١٩١ ـ ١٩٢ ـ ١٩٣ ـ ١٩٤ ـ ١٩٥ ـ ١٩٦ ـ ١٩٧ ـ ١٩٨ ـ ١٩٩ ـ ٢٠٠ ـ ٢٠١ ـ ٢٠٢ ـ ٢٠٣ ـ ٢٠٤ ـ ٢٠٥ ـ ٢٠٦ ـ ٢٠٧ ـ ٢٠٨ ـ ٢٠٩ ـ ٢١٠ ـ ٢١١ ـ ٢١٢ ـ ٢١٣ ـ ٢١٤ ـ ٢١٥ ـ ٢١٦ ـ ٢١٧ ـ ٢١٨ ـ ٢١٩ ـ ٢٢٠ ـ ٢٢١ ـ ٢٢٢ ـ ٢٢٣ ـ ٢٢٤ ـ ٢٢٥ ـ ٢٣٠ ـ ٢٣١ ـ ٢٣٢ ـ ٢٣٣ ـ ٢٣٤ ـ ٢٣٥ ـ ٢٣٦ ـ ٢٣٧ ـ ٢٣٨ ـ ٢٣٩ ـ ٢٤٠ ـ ٢٤١ ـ ٢٤٢ ـ ٢٤٣ ـ ٢٤٤ ـ ٢٤٥ ـ ٢٤٦ ـ ٢٤٧ ـ ٢٤٨ ـ ٢٤٩ ـ ٢٥٠ ـ ٢٥١ ـ ٢٥٢ ـ ٢٥٣ ـ ٢٥٤ ـ ٢٥٥ ـ ٢٥٦ ـ ٢٥٨ ـ ٢٥٩ ـ ٢٦٠ ـ ٢٦١ ـ ٢٦٢ ـ ٢٦٣ ـ ٢٦٤ ـ ٢٦٥ ـ ٢٦٦ ـ ٢٦٧ ـ ٢٦٨ ـ ٢٦٩ ـ ٢٨٠ ـ ٢٨٢ ـ ٢٨٣ ـ ٢٨٥ ـ ٢٩٤ ـ ٣٠٣ ـ ٣٠٤ ـ ٣١١ ـ ٣٣١ ـ ٣٣٣ ـ ٣٥٩ ـ ٣٦٠ ـ ٣٦٣ ـ ٣٦٥ ـ ٣٧١ ـ ٣٧٢ ـ ٣٨٣ ـ ٣٩٤ ـ ٣٩٥ ـ ٣٩٦ ـ ٣٩٨ ـ ٤٠٠ ـ ٤٠٢ ـ ٤٠٩ ـ ٤٢٠ ـ ٤٢٩ ـ ٤٣١ ـ ٤٣٢.

ـ أبو عمرو الدانـي : ٤٠٩ .
ـ عمرو بن دينـار: ٧٦.
ـ عمرو بن العاص: ٤٨ .
ـ عمرو بن عبيـد: ٢٠٦ ـ ٢٠٩ .
ـ عمرو بن أبي عمرو: ٢١٨ .
ـ عمرو بن كلثوم: ٢٥٥ ـ ٣٧١ .
ـ عنبسـة الفيـل: ٥٣ ـ ٩٧ ـ ٩٨ ـ ٩٩ ـ ١٠٠ ـ ١٠١ ـ ١١٣ ـ ١٤٠ ـ ٣٩٧.
ـ عنتـرة: ٤٢ .
ـ عيسى بن إسماعيل: ٢٤٢ .
ـ عيسى بن عمر الثقفي: ٣٨ ـ ٥٢ ـ ٨٩ ـ ١٣٠ ـ ١٣١ ـ ١٣٢ ـ ١٣٣ ـ ١٣٤ ـ ١٣٥ ـ ١٣٦ ـ ١٣٧ ـ ١٣٨ ـ ١٣٩ ـ ١٤٠ ـ ١٤١ ـ ١٤٢ ـ ١٤٣ ـ ١٤٤ ـ ١٤٥ ـ ١٤٦ ـ ١٤٨ ـ ١٥٠ ـ ١٥١ ـ ١٥٢ ـ ١٥٣ ـ ١٥٤ ـ ١٥٥ ـ ١٥٦ ـ ١٥٧ ـ ١٦٠ ـ ١٦١ ـ ١٦٢ ـ ١٦٣ ـ ١٦٤ ـ ١٦٥ ـ ١٦٦ ـ ١٦٨ ـ ١٦٩ ـ ١٧٠ ـ ١٧١ ـ ١٧٦ ـ ١٧٧ ـ ١٧٨ ـ ١٨٧ ـ ١٨٨ ـ ١٩٦ ـ ٢٤٧ ـ ٢٥٨ ـ ٢٦٦ ـ ٢٨٤ ـ ٣٣٠ ـ ٣٤٠ ـ ٣٥٩ ـ ٣٦٠ ـ ٣٦٥ ـ ٣٧٤ ـ ٣٨٠ ـ ٣٨٣ ـ ٣٩٤ ـ ٣٩٥ ـ ٣٩٦ ـ ٤٠٠ ـ ٤٠٩ ـ ٤١٧ .
ـ عيسى بن عمر الهمذاني : ٣١ .
ـ العيني : ٤٥ ـ ٢٤٥ .
ـ أبو عيينة بن المهلب: ٩٩ ـ ١٨٣ .

[الفـــاء]

ـ ابن فارس: ٢٤ .
ـ الفـارسيّ (أبـو علي): ٩٣ ـ ١٢٦ ـ ١٥٠ ـ ١٥٥ ـ ١٥٦ ـ ٢٥٧ ـ ٢٧٥ ـ ٢٩٦ ـ ٣٠٢ ـ ٣١٤ ـ ٣٨٦ ـ ٣٩٤ ـ ٣٩٥ ـ ٣٩٨ ـ ٤٠٢ ـ ٤١١ ـ ٤٢٣ ـ ٤٢٤ ـ ٤٢٥ ـ ٤٢٦ ـ ٤٢٧ ـ ٤٢٨ ـ ٤٢٩ ـ ٤٣١ ـ ٤٣٣ ـ ٤٣٤ ـ ٤٣٥ ـ ٤٣٦ ـ ٤٣٧ .
الفرزدق: ٤١ ـ ٩٢ ـ ٩٥ ـ ٩٩ ـ ١٠١ ـ ١٠٨ ـ ١٠٩ ـ ١١١ ـ ١١٢ ـ ١١٣ ـ ١٢٧ ـ ١٤٠ ـ ١٥٣ ـ ١٨٣ ـ ١٩٢ ـ ١٩٦ ـ ٢٠٢ ـ ٢٤٣ ـ ٢٤٦ ـ ٢٥٩ ـ ٢٩٧ ـ ٣١٥ ـ ٣٨٢ ـ ٣٩٤ ـ ٣٩٥.
ـ الفضـل بن الربيـع : ٢٢٩ .
ـ أبو الفضـل الرياشي : ١٣٧ .
ـ فون كريمـر: ١٣ ـ ١٤ .
ـ الفيروزآبادي : ٤١٨ .

* . * . * . * . *

[القـــاف]

ـ القالـي : ٢٨٧ .
ـ قتادة بن دعامـة: ١٠٣ .

ـ ابن قتيبـة: ٤٠٤ .
ـ القرطبي: ٤٣٠ .
ـ قطـرب: ٣١٣.
ـ قعنب الباهلي: ١٩٦ .
ـ القـفـطـي: ١٠٠ ـ ١٠٣ ـ ١١٤ ـ ١٤٤ ـ ١٦٠ ـ ١٧٠ ـ ٣٦٠ ـ ٤١٦.
ـ قيس بن ذريح: ٢٥٨ ـ ٢٦٠.
ـ ابن قيـس الرقيـات: ٢١٠ ـ ٢٣٨ .
ـ قيـس بن الملوح: ٩٥ ـ ١٩٣ .

** .. ** .. **

[الكـــاف]

ـ ابن كثيـر: ٦٣ ـ ٦٤ ـ ١٢٣ ـ ١٢٥ ـ ٢٣٥ ـ ٢٣٦ .
ـ الكسـائـي: ١٣٠ ـ ١٣٧ ـ ١٧٠ ـ ٢٣٥ ـ ٢٦٠ ـ ٢٦٢ ـ ٢٦٣ ـ ٢٨٧ ـ ٣٠٠ ـ ٣٠١ ـ ٣٠٢ ـ ٣٢٨ ـ ٣٤٣ ـ ٣٨٦ ـ ٣٩٥ ـ ٤٠٢ ـ ٤٠٥ ـ ٤١٠ ـ ٤١٢ ـ ٤٢٢ ـ ٤٢٥ ـ ٤٢٦ ـ ٤٢٧ ـ ٤٢٨ ـ ٤٣٧ .
ـ ابن كناسـة: ٤٠٤ .
ـ ابن كيسـان: ٣٨٥.

** .. ** .. **

[الـــلام]

ـ الليـث: ٣٦.
ـ ليلى العامريـة: ١٩٥ .

** .. ** .. **

[الميـم]

ـ المازنـي (أبو عثمان) ١٤٩ ـ ١٥٠ ـ ٢٣١ ـ ٢٥٠ ـ ٢٥١ ـ ٣١٩ ـ ٣٢١ .
ـ مالك بن أنس: ٥٥ ـ ٢٤٣ .
ـ أبو مالـك: ٣١٩ .
ـ ابن مـالـك: ٤٢٠ ـ ٢٥٠ ـ ٣٨٥ ـ ٣٨٧ ـ ٣٨٩ .
ـ مالك بن دينـار: ٧٨ .
ـ المأمـون: ١٠٨ .
ـ المبـرد: ١٤ ـ ٣٣ ـ ١٤٨ ـ ١٥٢ ـ ٢٣٢ ـ ٣٣٦ ـ ٤١٢ ـ ٤١٣ ـ ٤١٨ .
ـ المتلمـس: ٢٩٣ ـ ٢٠٨ .
ـ المتنبـي: ٣٠٨.
ـ المتوكـل الكناني: ٤٥ .
ـ مجاهـد: ٧٣ ـ ١٨٢ .
ـ ابن مجاهـد: ٥٧ ـ ٦٦ ـ ٩٥ ـ ٩٦ ـ ١٢٤ ـ ١٢٥ ـ ١٥٠ ـ ٢٣٥ ـ ٢٣٦ ـ ٢٣٧ ـ ٣٩٩.
ـ أبو محلم الشيباني: ٢٨٩ ـ ٢٩٠ .
ـ محمد بن إسحاق: ١٣ ـ ٨٦ ـ ٤١٣ ـ ٤١٨ ـ ٤٢٥ .
ـ محمد بن جعفـر: ٤١٠ .
ـ محمـد بن الحسن (أبـو العبـاس): ٣٤.
ـ محمد بن الحسين: ١٣ ـ ٨٦ .

ـ محمـد بن سـلام الجمحي: ١٦٠ ـ ٢٩٧ ـ ٣١٥.
ـ محمد الطنطاوي: ٣٧٢.
ـ محمد بن عمر: ٥٥.
ـ محمد بن مروان السدي: ٣٤٠.
ـ محمـد بن يـزيـد النحـوي: ١٦١ ـ ٢٤٤ ـ ٢٨٩ .
ـ ابن محيصـن: ٦٠ ـ ٢٣٦ .
ـ المرادي: ٣٥٥ ـ ٣٨٧ .
ـ المـرزبـاني: ١٤٢ ـ ١٦٩ ـ ١٩٢ ـ ١٩٧ ـ ٤١٤ .
ـ مروان بن أبي حفصـة: ٢٩٤ ـ ٢٩٥ ـ ٢٩٦ .
ـ ابن مروان: ٣٣٩ ـ ٣٤٢.
ـ مروان بن الحكم: ٤٨ .
ـ مسعود بن عمرو: ٢٧٨ .
ـ أبو مسلم: ٢٢٨ .
ـ مصطفى نظيف: ١٤ .
ـ مصعب بن الزبيـر: ٢١٠ .
ـ معاذ بن العلاء: ٢٨٢ .
ـ معاذ بن مسلم الهراء: ١٨٤ ـ ٢٢٧ ـ ٢٢٨ ـ ٤٢٩ .
ـ معـاويـة (أميـر المؤمنين) ٣١ ـ ٤٧ ـ ٤٨ ـ ٤٩ ـ ٥١ .
ـ معدان الفيـل: ٩٨ .
ـ ابن معـدان : ٩٩ .
ـ معد بن عدنان: ٢٨٠ .
ـ المعلـي: ٢٩٢ .
ـ مغلـس: ٣٨٩.
ـ المفضـل: ٩٥ .
ـ المفضـل بن الربيع: ٢٦٢ .
ـ مقـاتـل بن سليمـان: ٣٦ ـ ٢٠٥ ـ ٢٠٦ ـ ٢٨٣ .
ـ ابن مقبـل: ٢٢٤ .
ـ مكيّ بن سوادة: ٢٠٢ .
ـ مكي بن أبي طالب: ٥٩ ـ ٦٠ ـ ٦١ ـ ٦٢ ـ ٦٣ ـ ٦٥ ـ ٧١ ـ ٧٢ ـ ٩٠ ـ ١٢١ ـ ١٢٢ ـ ١٢٣ ـ ١٧٣ ـ ٢٣٥ ـ ٣٣٢ ـ ٣٣٩ ـ ٣٤١ ـ ٣٨٤.
ـ المتجـع (أعربي) ٥٥ ـ ١٥٤ .
ـ المنصور (الخليفة): ١٠٨ ـ ٢٩٠ .
ـ المهدي (الخليفة): ٢٩٥ ـ ٣٤٣ ـ ٤٠٠ .
ـ أبو المهدي (أعرابي) : ١٥٤ .
ـ مهدي المخزومي: ٤٢٨ .
ـ أبو مهدية (أعرابي): ٢٨٨ .
ـ مودود العنبري: ٤٢ .
ـ أبـو موسى الأشعـري: ٢٠ ـ ١٠٥ ـ ٢٩٢ .
ـ ميمون الأقـرن: ٩٨ ـ ١٠٠ ـ ١٠١ ـ ١٠٣ ـ ١٤٠ ـ ٣٩٧ ـ ٣٩٩.

..*.*.*

[النـون]
ـ النابغة الـذبياني: ٢٥ ـ ٤٤ ـ ١٤٢ ـ ١٩٦ ـ ٢٩٦ ـ ٢٩٧ .
ـ نافع بن نعيم: ٥٤ ـ ٥٦ ـ ٦٥ ـ ٦٦ ـ ١٢٢ ـ ١٢٤ ـ ٢٣٥ ـ ٢٣٦ .
ـ أبو النجم: ٤٠١ .
ـ ابن النديم: ١٣ ـ ٢٩٠ ـ ٤٢٥ .
ـ أبو نزار (ملك النحاة): ١٥٦ .
ـ نصـر بن عـاصم: ١٢ ـ ٣٤ ـ ٥٢ ـ ٧٤ ـ ٧٥ ـ ٧٦ ـ ٧٧ ـ ٧٨ ـ ٧٩ ـ ٨٠ ـ ٨١ ـ ٨٤ ـ ١٠٣ ـ ١٨٢ ـ ٢١٢ ـ ٢٣٦ ـ ٢٥٤ ـ ٢٥٤ ـ ٣٩٧ .
ـ النضر بن شميل: ١٣ ـ ٢٨٧ .
ـ أبـو نوفـل بن أبي عقرب : ٢٤٦ ـ ٢٥٣ ـ ٣٦٠ .

* . * . * . *

[الهـــاء]
ـ الهادي (الخليفة): ٤٠٠ .
ـ هارون الأعور: ٣٣٨ .
ـ هارون الرشيـد: ٤٣٨ .
ـ هـارون بن مـوسى القـاري: ١٩٠ ـ ٢٠٧ ـ ٢٠٩ ـ ٢١٠ .
ـ هدبة بن خشرم: ٣٤٥ .
ـ ابن هرمز (عبد الرحمن): ٥٣ ـ ٥٤ ـ ٥٥ ـ ٥٦ ـ ٥٧ ـ ٧٠ .
ـ الهـروي: ١٣٩ ـ ٣٥٠ ـ ٣٨٨ .
ـ أبو هريـرة : ١٧ ـ ٢٨٠ .
ـ هشام بن عبد الملك: ١٩٣ .
ـ ابـن هـشـام: ٤٣ ـ ١٥٦ ـ ٢٤٨ ـ ٢٦٤ ـ ٢٦٨ ـ ٢٨١ ـ ٣١١ ـ ٣٨٥ .
ـ ابن همام السلولي: ١٣٨ .
ـ الهيثم بن عدي: ٣٩٩ .

* . * . * . *

[الـواو]
ـ أبو وائـل: ٩٤ .
ـ وكيع بن أبي الأسود: ١٨٢ ـ ٣١٥ .
ـ الـوليـد بن يـزيـد (خليفـة): ١٩٧ ـ ٤٠٣ .
ـ الوليد بن يسار: ٢٣١ .
ـ وهب بن جريـد: ٢٣٧ .

* . * . * . *

[اليـاء]
ـ ياسين (الشيخ): ٣٧ .
ـ ياقوت: ٧٥ ـ ٨٢ ـ ٩٧ ـ ٩٩ ـ ١٠٠ ـ ١٠١ ـ ١٣١ ـ ١٦٩ ـ ١٧٠ ـ ١٨٢ ـ ١٨٤ ـ ٢٣٧ ـ ٢٧٦ ـ ٣١٤ ـ ٣٨٩ ـ ٤١٦ .
ـ يحيى بن يـعمـر: ١٣ ـ ٥٣ ـ ٧٤ ـ ٨٢ ـ ٨٣ ـ ٨٤ ـ ٨٥ ـ ٨٦ ـ ٨٧ ـ ٨٨ ـ ٨٩ ـ ٩٠ ـ ٩١ ـ ٩٢ ـ ٩٣ ـ ٩٤ ـ ٩٥ ـ ٩٩ ـ ١٧٦ ـ ٢٠٨ ـ ٢٠٩ ـ ٢٣٦ .

ـ يزيد بن الحكم: ٣٢ ـ ٢٦٩ .
ـ يزيد بن رومان: ٢٣٦ .
ـ يزيد بن عبد الملك (خليفة): ١٠٨ ـ ٣٨٢ .
ـ يزيد بن القعقاع (أبو جعفر): ٢٣٦ .
ـ يزيد بن المهلب: ٨٧ ـ ٨٨ .
ـ يزيد بن هارون: ٢٧ ـ ٢٨ .
ـ اليـزيـدي: ١٨٤ ـ ٢٣٩ ـ ٢٣٩ ـ ٢٦٢ ـ ٢٦٤ ـ ٢٦٩ .
ـ يعقوب بن إسحاق الحضرمي: ١٠٢ .
ـ يعقوبُ الرهاوي: ١٤ .
ـ يعقوب بن السِّكيت: ٣٠٦ .
ـ أبو يعلى بن أبي زرعة: ٢٥٠ ـ ٢٥١ .
ـ يوسف (عليه السلام): ٢٧٤ .

** .. ** .. ** .. **

[اليـاء]

يـونس بن حبيب: ٨٦ ـ ٨٧ ـ ١٠١ ـ ١٠٩ ـ ١١٢ ـ ١١٥ ـ ١١٩ ـ ١٢٠ ـ ١٣٠ ـ ١٣٣ ـ ١٣٥ ـ ١٣٦ ـ ١٤٠ ـ ١٤٨ ـ ١٤٩ ـ ١٥٠ ـ ١٥١ ـ ١٥٢ ـ ١٦٤ ـ ١٦٥ ـ ١٦٧ ـ ١٨٣ ـ ١٨٤ ـ ١٨٨ ـ ١٩٤ ـ ١٩٦ ـ ٢٠٥ ـ ٢١٢ ـ ٢٤٩ ـ ٢٥٥ ـ ٢٥٦ ـ ٢٥٧ ـ ٢٦٠ ـ ٢٦٦ ـ ٢٦٥ ـ ٢٨٧ ـ ٢٨٨ ـ ٢٨٩ ـ ٢٩٠ ـ ٢٩١ ـ ٢٩٢ ـ ٢٩٣ ـ ٢٩٤ ـ ٢٩٦ ـ ٢٩٧ ـ ٢٩٨ ـ ٢٩٩ ـ ٣٠٠ ـ ٣٠١ ـ ٣٠٢ ـ ٣٠٤ ـ ٣٠٥ ـ ٣٠٦ ـ ٣٠٧ ـ ٣٠٨ ـ ٣٠٩ ـ ٣١٠ ـ ٣١١ ـ ٣١٢ ـ ٣١٣ ـ ٣١٤ ـ ٣١٥ ـ ٣١٦ ـ ٣١٧ ـ ٣١٨ ـ ٣١٩ ـ ٣٢٠ ـ ٣٢١ ـ ٣٢٢ ـ ٣٢٣ ـ ٣٢٤ ـ ٣٢٥ ـ ٣٢٦ ـ ٣٢٧ ـ ٣٢٨ ـ ٣٢٩ ـ ٣٣٠ ـ ٣٣١ ـ ٣٣٢ ـ ٣٣٣ ـ ٣٣٤ ـ ٣٣٥ ـ ٣٤٢ ـ ٣٤٣ ـ ٣٤٤ ـ ٣٤٦ ـ ٣٤٧ ـ ٣٤٨ ـ ٣٤٩ ـ ٣٥٠ ـ ٣٥١ ـ ٣٥٢ ـ ٣٥٣ ـ ٣٥٤ ـ ٣٥٥ ـ ٣٥٦ ـ ٣٥٧ ـ ٣٥٨ ـ ٣٦٠ ـ ٣٦١ ـ ٣٦٢ ـ ٣٦٣ ـ ٣٦٤ ـ ٣٦٥ ـ ٣٦٦ ـ ٣٦٧ ـ ٣٦٨ ـ ٣٦٩ ـ ٣٧٠ ـ ٣٧١ ـ ٣٧٢ ـ ٣٧٣ ـ ٣٧٤ ـ ٣٧٥ ـ ٣٧٦ ـ ٣٧٧ ـ ٣٧٨ ـ ٣٧٩ ـ ٣٨٠ ـ ٣٨١ ـ ٣٨٢ ـ ٣٨٣ ـ ٣٨٤ ـ ٣٨٥ ـ ٣٨٦ ـ ٣٨٧ ـ ٣٨٨ ـ ٣٨٩ .

* . * . * . *

القبائل والطوائف

ـ بنو الحارث بن كعب: ١٩١ .
ـ بنو حمدان: ١٣ ـ ٨٦ .
ـ آل الحضرمي : ١٠٢ .

** . . ** . . **

ـ خولان: ١٩٠ .

** . . ** . . **

ـ بنو راسب: ٣٩٦.
ـ رواسي :٤٠٨ .

** . . ** . . **

ـ بنو سعد بن تميم: ١٩٣ ـ ٢٢٠ .
ـ السريان : ١٤ .
ـ بنو ضبة: ٩٦.
ـ الطفاوة : ٣٩٦.
ـ بنو عجل: ٢٤٥ .
ـ عقيل: ٨٤ ـ ١٥٧ .
ـ عمرو بن تميم: ١٠٩ ـ ٢٧٩ ـ ٣٦٠.
ـ العالية : ٣١٧.
ـ قريش: ٥٥.
ـ بنو قشير: ٢٠ ـ ٢١ .
ـ قضاعة: ٢٤٥.
ـ عبد شمس: ٤٦ ـ ١٠٢.
ـ عبد القيس: ١٩٢ .
ـ بنو كلاب: ٣٥٢.
ـ هذيل : ١٢٦ ـ ١٩١ ـ ٢٢١.

** . . ** . . **

الأماكن والبلاد

ـ بدر: ١٦ .
ـ البصرة: ١٤ ـ ٥٥ ـ ٧٨ ـ ١٢٤ ـ ١٢٥ ـ ١٨٢ ـ ٢٥٧ ـ ٢٧٠ ـ ٢٧٣ ـ ٢٧٥ ـ ٢٨٠ ـ ٢٨٧ ـ ٢٨٨ ـ ٣٠٠ ـ ٣٠١ ـ ٣٠٢ ـ ٣٢٨ ـ ٣٤٣ ـ ٣٩٤ ـ ٣٩٥ ـ ٤١١ ـ ٤١٢ ـ ٤١٣ ـ ٤١٧ ـ ٤١٨ ـ ٤١٩ ـ ٤٢٠ ـ ٤٢٦ .
ـ بغداد: ١٣٧ ـ ٢٧٠ ـ ٤٠٠ ـ ٤٢٣ ـ ٤٢٤ ـ ٤٢٦ .
ـ تهامة: ١٩٠ .
ـ جبل: ٢٧٠ .
ـ الحجاز: ٢٣٤ ـ ٢٨٧ ـ ٣١٢ .
ـ الحديثة: ١٣ ـ ٨٦ .
ـ خراسان: ٨٣ ـ ٨٧ .
ـ دجلة : ٢٧٠ .
ـ الشام : ١٩٠ ـ ١٢٤ .
ـ شيراز : ١٦٩ .
ـ الصين: ٨٦ .
ـ العراق: ١٧٠ ـ ٢٢٠ ـ ٢٧٥ .
ـ عكاظ: ٢٥ .
ـ عمان: ٢١٩ .
ـ فارس: ٤٩ ـ ١٨٠ .
ـ كازرون: ١٨٠ .
ـ الكعبة: ١٧ .
ـ كنعان: ٢٧٤ .
ـ الكوفة: ١٢٤ ـ ١٢٥ ـ ١٣١ ـ ١٨٢ ـ ٢٠١ ـ ٣٩٦ ـ ٣٩٧ ـ ٣٩٩ ـ ٣٩٨ ـ ٤٠٠ ـ ٤٠٢ ـ ٤٠٤ ـ ٤١١ ـ ٤١٢ ـ ٤٢٢ ـ ٤٢٧ ـ ٤٣١ .
ـ المدينة : ٥٥ ـ ١٢٤ ـ ١٨٢ ـ ٢١٥ ـ ٢١٩ ـ ٢٤٩ ـ ٢٥٧ ـ ٢٧٥ .
ـ المربد: ١٩٢ .
ـ مصر: ٢٧٤ .
ـ مكة: ١٦ ـ ١٨٢ ـ ٢١٩ ـ ٢٤٨ ـ ٣٩٩ ـ ٤٣١ .
ـ ميسان : ٩٧ .
ـ نجد: ١٩٠ ـ ٢٨٧ .
ـ الهند: ١٤ .
ـ واسط: ٨٣ ـ ٢٧٠ .
ـ اليمامة: ١٧ .
ـ اليمن: ١٩٠ ـ ١٩١ ـ ١٩٢ ـ ٢١٩ ـ ٢٢٢ ـ ٢٦٣ .

* . * . * . *

المصـــادر والمـــراجع:

١ ـ الإتقان في علوم القرآن: جلال الدين السّيوطيّ،طبعة ثالثة: الحلبيّ.

٢ ـ أثر القرآن في تطوّر النقد الأدبي:للدكتور محمد زغلول سلام: طبع ونشر دار المعارف ـ القاهرة.

٣ ـ الأزهيّة في علم الحروف: لـ «علي بن محمد الهرويّ» مطبوعات مجمع اللغة العربيّة بدمشق.

٤ ـ أخبار النحويين البصريين: أبو سعيد الحسن بن عبد الله السيـرافيّ، طبع مصطفى الحلبيّ.

٥ ـ أدب الكاتب لابن قتيبة: نسخة مصوّرة عن طبعة (ليدن).

٦ ـ الاستيعاب في معرفة الأصحاب: ابن عبد البرّ ـ نهضة مصر.

٧ ـ الأشباه والنظائـر في النحو :للسيـوطي، تحقيق عبد العال سالم مكـرم ـ مؤسسة الرسالـة ـ بيروت في تسعة مجلّدات.

٨ ـ الإصابة في تمييز الصحابة: ابن حجر، المطبعة الشرقية.

٩ ـ إصلاح المنطق: ابن السّكيت، دار المعارف، طبعة ثانية.

١٠ ـ أصول الأحكام الشرعيّة: الشيخ علي حسب الله، مطبعـة العلوم ـ طبعة أولى.

١١ ـ إعراب ثلاثين سورة: ابن خالويه، مطبعة دار الكتب المصرية، ١٩٤١.

١٢ ـ إعـراب القرآن: السفـاقسيّ، مخـطوط رقم ٢٢٢ ـ تفسيـر ـ دار الكتب المصرية.

١٣ ــ الأعرابيـات : خليل مردم بك ـ مطبوعات مجمع اللغة العربيّة بدمشق.
١٤ ــ الأغانـي : أبو الفرج الأصفهاني ـ نسخة مصوّرة عن طبعة دار الكتب.
١٥ ــ أقيسـة النبيّ المصـطفى محمـد ﷺ: لابن الحنبليّ. طبـع دار الكتب الحديثة ـ القاهرة.
١٦ ــ الأمالي للزجاجيّ: تحقيق الأستاذ عبد السلام هارون، المؤسسة العربيّة الحديثة، طبعة أولى.
١٧ ــ أمالي السهيليّ: تحقيق محمد إبراهيم البنا، مطبعة السعادة، طبعة أولى.
١٨ ــ أمالي ابن الشجريّ: طبع الهند، طبعة أولى ١٣٤٩ هـ.
١٩ ــ أمالي القالي: مطبعة دار الكتب المصرية.
٢٠ ــ أمالي المرتضى: مطبعة الحلبيّ، طبعة أولى ١٩٥٤.
٢١ ــ الأمثال: لأبي عكرمة الضّبيّ، مطبوعات مجمع اللغة العربيّة بدمشق.
٢٢ ــ إنباه الرّواة: القفطيّ، مطبعة دار الكتب المصرية.
٢٣ ــ الإيضاح في علل النحو: للزجاجي، دار النفائس ـ بيروت.
٢٤ ــ إيضاح الوقف والابتداء، أبو بكر محمد بن القاسم الأنباريّ: مطبوعات مجمع اللغة العربيّة بدمشق.
٢٥ ــ الباعث الحثيث في اختصار علوم الحديث: للحافظ ابن كثير، مطبعة محمد علي صبيح ـ طبعة ثالثة.
٢٦ ــ البرهان في علوم القرآن: للزركشي، تحقيق محمد أبي الفضل، طبع عيسى الحلبيّ، ١٩٥٨.
٢٧ ــ البصائر والذخائر: لأبي حيّان التوحيديّ، تحقيق: الأستاذين: أحمد أمين ـ السيد أحمد صقر، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر طبعة أولى ١٩٥٣.
٢٨ ــ بغية الوعاة: جلال الدين السّيوطيّ، تحقيق الأستاذ محمد أبي الفضل مطبعة عيسى البابي الحلبي.

٢٩ ــ البلغة في تاريخ أئمة اللغة: للفيروزابـاديّ، تحقيق: محمد المصـري ـ وزارة الثقافة والإرشاد القوميّ، دمشق ١٩٧٢ م .
٣٠ ــ البيـان في غريب إعـراب القرآن: أبـو البركـات ابن الأنباريّ، تحقيق: الدكتور طه عبد الحميد.
٣١ ــ البيـان والتبيين: الجـاحظ، تحقيق الأستـاذ عبـد السـلام هـارون نشـر الخانجي.
٣٢ ــ تاج العروس: الزَّبيدي، المطبعة الوهبيّة.
٣٣ ــ تاريخ آداب العرب: الرافعيّ، طبعة ثانية ١٩٤٠ .
٣٤ ــ تاريخ آداب اللغة العربيّة: جرجي زيدان، مطبعة الهلال.
٣٥ ــ تاريخ الأدب العربي لـ«بروكلمان»: ترجمة المرحوم الدكتور عبدالحليم الـنـجـار طـبـع دار المعارف ـ بمصر.
٣٦ ــ تاريخ الأدب: حفني ناصف ـ مطبعة جامعة القاهرة ـ طبعة ثانية.
٣٧ ــ تاريخ التَّمدن الإسلاميّ: جرجي زيدان ـ مطبعة دار الهلال طبعة رابعة.
٣٨ ــ تاريخ الفلسفة في الإسلام: الأستاذ ت ـ ج ـ دي بور. ترجمة د/ محمد عبد الهادي أبي ريدة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٥٧ .
٣٩ ــ تاريخ النحو العربيّ: د/علي أبو المكارم ـ القاهرة الحديثة للطباعة.
٤٠ ــ تاريخ اليعقوبي ـ طبع بيروت.
٤١ ــ تذكرة النحاة، لأبي حيان الأندلسّيّ، تحقيق د/عفيف عبد الرحمن، مؤسسة الرسالة، بيروت .
٤٢ ــ التراث اليونانيّ في الحضارة الإسلامية : ترجمة د/ عبد الرحمن بدوي، دار النهضة العربيّة.
٤٣ ــ تحقيق النصـوص ونشرهـا: الأستاذ عبـد السلام هـارون: طبعة ثـانية: الحلبي.
٤٤ ــ تقييد العِلْم: الخطيب البغداديّ. تحقيق: الأستاذ يوسف العش طبع دمشق ١٩٤٩ .

٤٥ ــ تهذيب التهذيب: ابن حجر العسقلانيّ ـ دائرة المعارف النظاميّة.
٤٦ ــ توجيه إعراب أبيات ملغزة: للرّماني، تحقيق: الأستاذ سعيد الأفغاني مطبعة الجامعة السّورية.
٤٧ ــ الجامع لأحكام القرآن: لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، طبعة ثانية ـ دار إحياء التراث العربي ـ بيروت.
٤٨ ــ جامع البيان في تفسيرالقرآن: لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري.دار المعرفة ـ بيروت ـ لبنان.
٤٩ ــ جمهرة اللغة:لابن دريد ـ دار صادر ـ بيروت.
٥٠ ــ الجني الداني في حروف المعاني: للحسن بن قاسم البرادي، تحقيق: د/ فخر الدين قباوة. والأستاذ محمد نديم فاضل ـ المكتبة العربيّة بحلب.
٥١ ــ حاشية يسّ على التصريح: مطبعة الحلبيّ.
٥٢ ــ الحجة في القراءات السبع: لابن خالويه، تحقيق: د/عبد العال سالم مكرم، دار الشروق ـ بيروت ـ أربع طبعات.
٥٣ ــ الحجة في القراءات السبع: لأبي عليّ الفارسي، تحقيق: عبد الفتاح شلبي، وآخرين ـ دار الكاتب العربيّ.
٥٤ ــ حجة القراءات: لأبي زرعة عبد الرحمن بن محمد زنجلة،تحقيق: الأستاذ سعيد الأفغاني، منشورات جامعة بنغازي.
٥٥ ــ الحضارة الإسلامية ومدى تأثرها بالمؤثرات الأجنبية: لفون كريمر تعريب مصطفى بدر، دار الفكر العربي.
٥٦ ــ الحيوان: للجاحظ: تحقيق الأستاذ عبد السلام هارون، طبعة أولى ـ مصطفى الحلبي.
٥٧ ــ خزانة الأدب: للبغدادي، المطبعة السلفية.
خزانة الأدب: للبغدادي، دار صادر ـ بيروت.
خزانة الأدب: للبغدادي تحقيق:الأستاذ عبد السلام هارون، طبع الخانجي القاهرة.

٥٨ ــ الخصائص : لابن جني : تحقيق الشيخ محمد علي النجار، طبع دار الكتب المصريـة.
٥٩ ــ الدرر اللوامع على همع الهوامع : أحمد بن الأمين الشنقيطي، تحقيق : د/ عبد العال سالم مكرم ـ دار البحوث العلمية بالكويت في سبعة أجزاء.
٦٠ ــ ابن درستويـه : عبد الله الجبوري ـ مطبعة العاني ـ بغداد.
٦١ ــ درّة الغوّاص : الحريري، نسخة مصوّرة عن طبعة لبيرج.
٦٢ ــ ديوان جميل بن معمر، تحقيق : د/حسين نصّار، دار مصر للطباعة.
٦٣ ــ ديوان العجاج، تحقيق:الدكتور عزّة حسن ـ مكتبة الشرّق ـ بيروت.
٦٤ ــ رسائل الجاحظ: تحقيق الأستاذ عبد السلام هـارون، طبع الخانجي ١٩٦٥ م.
٦٥ ــ زهر الآداب : أبو إسحاق الحصري القيرواني، تحقيق:د/ زكي مبارك مطبعة مصطفى محمد ـ طبعة ثانية.
٦٦ ــ السبعة في القراءات : لابن مجاهد، تحقيق : د/شوقي ضيف، طبع دار المعارف ـ القاهرة.
٦٧ ــ سمط اللآلىء:للوزير أبي عبد الله البكريّ، تحقيق:عبد العزيز الميمني، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر.
٦٨ ــ سيبويه والقراءات : د/ أحمد مكي الأنصاريّ ـ توزيع دار المعارف.
٦٩ ــ سيبويه : إمام النحاة للأستاذ علي النجدي ـ نهضة مصر.
٧٠ ــ شذرات الذهب، لابن العماد الحنبليّ ـ المكتب التجاريّ، للطباعة والنشر. بيروت.
٧١ ــ شرح الأشموني ـ مطبعة الحلبيّ.
٧٢ ــ شرح التصريح:للشيخ خالد. مطبعة الحلبيّ.
٧٣ ــ شرح شذور الذهب: لابن هشام، تحقيق الشيخ محمد محيي الدين، المكتبة التجارية بالقاهرة.
٧٤ ــ شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف لأبي أحمد الحسن بن عبد الله بن سعيد الشكري، تحقيق: عبد العزيز أحمد، نشر وطبع مصطفى الحلبي ـ القاهرة.

٧٤ ـ شرح شافية ابن الحاجب: لرضيّ الدين الاستراباذي. تحقيق محمد أبو الحسن، ومحمد محيي الدين، ومحمد الزفزاف، طبعة أولى.
٧٥ ـ شرح القصائد السبع الطوّال الجاهليّات: لأبي بكر محمد بن القاسم الأنباري، تحقيق: الأستاذ عبد السلام هارون ـ دار المعارف بالقاهرة.
٧٦ ـ شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف: لأبي أحمد الحسن بن عبد الله العسكري. تحقيق: الأستاذ عبد العزيز أحمد ـ مطبعة مصطفى الحلبي.
٧٧ ـ الشعر والشعراء: لابن قتيبة ـ مطبعة المعاهد ـ طبعة ثانية.
٧٨ ـ ضحى الإسلام: أحمد أمين، النهضة المصرية.
٧٩ ـ طبقات الشعراء: لابن المعتزّ، تحقيق: عبد السّتار أحمد فراج ـ دار المعارف بمصر.
٨٠ ـ الطبقات الكبرى: لابن سعد ـ دار صادر ـ بيروت.
٨١ ـ طبقات النحويين واللغويين: للزبيديّ، تحقيق: محمد أبي الفضل ـ دار المعارف بمصر.
٨٢ ـ العقد الفريد لابن عبد ربّه، تحقيق أحمد أمين وآخرين، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر.
٨٣ ـ ٨٤ ـ العمدة في صناعة الشعر ونقده: لابن رشيق القيرواني، مطبعة أمين هندية.
٨٤ ـ عيون الأخبار: لابن قتيبة الدينوريّ، نسخة مصوّرة عن طبعة دار الكتب.
٨٥ ـ غاية النهاية في طبقات القراء: لابن الجزري ـ نشر الخانجي.
٨٦ ـ الفائق في غريب الحديث: لجار الله الزمخشري. تحقيق علي محمد البجاري، ومحمد أبي الفضل، طبع عيسى الحلبيّ.
٨٧ ـ الفاخر: لأبي طالب المفضل بن سلمة بن عاصم، تحقيق: الأستاذ عبد العليم الطحاويّ، طبعة أولى ـ عيسى الحلبيّ.
٨٨ ـ فصل المقال في شرح كتاب الأمثال: لأبي عبيد البكريّ. تحقيق: إحسان عباس ـ ود/ عبد المجيد عابدين. دار الأمانة ـ مؤسسة الرسالة ـ بيروت.

٨٩ ــ الفن ومذاهبه في الشعر العربي : د/ شوقي ضيف ـ دار المعارف .
٩٠ ــ الفهرست: لابن النديم ـ المطبعة الرحمانية .
٩١ ــ القرآن الكريم وأثره في الدراسات النحوية: د/عبد العال سالم مكرم ، طبعة أولى طبع دار المعارف بالقاهرة ـ طبعة ثانية مؤسسة الصباح بالكويت .
٩٢ ــ الكامل:للمبرّد ، تحقيق:محمد أبي الفضل ـ السيد شحاتة ـ نهضة مصر .
٩٣ ــ الكتاب:لسيبويه ، تحقيق:الأستاذ عبد السلام هارون. طبع دار القلم ـ والطبعة المصرية العامّة للكتاب .
٩٤ ــ الكشف عن وجوه القراءات السّبع: لمكيّ بن طالب القيسيّ. تحقيق : د/ محيي الدين رمضان ـ مطبوعات مجمع اللغة العربيّة بدمشق .
٩٥ ــ كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال:لعلاء الدين على المتقي ابن حسام الهنديّ ، طبع دائرة المعارف النظامية بالهند .
٩٦ ــ اللامات:للزجاجي ، تحقيق :د/ مازن المبارك ، مطبوعات مجمع اللغة العربيّة بدمشق .
٩٧ ــ لسان العرب: لابن منظور ـ المطبعة الأميرية .
٩٨ ــ اللغة والنحو: للأستاذ عباس حسن ـ دار المعارف بمصر .
٩٩ ــ مجاز القرآن : لأبي عبيدة ، تحقيق محمد فؤاد سزكين ، نشر الخانجي .
١٠٠ ــ مجالس العلماء:للزجاجي ، تحقيق : الأستاذ عبد السلام هارون/ طبع الكويت .
١٠١ ــ مجلة كلية الآداب ـ جامعة القاهرة .
١٠٢ ــ مجلة المجمع اللغوي ، بمصر .
١٠٣ ــ مجمع البيان:للطبرسيّ في تفسير القرآن الكريم ـ دار صعب ـ بيروت .
١٠٤ ــ المحاجاة بالمسائل النحوية للزمخشري ، تحقيق : بهيجة باقر الحسيني مطبعة أسعد ـ بغداد .

١٠٥ ــ المحتسب: لابن جني تحقيق الأساتذة: علي النجدي ـ عبد الحليم النجار ـ عبد الفتاح شلبي ـ مطبوعات المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية.

١٠٦ ــ مختصر جامع بيان العلم وفضله: لابن عبد البر القرطبيّ. طبعة أولى ـ مطبعة الموسوعات بمصر ١٣٢٠.

١٠٧ ــ المدارس النحوية : د/ خديجة الحديثي . طبع جامعة بغداد.

١٠٨ ــ المدارس النحوية: د/ شوقي ضيف ـ دار المعارف ـ القاهرة.

١٠٩ ــ المذكّر والمؤنث:لأبي بكر محمد بن القاسم الأنباري، تحقيق:د/ طارق عبد عون الجنابيّ. طبع الدار الوطنية للتوزيع والإعلان ـ بغداد.

١١٠ ــ مراتب النحويين:لأبي الطيب، تحقيق:الأستاذ محمد أبي الفضل ـ طبعة أولى.

١١١ ــ المزهر:للسيّوطي،تحقيق:الأستاذ محمد أبي الفضل وآخرين.

١١٢ ــ المسائل:لابن قتيبة ، مخطوط مصوّر رقم ٢٠٩٦٧ ـ مكتبة جامعة القاهرة.

١١٣ ــ مصادر الشعر الجاهلي : للدكتور ناصر الأسد ـ دار المعارف بمصر.

١١٤ ــ مشكل إعراب القرآن:لمكيّ بن أبي طالب،تحقيق: ياسين السّواس، مطبوعات، المجمع اللغوي بدمشق.

١١٥ ــ المعارف: لابن قتيبة.

١١٦ ــ معاني القرآن:للفراء، طبعة ثانية ـ عالم الكتب ـ بيروت.

١١٧ ــ معجم الأدباء:لياقوت، مطبعة الحلبي.

١١٨ ــ معجم الشواهد: الأستاذ عبد السلام هارون ـ نشر الخانجي.

١١٩ ــ المغني:لابن هشام ـتحقيق:مازن المبارك وآخرين ، طبع بيروت.

١٢٠ ــ مفتاح السعادة:لطاش كبرى زاده ـ طبع دار الكتب الحديثة.

١٢١ ـ مقدّمتان في علوم القرآن،تحقيق : ارثر جفري ، مطبعة السفة المحمّدية .
١٢٢ ـ مقدمة ابن خلدون ، مطبعة مصطفى محمد .
١٢٣ ـ المقتضب :للمبرد، تحقيق الأستاذ محمد عبد الخالق عضيمة ـ مطبوعات المجلس الأعلى للشئون الإسلامية .
١٢٤ ـ مقدمة لدراسة بلاغة العرب : الأستاذ أحمد ضيف، طبعة أولى .
١٢٥ ـ الممتع في التصريف:لابن عصفور، تحقيق:د/ فخر الدين قباوة، المكتبة العربية بحلب .
١٢٦ ـ المنصف:لابن جنّي ، تحقيق:الأستاذ إبراهيم، مصطفى ، والأستاذ عبد الله أمين، مطبعة مصطفى الحلبي .
١٢٧ ـ الموشح:للمزرباني : تحقيق : محمد علي البجاوي ـ دار نهضة مصر .
١٢٨ ـ النحو العربي : للدكتور إبراهيم السامرائي ـ طبع بغداد .
١٢٩ ـ نزهة الألباء في طبقات الأدباء ـ طبع جمعية إحياء مآثر علماء العرب .
١٣٠ ـ نشأة النحو: الشيخ محمد الطنطاوي ـ طبعة ثانية .
١٣١ ـ نفح الطيب للمقرّي ، تحقيق : / إحسان عباس ـ دار صادر ـ بيروت .
١٣٢ ـ هامش الأشموني (العيني) ـ مطبعة الحلبي .
١٣٣ ـ همع الهوامع : الجزء الأول : تحقيق : الأستاذ عبد السلام هارون د/ عبد العال سالم مكرم، وبقية الأجزاء السّتة يتحقق الثاني، طبعة دار البحوث العلمية بالكويت، ومؤسسة الرسالة ـ بيروت .
١٣٤ ـ وفيات الأعيان:لابن خلكان طبع ١٢٩٩ .
١٣٥ ـ يونس بن حبيب : د / حسين نصار ـ دار الكاتب العربي للنشر بالقاهرة .

[تم ـ بحمد الله ـ بمدينة الكويت في مساء يوم الجمعة ١٣ من شوال سنة ١٤١٠ هـ الموافق ١٨ من مايو ١٩٩٠ م وأرجو الله أن يجعله في ميزاني يوم توضعُ الموازين]

ـ القسم الأول .... ٣ ـ ٣٨٩

الفصل الأول

١ ـ أبو الأسود الدؤلي ٣ ـ ٥١

ـ تقديـــم .... ٣ ـ ٨
ـ رأي في نشأة النحو العربي .... ١١ ـ ٢٨
ـ أثر أبي الأسود في النحو العربي .... ٢٩ ـ ٤٥
ـ ترجمة موجزة لأبي الأسود.................. ٤٦ ـ ٥١

الفصل الثاني

تلاميذ أبي الأسود ٥٢ ـ ١٠١

١ ـ عبد الرحمن بن هرمز.......................... ٥٤ ـ ٥٦
ـ أثره في الدراسات النحوية .... ٥٧ ـ ٧٣
٢ ـ نصر بن عاصم .... ٧٤ ـ ٧٥
ـ مكانته في النحو واللغة .... ٧٥ ـ ٧٦
ـ الكتابة في العربية................. ٧٦ ـ ٧٧
ـ مصطلحاته النحوية .... ٧٧ ـ ٧٨
ـ جهوده في الدراسات القرآنية .... ٧٨ ـ ٨٠
ـ أثره في الدراسات النحوية .... ٨٠ ـ ٨١
٣ ـ يحيى بن يعمر .... ٨٢ ـ ٨٣
ـ جهوده في الدراسات القرآنية .... ٨٣ ـ ٨٥

ـ جهوده في الدراسات النحوية .... ٨٥ ـ ٨٧
ـ مصـطلحـاتـه النحوية .... ٨٨ ـ ٨٩
ـ أثـره في الدراسات النحوية .... ٩٠ ـ ٩٦

٤ ـ عنبسة الفيل .... ٩٧ ـ ٩٩
ـ أثـره في النحو العربي ٩٩

٥ ـ ميمون الأقرن .... ١٠٠ ـ ١٠١
ـ أثره في النحو العربي ١٠١

الفصل الثالث ١٠٢ ـ ١٢٩

عبد الله بن أبي إسحاق وأثره في النحو العربي

ـ أثره في النحو العربي ١٠٣
ـ في القياس .... ١٠٣ ـ ١١٠
ـ في المناظرات النحوية .... ١١٠ ـ ١١٢
ـ في النقد النحوي .... ١١٢ ـ ١١٥
ـ في التأليف النحوي .... ١١٥ ـ ١١٧
ـ أثره في سيبويه .... ١١٧ ـ ١١٩
ـ أثره في المبرد ١٢٠
ـ أثـره في القراءات .... ١٢٠ ـ ١٢٩

الفصل الرابع

تلميذا عبدالله بن أبي إسحاق

١ ـ عيسى بن عمر ١٣١ ـ ١٧٩

ـ مكـانتـه العلمية .... ١٣١ ـ ١٣٥

ـ الخلافات اللغوية .... ١٣٥ ـ ١٣٧
ـ أثـره في النحو العربي ١٣٧
ـ في الشواهد الشعرية .... ١٣٧ ـ ١٤٢
ـ في النقد النحوي ١٣٧
ـ في التأويل والتخريج .... ١٤٢ ـ ١٤٣
ـ في القضايا النحوية .... ١٤٤ ـ ١٥٢
ـ في المناظرات النحوية .... ١٥٣ ـ ١٥٧
في التأليف النحوي .... ١٥٨ ـ ١٦١
ـ أثره في سيبويه .... ١٦٢ ـ ١٦٥
ـ رأي ومناقشة في أخذ سيبويه عن عيسى .... ١٦٦ ـ ١٧٢
ـ أثره في القراءات .... ١٧٣ ـ ١٧٩

٢ ـ أبو عمرو بن العلاء ١٧٩ ـ ٢٦٩

ـ اسمه وكنيته .... ١٨٠ ـ ١٨٣
ـ صفاته وأخلاقه .... ١٨٤ ـ ١٨٧
ـ ثقـافة أبي عمرو ومصادرها .... ١٨٨ ـ ١٩٥
ـ نقـده للشعر العربي .... ١٩٦ ـ ٢٠٢
ـ أبـوعمرو في الميدان اللغوي .... ٢٠٣ ـ ٢٠٥
ـ تفسيـر الكلمات القرآنية ونماذج .... ٢٠٥ ـ ٢١٣
ـ فـي الأحاديث النبوية ونماذج .... ٢١٣ ـ ٢١٥
ـ في الأمثال ونماذج .... ٢١٦ ـ ٢٢١
ـ في التعبيرات اللغوية .... ٢٢١ ـ ٢٢٢
ـ في التصحيف .... ٢٢٢ ـ ٢٢٤

ـ في الدراسات الصرفية والنحوية ٢٢٥

ـ في الدراسات الصرفية .... ٢٢٥ ـ ٢٣٤
ـ في الدراسات النحوية ٢٣٥
ـ القـراءات .... ٢٣٥ ـ ٢٣٧
ـ قراءات أبي عمرو في ضوء القواعد النحوية .... ٢٣٧ ـ ٢٤٠
ـ الشعر العربي واستشهاد أبي عمرو به في مجال النحو . ٢٤١ ـ ٢٤٥
ـ لغـات العرب وأثرها في النحو .... ٢٤٦ ـ ٢٥٠
ـ في المناظرات النحوية .... ٢٥٠ ـ ٢٥٢
ـ في التأليف النحوي .... ٢٥٣ ـ ٢٥٤
ـ أثـر أبي عمرو في سيبويه .... ٢٥٤ ـ ٢٥٨
ـ موقف سيبويه من نحو أبي عمرو ٢٥٨ ـ ٢٦١
ـ من آرائه النحوية .... ٢٦١ ـ ٢٦٩

الفصل الخامس ٢٧٠ ـ ٣٨٩

يونس بن حبيب ٢٧٠ - ٣٨٩

ـ نشأته .... ٢٧٠ ـ ٢٧٦
ـ مصادر ثقافته .... ٢٧٧ ـ ٢٩٣
ـ روايتـه للشعر العربي .... ٢٩٤ ـ ٢٩٩
ـ حلقة يونس .... ٢٩٩ ـ ٣٠٣
ـ في الميدان اللغوي .... ٣٠٣ ـ ٣٠٤
ـ في الغريب .... ٣٠٤ ـ ٣٠٦
ـ في الإشتقاق .... ٣٠٦ ـ ٣١٠
ـ في النوادر .... ٣١٠ ـ ٣١٣

ـ في الأمثال .... ٣١٤ ـ ٣١٦
ـ في اختلاف اللغات .... ٣١٦ ـ ٣١٨
ـ في الدراسات الصرفية .... ٣١٨ ـ ٣٢٩
ـ في الدراسات النحوية .... ٣٣٠ ـ ٣٣٢
ـ في مجال القراءات .... ٣٣٢ ـ ٣٤٠
ـ التأويل والتخريج .... ٣٤٠ ـ ٣٤٢
ـ الشواهد الشعرية .... ٣٤٢ ـ ٣٥٠
ـ الشواهد النثرية .... ٣٥١ ـ ٣٥٨
ـ القياس والتعليل .... ٣٥٨ ـ ٣٦٤
ـ الخلافات النحوية .... ٣٦٥ ـ ٣٧٠
ـ أثر يونس في سيبويه .... ٣٧٠ ـ ٣٧٨
ـ من آراء يونس .... ٣٨١ ـ ٣٨٩

ـ القسم الثاني : .... ٣٨٩ ـ ٤٣٨

الفصل السادس

الجذور الأولى للنحو الكوفي ٣٩٣ ـ ٤٠٥
ـ تمهيد .... ٣٩٣ ـ ٣٩٥
ـ أثر أبي الأسود الدؤلي في النحو الكوفي ٣٩٦ـ
ـ سعد بن شداد الكوفي .... ٣٩٦ ـ ٣٩٧
ـ حرّ بن عبد الرحمن النحوي ٣٩٧
ـ حمران بن أعين ٣٩٨
ـ زهير الفرقبي ٣٩٩
ـ شيبان بن عبد الرحمن ٤٠٠
ـ العلاء بن سيابه .... ٤٠٠ ـ ٤٠١

ـ حماد الراوية .... ٤٠٢ ـ ٤٠٤
ـ أبو البلاد الأعمى .... ٤٠٤ ـ ٤٠٥
الفصـل السابع ٤٠٦ ـ ٤٣٨
أبو جعفر الرؤاسي ٤٠٧ ـ ٤٣٨
ـ نشأته ٤٠٧
ـ لقبـه ٤٠٨
ـ شيوخـه ٤٠٩
ـ تلاميـذه ٤٠٩
ـ أخلاقـه .... ٤١٠ ـ ٤١١
ـ حياته الاجتماعية .... ٤١١ ـ ٤١٢
ـ مؤلفاتـه .... ٤١٢ ـ ٤١٩
ـ الفيصـل .... ٤١٢ ـ ٤١٩
ـ الجمع والافـراد .... ٤١٩ ـ ٤٢٠
ـ منزلة أبي جعفر بين النحاة .... ٤٢٠ ـ ٤٢٥
ـ أبو جعفر مؤسس المذهب الكوفي .... ٤٢٥ ـ ٤٢٦
ـ قضيته تأسيس المذهب الكوفي ومناقشتها .... ٤٢٦ ـ ٤٢٩
ـ أبو جعفر في عقل القراءات القرآنية .... ٤٢٩ ـ ٤٣٢
ـ أثر أبي جعفر الرؤاسي في الدراسات النحوية .... ٤٣٢ ـ ٤٣٨
ـ الفهـارس ٤٤٠
ـ فهرس الآيات القرآنية .... ٤٤٠ ـ ٤٥١
ـ فهرس الشواهد الشعرية .... ٤٥٢ ـ ٤٥٧
ـ فهرس المصادر والمراجع التي وردت في الكتاب .... ٤٥٨ ـ ٤٦٠
ـ فهرس الاعلام .... ٤٦١ ـ ٤٧٤

فهرس القبائل والطوائف ٤٧٥
ـ فهرس الأماكن والبلاد ٤٧٦
فهرس المصادر والمراجع ٤٧٧
ـ فهرس الموضوعات ٤٨٧

** .. ** .. **